الهدى
إلى دين المصطفى

تأليف

الشيخ محمد رشيد رضا

دار الكتب العلمية

BIA UNIVERSITY
THE
IBRARIES
IN THE CITY OF NEW YORK
GENERAL
LIBRARY

الهدى
إلى دين المصطفى

تأليف

(الإمام المجاهد)

الشيخ محمد جواد البلاغي

الجزء الأول

الشيخ علي الاخوندي

صاحب

دار الكتب الإسلامية - قم

Vol. 1

بسم الله الرحمن الرحيم

BP
130.4
.B28
1966

مقدمة الطبعة الثانية

بقلم : الكاتب المجيد العلامة المحقق الاستاذ
السيد توفيق الفكيكى المحامى

بعد أن وضعت الحرب الصليبية أوزارها التى دامت سجالا بين الإسلام وأعدائه طوال قرنين من الزمن ، حتى انتصر التوحيد على التثليث ، وتم اندحار الغزاة الأوربيين ، وانهزام فلولهم عبر البحار ، فتطهرت بلاد العروبة والإسلام ومقدساتها من اقدام الجيوش الصليبية التى هبت أوربا عن بكرة أبيها بملوكها ورهبانها وقوادها لتجهيزها ودفعها الى الشرق الإسلامى لإخضاعها وتخضيد شوكة دول الاسلام ، وإذهاب ريحها ، ومن ثم القضاء على تراث العروبة ومواريث (الضاد) المجيدة ، وقد شاء الله تعالى أن تذهب ريح جيوش الغزاة بنصره العزيز ، فانقلبت على أعقابها تجر ذيول الخيبة والخذلان وأضحى أكثرها نصيب الحيتان والعقبان ، بفضل جهاد أهل العقيدة والإيمان من حماة رسالة القرآن ، بيد أن اوربا المنهزمة لم تنم عن ذحولها ، ولم تنس فى يوم من الأيام ضحاياها وأحزانها ، فأخذت دولها وساستها وقساوستها يسلكون فى ظلال السلم سبل الكيد والمكر ما أمكنهم الكيد والدهاء لحبك المؤامرات وتأسيس الجمعيات الهدامة فى الديار العربية والاسلامية باسم المدارس التعليمية والخدمات الانسانية ، وهى فى الحقيقة مؤسسات تبشيرية

فى خدمة الاستعمار العقائدى والسياسى معاً ، وفى فجر النهضة الصناعية فى اوربا أخذت معجزات العلم الحديث تزداد يوماً بعد يوم ، فكثرت الاختراعات المدهشة ، وبذلك فقد اشتدت قوى الشر فى اوربا ، واستشرى كَلَب الاستعمار لأخذ الثار التاريخى الذى سببته الحروب الصليبية ، أما الشرق الاسلامى فقد اصيب بداء الانقسام والتجزئة فى سبيل الوصول الى العروش ودست الحكم وحب الامارة ، فخمدت فى المجموعة الاسلامية جذوة الايمان الصحيح وحرارة العقيدة ، وخيم الجهل على ربوع الشرق ، وتعدد السلاطين والأمراء واستعذبوا الرقاد على أنغام وعاظهم المنافقين ، وقل الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر ، فغط الرعاة والرعية فى سبات عميق ازاء يقظة اوربا وعجيج مخترعاتها المذهلة فى البر والبحر وأرجاء الجو ، ولقاء نشاط جماعات الاستشراق والارساليات التبشيرية الاستعمارية ، وكان جل مهمتها زعزعة عقائد الشباب العربى الاسلامى ، وزرع الشكوك فى عقيدتهم وتعاليم دينهم وفى معجزة الاسلام الخالدة القرآن الكريم .

وبتلك الأساليب السلمية تارة ، وتارة بالقوة والتهديد تمكنت الدول المسيحية الاستعمارية اجتياح الشرق الاسلامى ، وعادت الحرب الصليبية جذعة كما أفصحت قولة اللورد (اللنبى) حين دخل الشام ، فوقف على قبر صلاح الدين الأيوبى فقال مخاطباً له : (الآن إنتهت الحرب الصليبية يا صلاح الدين) إلا أن الحرب الصليبية لم تقتصر هذه المرة على الميادين العسكرية وإنما استهدفت غزو العقول والأفكار والأرواح ، وهذا أخطر وسائل الفناء للأمم ومحوها من عالم الوجود وفى سبيل هذه الغايات الاستعمارية الفكرية قام دهاقين السياسة الغربية وأجمعوا أمرهم على عقد المعاهدات السرية ، والأحلاف المقدسة لتقسيم الأقاليم الاسلامية وتجزئة البلاد العربية ، وإلى جانب ذلك قاموا بتنظيم قوافل المبشرين لتمهد للحرب الصليبية الحديثة إفساد

العقول والقلوب ، وتشويه عقيدة الاسلام أو سلبها من صـــدور الشباب والشواب كما قال أحد المستشرقين الفرنسيين فى إحدى مؤتمراتهم : (إننا إن أخفقنا فى تنصير شباب المسلمين فى المغرب فحسبنا زرع بذور الشكوك فى عقيدتهم ، وإفساد قلوبهم نحو القرآن) ، وهكذا فعلت المدارس الأجنبية التبشيرية فى ديار الشرق الاسلامى ، ونكتفى بهذه الاشارة لأن الخوض فى هذا الموضوع خارج عن غرض هذه المقدمة ، وغاية قصدنا من هذا المدخل الوجيز هى الاشارة العابرة إلى العوامل والدوافع والحوافز التى حفزت كبار المصلحين المسلمين فى فجر يقظة الشرق والنهضة الاصلاحية التى عملت لايقاظ الرقود فى الشرق ، وتجديد رسالة الاسلام والذود عن حياضها وإحياء فلسفة القرآن المتطورة على كر العصور ، وتعاقب الدهور ، فهى لا شرقيـــة ولا غربية ، بل جامعة بين الروحانية والمادية ، كما يفرضه قانون الحياة وسنة الوجود الانسانى ، ونواميس الكون ، لهذا سمى الاسلام دين الفطرة ، أى دين الانسانية ، فهو يحارب المادية ويطاردها إذا هى تجردت من المعانى الروحية ، كما يتنكر للروحانية الصرفة إذا ما جانبت الجوانب المادية البريئة ، وفى القرآن الكريم والأحاديث الشريفة ، وفى أقوال وتعاليم أهل البيت عليهم السلام كثير من الأمثلة والشواهد الرائعة الناطقة بهذه الحقيقة الكونية الأزلية ، ولا مجال لذكرها وسردها هنا .

كان فى مقدمة الذين نذروا أنفسهم فى صد التيارات التبشيرية ضد الاسلام ودوله المصلح المجاهد الشجاع المرحوم فخر الشرق والاسلام السيد جمال الدين الافغانى وتلاميذه الاحرار ، وعلى رأسهم مفتى الديار المصرية العلامة الشهير الشيخ محمد عبده ، ومن تخرج عليه من أفذاذ رجال العلم المفكرين كالسيد رشيد رضا والسيد عبد الرحمان الكواكبى وأضرابهما من النيارى . ومن آثار السيد الافغانى فى مكافحة الالحاد كتابه المشهور فى الرد على الدهريين ، وتبعه

تلميذه الشيخ محمد عبده فى صد هجوم المستشرقين وحملاتهم على رسول الاسلام صلى الله عليه وآله وسلم ، وشريعة القرآن فى كتابه (الاسلام والرد على منتقديه) ، و (الاسلام والنصرانية) وغيرهما ، أما الكواكبى فحسبه كتابه القيم (طبائع الاستبداد) ، وكتابه (العروة الوثقى) .

أما فى ديار الرافدين فقد انفرد بالكفاح والنضال فقيد الشرق الامام الحجة نصير الاسلام الشيخ محمد الجواد البلاغى ، فجرد قلمه البليغ ، وهو أقطع بحجته من الحسام فى وجوه الملحدين والمبشرين المستشرقين فى الشرق والغرب ، وقد تضمنت مؤلفاته الكثيرة القيمة جهاده الطويل المبارك فى الذب عن حقائق الاسلام ، وفى مقدمتها كتابه (الهدى الى دين المصطفى) وهو هذا الكتاب ، وكتابه (الرحلة المدرسية) و (أنوار الهدى) و (نصائح الهدى) وغيرها مما سيأتى تفصيلها .

* * *

الإمام البلاغى وملامح شخصيته ومقوماتها :

هو غصن كريم من الدوحة (البلاغية) الباسقة فى سماء الفضل والشرف وعلم أعلامها وشهاب فضلائها وأبدالها ، بل كوكب دراريها الثاقبة الساطعة فى دياجير الأزمات الشديدة الحلكات ، وظلمات المعظلات المدلهمات ، فأسرته من أعرق الاسر العراقية ، وقبيلته ربيعة (١) خير القبائل العربيـــة فى جاهليتها وإسلامها ، وبيته من أرفع بيوت العلم والدين والأدب ، فهو عربى صليبية ، وفى الذؤابة من تغلب الغلباء ، نزارى العمومة ، هاشمى الخؤلة ، خالص المعدن فى نسبه وحسبه ، فنشأ فى حجر الفضيلة وترعرع وفطم على حب المكارم والشناشن العربية الأصيلة ، وتربى على اسس التربية الاسلامية

(١) واليها ينتهى نسبى « الكاتب » .

الرفيعة ، وقد التزم بمحاسنها ومثلها العليا ، فكان مثال العربى الصميم الصريح ونموذج المسلم القرآنى المثالى الصحيح الايمان الصادق العقيدة الكامل الانسانية بمعناها الواسع ، فان أحب شيء لنفسه فعل الخير والسعى فى سبيله ، وأبغض الأشياء عنده بل أنكر المنكرات ، سطوات الشر والأشرار فى المجتمع الانسانى ، فكان رحمه الله تعالى داعى دعاة الفضيلة ومؤسس المدرسة السيارة للهداية والارشاد وتنوير الأفكار بأصول العلم والحكمة وفلسفة الوجود ، فقد أفطمت جوانحه على معارف جمة ، ووسع صدره كنوزاً من ثمرات الثقافة الإسلامية العالية والتربية الغالية ، وقد نهل وعب من مشارع المعرفة والحكمة الصافية حتى أصبح ملاذ الحائرين الذين استهوتهم أهواء المنحرفين عن المحجة البيضاء ، وخدعتهم ضلالات الدهريين والماديين ، كما كان الملجأ الأمين لمن رام من المستشرقين الإطمئنان بإزاحة الحجب عن وجه الحقيقة والحق ، واوصول الى ساحل اليقين كالمستشرق (المستر خالد شرد راك) وأمثاله من أعلام الغرب الذين يهمهم كشف المخبأ من أسرار المعارف المحمدية والحكمة المشرقية ، حيث آنسوا فيه ندرة المواهب العقلية والملكات النفسية القوية والطاقات الفكرية العجيبة ، وينابيعه الثرة العذبة المتفجرة من قلبه الكبير المتدفقة على لسانه الجارية على قلمه السيال

* * *

ومن ملامحه ومخائله الدالة على كماله النفسى هى فطرته السليمة وسلامة سلوكه الخلقى والإجتماعى ، وحدة ذكائه وقوة فطنته ، وعفة نفسه ورفعة تواضعه ، وصون لسانه عن الفضول ، ولين عريكته ، ورقة حاشيته وخفة روحه وأدبه الجم ، وعذوبة منطقه ، وفيض يده على عسره وشظف عيشه فهذه السجايا والخصال هى أهم صفاته الكمالية ، وقد ورثها - بحكم قانون الوراثة - عن آباء آبائه البلاغيين البهاليل الكرام .

ومن مقومات شخصيته العلمية وملكته الفلسفية والأدبية كثرة ملازمته لأساطين الفنون العربية وأئمة الفقه الإسلامى وجهابذة الفلسفة والكلام ، هؤلاء الفحول الذين كانت تحتضنهم مدينة (باب مدينة العلم) النجف الأشرف وهى أعظم جامعة إسلامية لشتى الفنون والعلوم القديمة ، أما العلوم المتنوعة الحديثة فقد درسها على نفسه بالاضافة إلى اللغة الفارسية والانجليزية والعبرية ومن أشهر شيوخه الذين ارتشف ونهل من نميرهم الصافى هم حجج الاسلام الشيخ محمد طه نجف ، والحاج آغا رضا الهمدانى ، والاستاذ الأكبر الشيخ محمد كاظم الخراسانى ، والميرزا محمد تقى الشيرازى القائد الروحى للثورة العراقية الكبرى سنة ١٩٢٠ م ، وبعد أن ارتوى من تلك الينابيع الفياضة والمناهل العذاب نضجت مواهبه وملكته الاجتهادية ، فاستولى على زمام الاجتهاد والاستنباط وصار إماماً مجتهداً بجدارة واستحقاق ومجاهداً مضحياً بالنفس والنفيس فى خدمة الحق وإبطال الأباطيل ورفع راية الاسلام ، حتى أضحت داره كعبة الفضلاء ومدرسة النبهاء والفهماء ، إذ امتازت بطابعها الخاص وهو فن المناظرة والجدل ، ودراسة قواعد الدفاع وطرق النضال العلمية والفلسفية والأدبية فى حومات المعارك الفكرية ، كما كانت مدارس الاعتزال فى العصر العباسى ازاء أصحاب الأديان والمعتقدات المتطرفة وأهل الآراء والمذاهب المخالفة لمذهب الاعتزال ، وكانت مجاهدة الامام البلاغى والمصابرة عليها ومصاولاته الفكرية المجهدة فى رد اعتراضات الملحدين ، وطعون أهل الأهواء أمثال جرجيس صال الانكليزى ، وصاحب كتاب (الهداية) المتكلف الضال مما ساعد على اشتهار الامام البلاغى وذيوع صيته فى الشرق والغرب ، حتى أصبحت مدرسته مناخ العقليين الهائمين وراء الحقائق ، وداره المتواضعة محط المسترشدين المتبصرين من أرجاء الدنيا ، بل علماء المعاهد الفلسفية ، وأساتذة الجامعات الكبرى العلمية .

جهاده وآثاره الخالدة :

ان المتتبع لسيرة عظماء الامم وزعماء الشعوب وعباقرة الأقوام يجد أن سر خلودهم كامن فى عمق إيمانهم وقوة إرادتهم الحديدية ، وفى صدق إخلاصهم وشدة الصبر والمصابرة على مرارة الجهاد فى سبيل إعلاء كلمة الحق وإذلال سلطان الباطل أو فى سبيل الكفاح والنضال لاحياء المثل الاخلاقية الصحيحة وتجديد العقائد السليمة ، والتراث التاريخى العتيد الذى هو مصدر مفاخر الامم ، ومحفزها إلى الارتقاء والتقدم ، وهكذا يعمل قادة الفكر وأئمة الاصلاح فى كل وسط ومجتمع سواء منهم صاحب السيف أو القلم أو رب السيف والقلم معاً ، أو الفيلسوف الحكيم والعالم الربانى العامل لنصرة العقيدة الحقة وإنقاذ المجتمع من الظلمات إلى النور ، فهؤلاء القادة البررة قد خلقوا لأداء رسالة الاصلاح كلما تردت المجتمعات البشرية وانطمست معالم الخير فيها ، وشاعت شرور الالحاد فى صفوف أفرادها .

والمتدبر لسيرة الامام البلاغى « رضوان الله عليه » منذ رفعت عنه تمائمه حتى لحوقه بالرفيق الأعلى ، يجدها قد حفلت بألوان عجيبة باهرة بالاعمال المجيدة والمساعى الحميدة لرفع لواء الاصلاح ومنار العلم ، وتجديد صرح المعرفة وكشف الحجب التى أسدلتها يد الجهالة المظلمة فى عهود الانحطاط على جواهر حقائق الاسلام وقيامه بالدفاع المشكور عن محاسن ويسر الحنيفية السمحة فإنه انعكف منذ عرف نفسه على الكتاب والدرس والاختلاف إلى دور العلم ومجالس العلماء ، وندوات الصلحاء حتى إذا استد ساعده (١) ، ونضجت مداركه وتوسعت معارفه ، وشاع فضله وفواضله فى أوساط الفضيلة والفضلاء وأندية العلم والعلماء ، اتجه بكليته مستضيئاً بنور عقله الوهاج ، وفكره النير

(١) استد بالسين لا بالشين ، ويخطأ من يلفظها بالشين .

المتوقد ، وبقوة إيمانه وصدق إخلاصه ، ومن ثم بغزارة معارفه وآدابه ، وجولات قلمه - البلاغي - البارع إلى تخليد الغرر والدرر في بطون شتى الرسائل والكتب ، وهو من أجل قيامه بأداء رسالته وشغفه بشرف الجهاد في سبيلها قد آثر الانزواء عن الناس لا يغادر غرفته ومكتبته اللهم إلا في أوقات الصلاة وزيارة الحرم المقدس ، وفي خروجه للسوق لتموين عائلته بالغذاء اليومي ، وكان يحمله اليهم بنفسه ويعتذر لمن يروم مساعدته بحمله عنه فيقول له : (رب العيال أولى بعياله) ، أما ما سوى ذلك فلا تجده يبرح غرفته تحيط به كتبه التي يرجع اليها في تحقيقاته الفقهية والأصولية والكلامية ، أو في تعقيبه وتعليقه على كتاب أو على رأي من الآراء العلمية والفلسفية الحديثة ، فتراه دائماً مكباً ممعناً نظره في تحرير الأجوبة على المسائل العويصة والمشاكل المعضلة التي ترده من أنحاء العراق والأقطار البعيدة ، أو تراه منهمكاً في التأليف أو في شرح الأبحاث العقائدية أو في تفسير آي القرآن الحكيم ، وأسعد ساعاته هي التي يشغلها في المناقشة والمحاورة مع طلابه فيما يدق ويغمض عليهم من دقائق الموضوعات المنطقية والكلامية والفقهية ، والفنون العربية وغيرها من أبواب المعرفة ومن محصول هذه العزلة والإنزواء قد زود المكتبة العربية والغربية بآثاره الجليلة القدر ، وسيأتي ذكر المطبوع وغير المطبوع منها قريباً ، وقد تتجلى للقارىء عظمة جهاده واجتهاده واتساع ثقافته ، والمعاصرة الفكرية الجبارة التي عاشها وسط تلك الزعازع والأعاصير والتيارات التي هبت على المشرق الإسلامي من قبل شيوخ الزندقة والإلحاد وأصحاب البدع والأهواء المردية ، وتلك العظمة تنبئنا عنها كتبه (١) الرحلة المدرسية أو المدرسة السيارة (٢) التوحيد والتثليث (٣) البلاغ المبين (٤) أنوار الهدى (٥) نصائح الهدى (٦) الهدى إلى دين المصطفى ، وهو هذا ، وسنخصه بالقول لأهمية موضوعاته ومضامينه ، فأما الرحلة المدرسية فقد دلت على خياله الواسع

الوثاب وتفكيره العميق وذوقه العالى وأسلوبه الروائى الحديث المبتكر ، وقد دارت بحوثه ومحاوراته على لسان جماعة من ذوى النزاهة والرجاحة لتمحيص الحقائق وتنزيه العقائد من خلال الرسالات السماوية وتطورها التاريخى وبخاصة منذ عهد التوراة والزبور والإنجيل والقرآن العظيم ، وهو خاتمة الرسالات لهداية البشر إلى فكرة التوحيد الخالص بعد أن اجتازت البشرية عبادة الأحجار والأشجار والحيوانات والكواكب والآباء والامهات الى غير ذلك من صنوف العبادات التى ما أنزل الله بها من سلطان ، وإنما كانت من أثر الطفولة العقلية ، وقد حرر الإمام البلاغى « رضى الله عنه » هذه الفصول الفلسفية العقائدية الدقيقة بقلم العالم النحرير المتمكن دون تحيز وتعصب وتحامل على أهل الأديان والمذاهب المخالفة وبلغة سهلة واضحة يفهمها حتى سقيم الفهم وختمها بخلاصة مهمة فى إثبات ان دين الإسلام هو دين الفطرة وشريعة الإنسانية مهما تقدمت الحياة وارتقت البشرية أو تطور العلم وتجددت المذاهب الفلسفية واختلفت الأجناس ، ولا قوة للمبادىء الهادية الإلحادية المظلمة على إطفاء نور الاسلام الساطع الباهر وفى تعاليم الحنيفية سر سعادة الانسانية المعذبة ، هذه هى الخطوط الأساسية لكتاب الرحلة المدرسية ، ونظراً لقيمتها العقائدية الفلسفية ومباحثها الكلامية الاسلامية وتبسيط علل خلق الكائنات ، وعجائب المخلوقات ، من أجل ذلك اهتم بها الباحثون فترجمت لأكثر من لغة واحدة .

* * *

وهكذا تضمنت مؤلفاته التى أشرنا اليها آنفاً وهى (التوحيد والتثليث) و (أنوار الهدى) و (البلاغ المبين) فانها قد عالجت فكرة التوحيد وإبطال عقيدة الثالوث ، وتفنيد آراء الماديين والدهريين وسائر مقالات الطبيعيين ، ورد حملات الحاقدين المغرضين واعتراضاتهم الفاسدة ، وقام بتلك المجالدة

والمجادلة القلمية بأسلوبه اللين الهين مراعياً القاعدة المعروفة (مناظرك نظيرك) مع الأدب الجم ، والخلق الرفيع .

أما كتابه (نصائح الهدى) (ورسالته إلى من كان مسلماً فصار بابياً) فكل منهما قام على الدليل القاطع والحجة الدامغة ، والحجاج المفحم المسكت ، فى تسفيه أحلام أصحاب الدعوة البابية والبهائية بالمعقول والمنقول ، وتزييف عقيدتهم وإشهار زيفهم ، ومن ثم بتسديد الحراب إلى صدو البهاء والباب ، وتلك الحراب هى البراهين الوضاءة التى أقامها (رح) على هدم دعوتهم وإبطال مزاعمهم ومفترياتهم وأوهامهم التى سطر دعاة الضلالة المانوية أسطارها فى (الأقدس) و (البيان) و (الألواح) (١) وغيرها من فنون هذيان المجان واخلاط ابن ديصان المجوسى وأضرابه من شيوخ الزندقة الذين كانوا وما زالوا يتلونون كالحرباء فى كل عصر ومصر بألوان براقة خداعة وبشعار جديد يتبطن الاباحية والكفر والالحاد كالحركة القرمطية بالأمس والشيوعية اليوم والغرض المشترك لتلك الحركات الهدامة هى القضاء على معالم العروبة والاسلام.

* * *

ومن آثار جهاد الامام البلاغى إثارة الرأى العام ضد البهائية فى الكرخ وإقامة الدعوى فى المحاكم لمنع تصرفهم فى الملك الذى استولوا عليه واتخذوه كعبة لهم ، وباصطلاحهم - حظيرة - لاقامة شعائر الطاغوت ، وقضت المحاكم بنزعه منهم ، واتخذ مسجداً إسلامياً تقام فيه الصلوات الخمس والمآتم الحسينية فى ذكرى الطف والبطولات الرائعة .

وقد طبع من آثاره القلمية القيمة الخالدة :

١ - الهدى إلى دين المصطفى ، وهو هذا الكتاب .

٢ - الرحلة المدرسية أو المدرسة السيارة .

---

(١) هذه الكتب أهم كتب البهائية الضالة المضللة .

٣ - أنوار الهدى .

٤ - نصائح الهدى .

٥ - رسالة التوحيد .

٦ - أعاجيب الأكاذيب .

٧ - البلاغ المبين فى الالهيات .

٨ - أجوبة المسائل البغدادية فى اصول الدين .

٩ - الرسالة الاولى فى نقض فتوى الوهابيين بهدم القبور المقدسة فى مكة المكرمة والمدينة المنورة .

١٠ - الرسالة الثانية فى تفنيد فتواهم أيضاً .

١١ - رسالة فى وضوء الامامية وصلاتهم وصومهم، طبعت بالانجليزية .

١٢ - العقود المفصلة فى المسائل المشكلة .

١٣ - تعليقة على مباحث البيع من مكاسب شيخ المجتهدين الامام الانصارى

١٤ - آلاء الرحمان فى تفسير القرآن ، طبع منه الجزء الأول والثانى وهو آخر مؤلفاته .

١٥ - رسالة فى التفسير المنسوب إلى الامام الحسن العسكرى عليه السلام.

١٦ - رسالة فى الاستدلال على صحة مذهب الامامية عن طريق غيرهم .

١٧ - رسالة نسمات الهدى .

١٨ - رسالة فى البداء .

أما المخطوطات منها :

(١) داعى الاسلام وداعى النصارى (٢) رسالة فى الرد على كتاب تعاليم العلماء (٣) كتاب المصابيح فى إبطال مذهب القاديانية (٤) كتاب الشهاب فى الرد على كتاب حياة المسيح « ص » (٥) رسالة الرد على كتاب ينابيع الكلام لبعض المسيحيين (٦) أجوبة المسائل التبريزية فى الطلاق وتعدد الزوجات

والحجاب وبعض المسائل الاخرى (٧) فى الأصل العربى ، وقد طبعت بالانجليزية « وضوء الامامية وصلاتهم » (٨) رسالة فى القبلة وتعيين مواقع بعض البلدان المهمة فى العالم من مكة المكرمة(٩) رسالة فى مواقيت الاحرام (١٠) رسالة فى ذبائح أهل الكتاب (١١) رسالة فى المتمم كرا (١٢) رسالة فى الغسالة (١٣) رسالة فى حرمة مس المصحف الشريف على المحدث (١٤) تعليقة على كتاب الشفعة من كتاب « الجواهر » (١٥) رسالة فى منجزات المريض (١٦) رسالة فى إقرار المريض (١٧) رسالة فى الرضاع (١٨) رسالة فى فروع الرضاع(١٩) رسالة فى قاعدة على اليد ما اخذت (٢٠) رسالة فى إبطال العول والتعصيب (٢١) رسالة فى التقليد (٢٢) رسالة فى الأوامر (٢٣) رسالة فى الخيارات (٢٤) رسالة فى صلاة الجمعة لمن سافر بعد الزوال (٢٥) رسالة فى تنجيس المتنجس إذا لاقى برطوبة (٢٦) رسالة فى اللباس المشكوك (٢٧) رسالة فى حالة العلم الاجمالى مع الاصول والنظر فى جملة فروعه (٢٨) رسالة فى حرمة حلق اللحية (٢٩) رسالة فى ان من يدين بدين يلزم بمقتضى نحلته فى مقام الحقوق (٣٠) تعليقة على العروة الوثقى .

هذا التراث الضخم من آثاره العلمية ، وثمراته الفكرية ، يقول فيه الاستاذ الشاعر الفحل السيد محمود الحبوبى مخاطباً المؤلف فى رثائه :

دأبت بنشر ما سميت كتباً ودين الله سماها دروعا

* * *

فى هذه القصيدة وصف الشاعر قلم الإمام البلاغى وقد أجاد فقال :

فتى القلم الذى إن صر ألقى صليل المشرفى له الخضوعا
وان تحمله مختضباً مداداً فماذا السيف مختضباً نجيعا
وان رضع الدواة ترى شيوخ الضلالة تتقى ذاك الرضيعا

* * *

وقد جاراه فى هذه الحلبة الشاعر الفصيح الاستاذ صالح الجعفرى فقال :

لا يفعل السيف مكسور القراب كما ... قد كان يفعل إذ تستله القلم

* * *

أدبه :

كان « رضوان الله عليه » من فحول الشعراء ، وإن اشتهر بمؤلفاته العلمية والفلسفية ، غير ان الفضلاء من كبار الأدباء والشعراء يقرّون له بمكانته الأدبية ، وشاعريته المطبوعة ، فهو شاعر محسن مجيد ، تزخر أشعاره بالعواطف الوجدانية ، والمشاعر الإنسانية والتأملات الروحية ، وأكثر شعره كان فى أهل البيت عليهم السلام ، أو فى تهنئة خليل أو رثاء عالم جليل أو فى حالة الحنين إلى الاخلاء يحتمه عليه واجب الوفاء ، واما ان تهزه دواعى الدفاع عن رأى علمى ، أو شرح فكرة فلسفية بطريق المعارضة الشعرية ، كما فى قصيدته العينية التى عارض فيها قصيدة الرئيس ابن سينا فى النفس ، ولم يكن « رحمه الله » بالشاعر الفصال (١) ، ولم يكن من الفقهاء المتزمتين الذين يتنكرون للشعر ونظمه ، ويرونه مزرياً بالعلماء ، بل كان كثير الإحترام للشعراء المناضلين فى سبيل الفضيلة الأخلاقية ونصرة المثل الإسلامية المثلى ووسيلة إذاعة فضائل أئمة أهل البيت عليهم السلام والاشادة بمحاسنهم ، بيد أنه بالرغم من سلاسة شعره ، وإشراق ديباجته ، ورصانة تركيبه وفصاحة ألفاظه ، ولطافة معانيه ، وحلاوة أسلوبه وطلاوته ، فإنه لا يزاحم من حيث القوة الشاعرية المبدعة التى امتازت بها الطبقة الاولى من فحول شعراء عصره كالسيد ابراهيم الطباطبائى والسيد موسى الطالقانى والسيد المجاهد العلامة الكبير والشاعر الشهير السيد محمد سعيد الحبوبى والشاعر الرقيق السيد جعفر الحلى وشاعر الرثاء والحماسة المخترع السيد حيدر الحلى «عليهم رحمات الرحمان» .

(١) الشاعر الفصال : الذى يتكسب بشعره .

ومن شعر الامام البلاغى الذى سارت به الركبان ، قصيدته التى نظمها فى الرد على قصيدة أحد علماء بغداد المنكرين لوجود الامام الثانى عشر المنتظر وغيبته عليه السلام ومطلعها :

أيا علماء العصر يا من لهم خبر بكل دقيق حار فى نعته الفكر

فأجابه الشيخ الجليل البلاغى « رضى الله عنه » بقصيدة طويلة بلغت مائة وتسعة أبيات ، وهى من عيون شعره ، ومستهلها :

أطعت الهوى فيهم فعاصانى الصبر فها أنا مالى فيه نهى ولا أمر

ومنهـــا :

أروح وقلبى للواعج والجوى مباح وأجفانى عليها الكرى حجر

وفى أواخرها يقول :

وقد جاء فى الآثار عن كل واحد أحاديث يعيى عن تواترها الحصر

تعرفنا ابن العسكرى وانه هو القائم المهدى والواتر الوتر

ومن قصيدته العينية التى عارض فيها عينية الرئيس ابن سينا فى النفس ومطلعها:

نعمت بأن جاءت بخلق المبدع ثم السعادة أن يقول لها (ارجعى)

خلقت لأنفع غاية يا ليتها تبعت سبيل الرشد نحو الأنفع

الله سواها فألهمها فهـــل تنحو السبيل إلى المحل الأرفع

ومنهـــا :

فخذى هداك فتلك أعلام الهدى زهر سواطع فى الطريق المهيع

وترّوحى بشذى الطريق واملى عقبى سراك إلى الجناب الممرع

إلى آخرها وهى طويلة وذات معانى فلسفية عالية .

* * *

وقصيدته فى ثامن شوال من سنة ١٣٤٤ هجـ ، وهو اليوم الذى هدمت فيه قبور أئمة الهدى الأطهار عليهم السلام فى البقيع ، ومطلعها :

دهاك ثامن شوال بما دهما　　فحق للعين إهمال الدموع دما

ومنهـــا :

يوم البقيـع لقد جلت مصيبته　　وشاركت فى شجاها كربلا عظما

وقوله من قصيدة غزلية :

مدت إلى رمل الحمى أعناقها　　طلائع قد شاقنى ما شاقها

تزف زفات الظليم نافراً　　حيث الغرام قادها وساقها

وله « رحمه الله » مراسلات اخوانية ، ومناظرات علمية ، ومراجعات شعرية مع العلامة البحاثة خالد الذكر السيد محسن الأمين العاملى « رضى الله عنه » قدبسطها فى موسوعته الجليلة الموسومة بـ(أعيان الشيعة) وفى الجزء السابع عشر منها من ص ٦٧ إلى ص ١٠٢ ، وفى ديوانه (الرحيق المختوم) ، وقد دلت تلك المراجعات على غزارة علم وأدب وعمق تفكير وسعة اطلاع، وقد جمع سيدنا العاملى فى موسوعته ورحيقه أشعار البلاغى الرائقة ومختلف فنونه المختارة الفائقة (فراجعها) .

وكان من لدات الامام وخلصائه المجاهد العلامة الكبير والشاعر النابغة السيد محمد سعيد الحبوبى ، وبعد وفاته رثاه الحجة بقصيدة دامعة ، ومطلعها :

شاقك البرق فأسرعت سباقا　　وتركت الصب يلتاع اشتياقا

نكتفى بهذه النماذج البلاغية الدالة على سائر روائعه وبدائعه .

* * *

ميلاده ، ووفاته ، وما قيل فى رثائه :

اختلف فى ولادته ، فذهب سيدنا أبو الحسن المحسن الأمين العاملى « رضى الله عنه » ، انه ولد فى سنة ١٢٨٥ هجـ ، وتبعه بعض المترجمين له ومنهم من ذهب انه ولد فى سنة ١٢٨٠ هجـ ، أما علامتنا الحجة الخبير الشيخ آغابزرك

« أدام الله وجوده » فقد عين تاريخ ولادته فى سنة ١٢٨٢ هجـ وهذا هو القول الراجح عندى ، لأنه من المتفق عليه ان الامام البلاغى قد توفى وعمره (٧٠) سنة ، أما تاريخ وفاته فكان فى عام ١٣٥٢ هجـ ، وفى يوم ٢٢ شعبان من تلك السنة ، وقد أجمع المترجمون له على ذلك ، وكان قد ابتلى بداء السل ولكن الذى قضى عليه هو مرض ذات الجنب ، وما أن نعاه النعاة حتى ارتجت مدينة النجف الأشرف فألقت بأفلاذها ، وقذفت بسكانها على اختلاف طبقاتهم وهم يندبون فقيد الاسلام ، ونابغة الشرق ، وقد اهتزت لفقده محافل الشرق وأندية الغرب ، وبكته محاريبه وصلواته وأقلامه ودفاتره ومؤلفاته وسار فى تشييع جثمانه آلاف من الجماهير يتقدمهم عظماء المجتهدين وأساطين العلم والأدب ، وأقيمت له الفواتح والمآتم وحفلات التأبين فى أنحاء الرافدين وأرجاء بلاد (الضاد) وديار الاسلام ، وذكرته الجمعيات العلمية الغربية بالتمجيد والتقدير ، وأثنت على خدماته الجلى وجهوده الجبارة فى نصرة الفضيلة ، والدفاع عن عقيدته بما اوتى من الحكمة وفصل الخطاب ، ورثاه أكابر العلماء والادباء بعيون الشعر الحزين الدامع وفى طليعتهم خاله الأجل العلامة الفهامة سيد شعراء عصره سيدنا وصديقنا المرحوم السيد رضا الهندى فى قصيدته البليغة الرائعة ، ومستهلها :

إن تمسى فى ظلم اللحود موسداً ... فلقد أضأت بهن (أنوار الهدى)
ولئن يفاجئك الردى فلطالما ... حاولت إنقاذ العباد من الردى

ومنها :

قد كنت أهوى اننى لك سابق ... هيهات قد سبق (الجواد) إلى المدى
فليندب (التوحيد) يوم مماته ... سيفاً على (التثليث) كان مجردا
وليبك دين محمد لمجاهد ... أثبجت رزيته النبى محمدا
وليجر أدمعه اليراع لكاتب ... أجراه فى جفن الهداية مزودا

ومنهـــا :

أأخى كم نثرت يداك من (الهدى) بذراً فطب نفساً فزرعك أحصدا

إلى آخرها وهى طويلة وكلها من هذا النمط العالى .

ورثاه العالم الأديب المرحوم الشيخ محمد رضا المظفر فى قصيدة مطلعها:

يا طرف جد بسوادالعين أو فذر ماذا انتفاعك بعدالشمس بالنظر

ومنهـــا :

قد كان كالبدر فى ليل الشتا ومضى كالشمس معروفة بالعين والأثر

وفى رثائه قال العلامة المفضال السيد مسلم الحلى قصيدة منها هذا البيت:

انى أرى الموت الزؤام ممثلا للناس فعل الصيرف النقاد

وقال أخد معارفيه :

فى ذمة الله نفس بالجهاد قضت فكان آخر شىء فارقت قلم

وممن رثاه العالم الجليل الشيخ محمد تقى الفقيه ، أحد علماء جبل عامل بمرثية مختارة ، منها :

أفنيت نفسك بالجهاد وطالما بدمائها روى اليراع الظامى

حتى تراءت فى الجنان مهيضة هتف الملائكة (ادخلى بسلام)

ومنهـــا :

صيرت قلبك شمعة وحملته ضوء امام الدين للاعظام

فأذبته فاذا المدامع أسطر والنور معناها البديع السامى

وقد أحسن أحد ادباء العربية فخاطبه فى رثائه :

زودت نفسك فى حياتك زادها تقوى الإله وذاك خير الزاد

ووصفه أحد البارعين :

تحلى به جيد الزمان وأصبحت تزان به الدنيا وتزهو الصحائف

ومن جملة من رثاه الأساتذة الأفاضل السيد محمود الحبوبى ومحمد صالح

الجعفرى والشيخ محمد على اليعقوبى (١) ، وغيرهم من أكابر الشعراء وأعلام الأدب . .

المترجمون له :

١ ـ الامام ثقة الاسلام السيد محسن الأمين العاملى ، فى الجزء السابع عشر من كتابه (أعيان الشيعة) ، وفى ديوانه (الرحيق المختوم) .
٢ ـ الحجة الخربيت الشيخ آغا بزرك الطهرانى فى كتابه (أعلام الشيعة) وفى كتابه (الذريعة إلى تصانيف الشيعة) .
٣ ـ العلامة المؤرخ والأديب الكبير المرحوم الشيخ محمد السماوى فى كتابه (الطليعة فى شعراء الشيعة) .
٤ ـ العلامة الكبير المرحوم الشيخ على كاشف الغطاء فى كتابه (الحصون المنيعة) .
٥ ـ الاستاذ السيد أحمد الحسينى فى مقدمته لكتاب (الرحلة المدرسية) للإمام البلاغى .
٦ ـ المرحوم الشيخ الجليل محمد على الأوردبادى فى مجلة الهدى العمارية .
٧ ـ الحجة الشيخ عباس القمى فى كتابه (الكنى والألقاب) .
٨ ـ الاستاذ الكبير عمر كحالة فى كتابه (معجم المؤلفين) المجلد الرابع .
٩ ـ الاستاذ الكبير خير الدين الزركلى فى كتابه (الأعلام) المجلد السادس وأماكن اخرى من موسوعته .

---

(١) القصيدة منشورة على الصحيفة ٢٣٥ من ديوان اليعقوبى وعنوانها « الحجة البلاغى » ، ومستهلها :

سلوا قبة الاسلام ماذا أمادها متى قوضت منها الليالى عمادها

١٠ ـ الاستاذ السيد حسن الحسيني اللواساني في آخر كتاب (آلاء الرحمان في تفسير القرآن) .

١١ ـ الاستاذ الجليل الشيخ محمد حسن آل ياسين في مقدمته لكتاب البداء للإمام البلاغي .

١٢ ـ الاستاذ السيد عبد الوهاب الصافي في العدد الأول من السنة الثانية من مجلة (الإعتدال) .

١٣ ـ الاستاذ محمد مهدي الآصفي في كتاب (أنوار الهدى) للامام البلاغي.

١٤ ـ صاحب كتاب (وقائع الأيام). ١٥ صاحب مجلة (الرضوان).

١٦ ـ المرحوم الاستاذ الشيخ جعفر محبوبة في كتابه (ماضي النجف وحاضرها) الجزء الثاني .

١٧ ـ الاستاذ محمد علي جعفر التميمي في كتابه (مشهد الامام) الجزء الثاني

١٨ ـ الاستاذ الشيخ هادي الأميني في كتابه (معجم رجال الفكر والأدب في النجف) .

١٩ ـ المرحوم العلامة الشيخ جعفر النقدي في كتابه المخطوط (الروض النضير في شعراء القرن المتأخر والأخير) .

٢٠ ـ الاستاذ الشيخ علي الخاقاني في كتابه (شعراء الغري) ج٢ ص٤٣٧.

٢١ ـ الأديب الباحث الاستاذ موسى الموسوي نجل العلامة الجليل المرحوم السيد صادق الموسوي الهندي في كتابه المخطوط آل البلاغي

٢٢ ـ حجة الإسلام المرحوم الشيخ محمد حرز في كتابه (معارف الرجال في تراجم العلماء والادباء) ج ١ ص ١٩٦ ـ ٢٠٠ .

وغير هؤلاء الأساتذة والشيوخ الأفاضل ممن أغفلتهم الذاكرة ولم يخطروا على البال وهم كثر .

﴿ هـــذا الـكتاب ﴾

نعم هذا الكتاب يأتى على رأس مؤلفاته وتصانيفه القيمة ، وفى قمة ذخائره العلمية الغالية ، بل هو أنفس نفائسه الفكرية ، ومبدعاته العقلية وجاء أقوى دليل على سعة معارفه ، وأسطع برهان على إحاطته بتاريخ الاديان والشرائع والعقائد تدلك على ذلك أبواب هذا الكتاب وفصوله ، وغرائب مسائله الشاهدة على ثقافته الناضجة ، ثم ان هذه المباحث الضخمة الجليـــلة والمتشعبة الأطراف التى بين دفتيه وبجزئيه ، ونهوض الحجة « رحمه الله » فى وجه المفترين من كتاب الغرب وغيرهم ورد سهامهم المسمومة واعتراضاتهم المغرضة المحمومة على قدس القرآن الكريم ، هذا الجهاد المرير ، والمصابرة عليه ، وتلك الجهود الجبارة المضنية والتضحيات الجسيمة التى لم يقم بأعبائها ومكروهها إلا أصحاب الرسالات الاصلاحية ، وإلا أهل العقيدة الراسخة واليقين الثابت لهى أعظم برهان على مبلغ جهاد واجتهاد حجة الاسلام الامام البلاغى مؤلف (الهدى) ، واليك هذه الفقرات من مقدمته التى توج بها الكتاب وأبان فيها الاسباب والدواعى لتأليفه :

(. . . وقفت على كتاب عربى ارخ طبعه بسنة ألف وثمانمائة وإحدى وتسعين ميلادية ، لم تذكر مطبعته ولا محلها ولا صاحبها ، عنوانه انه تعريب هاشم العربى نزيل بلاد الفرنج حالا ، عن اللغة الانكليزية لمقالة فى الاسلام لرجل ترجمه المعرب بأنه جرجيس صال الانكليزى مولداً ومنشأ ، المولود فى أواخر القرن السابع عشر ، وقد ألحق المعرب هذه المقالة بتذييل مستقل فى آخرها وتذييلات متفرقات فى أثنائها ثم وقفت على كتاب آخر استعير له اسم (الهداية) وهو يتألف من أربعة أجزاء ، ومجموع صفحاتها (١٢٢٨) صفحة تم تأليفها بين سنة ١٩٠٠ و ١٩٠٤ م قد تكلف فيه الرد على كتابى (إظهار الحق والسيف الحميدى) وقام بتأليف (الهداية) جماعة من علماء الغرب أو أحدهم

الحاقدين على الرسالة المحمدية المنيفة ، وقد وجدت الكتابين الأولين على طريقة ينكرها شرع التحقيق فى البحث والادب فى الكلام ، والأمانة فى البيان ، ولا يرتضيها خدام المعارف المحافظون على فضلهم ورواج بضاعتهم المتحذرون من وبال الإنتقاد ووصمة ظهور الزيف والزيغ ، وقد أحببت أن اشير إلى بعض ما فيهما مما حاد عن الأمانة أو تاه فى الغفلة خدمة منى للمعارف وإحقاقاً للحق وانتقاداً للزيف ليثنى من يريد الكتابة من جماح تعصبه ويأخذ فى مزال الأقدام وعثرات الأقلام بيد قلمه ، وقد آثرت أن أجعل ذلك فى خلال ما هو الأمثل بنا ، بل الواجب علينا من الارشاد إلى سبيل الهدى ودين الحق وخالص الايمان وحقيقة العرفان ، ودين الاسلام المتكفل بأعدل النظام وأحسن التمدن وأكمل التهذيب لعامة البشر .. الخ) .

وفى (المقدمة السابعة) من الكتاب شرح « رحمه الله » طريقته وأدب مناقشته وأسلوب جداله مع المعترضين على قدس القرآن وشريعة الاسلام ، وفصل شروط البرهان والجدل واخبار الآحاد فقال : « لا يخفى على كل ذى رشد ومعرفة بطريق البحث والمباحثة ، ان مباحثة أهل الدين والاعتراض على جامعتهم وأصل دينهم إنما يحسن ولا يعد خبطاً ومراوغة عن الحق ، إذا كان البرهان عليهم بالمقدمات المنتهية إلى بداهة العقل أو المسلمة عند عمومهم ، وإذا كان الجدل والالتزام لهم بما يعلم انه من الدين الذى عكفوا عليه والقدر الجامع بينهم لا بما كان رأياً أو رواية يختص به واحد أو آحاد من أهل ذلك الدين لا يفيد علماً ولا يذعن عموم أهل الدين بصحته أو أنه من دينهم ، فان تشبث خصمهم بمثل هذا فى الاحتجاج على جامعتهم كان ذلك حياداً عن الحق لضعف الحجة وضيق الخناق ، ولأجل هذا لم أعتمد فى هذا الكتاب فى البرهان إلا على ما هو حقه من المقدمات البديهية لدى العقل والعقلاء ، ولم اجادل عموم النصارى والزمهم فى جامعة دينهم ، والنصرانية

التى عندهم إلا بما تسالموا إلهاميته وصدوره عن الوحى ، وهى كتب العهدين التى ذكرنا انهم متفقون فى هذه القرون على نسبتها إلى الوحى والالهـــام ، وشرحنا أسماءها فى المقدمة الاولى ، ولم اباحثهم خبطاً بأزاء آحاد مفسريهم وعلمائهم ،أو آحاد تقاليدهم التى لا توجب فى دينهم علماً أو يأبى صحتها أغلبهم).

* * *

وتمهيداً لهذه الطريقة الحكيمة التى التزم بها فى مباحثة هؤلاء المعاندين العاندين (١) قدم المقدمات الضرورية ، وقعد القواعد الأساسيـة التى بنى عليها ما يعجز حملة التوراة والاناجيل من الحجج والبراهين المستمدة من أسفارهم ، فقد جادل أهل التوراة بتوراتهم وأهل الانجيل بانجيلهم وخاطبهم بلسانهم ولغتهم ، ورموز مصطلحاتهم ، ومن جملة موضوعات الجزء الاول من هذا الكتاب الحفيل بالحقائق الناصعة : سيرة بنى اسرائيل والملة النصرانية. سيرة بنى اسرائيل وتقلبهم فى الشرك ، وسيرة أصحاب المسيح وتلاميذه ، والمعلمين فى النصرانية واضطرابهم واختلافهم ، ولا حجة بكتب العهدين ، وشهادة بعضها على بعض بالتحريف ، ومنها :

رسالة النبى صلى الله عليه وآله وسلم والغاية المطلوبة منها ، وعصمته فى العقل والنقل والاعتراضات على العصمة وأجوبتها ، وفى نسبة المعاصى إلى الأنبياء والجواب عليها وشؤون الانبياء مع أقوامهم وموقف القرآن من تنزيههم ، وفلسفة القرآن فى القذف ، وفى المعجز والمعجزات والعهد الجديد يعارض دعوى المسيح (ع) ومنها : الاناجيل تنسب التناقض للمسيح وحاشاه من ذلك ، وفى حقيقة النسخ فى التوراة والانجيل والقرآن الناسخ والمنسوخ فى شريعة نوح ، دفع الاعتراضات على القرآن من حيث العربية والعلوم الاخرى من بلاغية وتاريخية وفلكية وغير ذلك من

(١) العاند : المنحرف عن جادة الحق والشرع .

ومن موضوعات الجزء الثانى المهمة (١) بشارة القرآن باكتشاف امريكا (٢) آية السموات السبع وعلم الهيئة القديمة والحديثة (٣) فى اختلاف العهدين فى التاريخ وأوهام المتكلف (٤) اختلاف الاناجيل فى التاريخ (٥) اختلاف كتب العهد القديم وأوهام المتكلف (٦) قصة الإسراء والعروج إلى السماء (٧) نهى الانجيل عن تسمية أكابر القساوسة والأحبار بالأب إلى غير ذلك من أحكام الشرائع السابقة لشريعة الإسلام والكشف عن أسرار الآيات القرآنية ورد شبهات المعترضين عليها أمثال المستشرق جرجيس صال الانكليزى وصاحب كتاب الهداية وغيرهما من أعداء التنزيل الحكيم والنور المبين ، ومن ذلك اعتراض صاحب الهداية المتكلف على القرآن العظيم من حيث وضع الأرض الذى أشارت اليه الآية الكريمة من سورة الكهف (حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب فى عين حمئة) ، فاعترض صاحب الهداية المتكلف على ذلك وجعله من الجهل بمبادىء علم الفلك ، فقال الإمام البلاغى مؤلف الهدى رداً له : « قلت لا يخفى ان المغرب أمر مبهم إضافى ، وان لكل ناحية مغرباً ، وهو ما تغيب فيه الشمس عن تلك الناحية ، والمغرب العمومى للمعمور القديم (وهو آسيا وافريقيا واوربا) إنما هو البحر أو بعضه فى البحر المحيط ، فالشمس لا تغرب عن المعمور المعتد به من هذه القطع الثلاث إلا ويكون تمام غروبها أو بعضه فى البحر المحيط ، والآية الكريمة تعرضت لسر الغيب الذى أظهره الإكتشاف بعد قرون عديدة ، وجرى التعبير فى الآية عن البحر بالعين مجازاً ، كما جرى التعبير فى بليغ الكلام عن الفرات بالنطفة (وهى القطرة من الماء) ونحوها وهو من محاسن المجازات فى مقامها ووصف هذه العين بكونها حمئة ذات طين قد اشير إلى غيب (امريكا) لأنه لا يكون تخصيص هذا البحر ووصفه بكونه ذا طين إلا باعتبار الإشارة إلى امريكا فلا

تحسب ان وصف البحر بكونه ذا طين كان باعتبار وجود الطين فى قراره أو حافاته أو شواطئه ، لأن كل بحر وكل نهر وكل عين لا بد أن يكون فى حافاته وقراره طين ، فلا بد أن يكون المراد هو الطين الذى فى وسطه ، ومقتضى المناسبة فى وصف المحيط العظيم بأن فى وسطه طيناً لا بد أن يكون المراد منه قطعة امريكا ، ألا ترى ان أقل الأقطار لهذا المحيط يبلغ مائة وثمانين درجة كما فى ناحية الدرجة السادسة والستين ، وما قاربها فى العرض الشمالى ، فما ظنك بالطين المناسب لوصف هذه البحرية ، أتراه يناسب أن يكون امريكا ؟ ـ راجع تفصيل البحث فى أول الجزء الثانى ـ صحيفة ٣ وما بعدها .

* * *

وبعد : فإن هذا الكتاب بجزئيه من أهم المراجع للمشتغل فى تاريخ الأديان والمعتقدات للأجناس البشرية ، وأصفى المصادر لرجال الفقه المقارن فى الشرائع السماوية ، وأغزر الكتب فى فن الجدل والمناظرة والمناقشة المنطقية ، هذا الفن الذى يحتاجه المحامون فى ساحات العدل للدفاع وإفحام الخصوم فى القضايا الحقوقية العويصة ، إذ يربى فيهم ملكة المجادلة ، وأسلوب المحاورة فى ضوء الأقيسة العقلية المنطقية وطريقة استخدام الأدلة والشواهد والتمييز بين صحيحها وسقيمها وقوة حجيتها ، ومن محاسن هذا الكتاب وثمراته الشهية فضح دسائس المبشرين الإستعماريين الحاقدين على الاسلام ورسوله الكريم صلى الله عليه وآله وسلم تلك الدسائس اللعينة التى سحر بها شبابنا الجامعيين الماسونيين ، فكان خطرهم أشد من خطر المستشرقين الراكضين فى ركاب الاستعمار باسم التبشير الدينى .

هؤلاء الذين جالدهم الامام (البلاغى) وجادلهم بالتى هى أحسن ، فبدد أوهامهم ، وأظهر جهالاتهم ، وأدحض حجتهم بالبرهان المفلج المقنع ، ولهذا فإن هذا الكتاب خزانة علم وعرفان لا غنى للمحامين الغيارى عن حقائق الاسلام الحنيف ، وشريعته السمحة ويسرها عن هذه الخزانة الغالية .

وبهذه المناسبة أنقل هنا ما حدثني به صديقي الثقة الأستاذ الجليل العلامة الكبير السيد محمد تقي الحكيم عن أثر « الهدى » وبركته ، فقال :

« كنت قد حضرت قبل عدة سنين ومعي المرحوم الشيخ محمد رضا المظفر والاستاذ الأديب الكبير الشيخ محمد علي اليعقوبي ، والشيخ محمد كاظم الشيخ صادق الكتبي صاحب المكتبة والمطبعة الحيدرية في النجف الأشرف حفلة عظيمة في الهند ، وعرضت فيها أكداس من الكتب وكان كتاب (الهدى) من جملة تلك الكتب ، وشاهدت أحد موظفي السلك الدبلوماسي من لبنان يتجول بين الكتب ، فلفت نظره كتاب (الهدى) فأخذه وقبله ووضعه على رأسه متبركاً به ، وقد سألناه عن علة ذلك ؟ فقال : (كنت أحد طلاب المدارس الفرنسية في لبنان ، وقد لاحظت وسمعت من أساتذة تلك المدارس هجوماً متواصلا على انتقاد الدين الاسلامي وتسخيفه والحط من شأنه مجاهرة أمام الطلاب ، وانه بطريق المصادفة اشترى كتاب (الهدى إلى دين المصطفى) فقرأه وأدمن في قراءته ، فكان لهذا الكتاب أثره البالغ في بقائه على إسلامه وتقوية عقيدته ، والمناقحة عنها أمام المشعوذين والدجالين من منارئي الاسلام ومنتقديه جهلا وظلماً وبالزور والبهتان » .

وهذا المجد العلمي الباذخ والفضل الشامخ لا يدعيه صاحبه الامام البلاغي فتراه يتواضع تواضع الحكماء الزهاد بعدم ذكر اسمه وعنوانه على كتابه هذا وغيره من مؤلفاته الخالدة ، وإنما يكتفي بتسطير هذه الاشارة « ... لأقل خدمة الشريعة المقدسة ... النجفي » ، ثم يرجو كل من له اعتراض أو سؤال يتعلق بالكتاب أو غيره من كتبه في أمر الدين وحقيقة الاسلام أن يتحفه بالمكاتبة ليقدم له الجواب مقروناً بالشكر والاحترام ، وختم رجاءه بتوقيعه « الأقل كاتب الهدى » . وكان شعاره « رضي الله عنه » خدمة الحق وحده والدفاع عنه دون أي اعتبار ، ويتجلى شعاره المثالي هذا في كلمته الذهبية

الحكيمة التي تفيض بالصدق والاخلاص : « ان همي الوحيد هو خدمة الحق والدفاع عنه لوجه الله تعالى سواء كان الدفاع على يدى أو على يد سواي » ، وهذا هو شعار المصلحين المؤمنين بالمثل العليا والذى رفعه إلى منازل الكرامة ومصاف الخالدين ، أجل هذا الشعار قد زهده فى أن يضع اسمه ويرسم عنوانه على مؤلفاته الجليلة الضخمة الآنفة الذكر .

هذا هو كتاب (الهدى) العظيم وصاحبه الفضيل النبيل ، وسيقف القراء الكرام على ما فى « الهدى » من وجوه المعرفة ومعجزات الفكر السديد ما يغنيهم عن الموسوعات الكبرى فى العلم والفلسفة والفقه والتفسير والكلام وتاريخ الشرائع والعقائد ، وأدب الحجاج والجدل الوفير الرفيع .

رحم الله تعالى الامام الحجة (محمد الجواد البلاغى) وأكرم مثواه ، وأعلى منازله فى فراديس جنانه مع الصديقين والشهداء .

وأخيراً انه لحظ عظيم وشرف كبير ان اقدم للقراء الأفاضل هذا الكتاب الجليل النبيل بثوبه القشيب الجديد ، وأنا أشعر بالتقصير والخجل حيث جرى تحبير هذه المقدمة وأنا فى مصيفى تتراوحنى النوبات القلبية تارة ، وآونة تشتد على وطأة داء السكر ، ولذا اضطررت على إيجازها خشية الاسهاب الممل ، وخير الكلام ما قل ودل ، وانى لأتقدم بوافر الشكر للأخ النبيل الاستاذ محمد على البلاغى لما غمرنى به من لطفه العميم ، إذ اختارنى لاداء هذا الواجب فى خدمة الدين والعلم والفضيلة ، ولا يفوتنى أن أشكر للأخ المفضال الشيخ محمد كاظم الكتبى إهتمامه بطبع هذا الكتاب النفيس ، فلقد سبق له أن طبع العشرات بل المئآت من الكتب التى خدم بها الحق والفضيلة ، ونتمنى له المزيد من الموفقية لاحياء الكتب الجليلة النافعة .

والله فى عون الجميع وهو المسدد للصواب .

نزيل لبنان ـ الشبانية ١٢ ـ ٨ ـ ٩٦٥ توفيق الفكيكى

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قل أندعو من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على أعقابنا بعد إذ هدانا الله كالذى استهوته الشياطين فى الارض حيران له أصحاب يدعونه إلى الهدى إئتنا قل إن هدى الله هو الهدى وامرنا لنسلم لرب العالمين (١) ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل إن هدى الله هو الهدى ولئن إتبعت أهوائهم بعد الذى جاءك من العلم مالك من الله من ولى ولا نصير (٢) ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين ﴾(٣) اللهم فلك الحمد والشكر دائماً أبداً كما أنت أهله ، على ان هديت إلى الحق . وأوضحت سبيل الرشد وأنرت البرهان على حين فترة من الرسل ، فلطفت وأنعمت بإرسالك صفوة الانبياء وخاتم عدتهم والدليل على نبوتهم المبعوث بأتقن شريعة وأوضح طريقة الداعى إلى الحق والهادى إلى الصواب محمد رسولك الصادق الأمين الصادع بأمرك والمجاهد فى سبيلك صلواتك عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين .

وبعد : فإنى وقفت على كتاب عربى ارخ طبعه بسنة الف وثمانمائة وإحدى وتسعين ميلادية لمتذكر - كما هو المعتاد - مطبعته ولا محلها ولا صاحبها

---

(١) سورة الانعام ٧٠ .

(٢) سورة البقرة ١١٤ .

(٣) سورة آل عمران ٧٩ .

عنوانه انه تعريب هاشم العربى نزيل بلاد الإفرنج حالا عن اللغة الانكليزية لمقالة فى الإسلام لرجل ترجمه المعرب بأنه جرجيس صال الانكليزى مولداً ومنشأ المولود فى أواخر القرن السابع عشر ، وقد ألحق المعرب هذه المقالة بتذييل مستقل فى آخرها وتذييلات متفرقات فى أثنائها .

ثم وقفت على كتاب آخر استعير له إسم الهداية قد تكلف فيه الرد على كتابى إظهار الحق والسيف الحميدى فوجدت الكتابين الاولين على طريقة ينكرها شرع التحقيق فى البحث والادب فى الكلام والامانة فى البيان ولا يرتضيها خدام المعارف المحافظون على فضلهم ورواج بضاعتهم المتحذرون من وبال الإنتقاد ووصمة ظهور الزيف والزيغ ، وقد أحببت أن اشير إلى بعض ما فيهما مما حاد عن الامانة أو تاه فى الغفلة خدمة منى للمعارف وإحقاقاً للحق وإنتقاداً للزيف ليثنى من يريد الكتابة من جماح تعصبه ، ويأخذ فى مزال الاقدام وعثرات الاقلام بيد قلمه ، وقد آثرت أن أجعل ذلك فى خلال ما هو الامثل بنا ، بل الواجب علينا من الإرشاد إلى سبيل الهدى ودين الحق وخالص الإيمان وحقيقة العرفان ، دين الإسلام المتكفل بأعدل النظام ، وأحسن التمدن وأكمل التهذيب لعامة البشر ، وقربهم من الله وسعادتهم فى الدنيا والآخرة .

وقد رتبت كتابنا هذا على مقدمات ومقاصد وخاتمة .

(تنبيه) الظاهر ان مصنف المقالة السابق ذكرها هو الذى سماه الدكتور سعادة فى مقدمته على معرب إنجيل برنابا بالمستشرق سايل ، وان هذه المقالة هى الكتابات التى ذكر انه نشرها وسماها بالمباحث التمهيدية ، وهو الذى سماه صاحب إظهار الحق بالقسيس سيل ، ونقل عن مقدمته لترجمة القرآن ثلاث جمل متفرقة تكشف عن ملائمة طريقته فى البحث وحسن الادب والإنصاف على خلاف ما قد يوجد فى أثناء هذه المقالة ، فأظن أن جملة مما تجاوز فى هذه

المقالة عن حد البحث إلى سوء الأدب إنما هو من تصرف التعريب ؛ أو أنه كان من هفوات الجهل قبل أن يأخذ من المعارف بعض حظه . وتعريب المقالة المذكور يشتمل على ثلاثمائة وإحدى وعشرين صحيفة وقد سميت صاحبها عند التعرض لكلامه سايل وجعلت الإشارة اليها « ق » ، وأما المعرب فالمظنون انه موه باسمه ومحله ، ويظهر من حاله انه ليس له وقوف على كتب العهدين كما ينبغى للنصراني وإلا لما أقدم على كثير من أقواله كما ستعرف ذلك إن شاء الله من متفرقات هذا الكتاب اللهم إلا أن يكون قد حاول الإغفال وأمن الإنتقاد ، وقد سميته عند التعرض لكلامه « المتعرب » وان تذييله المستقل يشتمل على خمس وتسعين صحيفة من أواخر الكتاب وجعلت الإشارة اليه « ذ » وللتذييلات التى فى أثناء المقالة « قذ » .

وأما الكتاب المستعار له إسم الهداية فقد ذكر لى انه تأليف جماعة من النصارى لكن قد رسم فى ختامه (يقول العبد الفقير) بالافراد ولعله أقرب فانى استبعد أن يقدم جماعة من هذا الجيل المتنور بآدابه وحسن مباحثته على مثل ما اقدم عليه مؤلفه كما ستطلع عليه إن شاء الله ، وهو يشتمل على أربعة أجزاء مطبوعة فى مصر بمعرفة المرسلين الامريكان ، الجزء الاول من الطبعة الثانية سنة ١٩٠٠ م يشتمل على ثلاثمائة وعشرين صحيفة ، الجزء الثانى من الطبعة الثانية سنة ١٩٠٤ م يشتمل على ثلاثمائة صحيفة ، الجزء الثالث مطبوع فى سنة ١٩٠٠ م يشتمل على ثلاثمائة وأربع صحائف ، الجزء الرابع مطبوع فى سنة ١٩٠٢ م يشتمل على ثلاثمائة وأربع صحائف ، وقد سميت مؤلفه عند التعرض لكلامه « المتكلف » ، وجعلت الإشارة إلى الكتاب « يه » وإلى الجزء « ج » وإلى عدده بالرقم قبله .

المقدمة الاولى

لما كان من مباحثى لهم الإحتجاج عليهم جدلا وإلزاماً بما فى العهدين المنسوبين إلى الإلهام والوحى الإلهى عند عموم النصارى وخصوص البروتستانت الذين منهم هؤلاء فلا بأس بذكر تفصيل كتبهما ، والإشارة إلى الرموز المصطلح عليها لأسمائها فالأول من العهدين هو المسمى بالعهد القديم وهو عبارة عن تسعة وثلاثين سفراً خمسة منها منسوبة لنبى الله موسى عليه السلام تسمى بالتوراة ، والأسفار الباقية منسوبة إلى اوحى إلى من بعد موسى من الانبياء إلى ما قبل زمان المسيح عليه السلام بنحو ثلاثمائة وسبع وتسعين سنة وقد يسمى جميع العهد القديم بالتوراة ، واللسان الأصلى له إلى ما قبل سبى بابل هو اللسان العبرانى . ومن سبى بابل صار الأصل لبعضها هو اللسان الكلدانى وهو لسان بابل .

ثم ترجم العهد القديم إلى اللغة اليونانية بعناية سبعين أو إثنين وسبعين من علماء اليهود لمائتين وإثنتين وثمانين سنة أو وخمس وثمانين أو وست وثمانين قبل المسيح على إختلاف الرواية فى تاريخ الترجمة وأسبابها . قيل : وتمت فى إثنين وسبعين يوماً وسميت بالترجمة السبعينية ، ومقتضى النقل انها كانت معتبرة غاية الإعتبار فيما بين اليهود وقدماء المسيحيين ، وان مصنفى العهد الجديد ما نقلوا الفقرات الكثيرة إلا عنها ، وان المسيح كان يخاطبهم عن الشريعة والانبياء من هذه الترجمة . وكذا استفانوس فى خطابه لليهود . وكذا الذين تشتتوا فى البلاد ليبشروا بالمسيح باللغة اليونانية ، ثم ترجم بعد

ذلك إلى لغات كثيرة . وهذه أسماء أسفاره ورموزها :

١ - (تك) لسفر التكوين وهو الأول من التوراة المنسوبة لموسى ويسمى سفر الخليقة أيضاً بمقتضى تسمية الترجمة السبعينية ، ويسمى فى العبرانية باسم أوله (برنشيت) .

٢ - (خر) لسفر الخروج وهو ثانيها بتسمية السبعينية ، وفى العبرانية يسمى باوله (واله شموت) أى وهذه أسماء .

٣ - (لا) لسفر اللاويين وهو ثالثها بتسمية السبعينية ، وفى العبرانية باوله (ويقرا) أى ودعا .

٤ - (عد) لسفر العدد وهو رابعها بتسمية السبعينية ، ويسمى فى العبرانية باوله (ويدبر) أى وكلم .

٥ - (تث) لسفر تثنية الإشتراع وهو خامسها بتسمية السبعينية وفى العبرانية باوله (اله) أى وهذه . ويسمى ايضاً دباريم .

٦ - (يش) لسفر يشوع أى يوشع .

٧ - (قض) لسفر القضاة .

٨ - (را) لكتاب راعوث .

٩ - (١ صم) صموئيل الاول .

١٠ - (٢ صم) لكتاب صموئيل الثانى .

١١ - (١ مل) لتاريخ الملوك الاول .

١٢ - (٢ مل) لتاريخ الملوك الثانى .

١٣ - (١ أى) لتاريخ الإيام الاول .

١٤ - (٢ أى) لتاريخ الايام الثانى .

١٥ - (عز) لكتاب عزرا .

١٦ - (نح) لكتاب نحيا .

١٧ - (اس) لكتاب استير .
١٨ - (اى) لكتاب أيوب .
١٩ - (مز) لمزامير داود أى الزبور .
٢٠ - (ام) لامثال سليمان .
٢١ - (جا) لكتاب الجامعة المنسوب لسليمان .
٢٢ - (نش) لنشيد الانشاد .
٢٣ - (اش) لكتاب اشعيا .
٢٤ - (ار) لكتاب ارميا .
٢٥ - (مرا) لمراثى ارميا .
٢٦ - (حز) لكتاب حزقيال .
٢٧ - (دا) لكتاب دانيال .
٢٨ - (هو) لكتاب هوشع .
٢٩ - (يوء) لكتاب يوئيل .
٣٠ - (عا) لكتاب عاموس .
٣١ - (عو) لكتاب عوبديا .
٣٢ - (يون) لكتاب يونان أى يونس بن متى .
٣٣ - (مى) لكتاب ميخا .
٣٤ - (نا) لكتاب ناحوم .
٣٥ - (حب) لكتاب حبقوق .
٣٦ - (صف) لكتاب صفينا .
٣٧ - (حج) لكتاب حجى .
٣٨ - (زك) لكتاب زكريا .
٣٩ - (مل) لكتاب ملاخي .

ولهذه الكتب فى النسخ العبرانية ترتيب آخر من حيث التقديم والتأخير وأما العهد الجديد فهو عند النصارى عبارة عما كتب بالإلهام والوحى الإلهى بعد عيسى وهو عند البروتستنت سبعة وعشرون كتاباً وها هى رموزها المصطلح عليها :

١ - (مت) لإنجيل متى ٢ - (مر) لإنجيل مرقس ٣ - (لو) لإنجيل لوقا ٤ - (يو) لإنجيل يوحنا ٥ - (اع) لأعمال الرسل ٦ - (رو) لرسالة بولس إلى أهل رومية ٧ - (١ كو) لرسالته الاولى إلى اهل كورنتوش ٨ - (٢ كو) لرسالته الثانية اليهم ٩ - (غل) لرسالته إلى أهل غلاطية ١٠ - (اف) إلى أهل افسس ١١ - (فى) إلى أهل فيلبى ١٢ - (كو) إلى أهل كولوسى ١٣ - (١ تس) الاولى إلى أهل تسالونيكى ١٤ - (٢ تس) الثانية اليهم ١٥ - (١ تى) الاولى إلى تيموثاوس ١٦ - (٢ تى) الثانية اليه ١٧ - (تى) إلى تيطس ١٨ - (فل) إلى فليمون ١٩ - (عب) إلى العبرانيين ٢٠ - (يع) لرسالة يعقوب ٢١ - (١ بط) لرسالة بطرس الاولى ٢٢ - (٢ بط) للرسالة الثانية ٢٣ - (١ يو) لرسالة يوحنا الاولى ٢٤ - (٢ يو) لرسالته الثانية ٢٥ - (٣ يو) لرسالته الثالثة ٢٦ - (يه) لرسالة يهوذا ٢٧ - (رؤ) لرؤيا يوحنا المسماة بالمكاشفات والمشاهدات والجليان .

ولكل واحد من كتب العهدين فصول معدودة يسمونها الاصحاحات تشتمل على فقرات معدودة بالرقم الهندى ، فاذا أرادوا الإشارة إلى الفقرة أشاروا إلى كتابها بما ذكرنا من الرموز ثم أشاروا إلى اصحاحها بعده بالرقم الهندى وجعلوا بعده نقطتين إحداهما فوق الاخرى هكذا : ، ثم أشاروا إلى الفقرة بعددها بالرقم ايضاً ، مثاله إذا أردنا أن نشير إلى الفقرة الثالثة عشر من الاصحاح الثالث من رسالة بولس إلى أهل غلاطية رسمنا هكذا (غل٣ : ١٣) وإذا أرادوا الإشارة إلى فقرات متعددة أشاروا إلى الاولى بنحو ما ذكرنا

ثم رسموا بعدها خطاً عرضياً هكذا ـ ، ورسموا بعده عدد الفقرة الأخيرة فيكون الخط العرضى بمعنى إلى أو حتى مثال ذلك : إذا أردنا أن نشير إلى جملة هى من الثامنة عشرة إلى نهاية الثالثة والعشرين من الاصحاح الحادى والعشرين من سفر التثنية رسمنا هكذا (تث ٢١ : ١٨ - ٢٣) وان الكثير من إصطلاحنا فى الكتاب ان نذكر عدد الاصحاح صريحاً ثم نشير إلى عدد الفقرات بالرقم ، وان الذى حضرنى من نسخ العهدين عند كتابة هذا الكتاب نسخ عديدة . الاولى نسخة عبرانية مطبوعة فى برلين سنة ١٩٠١ م يشتمل العهد القديم منها على الف وثلاثمائة وأربع وثمانين صحيفة والجديد على أربعمائة وست وثمانين .

(الثانية) نسخة عربية اشير فى متنها إلى الكلمات التى زيدت فى الترجمة على الأصل العبرانى واليونانى بطبعها بالحرف الصغير وإلى الكلمات التى لا توجد فى أقدم النسخ وأصحها بجعلها بين خطين هلاليين ، واشير فى أسفل صحيفتها إلى إختلاف العبرانية واليونانية والسامرية ، وإلى إختلاف القراءات واشير فى جانبها الأعلى إلى تكرر الكلمة والمضمون فى العهدين وإلى تاريخ بعض الحوادث المذكورة فيهما ، وان العهد القديم منها ليشتمل على الف واثنتين وستين صحيفة . والجديد على ثلاثمائة وثمان وخمسين . وفى آخرها ما نصه ، وكان الفراغ من اصطناع صفائحه فى شهر تموز من أشهر سنة ١٨٧٠ مسيحية فى بيروت .

(الثالثة) نسخة عربية ايضاً من الطبعة الثانية عشر فى المطبعة الامريكانية فى بيروت سنة ١٩٠٥ م يشتمل العهد القديم منها على تسعمائة وعشرين صحيفة والجديد على مائتين وخمسة وتسعين .

(الرابعة) نسخة عربية طبع دى ساراه هوجسون سنة ١٨١١ م .

(الخامسة) نسخة فارسية مطبوعة فى روكاين مدلبسيك سنة ١٨٩٥ م

بنفقة الجمعية المشهورة به بريتش وفورن بيبل سوسائيتى دار السلطنة لندن يشتمل العهد القديم منها على ألف وثلاثمائة وثمان وثمانين صحيفة ، والجديد على أربعمائة وإحدى وعشرين .

(السادسة) نسخة فارسية ايضاً بالحرف الصغير مساوية للتى قبلها فى عدد الصحائف والوضع والطبع بنفقة الجمعية المذكورة طبع العهد القديم منها سنة ١٩٠١ م ، والجديد سنة ١٩٠٢ .

(السابعة) نسخة فارسية ايضاً العهد القديم منها يشتمل على أربعة أجزاء فى ثمان مائة وست وأربعين صحيفة بترجمة وليم كلن قسيس اكستى ومعلم العلم الإلهى باستعانة فاضل خان الهمدانى بفرمان المجمع المشهور بيونيتد اسوشئت سند سكتلند مطبوعة بفرمان المجمع المذكور فى دار السلطنة ادن برغ بمطبعة تومس كنستبل سنة ١٨٤٥ م ، والعهد الجديد منها يشتمل على خمسمائة واثنتين وثلاثين صحيفة بترجمة أفضل الفضلاء المسيحية هنرى مرتن قسيس انكليسى وطبع بفرمان مجمع بريتطش اندفرن بيبل سسيتى فى ادن برغ ، فى المطبعة المذكورة ايضاً سنة ١٨٤٦ م .

(الثامنة) خمسة أسفار التوراة لموسى فارسية بترجمة تومار ابنسن القسيس مطبوعة فى لندن بمطبعة رجارد واطس سنة ١٨٣٩ م ، وهى تشتمل على خمسمائة وسبعين صحيفة .

(التاسعة) العهد الجديد نسخة عربية تشتمل على أربعمائة صحيفة فرغ من اصطناع صفائحها فى مدينة نيويورك سنة ١٨٤٦ م ، وطبعت فى مطبعة المدرسة فى اوكسفورد سنة ١٨٦٩ م .

(العاشرة) العهد الجديد بالفارسية تشتمل على ستمائة وسبعة وعشرين صحيفة بترجمة هنرى مارتن المذكور من الطبعة الثالثة بمطبعة رجارد واطس فى لندن بإعانة مجمع بيبل سوسسيتى سنة ١٨٣٧ م .

﴿ المقدمة الثانية ﴾ فيما يستخرج من العهدين من المدة التى تراخى فيها وحى كتبها ، أما التوراة فإن ابتداء وحيها لموسى كان فى جبل حوريب ، إذ كان موسى يرعى غنم كاهن مدين « خر ٣ : ٤ » ثم فى مدين « خر ٤ : ١٩ » ثم فى مصر فى دفعات متراخية بحسب الزمان إلى عبور بنى إسرائيل البحر « خر ٥ - ١٤ » ثم فى مارة « خر ١٥ : ٢٥ » ثم فى برية سين حيث انزل المن بعد الخامس عشر من الشهر الثانى لخروجهم من مصر « خر ١٦ » ثم رفيديم « خر ١٧ » ثم فى برية سينـــا بعد الشهر الثالث لخروجهم من مصر «خر١٩» وتتابع الوحى فى دفعات متراخية فى جبل سينا وبريته ، الى أن ارتحلوا منها فى العشرين من الشهر الثانى من السنة الثانية لخروجهم من مصر «عد١٠:١٢» ثم فى فبروت هتاوه « عد ١١ » ثم فى حضروت « عد ١٢ » ثم فى برية فاران « عد ١٣ » ، وتتابع الوحى هناك فى سنين عديدة الى أن مات هارون فى جبل هور « عد ٢٠ : ٢٣ - ٢٩ » وكان موت هارون فى أول الشهر الخامس من السنة الأربعين لخروجهـــم من مصر « ٣٣ : ٣٨ » ثم فى عربات مواب ووضع لهم هناك شرائع وأحكام « ٢٨ - ٣٦ » ثم فى عبر الاردن فى أول الشهر الحادى عشر من السنة الأربعين لخروجهم من مصر « تث ١ : ١ - ٤ » فكانت مدة نزول الوحى والشريعة على موسى بالتدريج والتعاقب من المدة التى كان فيها يرعى غنم كاهن مدين فى حوريب الى أن توفى فى أرض مواب ما يزيد على إحدى وأربعين سنة على انه لم يعرف من التوراة الوقت الذى أوحى فيه سفر التكوين الى موسى ومقتضى صراحة التوراة ، ان كتابة موسى لها فى كتاب وجمعها كان فى آخر عمره الشريف عند إتمام الشريعة كتب هذه التوراة وسلمها للكهنة وشيوخ بنى اسرائيل وأمرهم بوضعها بجانب تابوت عهد الرب « انظر تث ٣١ : ٩ و ٢٤ » .

وأما وحى اشعيا فقد كان متراخياً فى أيام عزيا ويوثام واحاز وحزقيا ملوك يهوذا « اش ١ : ١ » وكانت مدة ملك هؤلاء الأربعة مائة وثلاثة عشر سنة « ٢ اى ٢٦ و ٢٧ و ٢٨ و ٢٩ » .

وكذا وحى كتاب هوشع « هوا : ١ » ، وكان وحى كتاب ارميا متدرجاً متراخياً من السنة الثالثة عشر لملك يوشيا ، وأيام ملك يهواحاز ويهوياقيم ويهوياكين الى السنة الحادية عشر لملك صدقيا « ١ ر ١ : ١ - ٤ » وكانت هذه المدة إحدى وأربعين سنة « ٢ اى ٣٤ و ٣٦ » ، وكان وحى كتاب حزقيال من السنة الخامسة لسبى يهوياكين « حز ١ : ٢ » متدرجاً الى السنة السابعة والعشرين « حز ٢٩ : ١٧ » .

وكان وحى كتاب دانيال متدرجاً من أيام بخت نصر « دا ٢ » الى السنة الثالثة لكورش « دا ١٠ : ١ » وهذه المدة تزيد بحسب التاريخ على الستين سنة وكان وحى كتاب ميخا المورشتى متدرجاً فى أيام يوثام واحاز وحزقيا ملوك يهوذا « مى ١ : ١ » وكان ملك هؤلاء إحدى وستين سنة « ٢ اى ٢٧ و ٢٨ و ٢٩ » وكان وحى كتاب حجى على قلته متدرجاً من أول الشهر السادس من السنة الثانية لملك داريوس « حج ١ : ١ » الى الرابع والعشرين من الشهر التاسع « حج ٥ : ١٠ » .

وكان وحى كتاب زكريا متدرجاً من الشهر الثامن من السنة الثانية لداريوس الملك « زك ١ : ١ » الى الشهر التاسع من السنة الرابعة « زك ٧ : ١ » ثم لم يؤرخ وحيه بعد هذا فى كتابه ولم يذكر فى العهد القديم ان باقى كتبه كان وحيها دفعة واحدة .

وكان عمر المسيح حينما اعتمد من يوحنا ونزل عليه الروح القدس نحو ثلاثين سنة « لو ٣ : ٢١ - ٢٤ » ، ومن المعلوم ان عمره الشريف حينما رفع الى السماء كان نحو ثلاثة وثلاثين سنة فتكون تعاليمه النبوية الإلهامية الى ليلة

الجمعة التى هجم فيها عليه اليهود متدرجة حسبما ذكر فى الأناجيل فى مدة ثلاث سنين .

واذا عرفت هذه المقدمة فماذا تقول فى قول المكلف فى شأن القرآن الكريم « يه اج ص ٥٥ س ٢٠ » وهو مخالف لكتب الوحى لأنها نزلت جملة ، والقرآن مقطع .

ثم انظر إلى تهور سايل « ق » ص ١٢٦ س ٦ - ١٢ » فهل تراهما لم يطلعا على ما فى العهدين ، أم حاولا الإغفال ليروجا اغراضهما ، أفأمنا من رقيب الحق ، ومن الظرائف قول المتعرب (قذ ص ١٢٩ س ١٨) اليهود يقولون ان الناموس اعطى لموسى نجوماً ، وليت شعرى ان التوراة فى اعصار هؤلاء لم تنحصر بنسخة حلقيا أو عزرا ليجهلوا ما فيها .

﴿ المقدمة الثالثة ﴾ فيما اتفق من صراحة بعض كتب العهدين بما يدل على مخالفة وضعها وترتيبها لترتيب إلهامها ووحيها ، فان المزمور الثامن عشر كان إلهامه عند ما أنقذ الله داود من أيدى كل أعدائه ومن يد شاول ، وان المزمور الرابع والثلاثين كان إلهامه عندما غير داود عقله قدام أبى مالك وهو قبل ذلك ، وان إلهام المزمور الحادى والخمسين كان بعد ما تزوج داود بامرأة اوريا ، وإلهام الثانى والخمسين عند ما اخبر دواغ الادومى شاول بدخول داود الى بيت أخى مالك وهو قبل ما تقدم ذكره ، وكذا إلهام المزمور السادس والخمسين ، وكان إلهام المزمور السابع والخمسين بعد إلهام المزمور التاسع والخمسين ، وان الهام التاسع والخمسين كان عند ما أرسل شاول من يراقب داود فى البيت وهو قبل كل ما ذكر ، وكان إلهام المزمور المائة والثانى والأربعين عندما كان داود فى المغارة وهو قبل أغلب ما ذكرنا ومقارن لإلهام المزمور السابع والخمسين .

ويعرف ما ذكرنا من التقدم والتأخر ومخالفة الترتيب من ملاحظة

عناوين المزامير ومراجعة تاريخ أحوال داود من تاسع عشر صموئيل الاول الى ثانى عشر صموئيل الثانى .

وان إلهام الإصحاح الحادى والعشرين من ارميا كان فى أيام صدقيا آخر ملوك يهوذا ، وإلهام أوائل الثانى والعشرين فى أيام يهوياقيم ، والهام أواخره فى أيام ابنه كنياهو وهما قبل صدقيا ، والهام الخامس والعشرين كان فى السنة الرابعة ليهوياقيم وهى قبل ملك كنياهو وصدقيا ، والهام السادس والعشرين كان فى ابتداء ملك يهوياقيم ، وهو قبل كل ما ذكرنا ، ومثله الهام السابع والعشرين بحسب أوائله الا أن فيه غلط واضح كما يشهد به الثامن والعشرون ، وان الهام الثانى والثلاثين كان فى السنة العاشرة لصدقيا ، والهام السادس والثلاثين كان فى السنة الرابعة ليهوياقيم ، وان الهام الثالث والأربعين كان فى تحفنحيس فى مصر بعد سبى بابل وانقراض مملكة يهوذا بمدة ، وكذا الهام الرابع والأربعين ، مع ان الهام الخامس والأربعين يتعلق بالسنة الرابعة ليهوياقيم ، فراجع نص الإصحاحات المذكورة من ارميا مع تاريخ ملك يهوياقيم ويكنيا وصدقيا ملوك يهوذا ، فى الثالث والأربعين الى الخامس والأربعين من الملوك الاول ، والسادس والثلاثين من الأيام الثانى ، وان الهام السادس والعشرين من كتاب حزقيال كان فى السنة الحادية عشر لسبيهم ، مع ان الهام أوائل التاسع والعشرين كان فى السنة العاشرة ، والهام أواخره كان فى السنة السابعة والعشرين ، مع ان الهام الحادى والثلاثين كان فى السنة الحادية عشر وكان الهام الاصحاح العاشر من كتاب دانيال فى السنة الثالثة لكورش ملك فارس ، والهام الحادى عشر فى السنة الاولى لداريوس المادى وهو قبل كورش ، وبناء على ما فى النسخة السبعينية من ذكر كورش بدل داريوس يكون الهام العاشر فى السنة الثالثة لكورش ، والهام الحادى عشر فى السنة الاولى له ، ولعل التتبع فى العهدين يدلك على أكثر مما ذكرنا من مخالفة

ترتيب الكتاب لترتيب الهامه بل لعل التنقير فى خصوص توراة موسى يشهد بكثير من ذلك ، بل لعل ما لا شاهد عليه أكثر وأكثر، فلنكتف فى هذه المقدمة على هذا المقدار .

﴿ المقدمة الرابعة ﴾ فيما ذكر فى العهدين من الحالات الغريبة التى تعرض للأنبياء عند اوحى اليهم ، وتجلى الله وظهور جلاله لهم .

فى التوراة ان ابراهيم لما اوحى اليه فى شأن نسله وغربتهم وقع عليه عند مغيب الشمس سبات ورعبة مظلمة (تك ١٥ : ١٢ - ١٥) .

وان يعقوب لما رأى فى الحلم السلم والملائكة ، وخاطبه الرب واستيقظ خاف وقال : ما أرهب هذا المكان (تك ٢٨ : ١٢ - ١٨) .

وأما موسى فانه وان لم تذكر التوراة فى شأنه شيئاً عند ظهور الله له فى حوريب فى عليقة النار فى أول تكليمه الا كونه غطى وجهه لأنه خاف أن ينظر إلى الله (خر ٣ : ١ - ٦) ، وكذا فى جبل سيناء (خر ١٩) .

لكن استفانوس الذى وصف بأنه مملوء من الإيمان والروح القدس والقوة بحيث كان يصنع عجائب وآيات عظيمة فى الشعب (ا ع ٦ : ٥ - ٨) .

قد ذكر ان موسى إرتعد ولم يجسر أن يتطلع عندما ظهر له ملاك الرب فى نار العليقة (ا ع ٧ : ٣٠ - ٣٣) .

وبولس الرسول العظيم عند النصارى ذكر فى شأن ظهور جلال الله على جبل سيناء حين إرتجف الجبل ، ان المنظر كان مخيفاً حتى قال موسى : أنا مرتعب ومرتعد (عب ١٢ : ٢١) .

ويلزم من ذلك ان التوراة أهملت ذكر حال موسى فى هذا الشأن ، نعم ذكرت فى مقام آخر ان موسى قال لله : أرنى مجدك ، فقال : اجيز كل جودتى قدامك ولا تقدر أن ترى وجهى لأن الإنسان لا يرانى فيعيش وهو ذا عندي مكان فتقف علي الصخرة ويكون متى اجتاز مجدى اني أضعك

فى نقرة من الصخرة واسترك بيدى حتى اجتاز ، ثم ارفع يدى فتنظر ورائى وأما وجهى فلا يرى (خر ٣٣ : ١٨ - ٢٣) .

والمعقول من هذا الكلام هو أن الطبيعة البشرية حتى من مثل موسى لا تقوى على مشاهدة جلال الله ومجده من الوجهة الحقيقية المكنى عنها باوجه وإنما تقوى بمساعدة العناية الربانية على بعض المشاهدة من اوجهة المكنى عنها بانوراء .

وذكرت التوراة أيضاً ان السحابة غطت خيمة الإجتماع وملأ بهاء الرب المسكن فلم يقدر موسى أن يدخل خيمة الإجتماع لأن السحابة حلت وبهاء الرب ملأ المسكن (خر ٤٠ : ٣٤ و ٣٥) .

ومقتضاه ان موسى مع مقامه النبوى وكونه كليم الله قد ضعف واحجم عن الإقدام على مشاهدة بهاء الله .

وقد اتفق للعهدين التعرض لبعض أحوال الأنبياء عند اوحى والمكاشفة من تصرف الروح بهم على غير إختيارهم وسقوطهم لوجوههم ومقاساتهم الجهد والشدة كوقوع الغيبة والاغماء عليهم واضطرابهم وغير ذلك عند مشاهدة آثار الجلال والكبرياء .

فعن قول حزقيال لما رأى منظر شبه مجد الرب وخر على وجهه (حز ١ ٢٨) فدخل فى روح وأقامنى على قدمى (حز ٢ : ٢) ، وعن قوله أيضاً فحملنى الروح وأخذنى وذهبت براً فى حرارة روحى ويد الرب كانت شديدة على (حز ٣ : ١٤) .

وأيضاً وإذا بمجد الرب واقف هناك كالمجد الذى رأيته على نهر خابور فخررت على وجهى فدخل فى روحى وأقامنى على قدمى (حز ٣ : ٢٣ و ٢٤) وأيضاً ، ومد شبه يد وأخذنى بناصية رأسى ورفعنى روح بين الأرض والسماء (حز ٨ : ٣) .

وأيضاً ثم دفعنى روح وأتى بى إلى باب البيت (حز ١١ : ١) .

وأيضاً كانت على يد الرب فأخرجنى بروح الرب وأنزلنى فى وسط البقعة (حز ٣٧ : ١) .

وعن قول دانيال فى بعض رؤياه ومكاشفاته بالوحى ، وسمعت صوت إنسان بين أولاى فنادى وقال : ياجبرائيل فهم هذا الرجل فجاء إلى حيث وقفت ولما جاء خفت وخررت على وجهى وإذ كان يتكلم معى كنت مسبخاً على وجهى إلى الأرض فلمسنى وأوقفنى على مقامى (دا ٨ : ١٦ - ١٩) .

وأيضاً ورأيت هذه الرؤيا العظيمة ولم تبق فى قوة ونضارتى تحولت إلى فساد ولم أضبط قوة ، ولما سمعت صوت كلامه كنت مسبخاً على وجهى ووجهى الى الأرض وإذا بيد لمستنى وأقامتنى مرتجفاً على ركبتى وعلى كفى يدى وهو ذا كشبه بنى آدم لمس شفتى ففتحت فمى وتكلمت وقلت للواقف أمامى : يا سيدى بالرؤيا ، انقلبت على أوجاعى فكيف يستطيع عبد سيدى أن يتكلم مع سيدى ، وأنا فحالا لم تبق فى قوة ، ولم تبق فى نسمة (دا ١٠ : ٧ - ١٨) .

ومن اواضح ان سقوط حزقيال على وجهه ومرارته وحرارة روحه وشدة يد الرب عليه ، وتصرف الروح به لا بإختياره ، وكذا حالات دانيال المذكورة انما هى من انفعال الطبيعة البشرية واندهاشها وسقوط قواها لسطوة التجلى وهيبة الجلال وعظمة الكبرياء .

وفى العهدين أيضاً ، ان ايليا لما سمع صوت الرب الخفيف المنخفض لف وجهه بردائه (امل ١٩ : ١٢ و ١٣) .

وان زكريا لما رأى ملاك الرب عن يمين مذبح البخور اضطرب ووقع عليه الخوف (لو ١ : ١١ و ١٢) ، ولما خرج من الهيكل وهو لا يستطيع التكلم فهم اليهود انه قد رأى رؤيا (لو ١ : ٣٢) .

ويفهم من ذلك ان انفعال الطبيعة البشرية واندهاشها عند التجلى كان أمراً معلوماً مقرراً عند اليهود .

وفى العهد الجديد ان المسيح بعد اعتماده من يوحنا ونزول الروح القدس عليه اصعده الروح وأخرجه الى البرية وصار يقوده فيها مع الوحوش أربعين يوماً (انظر إلى مت ٤ : ١ ومر ١ : ١٢ و ١٣ ولو ٤ : ١) وراجع التراجم الفارسية وغيرها ، وتغيرت هيئة وجهه عندما تجلى الله له بإرسال موسى وايليا (لو ٩ : ٢٩) واضطرب بالروح إذ اخبر ان واحداً من تلاميذه سيسلمه (لو ١٣ : ١٢) ولعل من هذا النحو كونه ليلة هجوم اليهود عليه فى جهاد كما ترجم بالفارسية والتركية بالإضطراب حتى صار عرقه كقطرات دم نازلة على الأرض (لو ٢٤ : ٤٤) مع ان الوقت كان بارداً يحتاج فيه الى الإستدفاء والاصطلاء بالنار (انظر الى مر ١٤ : ٦٧ ويو ١٨ : ١٨) ، وان بطرس قد وقعت عليه غيبة وفسرت (ببيهوشى) وذلك حينما أوحى اليه حل جميع الحيوانات عند نزول الزنبيل (اع ١٠ : ١٠) .

وكذا بولس حينما اوحى اليه بالخروج من اورشليم (اع ٢٢ : ١٧) بل وكذا عندما عرج به الى السماء (٢ كو ١٢ : ١ - ٤) .

وان يوحنا ابن زبدى سقط فى رؤياه كميت (روء ١ : ١٧) وكم وكم تصرف به الروح وذهب به لا باختياره (انظر الى روء ١ : ١٠ و ٤ : ٢ و ١٧ : ٣ و ٢١ : ١٠) .

هذا كله مع ان كتب العهدين لم تستقص ذكر هذه الحالات للأنبياء عند اوحى بدليل ان التوراة أهملت فى شأن موسى ما ذكره استفانوس وبولس وان الأناجيل قد أهمل كل واحد منها كثيراً مما ذكره الآخر فضلا عن اختلافها الكاشف عن عدم اطلاع كتبتها على حقيقة الحال .

وان العهد القديم لم يذكر حالات اشعيا وارميا وهوشع وغيرهم من

الأنبياء الى ملاخى ، وما يعرض لهم عند الوحى والتجلى ولا تظن انهم فى ذلك أعلا شأناً وأحسن حالا من ابراهيم ويعقوب وموسى وحزقيال ودانيال وزكريا والمسيح وبطرس وبولس ويوحنا كلا .

نعم ذكر فى العهد القديم لبعض أنبيائه عند الوحى والتنبى حالات يستغرب بها العقل ولا يدنو مضمونها إلى الفهم .

منها ان اليشع النبى لما أراد يهوشافاط أن يسئل به الرب قال : إئتونى بعواد ، ولما ضرب العواد بالعود كانت عليه يد الرب فتنبأ عن قول الرب (٢ مل ٣ : ١١ - ١٩) .

ومنها ان صموئيل قال لشاول : انك تصادف زمرة من الأنبياء نازلين من المرتفعة وامامهم رباب ودف وناى وعود وهم يتنبؤن فيحل عليك روح الرب فتنبأ معهم ، ولما جاؤا الى هناك الى جبعة إذا بزمرة من الأنبياء لقيته فحل عليه روح الله فتنبأ فى وسطهم (١ صم ١٠ : ٥ - ١١) .

وليت شعرى ما مداخلة العود والعواد والدف والرباب والناى فى النبوة .

وأيضاً لما ارسل شاول رسلا لأخذ داود فى الرامة ورأوا جماعة من الأنبياء يتنبؤن ، وصموئيل رئيس عليهم ، فكان عليهم روح الله فتنبأوا هم أيضاً ، وكذا الذين أرسلهم ثانياً وثالثاً ذهب هو فكان عليه روح الله فخلع هو أيضاً ثيابه ، وتنبأ أيضاً امام صموئيل وانطرح عرياناً ذلك النهار كله وكل الليل (١ صم ١٩ : ٢٠ - ٢٤) .

وليت شعرى ما معنى هذا التنبى وحلول روح الله ، وما مداخلة خلع الثياب والتعرى فى النبوة ، وما معنى ذلك ، وهل يعدو هذا النحو ان يكون ضرباً من الخلاعة والتجانن فاحفظ هذه المقدمة على ذكرك فإن بعض المباحثين للإسلام من النصارى كأنهم لم يطلعوا على ما فيها وإلا لما تفوهوا بما تفوهوا من الشطط إن كانت لهم نفوس حرة .

(تذييل) فى بعض ما ذكر فى العهدين من أحوال بعض الأنبياء فى التبليغ عن أمر الله .

فمن ذلك ما فى آخريات العشرين من اشعيا من أن الله أمر نبيه اشعيا أن يمشى عرياناً وحافياً بين الناس ثلاث سنين ليبلغ الناس ويقول لهم : هكذا يسوق ملك اشورسبى مصر وجلاء كوش الفتيان والشيوخ عراة وحفاة ومكشوفى الاستاه خزياً لمصر .

وما فى السابع والعشرين من أرميا من أن الله أمر نبيه أرميا أن يصنع له ربطا وانياراً ويجعلها على عنقه كما يجعل نير الفدان على أعناق البقر ليبلغ الناس ويقول : ادخلوا أعناقكم تحت نير ملك بابل .

وما فى الرابع من حزقيال من ان الله أمر نبيه حزقيال أن يأكل كعكاً من خبز الشعير الذى يخبزه امام عيون بنى إسرائيل على الخرء الذى يخرج من الإنسان ليبلغ ويقول : هكذا يأكل بنو إسرائيل خبزهم النجس بين الامم الذين اطردهم اليهم .

وما فى أوائل الخامس من حزقيال أيضاً من أن الله أمر نبيه حزقيال أيضاً من أن يحلق رأسه ولحيته ويقسم الشعر أثلاثاً يحرق ثلثاً ويضرب بالسيف حوالى ثلث ويذرى الثلث الثالث إلى الريح ليبلغ ويقول ان ثلث أهل اورشليم يموتون بالوباء والجوع ، وثلث يسقط بالسيف ، وثلث يذريه فى كل ريح ويستل سيفاً وراءهم .

وما فى الخامسة عشر إلى الثامنة عشر من الرابع والعشرين من حزقيال أيضاً من ان الله كلم نبيه حزقيال بأنه يأخذ منه شهوة عينيه وهى زوجته ، وأمره أن لا ينوح ولا يبكى ولا يعمل مناحة ويلف عصابته ويجعل نعليه فى رجليه ولا يغطى شاربه ولا يأكل من خبز الناس ليبلغ بنى إسرائيل ويخبرهم انه هكذا يقع بهم .

وما فى الثالثة من أول هوشع من ان الله أمر نبيه هوشع أن يأخذ لنفسه إمرأة زنا وأولاد زنا ونتيجة ذلك تعليله بأن الأرض قد زنت تاركة للرب وموعظة بنى إسرائيل بأسماء الذين ولدتهم له تلك المرأة وذكر زناها فراجع أول هوشع وثانيه فانه عجيب .

وما فى ثالث هوشع أيضاً من قول هوشع وقال لى الرب : اذهب أحبب إمرأة حبيبة صاحب وزانية كمحبة الرب لبنى إسرائيل وهم ملتفتون إلى آلهة اخرى ، ومحبون لاقراص الزبيب فاشتريتها لنفسى بخمسة عشر شاقل فضة وبحومر ولثك شعير وقلت لها : تقعدين أياماً كثيرة لا تزنى ولا تكونى لرجل وأنا كذلك ، لأن بنى إسرائيل سيقعدون أياماً كثيرة بلا ملك وبلا رئيس وبلا ذبيحة ، ومقتضى العهد القديم ان هؤلاء الأنبياء عملوا بما أمرهم به الله للتبليغ .

﴿ المقدمة الخامسة ﴾ فى نبذ من سيرة بنى إسرائيل والملة النصرانية فى ديانتهم نقلا من كتب العهدين مع اختصارما ، ونقل بالمعنى فى بعض الموارد .

أما بنو إسرائيل فقد ظهرت لهم من موسى الداعى لهم إلى التوحيد معجزة العصا واليد البيضاء والعجائب فى مصر وانشقاق البحر لهم وعبورهم على اليابسة فيه ، والمن والسلوى واخراج الماء من الصخرة فى حوريب وآثار عظمة الله وقدرته على جبل سيناء (خر ٤ - ١٩) وبلغهم عن الله قوله : لا تصنعوا معى آلهة فضة ولا تصنعوا لكم آلهة ذهب لا يكن لك آلهة اخرى امامى ، ولا تصنع لك تمثالا منحوتاً فى السماء أو فى الأرض أو فى الماء ولا تسجد لهن ولا تعبدهن .

فقالوا كلما تكلم به الرب نفعل فكتب موسى هذه الأقوال وغيرها وقرأها عليهم تجديداً للعهد ، فقالوا أيضا : كلما تكلم به الرب نفعل ونسمع (خر ٢٠ - ٢٤ : ٨) .

وبلغهم أيضا لا تصنعوا لكم أوثانا ولا تقيموا لكم تمثالا منحوتا أو نصبا ولا تجعلوا فى أرضكم حجراً مصوراً لتسجدوا له (لا ٢٦ : ١) وبعد هذا كله لم تمض سنة منه حتى ارتدوا عن عبادة الله وقالوا لهارون لما أبطأ عليهم موسى فى جبل سينا اصنع لنا آلهة تسير امامنا ، فلما صنعوا العجل المسبوك من ذهب حليهم قالوا : هذه آلهتك يا إسرائيل التى أصعدتك من مصر فسجدوا له وذبحوا (خر ٣٢ : ١ - ٩) .

ولما أقاموا مع موسى فى شطيم صار الشعب يزنون مع بنات مواب فدعون الشعب إلى ذبائح آلهتهن فأكل الشعب وسجدوا لآلهتهن وتعلق إسرائيل ببعل فغور (عد ٢٥ : ١ - ٤) .

وكفى فى تمردهم على الشريعة انهم فى مدة أربعين سنة لم يختنوا من ولد منهم وبعدما عبروا الاردن فى زمان يوشع صنع يوشع عن أمر الله سكاكين صوان أى حادة ، وفى العبرانية (صيريم) وختنهم بها (يش ٥) ، ولم تمض مدة كثيرة من موت يوشع حتى فعل بنو إسرائيل الشر فى عينى الرب وتركوه وساروا وراء آلهة اخرى وسجدوا لها وعبدوا البعل وعشتاروت (قض ٢ : ١١ - ١٤ و ٣ : ٧) .

ولم يزل بنو إسرائيل فى زمن القضاة يعاودون إلى عمل الشر فى عينى الرب (قض ٣ : ١١ و ٤ : ١ و ٦ : ١ و ١٣ : ١) .

وبعد موت جدعون رجعوا وزنوا وراء البعليم وجعلوا لهم بعل بريث إلها (قض ٨ : ٣٣) ،

وبعد موت يائير القاضى عادوا يعملون الشر فى عينى الرب ، وعبدوا البعليم والعشتاروت وآلهة ارام وآلهة صيدون وآلهة مواب وآلهة عمون وآلهة الفلسطينيين وتركوا الرب ولم يعبدوه (قض ١٠ : ٦) وحاصل شأنهم انهم اختلطوا بالامم المشركين وتعلموا أعمالهم وعبدوا أصنامهم وذبحوا

بنيهم وبناتهم للأوثان وأهرقوا دماً زكياً دم بنيهم وبناتهم الذين ذبحوهم لأصنام كنعان وتدنست الأرض بالدماء (مز ١٠٦ : ٣٥ - ٣٩) .

ولما مات سليمان انقسمت مملكة بنى إسرائيل إلى قسمين فتبع رحبعام ابنه سبطا يهوذا وبنيامين ، وملكوه عليهم وانعزل عنه باقى الأسباط فملكوا عليهم يربعام فعمل لرعيته عجلى ذهب وقال : هذه آلهتك يا إسرائيل ووضع واحداً فى بيت ايل والآخر فى دان ، وكان الشعب يصعدون إلى أحدهما حتى إلى دان (امل ١٢) ، واستمر بنو إسرائيل هؤلاء وملوكهم على خطيئتهم وطريقة يربعام (امل ١٥ و ١٦) أى العكوف على عجول الذهب التى فى بيت ايل ودان (٢ مل ١٠) حتى إذا ملك اخاب شاعت فى أيامه عبادة البعل حتى انه كان للبعل أربعمائة وخمسين نبياً ، وللسوارى أربعمائة نبى (امل ١٨ : ١٩) وقطعت ايزابل الصيدونية أنبياء الرب إلا من أخفاه عوبديا (امل ١٨ : ٤) حتى لم يبق للرب نبى غير ايليا (امل ١٨ : ٢٢ و ١٩ : ١٠ و ١٤) ، وحتى لم يبق من مئات الالوف العديدة من بنى اسرائيل من لم يعبد البعل إلا سبعة آلاف أو أقل ، ولعلهم كانوا من الأطفال الذين لا يميزون هذه الامور (انظر الى امل ١٩ : ١٨) ، واستمر بنو اسرائيل على خطيئتهم وطريقة يربعام الى ان ملك عليهم هوشع بن ايله (امل ٢٢ : - ٢ مل ١٧) .

وفى أيامه سباهم ملك اشور واسكن فى ديارهم غيرهم ، وقد كانوا أخطأوا الى الرب ألههم ، واتقوا آلهة اخرى وسلكوا حسب فرائض المشركين وعبدوا الأصنام ورفضوا فرائض الله وعهده وساروا وراء الباطل وصاروا باطلا وتركوا جميع وصايا الله وعملوا لأنفسهم عجلين وسجدوا لجميع جند السماء وعبدوا البعل (٢ مل ٢٧) .

وأما سبطا يهوذا وبنيامين فلما تثبتت مملكة رحبعام بن سليمان ترك شريعة الرب هو وكل إسرائيل معه (٢ اى ١٢ : ١) .

وعمل يهوذا الشر أكثر من جميع ما عمل آباؤهم ، وبنوا لأنفسهم مرتفعات وانصابا وسوارى من آثار الشرك على كل تل مرتفع وتحت كل شجرة خضراء ، وكان أيضاً مأبونون فى الأرض ، ففعل يهوذا حسب أرجاس المشركين (امل ١٤ : ٢٢ - ٢٤) .

وفى السنة الخامسة لملك رحبعام نهب شوشق ملك مصر خزائن بيت الرب وخزائن بيت الملك وأخذ كل شىء (امل ١٤ : ٢٥ و ٢٦) .

ثم ملك ابيابن رحبعام وسار فى جميع خطايا أبيه التى فعلها قبله (امل ١٥ : ٣) .

ولما ملك آسا ابنه عمل ما هو مستقيم ، وأزال آثار الشرك ، وأمر يهوذا أن يعملوا حسب الشريعة واوصية (٢ اى ١٤ : ٢ - ٦) وأما المرتفعات فلم تنزع من بنى إسرائيل (٢ اى ١٥ : ١٧) .

ولإسرائيل أيام كثيرة بلا إله حق وبلا كاهن معلم وبلا شريعة ، وفى النسخة العبرانية بلا توراة (٢ اى ١٥ : ٣) .

ثم ملك بهوشافاط ابنه وسار فى طريق آسا أبيه وعمل المستقيم والمرتفعات أيضاً لم تنزع بل كان الشعب لم يعدوا بعد قلوبهم لإله آبائهم (٢ اى ٢٠ : ٢٢ و ٢٣) .

ثم ملك بعده يهورام ابنه ، وبعده ابنه اخزيا ، وعملا الشر على نهج بيت اخاب (٢ اى ٢١ : ٦ و ٢٢ : ٣ و ٤) .

وبعد اخزيا ملكت امه الخبيثة المشركة عثليا بنت عمرى ملك إسرائيل سبع سنين (٢ اى ٢٢) .

وهدم بنوها بيت الله وصيروا كل أقداس بيت الله للبعليم إلى أن نهض يواش ويهوياداع الكاهن لتجديد بيت الرب ، أقاموا بيت الله على رسمه على مقداره وثبتوه (٢ أى ٢٤ : ٧ و ١٢ و ١٣) .

وبعد ما قتلوا عثيليا ملك يواش بن اخزيا ، وعمـــل المستقيم فى أيام يهويا داع ، ولما مات يهوياداع جاء رؤساء يهوذا ، وسجدوا للملك يواش فسمع لهم وتركوا بيت الرب ألههم ، وعبدوا السوارى والأصنام (٢ اى ٢٤ : ٢ و ١٧ و ١٨) .

ورجموا زكريا ابن يهوياداع بأمر الملك وقتلوه فى دار بيت الرب لأنه ليس روح الله فوعظهم ووبخهم وأراد إرجاعهم إلى الله فتركوا الرب إله آبائهم (٢ اى ٢٤ : ٢٠ - ٢٤) .

ثم ملك امصيا ابن يواش وأتى بآلهة ساعير وأقامهم له آلهة وسجد امامهم وأوقد لهم (٢ اى ٢٥ : ١٤) .

وفى أيامه جاء يواش المشرك ملك اسرائيل ونهب كل الذهب والفضة وجميع الآنية الموجودة فى بيت الرب (٢ مل ١٤ : ١٤) .

ثم ملك بعد امصيا ابنه عزيا ، وبعده ابنه يوثام ، وكانا مستقيمين ، ولكن كان الشعب يفسدون بعد (٢ اى ٢٧ : ٢) .

ثم ملك احاز وسار فى طريق ملوك اسرائيل وعمل أيضاً تماثيل مسبوكة للبعليم وهو اوقد فى وادى هنوم ، وأحرق بنيه فى النار حسب رجاسات المشركين ، وترك يهوذا الرب الههم ، وأيضاً ذبح آحاز لآلهة دمشق وقطع آنية بيت الله وأغلق أبواب بيت الرب (٢ اى ٢٨) .

وأغلقوا أيضاً أبواب الرواق وأطفأوا السرج ولم يوقدوا بخوراً ولم يصعدوا محرقة فى القدس (٢ اى ٢٩ : ٧) .

واذ ملك حزقيا فتح أبواب بيت الرب ودخل الكهنة الى داخله ، واخرجوا كل النجاسة التى وجدوها فى الهيكل ، واستمروا فى تطهير بيت الرب ثمانية أيام (٢ اى ٢٩ : ١ - ١٩) .

ولما ملك بعده ابنه منسى عمل الشر حسب رجاسات المشركين ، وبنى

المرتفعات التى هدمها أبوه وأقام مذابح للبعليم وعمل سوارى وسجد لكل جند السماء وبنى لها مذابح فى دارى بيت الرب ، ولما ذاق وبال أمره من ملك آشور رجع إلى الله فلما أنقذه أزال الآلهة الغريبة والأشباه من بيت الرب ، وأمر يهوذا أن يعبدوا الرب الههم، ثم ملك بعده ابنه امون فعمل كل ما عمله أبوه أول الأمر، ولم يرجع إلى الله كما رجع أبوه فى الآخر (٢ اى ٣٣).

وملك بعده ابنه يوشيا وكان مؤمناً ، وفى السنة الثانية عشر لملكه ابتدأ يطهر يهوذا واورشليم من السوارى والمرتفعات والتماثيل والمسبوكات ، وطهر يهوذا واورشليم وقطع تماثيل الشمس فى كل أرض اسرائيل ، وهدم بيوت المأبونين التى عند بيت الرب ، وبعد أن طهر الأرض وبيت الرب توجه لترميمه وتسقيف البيوت التى أخربها يهوذا .

وعند إخراجهم الفضة المدخلة إلى بيت الرب قال حلقيا الكاهن لشافان الكاتب قد وجدت سفر الشريعة (أى التوراة) فى بيت الرب ، فقال شافان للملك قد أعطانى حلقيا الكاهن سفراً وقرأ فيه شافان امام الملك ، فلما سمع الملك كلام الشريعة مزق ثيابه وأمر جماعة من خواصه قائلا : اذهبوا اسألوا الرب من أجلى وأجل من بقى من يهوذا واسرائيل على كلام السفر الذى وجد لأنه عظيم غضب الرب الذى انسكب علينا من أجل ان آبائنا لم يحفظوا الرب ليعملوا حسب كل ما هو مكتوب فى هذا السفر ، وجمع الملك كل رجال يهوذا وكل الشعب من الصغير إلى الكبير والكهنة والأنبياء إلى بيت الرب وقرأ فى آذانهم كل كلام سفر العهد التى وجد فى بيت الرب ووقف على منبره وقطع عهداً مع الله على عبادته وحفظ وصاياه وفرائضه حسب كلام العهد المكتوب فى هذا السفر « ٢ مل ٢٢ و ٢٣ و ٢ اى ٢٤ » .

وان صريح هذا الكلام وفحواه وشواهده ودلائله لتوضح ان ارتدادات يهوذا وتقلباتهم فى الشرك حتى جعلوا الآصنام فى بيت المقدس ونجسوه

وأخربوه وأغلقوه وبقوا أياماً كثيرة بلا إله حق ولا كاهن معلم ولا شريعة توراة لم تبق سفراً للشريعة والتوراة بينهم إلى حد لم يقدر الملك عليه ولم يره ولم يسمع منه شيئاً مدة اثنتى عشرة سنة من ملكه وهو مؤمن يطلب الله والشريعة فانه لو كان للتوراة حينئذ وجود لكانت عنده منها نسخة يقرأ بها كل أيام حياته من أول جلوسه على كرسى مملكته حسب ما هو الواجب فى الشريعة على ملوك اسرائيل « تث ١٧ : ٨ - ٢٠ » .

ولكنه لما رأى ما ادعى حلقيا الكاهن انه وجده فى بيت الرب وسمع ما فيه رأى شيئاً جديداً وسمع ما لم يكن معهوداً له وحسبه هو والمؤمنون من يهوذا من الحقائق التى غفلت عنها الأيام وخبتها عن دواهيها زوايا الخمول حتى مزق الملك عند قراءته ثيابه واضطرب من أجل تضييعهم وجهلهم ما فيه ، وبذل العناية التامة فى قراءته على جميع يهوذا واسرائيل ليطلعوا على ما أضاعه منهم الضلال ، ويعودوا إلى ما ظفروا به من الشريعة التى لم يكونوا يعرفونها ولا يجدون كتابها .

فكانت نسبة هذا الذى وجدوه إلى الشريعة الحقيقية موكولة إلى أمانة حلقيا ولو كان لسفر الشريعة عندهم قبل هذا إسم أو رسم لما وقع أقل قليل من هذا الإحتفال العظيم والتنبه إلى الشريعة بما ادعى حلقيا انه وجده ، وهذا مما لا ينبغى أن يرتاب فيه من له حظ من الرشد والفهم .

قال المتكلف « يه ٤ ج ص ١٣٤ » ان المراد بسفر الشريعة هاهنا هى النسخة التى كانت موجودة فى الهيكل بجانب تابوت عهد الرب حسب الأمر الوارد « تث ٣١ : ٢٥ و ٢٦ » وهذا لا ينافى وجود نسخ اخرى فى أيدى الكهنة واللاويين والشعب .

أقول إن أراد من هذه النسخة انها النسخة التى كتبها موسى وأمر بوضعها بجانب تابوت العهد فيدعى فى تكلفه ان احتفال يوشيا بها من أجل كونها

تذكاراً لموسى ومن آثاره فليقل ، وان كان ما ذكرنا من أحوال يوشيا وأقواله أجنبياً عن هذا الإحتمال أين كانت هـذه النسخة وأين صارت ، إذ نهب الفلسطينيون التابوت من بنى اسرائيل ووضعوه بقرب صنمهم داجون فى اشدود ثم نقلوه الى حث ثم الى عفرون ثم الى بيت شمس ثم نقل الى قرية يعاريم « ١ صم ٤ - ٧ » ثم نقله داود الى بيت عوبيد الجتى ، ثم الى مدينته « ٢ صم ٦ » ثم نقله سليمان من صهيون مدينة داود الى محراب البيت قدس الأقداس تحت جناحى الكروبين « امل ٨ : ١ - ٧ » ، فانه لم يجر لهذه النسخة فى هذه المواضع والتنقلات ذكر ولا اسم ولا رسم مع ما لها من الشأن المهم.

فان قال : انها كانت إذ ذاك فى جوف التابوت قلنا : لم يكن فى التابوت حينما وضعه سليمان فى قدس الأقداس إلا لوحا الشهادة « امل : ٨ ٩ و ٢ اى ٥ : ١٠ » .

وان قال : انها حين نهب التابوت كانت عند الكهنة ، قلنا : ينبغى أن يكون محلها بحسب الوظيفة فى مكان التابوت تحت جناحى الكروبين فى المسكن من خيمة الإجتماع انظر الى « خر ٤٠ : ١ و ٢ - وتث ٣١ : ٢٦ » .

وعلى هذا فلماذا لم يجر لها ذكر عند تحويل سليمان لخيمة الإجتماع وما فيها ، مع أن هذه النسخة أهم وأهم وأولى بالذكر من سائر أدوات خيمة الإجتماع ، وفى ذكرها البشارة الكبرى وبيان نعمة الله العظمى بجمع شمل الشريعة المتبدد فى جعل نسخة التوراة التى كتبها موسى على مقتضى وظيفتها الى جنب تابوت العهد الذى أنعم الله بإرجاعه من نهب المشركين الى بيته المقدس ففى ثامن الملوك الاول ٣ وجاء جميع شيوخ اسرائيل وحمل الكهنة التابوت وأصعدوا تابوت الرب ، وخيمة الإجتماع مع جميع آنية القدس التى فى الخيمة « ٢ اى ٥ : ٤ و ٥ » فإن أبى المتكلف مكابراته إلا أن تكون النسخة المذكورة وضعت على وظيفتها فى محراب بيت المقدس على عهد سليمان بجانب

التابوت ، قلنا ان الموضع الذى عينه سليمان لتابوت العهد الذى تكون هذه النسخة إلى جنبه هو المحراب قدس الأقداس تحت جناحى الكروبين (امل ٨ : ٦ و ٢ اى ٥ : ٧) ، وكانت مساحة هذا المحراب عشرين ذراعاً فى مثلها (امل ٦ : ٢٠) ، ومساحة جناحى الكروبين الملتقيين الذين يوضع التابوت تحت ملتقاهما عشرة أذرع (امل ٦ : ٢٤ - ٢٨) فيكون التابوت فى وسط المحراب ومحل نسخة التوراة المذكورة إلى جنبه .

وعلى هذا فهل تركها شوشق ملك مصر الذى نهب الذهب والفضة من بيت الرب على عهد رحبعام ، وهل يترك المحراب مع ان عمدة الذهب فيه فرضناه تركها ، فهل يتركها بنو اسرائيل ويهوذا فى الأيام الكثيرة التى بقوا فيها بلا إله حق وبلا كاهن ومعلم وبلا شريعة فرضناهم تركوها فهل يتركها المشركون أولاد عثليا المشركة إذ هدموا بيت الرب وصيروا كل أقداسه للبعليم حتى احتاج البيت الى تجديده واقامته على رسمه تمحلنا وفرضناهم تركوها ، فهل يتركها يواش المشرك إذ نهب كل الذهب والفضة وجميع الآنية الموجودة فى بيت الرب على عهد امصيا ، فرضنا تركها فهل يتركها آحاز المشرك الذى قطع آنية بيت الرب وأغلق أبوابه ، وهل تركها قومه الذين وضعوا النجاسة فى الهيكل وأغلقوه وأطفأوا سرجه عناداً للتوحيد والشريعة افترى هؤلاء كلهم يتركون هذه النسخة فى محلها ويسمحون لها بالبقاء وهى أشد ما يكون مقاومة ومصادمة لشركهم وضلالهم وأصنامهم وتماثيلهم ، وقد بلغت فى توبيخهم ولعنهم وذمهم وسب آلهتهم ، مبلغاً لا يمكن فى العادة أن يصبروا عليها ويتركوا لها وجوداً وأثراً كلا بل هى أولى بأن تمد اليها يد الضلال من الهيكل الذى لا يقاومهم مثلها ببيانه .

وأيضاً لماذا لم توجد هذه النسخة عند ادخال الفضة الى بيت الرب وما هو السبب الذى اخر وجدانها الى حين اخراج الفضة .

وأيضاً لماذا لم يجدها حلقيا إلا بعد مضى ما يزيد على عشر سنين من ملك يوشيا مع أن يوشيا ملك مؤمن يطلب الله والشريعة من أول أمره ، وان حلقيا الكاهن لا ينفك عن كثرة الدخول الى المحراب فى الاسبوع مرة أقلا.

مذا وان قال المتكلف : ان هذه النسخة غير التى كانت فى زمان موسى وأمر بوضعها الى جنب التابوت ، بل هى نسخة اخرى من سائر النسخ وضعت مع التابوت على رسم الشريعة .

قلنا : كيف يتركها الذين هم قبل يوشيا من المشركين الذين عبثوا ببيت الرب وأخربوه ونجسوه ؟ وكيف لم يجدها حلقيا إلا بعد عشر سنين من ملك يوشيا مع انها نصب عينى الداخل الى المحراب .

وأيضاً فليعمل المتكلف فكره بما عنده من الفطانة ، وليبين لنا ان هذه النسخة إذا لم تكن بخط موسى وتذكاراً له ، بل كانت من سائر النسخ الكثيرة ، فما اوجه المقبول فى احتفال يوشيا بها ذاك الإحتفال العظيم لو كان لها أمثال كثيرة .

ثم ملك من بعد يوشيا الى سبى بابل يهوآحاز ويهوياقيم ويهوياكين وصدقيا وعملوا الشر (٢ مل ٢٣ و ٢٤) .

وأما يهوذا فى أيامهم فقد تكرر كلام ارميا النبى فى توبيخهم على سلوكهم وراء البعليم وسيرهم وراء آلهة اخرى حتى صارت آلهتهم بعدد مدنهم وبعدد شوارع اورشليم (ار ٧ و ٨ و ٩ و ١١ و ١٢ و ١٦) .

ولما رجعوا من سبى بابل وتوجهوا الى عبادة الله والشريعة اجتمع كل الشعب رقاوا لعزرا الكاهن : أن يأتى بسفر شريعة موسى التى أمر بها الرب فأتى عزرا بالشريعة امام الجماعة من الرجال والنساء وكل فاهم ما يسمع وقرأ فيه من الصباح الى نصف النهار وآذان الشعب نحو سفر الشريعة وجميع الشعب بكوا حين سمعوا كلام الشريعة ، وفى اليوم الثانى اجتمع رؤساء آباء

جميع الشعب والكهنة واللاويون الى عزرا ليفهمهم كلام الشريعة فوجدوا مكتوباً فيها ان اسرائيل يسكنون فى مظال فى العيد فى الشهر السابع فأخذوا فى عمل المظال (نح ٨) .

وقرأ أيضاً فى سفر موسى فى آذان الشعب ووجدوا مكتوباً ان عمونيا وموابيا لا يدخل فى جماعة الله الى الأبد ، ولما سمعوا الشريعة فرزوا كل اللفيف (نح ١٣) .

قل فما هو السبب فى أن ينفرد عزرا وحده بقراءة سفر الشريعة على الوف من بنى اسرائيل جميع رجالهم ونسائهم وكل فاهم ما يسمع حتى الكهنة الذين هم حملة الشريعة والتوراة بمقتضى الوظيفة الشرعية ، ولماذا هرع اليه فى اليوم الثانى رؤساء آباء الشعب والكهنة واللاويون ، ولماذا تنبهوا بسبب قراءته الى امور لم تكن معهودة لهم ، وبادروا اليها مبادرة مغتنم ، أفيجوز مثل هذا ؟ مع فرض الوجود لنسخة أو أكثر فى بنى اسرائيل غير التى بيد عزرا كلا .

وأيضاً اوكان بعد سبى بابل عند اليهود نسخ من التوراة ، والشريعة لم يكن محل ووجه لنزول الوحى على حزقيال فى شريعة الكهنة ، وقسمة الأرض بين بنى اسرائيل وغير ذلك من الشرائع التى تكفلت التوراة ببيانها (انظر الى حز ٤٣ - ٤٨) .

تجد من اواضح ان ذلك بيان لما ليس فى أيدى بنى اسرائيل من الشريعة .

ثم من بعد سبى بابل وان لم يصرح بإرتدادهم عن التوحيد إلا أنهم كانوا يقولون من يفعل الشر فهو صالح فى عينى الرب وبهم يسر (مل ٢ :١٧) ويقولون : عبادة الله باطلة ، وما الفائدة من أننا حفظنا شعائره « مل٣ : ١٤» وان كهنتهم احتقروا إسم الله « مل ١ : ٦ » وخانوا فى الذبائح « مل ١: ٧-١٤» وحادوا عن الطريق واعثروا كثيرين بالشريعة ، وأفسدوا عهد موسى

« مل ٢ : ٨ » ، وكانت منهم فرقة يسمون بالصدوقيين ، ينكرون القيامة وحياة الأموات بعد الموت ، وينكرون الملك والروح « اع ٢٣ ، ٨ ومت ٢٢ و مر ٢ و لو ٢٠ » .

وقد شحنت الأناجيل من الكلام المنسوب للمسيح بتوبيخهم على تمردهم على الله والشريعة ورياء كهنتهم وكتبتهم حتى تربصوا به من أجل ذلك الدوائر ومع هذا كله هل يمكن للإنسان أن يتلقى من هذه الفرقة المتقلبة فى ارتداداتها هذا التقلب الذى طرق سمعك كتاباً وشريعة عن الوحى والإلهام على حقيقته الأولية بطريق يفيد اليقين بذلك كلا .

وأما أهل الديانة النصرانية فى زمان المسيح فإن الكثيرين الذين آمنوا به فى عيد الفصح لما رأوا منه الآيات لم يأتمنهم على نفسه لأنه كان يعرف الجميع ولا يحتاج لشاهد على ما فى ضمير الإنسان (يو ٢ : ٢٣ - ٢٥) ورجع عنه كثيرون من تلاميذه ولم يعودوا وذلك بسبب وعظه وإرشاده وبيان رسالته (يو ١٦ : ٥٢ - ٦٦) .

والتلاميذ الإثنى عشر ماوا إلى الرئاسة الدنيوية وتشاجروا فى أنه من يكون الأكبر بعد المسيح لما أخبرهم بما يجرى عليه ، وانه ماض عنهم فوعظهم لذلك ، ووعدهم ومناهم بما يرغبهم فى الإئتلاف وعدم التشاجر (لو ٢٢ : ٢٢ - ٣١) .

واغتاظ عشرة منهم على المسيح من أجل ابنى زبدى (مت ٢٠ : ٢٤) ووبخهم على قلة إيمانهم (مت ١٦ : ٨) وانهم لا إيمان لهم (مر ٤ : ٤٠) وليس لهم من الإيمان مثل حبة خردل (مت ١٧ : ٢٠) ، ووصفهم الإنجيل بغلظ القلوب « مر ٦ : ٥٢ » .

واخبر المسيح بأن كافتهم يشكون فيه ليلة هجوم اليهود عليه « مت ٢٦ : ٣١ » ويتفرقون عنه كل واحد إلى خاصته ويتركونه وحده « يو ١٦ : ٣٢ » . وطلب

منهم أن يسهروا معه تلك الليلة فلم يفعلوا ولم يواسوه مع ما هو فيه من الدهشة والإكتئاب حتى وبخهم على ذلك مراراً ، ولما أمسكه اليهود حسب الظاهر تركه التلاميذ كلهم وهربوا « مت ٢٦ : ٣٦ - ٥٧ » .

وان من التلاميذ الإثنى عشر يهوذا الاصخريوطى كان بيده صندوق أموال الفقراء « يو ١٢ : ٦ و ١٣ : ٢٩ » ، وكان سارقاً « يو ١٢ : ٦ » وهو الذى اجترأ على تسليم المسيح إلى أعدائه ، وباع دمه الشريف بقليل فضة انظر إلى اخريات الأناجيل وأول الأعمال .

وان كبير التلاميذ بطرس صار ينتهر المسيح حتى قال له المسيح : إذهب عنى يا شيطان أنت معثرة لى لأنك لا تهتم بما لله بل بما للناس « مت ١٦ : ٢٢ و ٢٣ » ، وقد أنكر المسيح ثلاث مرات وابتدأ يلعن ويحلف انه لا يعرفه « مت ٢٦ : ٦٩ - ٧٥ » ، مع أن المسيح أنذره بذلك فوعد المسيح أن لا ينكره ولو اضطر إلى الموت معه « مت ٢٦ : ٣٥ » .

هذا وأما ما كان بعد حادثة الصليب فإن التلاميذ الأحد عشر لم يصدقوا اللواتى اخبرنهم بقيام المسيح من الأموات فى اليوم الثالث بل عدوا كلامهن كالهذيان « لو ٢٤ : ١١ » ، حتى وبخهم المسيح على عدم إيمانهم وقساوة قلوبهم لأنهم لم يصدقوا الذين نظروه قد قام « مر ١٦ : ١٤ » ، مع أن فى الأناجيل ان المسيح كم وكم قدم لهم انه يتألم من اليهود وفى اليوم الثالث يقوم « انظر من جملة ذلك أقلا إلى مت ١٦ : ٢١ و ١٧ : ٢٣ و ٢٠ ؛ ١٩ و ٢٦ : ٣٢ » ، « وغير ذلك فى الأناجيل الأربعة » ، حتى أن اليهود كانوا يعلمون بكلامه هذا ويخشون عاقبته « مت ٢٧ : ٦٣ » .

وتذمر اليونانيون من المسيحيين على العبرانيين منهم بسبب الغفلة عن طعام أراملهم « اع ٦ : ١ » .

ووقعت المشاجرة فى الختان فتكلم بطرس ويعقوب فى رفعه عن الامم

بمجرد الإستحسان والتآلف للامم فى مقابلة تأكيد حكمه فى التوراة وتأييده وتعليم المعلمين المسيحيين من اليهودية فحصروا ما على الامم من أحكام الشريعة بإجتناب المخنوق وما ذبح للأوثان والدم والزنا « اع ١٥ : ١ - ٣٠ » .

وان برنابا وبولس اللذين اختارهما الروح القدس لعمله « اع ١٣ : ١٢ » تشاجرا فيمن يأخذانه معهما للخدمة حتى فارق أحدهما الآخر (اع ١٥ : ٣٦-٤٠) .

وقد اختلف المعلمون فى النصرانية واختلفوا فى التعليم حتى صار بعضهم يحذر الامة من بعض « انظر إلى رسائل بولس وبطرس ويهوذا ويوحنا » حتى قال بعضهم فى البعض الآخر : انهم لا يخدمون المسيح بل بطونهم وبالكلام الطيب والأقوال الحسنة ، يخدعون قلوب السماء « رو ١٦ : ١٨ » ، وعن حسد وخصام يكرزون بالمسيح « فى ١ : ١٥ » وانهم ذئاب خاطفة « اع ٢٠ : ٢٩ » ورسل كذبة فعلة ماكرون مغيرون شكلهم إلى شبه رسل المسيح كالشيطان يغير شكله إلى شبه ملاك نور « ٢ كو ١١ : ١٣ و ١٤ » حتى ان كثيرين خرجوا وصاروا أضداد للمسيح « ١ يو ٢ : ١٨ و ١٩ » .

وجميع الذين فى آسيا ارتدوا عن بولس وبعض زاغ عن الحق وادعى ان القيامة قد قامت (٢ تى ١ : ١٥ و ١٨) .

وان من المعلمين اخوة كذبة ادخلوا خفية ودخلوا اختلاساً ، وان المعتبرين انهم شىء (كالتلاميذ الأحد عشر) مهما كانوا لا فرق بينهم وبين هؤلاء .

وان بطرس والنصارى العبرانيين فى أنطاكية حتى برنابا استعملوا الرياء والمداهنة ، ولم يسلكوا بإستقامة حسب حق الإنجيل « غل ٢ : ٣ - ١٥ » .

وان بولس قد استعمل الرياء ، وختن تيموثاوس اليونانى على خلاف تعليمه « اع ١٦ : ١ - ٤ » .

وان يعقوب وجميع المشايخ فى اورشليم تواطأوا مع بولس على استعمال الرياء بإلزام بولس مع أربعة أشخاص بأحكام الناموس تمويهاً لإبطالهم لها ومداهنة

للأرامل والربوات من المؤمنين بالمسيح من اليهود الذين ينكرون إبطال الناموس بمجيء المسيح « اع ٢١ : ٢ - ٢٧ » .

وان بولس ليس له نظير مخلص بل الجميع يطلبون ما هو لأنفسهم لا ما هو للمسيح « فى ٢ : ٢٠ و ٢١ » .

ويتضح من الأعمال ورسائل بولس ان تعليمه الرائج بين النصارى فى القرون المتأخرة كان ضداً لتعليم الرسل والمعلمين من العبرانيين الذين هم من أهل الختان ولذا كثر تعرضه لهم وقد فهم وانتقاصهم وافتخاره عليهم حتى ادعى العروج مرة الى السماء الثالثة واخرى الى الفردوس (انظر الى الحادى عشر والثانى عشر من كورنتوش الثانية) .

ومن ذلك تعليمه بكفاية الإيمان وحده فى الفائدة وتعليم يعقوب بعدم كفايته بدون الأعمال (انظر الى الحادى والعشرين من العبرانيين) ، وإلى رسالة يعقوب وخصوص ثانيها ، وقد اختلف تعليم بولس فى أكل ما ذبح للأوثان الذى قرر الرسل حرمته واضطرب كلامه فيه ، فتارة جعله يذبح للشيطان لا لله ولا يريد أن يكون المؤمنون شركاء الشياطين لأنهم لا يقدرون أن يشربوا كأس الرب وكأس شيطان ولا يشتركوا فى مائدة الرب ومائدة شياطين أم نغير الرب ألعلنا أقوى منه « ١ كو : ١٠-١٨ - ٢٢ » .

وتارة رجع الإمتناع منه من دون تحريم ، لأنه معثرة للضعفاء انظر « ١ كو ٨ » ، ومن أجل ضمير الآخر الضعيف « ١ كو ١٠ : ٢٩ » ، ثم ندم وقال : لماذا يحكم فى حريتى من ضمير آخر ، فاذا كنت أتناول بشكر فلماذا يفترى على لأجل ما أشكر عليه « ١ كو ١٠ : ٢٩ و ٣٠ » .

وعلى كل حال فهذه الأقوال المضطربة خلاف ومقاومة لما قرره الرسل من التحريم المطلق كما مر ، وعن بولس فى بعض تعاليمه كل شيء طاهر للطاهرين (تى ١ : ١٥) ، وكل خليقة الله جيدة ، ولا يرفض شيء منها إذا أخذ مع

الشكر « ١ تى ٤ : ٤ » ، وهذه خلاف ومقاومة لما قرره الرسل من تحريم ما ذبح للأوثان والمخنوق والدم .

وعنه أيضاً فى تعاليمه فى شأن الناموس والعهد القديم ما لفظه فانه يصير ابطال الوصية السابقة من أجل ضعفها وعدم نفعها إذ الناموس لم يكمل شيئاً « عب ٧ : ١٨ و ١٩ » .

وعنه فى شأن العهد القديم أيضاً لو كان الأول بلا عيب لما طلب موضع لثان ـ فاذا قال جديداً فقد عتق الأول ، وأما ما عتق وشاخ فهو قريب من الإضمحلال « عب ٨ : ٧ ـ ١٣ » ، وهذا الكلام إذا اغمضنا النظر عن منافاته لما فى العهدين ، وخصوص الكلام المنسوب للمزامير وملاخى والمسيح فانه مناف ومناقض لخصوص ما عن بولس نفسه من قوله كل الكتاب موحى به من الله ونافع للتعليم والتوبيخ للتقويم والتأديب الذى فى البر لكى يكون إنسان الله كاملا متأهباً لكل عمل « ٣ تى ٣ : ١٦ و ١٧ » .

وقد طال الكلام فى هذه المقدمة فاقتصرنا على ما ذكرنا لئلا يخرج الكتاب عن وضعه وان كان للمزيد مجال واسع .

﴿ المقدمة السادسة ﴾ قد وجدنا العمدة لمباحثى المسلمين من النصارى هو الإحتجاج عليهم بما فى كتب العهدين ، وكأن هؤلاء المباحثين لم يفطنوا إلى أنه لا حجة لهم بها على المسلمين لوجوه :

(الوجه الأول) انه من المتعذر ايصال السند فى كل واحد من هذه الكتب الى الأنبياء معادن اوحى والإلهام على سبيل التواتر المفيد لليقين فى كل طبقات النقل ، فاستوضح بعض ذلك من المقدمة السابقة ، وغاية ما عندهم هو الإعتماد على حكم المجامع المتقلب فى تمييز الكتاب الإلهامى من المكذوب ، والإستشهاد بمطابقة كلام القدماء ، كما ستعرف ذلك من أشتات كلام المتكلف .

(الوجه الثانى) انه لا تمكن معرفة رسالة الأنبياء السابقين وتعيين كتبهم الصادرة عن اوحى معرفة يقينية إلا بسبب اخبار رسول الله خاتم المرسلين ، والقرآن الذى هو كلام الله بواسطة دلالة العقل على صدق رسول الله بدعواه الرسالة ، وان القرآن الكريم هو كلام الله العظيم ، فلو شككنا والعياذ بالله بالرسول والقرآن كما يريدون لم تبق لنا معرفة بنبي مرسل ولا اسم كتاب إلهامى فان كتب العهدين بنفسها ووجوه مضامينها هى التى تصد عن الإذعان باتصال سندها وصحة تواترها وصدورها عن اوحى والالهام ، وتمنع عن التصديق بنبوة أنبيائها والوثوق بنقل دلائل نبوتهم لو صحت نسبتها اليهم ، كما ستعرفه إن شاء الله من متفرقات كتابنا ، وخصوص ما يأتى إن شاء الله فى بيان انموذج النظر ، بل قلما يمر بك فصل إلا ويدلك ان شاء الله بأوضح دلالة على ما ذكرنا .

وأيضاً ان القرآن الكريم والعقل السليم يدلان بأوضح دلالة على أن فى هذه الكتب شيئاً كثيراً ليس من الالهام والوحى أصلا لمخالفتها لها فى امور كثيرة مخالفة لا تقبل التأويل ، كما ستسمع تفصيل بعضه فى محاله ان شاء الله ، وبذلك يسقط اعتبار مجموعها لو صحت نسبة المجموع الى اوحى فى الجملة .

(الوجه الثالث) شهادة بعضها على بعض بالتحريف صريحاً ، وان حامى بعض النصارى عن ذلك وكتبوا فى كتبهم قولهم متى حرفت ولماذا حرفت؟ ومن حرفها ؟ ولأى غرض حرفها ؟.

فمن جملة الشهادات ما فى الثالث والعشرين من ارميا فى خطاب الشعب ٣٦ ، أما وحى الرب فلا تذكروه بعد لأن كلمة كل انسان تكون وحيه اذ قد حرفتم كلام الاله الحى رب الجنود الهنا ، هكذا ما اطلعنا عليه من التراجم العربية ونصه فى النسخة العبرانية . ومساءيهوه . لا تزكروا . عود كى . همسا

يهوه . لأيش . ووحى الله لا تذكروا بعد لان وحى الله لرجل ديبارو وهفخيتيم ايت .

كلامه وحرفتم

دبرى ايلوهيم حييم يهوه صيباؤت ايلوهينو

كلام الاله الحى رب الجنود ألهنا

وان فى ملاحظة ما ذكرناه من الأصل العبرانى هاهنا والتراجم العربية لشهادة ايضا على وقوع التحريف ، وفى ثامن ارميا ايضا (٨) كيف تقولون نحن حكماء وشريعة الرب معنا حقاً انه الى الكذب حولها قلم الكتبة الكاذب ، ونصه فى النسخة العبرانية .

ايخاه توميروا حاخاميم انحنو وتوراة يهوه اتانو اكن هنيه لشيقير كيف تقولون حكماء نحن وشريعة الرب معنا لكن هوذا للكذب عاساه عيط شيقير سوفيريم

صنعها قلم كذب الكتبة

وفى التاسع والعشرين من اشعيا (١٦) يا لتحريفكم ، ونصه فى الاصل العبرانى هانخيخيم .

وفى الثالث من رسالة بطرس الثانية ١٦ كما فى الرسائل كلها أيضاً متكلماً فيها عن هذه التى فيها أشياء عسرة الفهم يحرفها غير العلماء وغير الثابتين كباقى الكتب أيضاً لهلاك أنفسهم ، وفيه شهادة بتحريف المعلمين للرسائل كما حرفوا سائر الكتب .

ولا تظن ان هؤلاء المحرفين من الوثنيين ، فإن الوثنيين لا اعتناء لهم بهذه الكتب ولا غرض لهم بتحريفها ، بل إنما هم المعلمون من اليهود ، والمتنصرين الذين يريدون بضلالهم أن يشوهوا تعليم الكتب فيحرفونها حسب أهوائهم .

وفى أول غلاطية (٦) انى أتعجب انكم تنتقلون هكذا سريعاً عن الذى دعاكم بنعمة المسيح إلى إنجيل آخر (٧) ليس هو آخر ، غير انه يوجد قوم يزعجونكم ويريدون أن يحولوا إنجيل المسيح .

وفى آخر رؤيا يوحنا ١٨ و ١٩ قد شدد فى الدعاء على من يزيد فى نبوة كتابه أو ينقص منها .

وفى فحوى كلامه شهادة بأن للتحريف حسب الهوى حينئذ طغيان مخوف.

(الوجه الرابع) شهادة بعض كتب العهدين على البعض الآخر بالتحريف ضمناً وإشارة ، وهو أن التوراة فى ثامن عشر التثنية من العشرين إلى الثانية والعشرين قد أعطت علامة لما ليس من كلام الله وما هو كذب على الله وانوحى وان فى العهدين لكثير من هذا القبيل الذى يعرف بهذه العلامة انه ليس من كلام الله ولا من انوحى والإلهام فى شىء ، كما ستسمع بعضه إن شاء الله فى المقدمة الثامنة فى الفصل الرابع .

(الوجه الخامس) هو أنه يوجد من نتائج الجمع بين مضامين العهدين موانع كثيرة من نبوة المسيح ورسالته وقداسته ، بل يلزم منهما شرك موسى وهارون وداود وأساف وسليمان والمسيح ، وكفر ارميا واستحقاق هؤلاء للقتل ، كما سيمر عليك فى محاله إن شاء الله ، وانهم لمقدسون عن مثل ذلك وكل ما يشين .

(الوجه السادس) انا قد وجدنا التبديل الصريح والتصرف اواضح فى العهدين فى التراجم والمطابع وهو لا يعدوا القسيسين ورؤساء الدين ، فمن جملة ذلك ان فى النسخة العبرانية فى الثامنة من رابع التكوين ما تعريبه الحرفى وقال قايين لهابيل أخيه ولما صارا فى الحقل قام قايين على هابيل أخيه فقتله . وكثير من المترجمين لما رأى ان جملة وقال قايين لهابيل أخيه : جملة فارغة عن المعنى ناقصة الفائدة لأجل احتياج القول إلى المقول ترجموها فى مطابعهم

هكذا . وكلم قايين هابيل أخاه فبدلوا القول بالتكليم لأجل ما يتراءى فى التكليم من الفائدة وجروا على هذا التبديل فى أكثر ما رأينا من التراجم الفارسية وغيرها مع ان الأصل العبرانى هكذا :

ويامر قاين الهبل احيو

وقال قايين لهابيل اخيه

ولو كان الأصل وكلم لقيل (ويدبر) . وبعضهم كصاحب الترجمة المطبوعة سنة ١٨١١ م لما رأى التباين الكلى فى اللغة العبرانية بين لفظ ما تعريبه (وقال) : لفظ ما تعريبه (وكلم) حاول أن يتستر فى تصرفه فذكر هكذا وقاول قايين هابيل أخاه .

وبعضهم لما وجد النسخة السامرية واليونانية تامة الكلام والفائدة لا سقط فيها كما فى العبرانية جعل ترجمة للعبرانية على طبقهما تصرفا وتقولا على العبرانية فذكر فى الترجمة وقال قاين لهابيل أخيه تعال نخرج إلى الحقل . نقله فى إظهار الحق عن التراجم القديمة والعربية المطبوعة سنة ١٨٣١ و ١٨٤٨ م وبعضهم زاد فى الترجمة من تلقاء نفسه تتميماً للمعنى منهم تومارابنسن القسيس فى ترجمته للعبرانية بالفارسية المطبوعة فى لندن بمطبعة رجاردواطس سنة ١٨٢٩م فقال وقايين هابيل برادر خود راكفت كه بيا فزاد من نفسه لفظ كه بيا ، ويلزم مما ذكرنا حدوث النقصان المخل فى العبرانية واقدام مترجميها على التبديل أو الزيادة لأجل تصحيحها فزادوا فى الطنبور نغمة ، وأيضاً فى الأصل العبرانى فى الثالثة عشرة من ثانى عاموس ما نصه عن قول الله .

هنيه انوخى ماعيق تحتخيم كاشير تاعيق

هاهو انا صار أواصر أو مضايق أو نحو ذلك تحتكم كما أو كالذى تصر أو نحو ذلك هاعغالاه هملا أه لاه عامير

العجلة الملآنة حزما أو حشيشا

وفى العربية المطبوعة سنة ١٨١١ لأجل هذا ها انا أتمرغ تحتكم كما تتمرغ العجلة المملوءة قصبا .

ونقل فى إظهار الحق عن ترجمة عربية مطبوعة سنة ١٨٤٤ م موافقة العبرانية فى مضمونها بما لفظها انا ذا أصر تحتكم كما تصر العجلة المحملة حشيشاً . وعن نسخة فارسية أيضاً مطبوعة سنة ١٨٣٨ م اينك من در زير شما جسبيده شدم جنانجه آرابه برازاقد جسبيده ميشود .

ولما رأى كثير من المترجمين ان حقيقة مضمون هذا الكلام ومجازه بمكان من السخافة بداوه فى أكثر ما رأيناه من التراجم العربية إلى ما لفظه ، ها انا ذا أضغط ما تحتكم كما تضغط العجلة الملآنة حزماً ، ونحوها ما رأيناه من التراجم الفارسية .

وأيضاً قد زادوا على ترجمة العبرانية واليونانية ألفاظاً اعترفوا بأنها ليس لها وجود فى الاصل العبرانى واليونانى ، وزعموا أنهم زادوها فى الترجمة لأجل الإيضاح ، ورسموها بحرف صغير فى بعض النسخ العربية المبنية على التأنق فى طبعها مع أن الكلمات الكثيرة من ذلك بحيث يعسر إحصاؤها فى هذه المقدمة كثرة لتأبى أن تكون أيضاً حابل هى إتمام لمعنى ناقص أو زيادة على معنى تام فراجع الكلمات المذكورة فى اولى النسخ التى عددناها ، وراجع الأصل العبرانى واليونانى .

ولنكتف فى هذه المقدمة على هذا المقدار وإن كان قليلا من كثير ونحيل بالزيادة على ذلك إلى محالها إن شاءالله وسوف نورد فيما يأتى باباً واسعاً إن شاء الله فى هذا الشأن ، وندلك على سقوط المتكلف وغيره فى تشبثاتهم وتكلفاتهم ، فإن وضع المقدمات لا يحتمل أكثر مما ذكرنا هاهنا وإن كان فيه كفاية بتوفيق الله لذى الرشد .

﴿ المقدمة السابعة ﴾ لا يخفى على كل ذى رشد ومعرفة بطريق البحث

والمباحثة ، ان مباحثة أهل الدين والإعتراض على جامعتهم وأصل دينهم إنما يحسن ولا يعد خبطاً ومراوغة عن الحق إذا كان البرهان عليهم بالمقدمات المنتهية إلى بداهة العقل أو المسلمة عند عمومهم ، وإذا كان الجدل والإلزام لهم بما يعلم انه من الدين الذى عكفوا عليه والقدر الجامع بينهم لا بما كان رأياً أو رواية يختص به واحد أو آحاد من أهل ذلك الدين لا يفيد علماً ولا يذعن عموم أهل الدين بصحته ، أو انه من دينهم فإن تشبث خصمهم بمثل هذا فى الإحتجاج على جامعتهم كان ذلك منه حياداً عن الحق لضعف الحجة وضيق الخناق ، ولأجل هذا لم أعتمد فى هذا الكتاب فى البرهان إلا على ما هو حقه من المقدمات البديهية لدى العقل والعقلاء ، ولم اجادل عموم النصارى والزمهم فى جامعة دينهم والنصرانية التى عندهم إلا بما تسالموا على إلهاميته وصدوره عن الوحى وهى كتب العهدين التى ذكرنا انهم متفقون فى هذه القرون على نسبتها إلى الوحى والإلهام ، وشرحنا أسماءها فى المقدمة الاولى . ولم اباحثهم خبطاً بآراء آحاد مفسريهم وعلمائهم أو آحاد تقاليدهم التى لا توجب فى دينهم علماً أو يأبى صحتها أغلبهم .

ولكن هلم الخطب فى جملة من المباحثين لدين الإسلام وخصوص الثلاثة الذين وعدناك بالتعرض لكلامهم فى هذا الكتاب فانهم قد دارت مباحثهم للإسلام على قطبين فاسدين فى شرع البحث وأدب الكاتب .

(أحدهما) إعتمادهم فى البرهان لدعاويهم فى قبال الإسلام على كتب العهدين التى يدعون إلهاميتها وصدورها عن الوحى .

وقد عرفت فى المقدمة السادسة وتعرف إن شاء الله ما يبطل ذلك . وان تشبثهم بها فى قبال الإسلام والمسلمين مما لا يليق بالمباحث وإن لم يقصد ببحثه تحقيق الحق .

(وثانيهما) انهم تشبثوا فى مقام الجدل لدين الإسلام وإلزام عموم

المسلمين فى جامعة دينهم بآراء بعض مفسريهم وروايات آحادهم مما لا يقبله عمومهم ولا يذعنون بصحته ولا يعتمدون عليه فى جامعتهم الإسلامية ، أو ترى هؤلاء المباحثين لم يفطنوا أو لم يسمعوا بأنه عرض لروايات آحاد المسلمين مثلما قد عرض للأناجيل وتعاليم النصرانية بعد المسيح من الإختلاف والتشويش والإضطراب حتى تعددت الأناجيل واختلفت إختلافاً واضحاً وحتى تتابع النداء من أعمال الرسل والرسائل المدرجة فى العهد الجديد بأن بطرس ويهوذا ويوحنا وبولس يستغيثون ويحذرون الامة من التعاليم المتشعبة من المتنصرين ، كما ملأ سمعك فى أواخر المقدمة السادسة ، وستسمع له زيادة إن شاء الله على انه لم ينحصر الإختلاف فى أخبار آحاد المسلمين بتعمد الكذب من بعض الوسائط بل كان منه ما نشأ من عدم التثبت والتفهم فى السماع ، ومنه ما نشأ من خلل التوهم والنسيان ، ومنه ما كان لأجل إختفاء القرائن المتصلة والنقل بالمعنى ، ولأجل هذا ترى المسلمين لم يأخذوا بها جميعاً على سبيل التسليم ، ولم يطمسوا الحقائق بالاعراض عنها رأساً ، بل تصدوا من قديم الزمان إلى الوقت الحاضر وصنفوا الكتب الكثيرة لمحض البحث والتنقيب فى أحوال الرواة وجرحهم وتعديلهم وضبطهم وحفظهم وحسن سماعهم وأمانتهم وسلامة عقيدتهم واتصال السند وانقطاعه ، كل ذلك ليميزوا منها المتواتر باللفظ أو بالمعنى فيكون لهم حجة فى اصول الدين وفروعه ، والذى لا يبلغ التواتر بحثوا فيه عن سند الرواية وشهرتها وقبول أساطين العلم لها وعدم اضطرابها أو مخالفتها للعقل أو الكتاب أو السنة ليعتمدوا فى فروع الدين وأحكامه على ما اطمأنوا بصحته وصدوره على وجهه منها وما وجدوه مضطرباً أو مخالفاً للعقل أو الكتاب أو السنة ضربوا به الجدار فى مقام العمل ، نعم لأجل اختلاف آرائهم فى جهات الإطمئنان والوثوق على طبق القانون المذكور إختلفت فتاوى أئمتهم إذ قد يثق أحدهم

بما لا يثق به الآخر ، فقد جرى دأب كل منهم على ما ينبغى للباحث الطالب للحق بجده واجتهاده من عدم التقليد لغيره فى بيان الصحيح المطمئن الموثوق به ولو فرض أنه قررته عدة من المجامع بل كل منهم يبحث فى هذا الشأن بحسب القواعد الممهدة له ليتميز بنظره واجتهاده ما هو الصحيح الموثوق به ولاجل مراعاتهم للقوانين المذكورة ترى المقبول المعمول عليه من أخبار الآحاد أقل قليل ، وأيضاً قد جعلوا من اوجوه التى يعرف بها تخليط الراوى وفساد عقيدته ما يجدونه فى روايته من مخالفة العقل أو اوجدان أو الامور المعلومة أو الكتاب أو السنة .

وأما أقوال المفسرين فمنها ما هو رأى لهم أو مؤدى أخذهم من السير والتواريخ التى لا تفيد علماً ، وهذا لا حجه فيه على الجامعة الإسلامية ولا جدل أصلا كما بينا . ومنها ما كان رواية ، فالإحتجاج أو الجدل بها فى اصول الدين وفروعه إنما يحسن ولا يعد خبطاً ومراوغة إذ كان على القانون المتقدم ذكره فى الرواية .

﴿ المقدمة الثامنة ﴾ فى محل البحث من الرسالة والنبوة ، وفيها بابان وفيهما فصول :

الباب الاول

الفصل الاول

﴿ منه فى بيان حقيقة الرسول ﴾

النبي المرسل هو إنسان كامل يرسله الله إلى البشر ليكلمهم ويهديهم إلى الصواب ويرشدهم إلى ما يحتاجون اليه فى معرفة الله وطاعته والإحتراز عن معصيته ويحملهم على ما فيه حفظ كمالاتهم ومصالحهم الشخصية والنوعية فى الدين والدنيا ويزجرهم عما يضرهم فيهما .

الفصل الثانى

﴿ فى الغاية المطلوبة من إرساله ﴾

لا ينبغى أن يشك ذو رشد بأن ما ذكرناه هو الغاية المطلوبة من إرسال الله للنبي . وتقريره بالبيان الواضح هو أن إرسال الله للنبي فى دعوته رحمة من الله ولطف من ألطافه بمن يدعوهم النبي ليقربهم إلى طاعة الله ويبعدهم عن معصيته وينبههم من رقدة الغفلة وينقذهم من سورة الهوى والضلال ويحملهم على جادة الهدى ودين الحق وقوانين العدل وحسن التمدن والإجتماع وآداب السياسة لينالوا سعادة الدارين .

الفصل الثالث

﴿ فى عصمته ﴾

وأول ما يلزم فى تحصيل هذه الغاية الشريفة والغرض الحميد وحصول هذا اللطف والرحمة أمران :

(أحدهما) كون الرسول معصوماً فى التبليغ غير متهم فيه ، مع فرض رسالته .

(وثانيهما) كونه معصوماً عن الذنوب وارتكاب القبائح التى هى ضد لما يدعو اليه من شريعة الهدى والصلاح .

(أما الأمر الأول) فقد اتفق عليه أهل الملل القائلون بالنبوة والرسالة لوجه أوضحته لهم بداهة عقولهم ، وليس حقيقته إلا تحصيل الغرض من الرسالة وقبح نقضه بإرسال الكاذب والمخطىء فى التبليغ .

(وأما الأمر الثانى) فحقيقة وجهه وحجته عين الوجه الأول وحجته وان خالف فيه اليهود والنصارى فانه يقبح ويمتنع من الله القادر القدوس الغنى العليم الحكيم أن يجعل رحمته ولطفه فى طريق يمنع عن فائدتهما ويصد عن منفعتهما ، مع إمكان أن يجعلهما فى طريق لا يمنع عن حصول الغرض والفائدة ولا مفسدة فيه ، بل هو الناجح فى تحصيل الغرض ، ولبيان ذلك وجوه :

(الأول) ان إرسال النبى الذى يصدر منه الذنب والقبيح ، ومخالفة شريعة الحق ناقض للغرض المطلوب من إرساله ، ونقض الغرض قبيح ببداهة العقل ومنقصة فاضحة فهو ممتنع على الله ، فان اوجدان ليشهد بأن نفوس البشر المحتاجة إلى الإستصلاح والترويض والإرشاد والتقريب إلى الله وشريعة الحق لتنفر نفرة شديدة عن الإنقياد إلى من يدعوها إلى الله والشريعة ويعظها ويوبخها ويزجرها عن شهواتها إذا كان ممن يخالف الله والشريعة ويتمرد على أحكامها وينقاد إلى شهواته وهواه مع إدعائه المعرفة والرئاسة الدينية ، فلا تصغى إلى إرشاده ولا تعتنى به ، فانظر بوجدانك إلى المذنب العاصى إذا جاءك واعظاً ومرشداً مؤدباً زاجراً لك عن اتباع هواك ، فهل ينتج من إرشاده ووعظه وزجره الا ان يستهزء به ويقال له : كمل نفسك واصلحها وارشدها ثم التفت إلى تكميل غيرك وإرشاده ، وحينئذ ادع عليه الرئاسة وفضيلة الإرشاد وسيطرة الزجر والتوبيخ . بل نقول : ان صدور الذنب والقبيح من الرسول الذي هو الرأس والرئيس والقدوة فى الدين ، مؤيد ومحرك

لدواعى سائر البشر إلى الاقدام على الذنوب والتهاون بالشريعة لشهادة الوجدان بأن رئيس الدين إذا أذنب هان على الناس اتباعه فى الإقتحام فى الذنوب ، وتحركت شهواتهم وأهواؤهم اليها وقد لهج الناس بقولهم الموافق للحكمة والتجربة (إذا فسد العالم فسد العالم) ، وعلى ذلك يلزم من صدور الذنب والقبيح ومخالفة الشريعة من الرسول حصول الفساد من الجهة التى أراد الله برحمته ولطفه منها الصلاح ، وحقيقة هذا ومعناه أن يريد الله الصلاح لأجل رحمته ولطفه بعباده من الجهة التى هى أشد وادعى فى انتشار الفساد : وهل يرتاب عاقل فى قبح ذلك وامتناعه على الله جل شأنه .

وانظر إلى الملوك فهل تراهم يرسلون إلى إصلاح رعاياهم المتمردة على شريعة المملكة إلا من يطمئنون بعدم مخالفته لتلك الشريعة وقوانين الإصلاح مهما أمكنهم لئلا تفسد الرعية بفساده ، ولو وجدوا إلى المعصوم سبيلا لما عدلوا عنه ، وذلك لعين ما ذكرنا من قبح نقض الغرض ، فهل ترى الملوك انظر لصلاح رعاياهم من الله لعباده .

(الوجه الثانى) ان إرسال الله للرسول المعصوم ممكن وحاجة الخلق فى الإهتداء إلى الحق وظهور الصلاح والإنقياد إلى الرسول وعدم التنفر عنه داعية إلى ذلك وهو مصلحة بلا مفسدة بل المفسدة بخلافه فيجب بمقتضى الحكمة والرحمة واللطف فيمتنع إرسال غير المعصوم ، أفيقال ان وجود المعصوم غير ممكن ؟ أو أن الله لا يعلم به ؟ أو أن لا مصلحة فى إرسال المعصوم ؟ وان فى إرساله مفسدة ؟ أو أنه يجوز على الله القدوس الغنى العليم الحكيم الاخلال بالحكمة والعدول عبثاً عما فيه الصلاح وحصول الغرض إلى ضده حاشا وكلا ؟ .

(الوجه الثالث) دلالة الكتب المنسوبة بين الملتين إلى الوحى والإلهام بنحو يشير بمضمونه أو فحواه إلى ما ذكرنا من وجه دلالة العقل قال الله تعالى

فى سورة البقرة ١١٨ (وإذ إبتلى ابراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال إنى جاعلك للناس اماماً قال ومن ذريتى قال لا ينال عهدى الظالمين) وفاعل القبيح ظالم إذ لا أقل من كونه ظالماً لنفسه بإلقائها فى تهلكة العقاب ورذيلة فعل القبيح ، قال الله تعالى فى سورة فاطر ٢٩ : (فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق فى الخيرات) .

وفى سابع عشر التكوين (١) ظهر الله لابرام وقال له : أنا القدير سر أمامى وكن كاملا فاجعل عهدى بينى وبينك فان جعل الله للعهد بينه وبين ابراهيم متوقف على سير ابراهيم أمام الله ، وكونه كاملا ، وفى المزمور الخامس والعشرين (١٤) سر الرب لخائفيه .

وفى الثالث من الأمثال (٣٢) لأن الملتوى رجس عند الرب ، أما سره فعند المستقيمين . وفى الحادى عشر (٢٠) كراهة الرب ملتووا القلب ورضاه مستقيموا الطريق . وفى الخامس عشر أيضاً (٢٩) الرب بعيد عن الأشرار . وفى ثالث رسالة بطرس الاولى (٢٢) لأن عينى الرب على الأبرار واذنيه إلى طلبتهم ، ولكن وجه الرب ضد فاعلى الشر . وفى خامس متى عن قول المسيح لتلاميذه (١٣) أنتم ملح الأرض ولكن إن فسد الملح فبماذا يملح لا يصلح بعد لشىء الا لأن يطرح خارجاً ويداس من الناس . وفى رابع عشر لوقا (٣٤) ما يؤدى هذا المضمون ، وفى سادس متى (٢٤) لا يقدر أحد أن يخدم سيدين لأنه اما أن يبغض الواحد ويحب الآخر أو يلازم الواحد ويحتقر الآخر لا تقدرون أن تخدموا الله والمال ومثله فى سادس عشر لوقا (١٣) . وعلى هذا كيف إذاً يقدر على خدمة الله ومعاناة المشاق فى إرشاد خلقه وإصلاحهم من لا رادع له عن خدمة الهوى والشهوات التى هى فى الحقيقة خدمة الشيطان . وفى سادس عشر لوقا (١٠) الأمين فى القليل أمين أيضاً فى الكثير ، والظالم فى القليل ظالم أيضاً فى الكثير .

وقد تكرر نقل هذا المضمون عن المسيح بلطيف البيان والتقريب فى الخامس والعشرين من متى (١٤ - ٣٠) . وتاسع عشر لوقا (١٢ - ٢٧) وفى ثامن يوحنا فى شأن ابليس (٤٤) لأنه كذاب وأبو الكذاب . وفى ثامن عشر متى (١ - ٥) وثانى مرقس (٢٣ - ٢٦) وسادس لوقا (١ - ٤) ان المسيح لما إعترض عليه اليهود بأكل تلاميذه فى يوم السبت من الزرع وأنه لا يجوز فعل مثله فى السبت ، إحتج عليهم بأكل داود من خبز التقدمة الذى لا يحل إلا للكهنة فلو لم يكن النبى معصوماً ، وان داود برىء مما رمى به فى شأن إمرأة اوريا لما صح من المسيح الإحتجاج بفعله ولكان يحاذر أن يجيبه اليهود بأن داود أذنب وفعل الخطيئة فى أكله من خبز التقدمة كما اخطأ فى شأن امرأة اوريا وفعل ذلك القبيح الشنيع .

الفصل الرابع

﴿ فى ذكر الاعتراضات على هذا المقام وأجوبتها فى تحقيق الحق ﴾
﴿ وكشف الالتباس ﴾

فان قيل ان كتب الملليين المنسوبة إلى الوحى والالهام لصريحة فى صدور المعصية والذنوب والقبائح من الأنبياء المرسلين .

قلنا : وهل بعد دلالة العقل وما ذكرناه عن الكتب المنسوبة إلى الالهام والوحى تجد مجالا للريب ، فانا إن لم نتمسك بهدى العقل فبماذا نعرف ان الكتاب كتاب وحى جاء به النبى المرسل من عند الله ، ولماذا نتغافل عما ذكرنا عن الكتب من وضوح الدلالة على عصمة النبى مما يؤكد ببيانه الجلى حكم العقل البديهى .

فإن قيل فماذا نصنع بما أشرنا اليه مما يدل صريحاً على صدور المعصية والذنب من الأنبياء المرسلين .

(قلنا) أما ما أمكن حمله على المعصية المجازية التى هى عبارة عن ارتكاب خلاف الاولى ومخالفة الأمر الاستحبابى والارشادى ، أو النهى التنزيهى أو الارشادى فيجب حمله على ذلك لأجل قرينة العقل والنقل وحكمهما بالعصمة كما يحمل ما جاء فى الكتب المذكورة من نسبة الوجه والعين والاذن والانف واليد والرجل والقدم وباطن القدمين والضحك والركوب والطيران لله جل شأنه على معان مجازية مناسبة لأجل حكم العقل بتنزهه تعالى شأنه عن الجسم ، وأما ما لا يمكن حمله على ما ذكرنا فإن العقل الذى هو دليلنا على معرفة الله والنبى والوحى يدلنا على أن ذلك أجنبى عن الوحى والالهام وإنما هو من فلتات الأقلام .

فإن قيل : ان أهل الكتاب يدعون أنه لا ريب فى إلهامية كتبهم المصرحة بصدور الذنوب والمعاصى العظيمة من الأنبياء فهم لأجل ذلك يتأولون ما دل على لزوم عصمة النبى من كتب الالهام ويمنعون ما اعتمدتم عليه فى العصمة من دلالة العقل .

قلنا أولا قد طرق سمعك وسيتواتر عليك إن شاء الله من بيان هذا المختصر ما يمنحك اليقين بأن الكثير من كتبهم أجنبى عن الوحى والالهام فلا يوثق بشىء منها فى كونه إلهامياً ، فضلا عن مصادمته للعقل والنقل فى هذا المقام .

(وثانياً) ان ما اعتمدنا عليه من دلالة العقل قد بلغ من البداهة إلى حد تلجئهم فيه الفطرة إلى الإعتماد عليه فينطلق به لسانهم أحيانا من قيود العصبية ، فان المتكلف وهو أقل من عرفناه انصافاً وأشد عصبية قد قال : يه ٣ ج ص ٧٢ ان الأنبياء هم اناس أرسلهم المولى سبحانه وتعالى إلى شعبه لارشادهم إلى الحق اليقين وهدايتهم إلى الصراط المستقيم فكانوا حصناً منيعاً من الحاد الملوك والامراء وواقياً لشر الفجار ، وكانوا قدوة حسنة للصغير

والكبير والخطير والحقير .

وهذا اعتراف منه بمقتضى الجاء الفطرة بالغاية المطلوبة من إرسال الأنبياء .

وقال أيضاً ص ٧٣ ويلزم أن يكون النبي تقياً خائف الله سليم الفطرة والفكرة ليستأمنه المولى على أقواله وليوحى اليه إرادته ومشيئته ويأمره بأن يبلغها للورى فيسمع طائعاً .

وهذا اعتراف منه بلزوم عصمة الأنبياء خصوصاً عن مثل ما نسبته اليهم كتب العهدين من فواضح القبائح كما سيمجه سمعك إن شاء الله فى الفصول الآتية فى الباب الثانى من هذه المقدمة .

وأيضاً قد تكرر من المتكلف فى أجزاء كتابه تبعاً لأمثاله سىء الطعن بقدس رسول الله خاتم المرسلين صلوات الله عليه بنسبة المعصية والذنب له لأجل أن يتشبثوا بوهم ذلك لنفى رسالته صلوات الله عليه ، وعدم صلاحيته لها ، مع أن ما نسبوه له لو تساهل معهم الامتناع فى فرضه لم يبلغ مبلغ ما نسبته كتبهم لموسى وهارون وداود وسليمان وارميا والمسيح قدست أسرارهم.

دع اعتراف المتكلف وأمثاله فإنى قد أوضحت الحجة على العصمة بفضل الله لأهل هذه الأدوار السعيدة الذين حرروا أذهانهم من عبودية العصبية والتقليد ، وجعلوا قول الحق ضالتهم التى يطلبونها هداهم الله إلى الحق وأخذ بأيديهم فى مزال الأقدام .

وقد قال الله تعالى شأنه فى سورة العنكبوت ٦٩ (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) .

وثالثاً ان أهل الكتاب قد اتفقوا على الاعتراف والتسليم بلزوم عصمة الأنبياء فى التبليغ ، وحجتهم فى ذلك ليست إلا نحو ما ذكرنا من دليل العقل فى رعاية الغاية المطلوبة من الرسالة وماذا تراهم يصنعون فى ما ورد فى كتبهم التى ينسبونها إلى الوحى والالهام من نسبة بعض الأنبياء إلى الكذب فى تبليغ

أوحى على وجه الصراحة التى لا يحوم حولها مقبول التأويل ، أتراهم يعدلون عن دليل العقل ويقولون بكذب النبي فى التبليغ تعبداً بما فى كتبهم أم يعترفون بأن ما ينادى بصراحته بكذب الأنبياء فى التبليغ ليس من الوحى والالهام بل هو مدسوس فيه ، ولئن غفلوا عن ذلك أو تغافلوا أو حاولوا الاغفال فان رقيب الحق لا بد أن يحصيه عليهم .

فقد ذكر فى الثالث عشر من الملوك الاول (١١ - ٣٠) ان الشيخ النبي الساكن فى بيت ايل الموصوف (٢٠ - ٢٢) بأنه كان اليه كلام الرب للتبليغ قد كذب على شمعيا رجل الله بدعوى الوحى وتكليم ملاك الرب له حتى حمله بكذبه على الله وعليه ، وخداعه بدعوى الوحى على مخالفة أمر الله وأوقعه فى هلكة النكال .

ومن الظرائف ان مترجم الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨١١ م حاول أن يجعل هذا النبي الساكن فى بيت ايل من الكاذبين فى أصل دعوى النبوة وانه لاحظ له فى الوحى والنبوة الحقيقية لأجل أن يتخلص من الإعتراض عليهم بكذب النبي الحقيقى فى التبليغ فحرف الفقرة العشرين من ثالث عشر الملوك الاول المذكورة وترجمها هكذا .

وبينما هما جالسان على المائدة يأكلان حتى وردت نبوة من عند الله إلى نبي الله الذى رده النبي الكاذب .

مع ان مقتضى الأصل العبرانى والكثير من التراجم العربية وغيرها هو أن كلام الله الوارد فى توبيخ رجل الله الذى جاء من يهوذا قد صار إلى الشيخ النبي الساكن فى بيت ايل الذى كذب على رجل الله . ونص الأصل العبرانى هكذا :

ويهيهم . يشبيم . ال هشلحن . ويهى . دبر . يهوه . ال . هنبيء
وكانا جالسين إلى المائدة وكان كلام الله الى النبي اشير . اشيبو

ويقرأ . ال ايش . هألوهيم . اشير باء ميهوده . لامر الذى رده ودعا رجل إلاهنا الذى جاء من يهوذا قائلا كه . امر . يهوه يعن كى مريت فى يهوه

هكذا قال الله أداة تعليل أداة تعليل أيضاً عصيت فم أى قول وما فى معناه الله

إلى آخر التوبيخ لرجل الله وهو ينادى بأن هذا اوحى والنبوة قد كان إلى النبى الساكن فى بيت ايل فزاد هـــذا المترجم على الأصل العبرانى لفظ يأكلان ، ولفظ النبى الكاذب وبدل المعنى إلى ما شاء .

هذا وان اليشع الرسول الذى ذكرت له المعجزات الباهرات فى ثانى الملوك الثانى وما بعده إلى التاسع والثالث عشر قد ذكر عنه فى الثامن من الملوك الثانى (٧ - ١١) ان بنهدد ملك آرام إذ كان مريضاً أرسل حزائيل ومعه حمل أربعين جملا من كل خيرات دمشق هدية إلى اليشع النبى ليسأله حزائيل عن لسان بنهدد فيخبره اليشع بواسطة اوحى هل يشفى من مرضه (١٠) فقال له اليشع : وقل له شفاء تشفى وقد أرانى الرب انه موتاً يموت .

وقال اشعيا فى شأن بعض الأنبياء : انهم ضلوا بالخمر وابتلعتهم وتاهوا من المسكر حتى ضلوا بالرؤيا وقلقوا فى القضاء (اش ٢٨ : ٧) .

ومن الواضح ان ضلال النبى فى الرؤيا التى هى نبوته مستلزم للكذب فى التبليغ بل نقول : ان ضلال النبى فى النبوة اولى بعدم الجواز من الكذب فى التبليغ ، وان قلقه فى القضاء الذى هو عبارة عن تبليغ حكم الله للمتخاصمين إنما هو الكذب والخطأ فى التبليغ .

وان حزقيال الرسول قد ذكر عنه فى السادس والعشرين من حزقيال (٧ - ١٣) انه ذكر عن قول السيد الرب انه يجلب على صور نبوخذ راصر ملك بابل فيهدم أبراجها ويقتل شعبها بالسيف ، وينهبون ثروتها ويغنمون

تجارتها ويهدون أسوارها ويهدمون بيوتها البهيجة ويضعون حجارتها وخشبها وترابها فى وسط المياه .

وقد ذكر بعد هذا فى التاسع والعشرين (١٧ - ٢١) عن كلام الرب ما يدل على انه لم يقع مقتضى الوعد السابق وأن نبوخذ راصر ملك بابل استخدم جيشه خدمة شديدة على صور ، ولم تكن له ولا لجيشه اجرة من صور لاجل خدمته التى خدم بها عليها ، لذلك هكذا قال السيد الرب ها أنا أبذل له أرض مصر فيأخذ ثروتها وينهب غنيمتها فتكون اجرة لجيشه بل أعطيته أرض مصر لأجل شغله الذى خدم .

(فإن قلت) ان المتكلف قد ذكر يه ٢ ج ص (١٤٤ - ١٤٧) عن التواريخ ما يقتضى صدق النبوة الاولى والثانية .

قلت : قد رأينا اعتماده فى ذلك على نقل الكتابيين مثل يوشيفوس وبريدو . وجيروم . ان نبوخذ راصر استولى على صور كما فى النبوة الاولى ولكن لو سامحناه فى صحة هذا النقل وما تكلفه فى هذا المقام لكان فيما ذكره شهادة صريحة كافية فى كذب هذه النبوة المتضمنة لكون نبوخذ راصر وجيشه ينهبون ثروة صور ويغنمون تجارتها (حز ٢٦ : ١٢) فانه اعترف لاصلاح النبوة الثانية (حز ٢٩ : ١٨) بأن نبوخذ راصر لم يجن من صور فوائد تذكر وان ثروتها نزفت من طول الحصار .

ونقل عن جيروم ما حاصله ان أهل صور لما رأوا طول الحصار نقلوا كل ما كان ثميناً من ذهب وفضة وثياب وكل ما عند أشرافهم من الأمتعة الثمينة الى المراكب وذهبوا به الى الجزائر ، فلما فتحها نبوخذ راصر لم يجد فيها شيئاً يقوم مقام أتعابه ، إنتهى انظر الى (يه ٢ ج ص ١٤٥ س ١٦ - ص ١٤٦ س ٢) .

فأين صار مع ذلك دعوى النبوة وتبليغ الرسول بأن نبوخذ راصر

وجيشه ينهبون ثروة صور ويغنمون تجارتها ، وأين تكون التجارة المغتنمة مع حصار ثلاثة عشر سنة ، ونزوف الثروة ونقل الذهب والفضة والامتعة الثمينة إلى الجزائر .

وحاصل ما عند المتكلف فى هذا المقام هو أن الرسول لم يكذب فى تبليغه بكل ما قال فى شأن صور ، وإنما ظهر الكذب فى أمرين لم يقعا وهما نهب ثروتها وغنيمة تجارتها والكذب بهذين الأمرين سهل وإن كانا هما العمدة فى هذا المقام ، فإن باقى النبوات ها هنا قد تمت بفضل الله على مايقول يوسيفوس وأمثاله .

وان المسيح قد ذكر عنه فى ثانى عشر متى (٣٨) حينئذ أجاب قوم من الكتبة والفريسيين قائلين : يا معلم نريد أن نرى منك آية (٣٩) فأجاب وقال لهم : جيل شرير وفاسق يطلب آية ولا تعطى له آية إلا آية يونان النبى (٤٠) لأنه كما كان يونان فى بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال هكذا يكون ابن الانسان فى قلب الارض ثلاثة أيام وثلاث ليال انتهى .

وان الاناجيل الاربعة لتكذب هذا الكلام فى أمرين :

(الأول) ما عن قول المسيح جيل شرير وفاسق يطلب آية ولا تعطى له إلا آية يونان النبى فانه يكذبه ما ذكره متى بعد ذلك من وقوع الآيات والمعجزات من المسيح (مت ١٤ : ٤ - ٣٦ و ١٥ : ٢٨ - ٣٢ و ١٧ : ١ - ٦ و ١٤ - ١٩ و ٢٠ : ٢٩ - ٣٤ و ٢١ : ١٩ و ٢٧ : ٤٥ و ٥١ - ٥٥) ونقل لوقا هذا الكلام عن المسيح أيضاً (لو ١١ : ٢٩) وانه ليكذبه بما ذكره بعد ذلك من وقوع الآيات والمعجزات (لو ١٣ : ١١ - ١٤ و ١٤ : ٢ - ٥ و ١٧ : ١١ - ١٥ و ١٨ : ٣٥ - ٤٣ و ٢٢ : ٥٠ و ٥١) .

وأيضاً فى ثامن مرقس ١١ فخرج اليه الفريسيون وابتدأوا يحاورونه طالبين منه آية من السماء لكى يجربوه ١٢ فتنهد بروحه وقال : لماذا يطلب

هذا الجيل آية الحق ؟ أقول لكم لن يعطى هذا الجيل آية ، وانه ليكذبه بما ذكره بعد ذلك من الآيات والمعجزات (مر ٨ : ١٣ - ٢٠ و ٢٢ - ٢٦ و ٩ : ٢ - ٥ و ١٤ - ٢٨ و ١٠ : ٤٦ - ٥٢ و ١١ : ١٣ و ١٤) .

ويكذبه أيضاً ما ذكره يوحنا من احيائه لعازر من الموت (يو ١١) ، وقد كان ذلك فى أواخر أمر المسيح قريب الفصح الذى هجم به اليهود عليه (انظر يو ١٢ و ١٣) .

ويكذبه أيضاً ما ذكر فى أعمال الرسل أيضاً من ظهور المعجزات والآيات من الرسل لليهود (انظر أقلا إلى أوائل الثانى والثالث من الأعمال وخصوص الثالثة والأربعين من الثانى) .

وعلى كل حال لا ينفك القائلون بكون الأناجيل والأعمال كتب وحى وإلهام عن لزوم كذب الرسول على الوحى لأنه كان الكلام المنسوب للمسيح صادقاً لزم كذب الرسل متى . ومرقس . ولوقا . ويوحنا . على الوحى فيما ذكروا وقوعه بعد ذلك من الآيات وان صدقوا فى ذلك فالعكس .

(الأمر الثانى) قوله هكذا يكون ابن الإنسان فى قلب الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال فانه يكذبه ما فى آخريات الأناجيل الأربعة من أن المسيح انزل عن الصليب مساء يوم الجمعة عند استعداد اليهود للسبت ووضع فى القبر والسبت يلوح وقام من القبر حياً فى صبح الأحد فلم يكن بقاؤه على هذا فى قلب الأرض إلا ليلتين ويوماً تاماً وجزئين قليلين من يومين (انظر مت ٢٧ : ٥٧ - ٦٣ و ٢٨ : ١ و مر ١٥ : ٤٢ و ١٦ : ١ و ٢ و لو ٢٣ : ٥٣ و ٥٤ و ٢٤ : ١ و يو ١٩ : ٣١ و ٤٢ و ٢٠ : ١) فاختر أى الأمرين يكون كذباً فى التبليغ أو نقول : ان الكذب من متى الرسول بقوله ثلاث ليال أو يقال انه زيادة وتحريف فى انجيله وليست من وحيه .

قلنا كيف وانجيله متواتر النقل بزعم النصارى ولم يوضع على هاتين

الكلمتين حتى الآن علامة اختلاف النسخ ، ومن الظرائف ان المتكلف قد أطال الكلام وجهد فى التكلف (يه ٢ ج ص ٢١٥ - ٢١٨) فلم يقدر أن يتكلف إلا بدعوى توجيه إسم الثلاثة أيام على اليوم التام هو يوم السبت ، والجزئين القليلين من اليومين المحيطين به وهما آخر يوم الجمعة وأول يوم الأحد ولكنه لم يستطع ولن يستطيع هو ولا غيره ان يتشبث بحيلة لتدبير أمر الثلاث ليال وان صرف الكلام عنها إلى الثلاثة أيام مع أن الجزء الأخير من يوم الجمعة والجزء الأول من يوم الأحد لا يصلح كل منهما لقلته المقاربة للعدم أن يعبر عنه باليوم حتى يقال ثلاثة أيام (انظر لو ٢٤ : ١ و يو ٢٠ : ١) .

وعن بولس الرسول العظيم عند النصارى فى خامس عشر كورنتوش الاولى بعد ذكر قيامة الأموات وبيان كيفيتها والبرهان على امكان وقوعها ما لفظه (٥١) ذو ذا سرا قوله لكم لا نرقد كلنا ولكن كلنا نتغير ، وعن النسخة اليونانية كلنا لا نرقد (٥٢) فى لحظة فى طرفة عين عند البوق الأخير فانه سيبوق ويقام الأموات عديمى فساد ونحن نتغير .

وعنه فى رابع تسالونيكى الاولى (١٥) فانا نقول لكم هذا بكلمة الرب اننا نحن الأحياء الباقين الى مجىء الرب لا نسبق الراقدين (١٦) لأن الرب نفسه بهتاف بصوت رئيس ملائكة وبوق الله سوف ينزل من السماء والاموات فى المسيح سيقومون أولا (١٧) ثم نحن الأحياء الباقين سنخطف جميعاً معهم فى السحب لملاقاة الرب فى الهواء ، وهكذا نكون كل حين مع الرب .

وليت شعرى أين هذا الوعد السرى لأهل كورنتوش ، وأين ما قيل بكلمة الرب لأهل تسالونيكى أو ليس قد رقدوا جميعاً هم وبولس رقدة طحنهم فيها البلاء وتداولت عليها القرون .

وقد أطال المتكلف (يه ٢ ج ص ٢٢٦ - ٢٣٠) فى محاولة التخلص من هذه الورطة وكثر بالشواهد التى لا دخل لها بخياله ، وخلاصة ما يتشبث به

هو أن قول بولس . نحن . ونرقد . وكلنا . ونتغير . واننا . ونحوها مما هو للمتكلم لا يراد منه إلا الاحياء الموجودين عند القيامة ولو بعد آلاف من السنين لا يكون فيهم بولس المتكلم والحاضرون من أهل كورنتوش وتسالونيكى فنقول له : أيجوز أن يكون كلام الوحى وبيان الرسل وكشفهم للناس عن أسرار الملكوت والمعارف النظرية جارياً على غير مجرى كلام العقلاء فى محاوراتهم وعلى وجه يعد فيه غلطاً فى بيان المراد ، فمن هم الذين عناهم بقوله لا نرقد كلنا أو كلنا لا نرقد ولكن كلنا نتغير .

وكذا قوله : ونحن نتغير ، أترى يصح فى الكلام أن يكون المتكلم خارجا عن الحكم فى هذه الأخبار ، ويصح للمتكلم أن يقول : نحن الأحياء الباقين إلى مجىء الرب وهو والحاضرون ليس منهم .

وأما الإستشهاد المتكلف (به ٢ ج ص ٢٢٧ س ١٠) بقوله عليه الصلاة والسلام : نحن معاشر الأنبياء لا نورث ، وقولهم نحن العرب نكرم الضيف فإنما هو خلط وتشبث واه .

أفلا ترى انه لا يصح فى الكلام لمن لا يصف نفسه بالنبوة ان يقول نحن معاشر الأنبياء ، وكذا لا يصح للعجمى أن يقول : نحن معاشر العرب ، ولنفرض المثال على نهج الممثل له فنفرض الحكم بعدم التوريث من الآثار الخاصة بالمتصف بالنبوة عند موته وفى أوان ثبوت الحكم ، ولا يثبت لمن كان فى أوان الحكم منسلخاً عن وصف النبوة ، كما ان عدم سبق الراقدين والإختطاف فى السحب من الآثار الخاصة بمن كان حياً حين القيامة ولا يثبت لمن كان فى أوان القيامة منسلخاً عن ذلك .

وعلى هذا فهل يصح أن يقول : نحن معاشر الأنبياء لا نورث إلا من يريد إدخال نفسه فى موضوع الحكم وهم الأنبياء المتصفين بالنبوة فى أوان الموت وتعلق الحكم دون من يفرض انسلاخه عن وصف النبوة فى

أوان تعلق الحكم وقبله بمدة .

وأما قولهم نحن معاشر العرب نكرم الضيف ، فمن المعلوم انها قضية نوعية غالبية لشهادة الوجدان بأن منهم من لا يكرم الضيف فلا تقاس عليها كلمات بولس التى هى قضايا كلية لإستيعاب الأفراد .

ومع ذلك لا يصح ، بل يقبح ويستهجن من العربى البخيل الذى لا يكرم الضيف .

قوله نحن معاشر العرب نكرم الضيف ولقد ألجأنا إلى هذا التعمق بيان الخلط فى الأمثلة وإعطاء بعض القارئين حقهم من اكتشاف الحقائق بالتحقيق ، وحيث اتضح لك الخلف فى هذه المواعيد المنقولة عن حزقيال والمسيح وبولس كان ذلك من الكذب فى التبليغ عن الله بحكم التوراة ، ففى الثامن عشر من التثنية (٢٠) .

وأما النبى الذى يطغى فيتكلم باسمى كلاماً لم أوصه أن يتكلم به ، أو الذى يتكلم باسم آلهة اخرى فيموت ذلك النبى (أى يقتل) (٢١) .

وان قلت فى قلبك كيف نعرف الكلام الذى لم يتكلم به الرب (٢٢) فما تكلم به النبى باسم الرب ولم يحدث ولم يصر فهو الكلام الذى لم يتكلم به الرب بل بطغيان تكلم به النبى انتهى .

ولو خلع الناس العذار بالتأويل بمثل ما تكلفه المتكلف فى مثل هذه المقامات لما عرف كذب خبر من الأخبار ولبطلت علامة التوراة على كذب مدعى النبوة على الله فى التبليغ وكانت لغواً فانه يمكن للسان المتغلب على الجنان والوجدان أن يتلاعب فى كل كلام بمثل هذه التأويلات .

وإذا وعيت ما ذكرنا فماذا ترى أهل الكتاب يقولون أفتراهم يرجعون عما سلموه من دليل العقل على عصمة النبى فى التبليغ ويقولون : ان النبى الساكن فى بيت ايل . واليشع . وحزقيال . والمسيح . وبولس ومتى

ومرقس . ولوقا . ويوحنا ، رسل حـــق ، ولا يضر فى ذلك وقوع الكذب منهم فى التبليغ ، أم يقولون : ان هذا الذى نسب فى العهدين إلى هؤلاء مما يلزم منه الكذب فى التبليغ عن الله مكذوب عليهم مدسوس فى الكتب الإلهامية .

الباب الثاني

﴿ من المقدمة الثامنة ﴾

فى تحقيق الحال فى نسبة المعاصى والذنوب إلى الأنبياء فى الكتب المنسوبة الى الالهام وما ينبغى أن يقال فى ذلك ، وفى هذا الباب أيضاً فصول :

الفصل الاول

﴿ فى ذكر آدم وما يقال فى شأنه ﴾

أما نبوته ففى القرآن الكريم بقوله تعالى فى سورة آل عمران (٣١) (إن الله إصطفى آدم ونوحاً وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين) .

وأما ما جاء فى شأنه فقد قال الله تعالى له كما فى سورة البقرة (٣٣) (يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغداً حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين) (٣٤) فأزلهما الشيطان عنها .

وفى سورة طه ١١٩ (وعصى آدم ربه فغوى) .

فنقول : ان النهى قد يكون مولوياً تحريمياً يستحق مخالفه الذم والعقاب على مخالفة مولاه التى هى المعصية القبيحة ، وقد يكون مولوياً على وجه الكراهة والتنزيه مرخصاً فى مخالفته التى تسمى أيضاً معصية اما مجازاً واما لأن اسم المعصية أعم منها ومن مخالفة النهى التحريمى القبيحة .

وقد يكون إرشادياً كنواهى الطبيب للمريض التى لا يترتب على مخالفتها إلا اوقوع فى المشقة التى ارشد إلى التجنب عنها بالنهى ، ولا يترتب على

هذا النهى من حيث مخالفة المولى ذم . ولا عقاب . ولا لوم . ولا قبح وإنما اللوم على إلقاء النفس فى المشقة التى ارشد بالنهى الى إجتنابها ، وتسمى هذه المخالفة أيضاً معصية اما مجازاً واما لأن اسم المعصية أعم منها ومن القسمين الأولين من المخالفة .

وحينئذ فدلالة العقل والنقل على عصمة النبى تكون قرينة على أن المراد من معصية آدم هى مخالفة النهى التنزيهى الكراهى أو النهى الإرشادى ومما يرشد إلى كون النهى لآدم إرشادياً قوله تعالى فى سورة طه ١١٥ : (يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى) ١١٦ (إن لك أن لا تجوع فيها ولا تعرى) ١١٧ (وانك لا تظمأ فيها ولا تضحى) .

فان التحذير والتخويف لآدم من عداوة إبليس بإخراجه من راحة الجنة ونعيمها الى التعب والجوع والظمأ ومقاساة شقاء العيش ليرشد ويقرب الى الذهن ان هذه هى العاقبة المحذورة من عداوة ابليس لآدم لإيقاعه فى قبح مخالفة نهى الله التحريمى ووبال ذنب المعصية وغضب الله .

ولو كانت هذه الأمور الأخيرة هى العاقبة المحذورة لكان ذكرها أنسب بالتحذير وأدخل فى الزجر عن المنهى عنه ، وأتم فى الحجة والبيان .

وقد يشهد له قوله تعالى فى سورة البقرة ٣٤ : (فأزلهما الشيطان فأخرجهما مما كانا فيه) حيث لم يقل جل شأنه : فأزلهما الشيطان فأوقعهما فى قبح المخالفة والذنب واستحقاق عقاب الله وغضبه .

ولو كان ذلك لازماً لكان أولى بالذكر .

ومن هذا النحو من التحذير المذكور فى القرآن ينكشف ان وصف آدم بالظلم والغواية فى أكله من الشجرة إنما هو لإغتراره بقول ابليس وظلمه لنفسه بسبب إخراجها من نعيم الجنة الى شقاء التعيش وعنائه ، لا بسبب ايقاعها فى عقاب التحريم وغضب المخالفة لله ، فليس من الظلم القبيح الذى

يمنع من نيل عهد الله كما تقدم فى دلالة القرآن على العصمة .

وأما قوله تعالى حكاية عن آدم وحوا فى سورة الاعراف ٢٢ : (ربنا إننا ظلمنا أنفسنا فإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين) ، فقد بينا وجه ظلمه لنفسه ، وانه ليس من نحو ظلم النفس بإيقاعها فى قبح الذنب ونكال العقاب .

وأما طلب المغفرة وحصول الخسران بعدمها فلا ينافى ما قدمنا ولا يلزم منه الوقوع فى الحرام ، لأن العبد العارف خصوصاً إذا كان من الأنبياء ليود أن تكون كل أفعاله وتروكه موافقة لأمر الله ونهيه سواء كانا على جهة الحتم أو الرجحان أو الإرشاد ، فإن اتفق وقوعه فى متابعة الميل الإنسانى بغير المعصية القبيحة وجد فى نفسه انه قد خسر الفوز فى المرتبة المرغوبة له وحاد عن جادة الصديقين وزل عن مقام المقربين فيفزع الى الله مولاه فى طلب المغفرة والرحمة والتوبة ليعود ببركتها الى مقامه الرفيع .

كما نفزع نحن معاشر عبيد العصا الى التوبة عند ارتكاب الذنب العظيم لأجل التخلص من العقاب ونكال الغضب ، وعلى مثل ما ذكرنا جاء قوله فى سورة البقرة (فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم) .

وأما قوله تعالى فى سورة الاعراف ١٨٩ (هو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها فلما تغشيها حملت حملا خفيفاً فمرت به فلما أثقلت دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحاً لنكونن من الشاكرين) ١٩٠ (فلما آتيهما صالحاً جعلا له شركاء فيما آتيهما فتعالى الله عما يشركون) ، فان نسبة الشرك فيه لآدم مبنية على ما يذكره بعض المفسرين من قصة تسمية آدم وحوا لولدها بعبد الحارث (أى ابليس) إجابة لإقتراحه ذلك عليهما .

وان سوق الآيات ليأبى ذلك فانها لو كانت واردة على هذة القصة لكان الذى ينبغى أن يقال فيها فلما أتاهما صالحاً جعلا له شريكاً فيه فتعالى الله عما

يشركان ، لأنه لم يكن الشريك بحسب القصة إلا واحداً وهو الحارث (ابليس) ، ولم يكن المشرك بحسبها إلا اثنين وهما آدم وحوا . وبحسبها أيضاً لا يعرف اوجه الصحيح فى العدول عن قوله تعالى ، فيه الى قوله تعالى ، فيما أتاهما .

مع انه قد جاء عن الرضا وهو الإمام الثامن من أهل البيت الذين هم أحد الثقلين اللذين لا يفترقان ، ولا يضل من تمسك بهما فى تفسير الآية ما معناه ان المراد بالصالح هو نوع الذرية التامة الخلقة على أحسن التقويم لا خصوص ولد واحد فلما أتاهما صالحاً من الذرية المشتملة على صنفين ذكرانا واناثاً جعل ذلك الصنفان من الذكران والاناث لله شركاء من الأصنام وسائر المخلوقات التى جعلوها بضلالهم آلهة مع الله فيما آتاهما من النعم والأموال والاولاد وغيرهما فقال جل شأنه بحسب كثرة المعنى المراد من الصالح والضمير المثنى اللذين هما عبارة عن صنفى الذكور والاناث (فتعالى الله عما يشركون) وليس فى هذا الوجه من التفسير ما هو خلاف الظاهر البدوى إلا رجوع الضمير المثنى فى « جعلا وآتاهما » التى بعدها على اسم الجنس الذى هو «صالحاً» باعتبار اشتماله على صنفين ، وإلا كون السياق يوهم ابتداء كون المرجع لضميرى « جعلا وآتاهما » هو النفس الواحدة مع زوجها .

وهذه المخالفة للظاهر البدوى هينة بالنسبة لتلك المحاذير التى نجدها على اوجه الأول من تنزيل الآيتين على ما يدعى من القصة كما ذكرناه فتكون تلك المحاذير قرينة واضحة على أن الظاهر هو ماذكرنا معناه عن الإمام الرضا عليه السلام ويشهد لذلك أيضاً تعقيبه بقوله تعالى : (أيشركون ما لا يخلق شيئاً وهم يخلقون) حيث أوضح أن الشركاء فى الآية هم جماعة من المخلوقين لا خصوص ابليس كما يدعى فى الآية ، بل يوضحه الإلتفات بالتوبيخ الى المقصود بالضمير فى « جعلا وآتاهما » بقوله تعالى ١٩٣ : (ان الذين تدعون من دون الله عباد

أمثالكم) ، ويكشف عن قوله فى سورة الانعام ٩٨ (وهو الذى أنشأكم من نفس واحدة) ، الى قوله تعالى ١٠٠ (وجعلوا لله شركاء الجن) ، الى قوله تعالى ١٠٢ : (ذلكم الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شىء) ، فإن التدبر فى هذا كله يرشد بأوضح ارشاد الى أن الموصوف بالشرك والمعنف عليه انما هم المخلوقون من النفس الواحدة وان اختلف التعبير عنهم بالخطاب والغيبة والتثنية باعتبار صنفيهم ، والجمع باعتبار كثرة المعنى ، كل ذلك بحسب ما يقتضيه صوغ البلاغة للكلام .

ولو تنزلنا عن هذا كله فلا أقل من أن يكون احتمالا مساوياً للوجه الأول فلا تبقى فى الآية السابقة دلالة على نسبة الشرك لآدم .

هذا كله مع أن الرواية التى تشبث بها فى تفسير الآية لقصة نسبة الشرك لآدم إنما هى رواية قتادة عن الحسن عن سمرة وان سندها لمطعون فيه من وجوه أيسرها ان الحسن وقتادة لم يحتفلا بهذه الرواية ولم يفسرا الآية على مقتضاها كما حكاه عنهما فى مجمع البيان .

وعن الحسن فى تنزيه الأنبيـــاء للمرتضى (١) ، وبهذا كله تعرف خبط المتكلف وتحامله على القرآن ومبلغه حيث ادعى جازماً .

يه ١ ج ص (١١) ان رسول الله صلى الله عليه وآله نسب الى آدم فى القرآن خطيئة اخرى وهى الشرك متشبثاً بهذه الرواية لتفسير الآية .

الفصل الثـانى

(فى ذكر نوح وما قيل فى شأنه)

أما نبوته ورسالته فى القرآن فقد تكرر ذكرها ، ويكفى منه قوله تعالى فى سورة هود ٢٧ : (ولقد أرسلنا نوحاً الى قومه انى لكم نذير مبين) .

---

(١) طبع للمرة الثانية فى النجف الاشرف ـ بالمطبعة الحيدرية .

وفى سادس التكوين (٩) كان نوح رجلا باراً كاملا فى أجياله وسار نوح مع الله - (١٣) وقال الله لنوح ، وفى اولى السابع ، وقال الرب لنوح وفى الثامن (١٥) وكلم الله نوحاً (٢٠) ، وبنى نوح مذبحاً للرب فى حادى عشر رسالة العبرانيين (٧) بالإيمان نوح لما اوحى اليه عن امور لم تر بعد ، وفى ثامن رسالة بطرس الثانية (٥) بل إنما حفظ الله نوحاً ثامناً كارزاً للبر .

وأما ما يقال فى شأنه فقد دعا على قومه بالضلال ، كما حكاه الله تعالى فى سورة نوح عن قوله (٢٤) (ولا تزد الظالمين إلا ضلالا) فيقال ان هذا خلاف الوظيفة النبوية ، فإن الرسول المبعوث لهدى الخلق وصلاحهم لا يجوز له الدعاء عليهم مهما كانوا بالفساد والإنحراف عن الله وسبيل الحق .

قلنا : ليس الضلال المدعو به ذكر بل المراد منه اضاعة طريق الرشد والتدبير فى امورهم وعوائدهم ليشتغلوا بحيرتهم فى شؤونهم عن أذى الخلق واضلالهم عن الحق ، فهو دعاء عليهم بالعقوبة الدنيوية لأجل صلاح غيرهم فإن الضلال هو مطلق الاضاعة والتيه عن الطريق المطلوب ، وتختلف أنحاء أفراده التى تراد منه باعتبار الأمر المضيع والطريق الذى ضل عنه .

ومن ذلك قوله تعالى فى سورة البقرة ٢٨٢ ؛ (أن تضل إحديهما فتذكر إحديهما الاخرى) ولم تقم قرينة على أن المراد هاهنا بالضلال المدعو به هو الضلال عن الله وسبيل الحق ، بل إن قرينة العقل قاطعة بأن المراد منه غير هذا ، بل لو صدر هذا الكلام والدعاء من سائر الأتقياء المحبين للخير وصلاح العباد وقلة الفساد واهتداء الخلق فضلا عن الرسل لكان صدوره منهم قرينة على إرادة غير المعنى المدعى .

وأما دعاؤه على كفار قومه بالهلاك ، كما حكاه الله جل شأنه فى سورة نوح ٢٧ (وقال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين دياراً) ٢٨ (إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً) .

فقد أبدى وجهه وحكمته لما علمه من عند الله فى شأنهم بالعلم النبوى من سوء عاقبتهم ، فكان من الحكمة والوظيفة النبوية أن يدعو عليهم كما اقتضت الحكمة الإلهية اهلاكهم بالطوفان .

وأما ما حكاه الله فى أمره فى سورة هود بقوله تعالى ٤٧ (ونادى نوح ربه فقال رب إن ابنى من أهلى وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين ٤٨ (قال يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح فلا تسئلن ما ليس لك به علم إنى أعظك أن تكون من الجاهلين) فإنه غير قادح بمقامه النبوى ووظيفة رسالته أصلا ، فإن غاية ما هناك سؤاله عن وجه الحكمة فى غرق ولده مع سبق وعد الله له بنجاة أهله معترفاً فى السؤال لله بأنه أحكم الحاكمين وان وعده الحق ، فأبان الله له وجه الحكمة بأن الموعود بنجاتهم هم المؤمنون من أهله الذين يحسن أن يضافوا اليه لإهتدائهم بهداه ، وان ولده الغريق ليس من أهله الموعود بنجاتهم ، أو انه لا يليق أن يعد من أهل بيته لأنه عمل غير صالح ليس على هدى أبيه ، ثم وعظه الله على سؤاله عن الحكمة لأن الأولى بعلو مقامه هو التسليم والتفويض لحكمة الله إجمالا لاسيما مع عرفانه بأن الله أحكم الحاكمين ، فأناب الى الله من فعله خلاف الأولى ، وخاف الإنحطاط به عن مراتب الصديقين ومقامات المقربين ، وقال كما حكاه الله عنه ٤٩ : (رب إنى أعوذ بك إن أسئلك ما ليس لى به علم وان لا تغفر لى وترحمنى أكن من الخاسرين) للفوز بالمراتب العالية .

وإذا تدبرت ما ذكرنا ظهر لك خلل أقوال المتكلف (يه ١ ج ص ١٤ و ١٥) .

وأما ما فى تاسع التكوين (٢١) وشرب نوح من الخمر فسكر وتعرى داخل خبائه .

فنقول فيه قد روى مستفيضاً عن أهل البيت عن النبي صلوات الله عليهم

ان الخمر ما حلت فى دين قط ، ويدل العقل بأوضح دلالة على أن شربها والسكر بها الذى هو رأس الخلاعة والتهتك والشرور والمفاسد والخروج عن حدود الإنسانية مناف لوظيفة النبي الداعى الى الهدى والكمال والصلاح وحفظ الشرف خصوصاً وقد حفظ الله نوحاً كارزا للبر (٢ بط ٢ : ٥) .

وحينئذ فلا بد من القول بأن قصة شرب نوح للخمر وسكره ليست من الوحى والإلهام لما بيناه من لزوم عصمة النبي .

ومن الظرائف اضطراب كلام المتكلف فى هذا المقام (يه ١ ج ص ١٣ - ١٨) ولو انه التزم بما ادعاه .

(يه ٤ ج ص ١٦٨) من ان الله لم ينزل على القدماء قبل موسى شريعة بل اصطلح القدماء على عادات للجريان عليها فى هذه الدنيا .

فقال : هاهنا بمقتضاه انه لم تكن فى زمن نوح شريعة بتحريم الخمر فلم يفعل نوح بشربها خطيئة لاستراح هذا المتكلف فمن اضطرابه قوله .

(يه ١ ج ص ١٣) لا ننكر ان شرب الخمر حرام وقوله فأنت ترى أنها كانت جائزة والتوراة والإنجيل ناطقان بأنها حرام قطعاً وشربها نوح دلالة على ضعف الطبيعة البشرية .

فنقول له : أنت يا ذا الذى تقصر الحقائق على ما فى العهدين ، وإذ لا تجد فيهما ما تذكره نبوة القرآن تصول عليه صولة المتحمس من أين لك من العهدين ان الخمر كانت محرمة على عهد نوح خصوصاً وقد ادعيت غفلة منك أو اغفالا ان الله لم ينزل شريعة على القدماء وكيف تتفوه وتقول ؟ .

(يه ١ ج ص ١٨ س ١٦) قد استفاق نوح من سكره ، ولم يعد الى هذه الخطيئة .

قل عن أى كتاب إلهامى تنقل ذلك ؟ أفتدعى أنت الإلهام لنفسك ؟ أم جاءك نوح وتاب على يدك من شربه للخمر ؟

وأما قولك : فأنت ترى انها كانت جائزة ، والتوراة والإنجيل ناطقان بأنها حرام قطعاً .

فلماذا غفلت أو تغافلت عن اضطراب التوراة والانجيل فى هذا الشأن فإنهما وان وجد فى مضامينهما ما يعطى حرمتها وقبحها سيما بالنسبة للأنبياء كما سنسجله انشاء الله فى المقدمة العاشرة فى موانع النبوة .

ولكن فيهما ما يناقض ذلك وينقض عليك قولك هذا .

قل فما معنى الأمر فى شريعة تقريب القرابين أن يسكبوا معها سكيب خمر للرب (انظر أقلا خر ٢٩ : ٤٠ و لا ٢٣ : ١٣ و عد ١٥ : ٥) وسكيب مسكر للرب (عد ٢٨ : ٧) ، وأكد حكم السكيب فى التاسع والعشرين من العدد وغيره أكثر من عشر مرات .

وكيف يكون الحرام قرباناً لله ؟ وكيف يأمر الله شعبه بأن يعدوا للقرابين شيئاً محرماً وجوده مجلبة للغواية والشرور والفساد بل الرحمة وحكمة اصلاح الناس يقتضيان الأمر بإعدامها عن أعينهم خصوصاً بنى اسرائيل الذين لا حاجز لهم من تقواهم عن التمرد على الله كما عرفت فى المقدمة الخامسة .

وأيضاً ما معنى دعاء موسى على بنى اسرائيل ان لم يعمل بوصايا الله بقوله فى الثامن والعشرين من التثنية ٣٩ كروماتغرس وتشتغل وخمراً لاتشرب ولا تجنى لأن الدود يأكلها (٥١) ولا تبقى لك خمراً ولا قمحاً ولا زيتاً »

وأيضاً ما معنى دعائه لهم بالبركة فى قوله فى الثالث والثلاثين من التثنية (٢٨) تكون عين يعقوب الى أرض حنطة وخمر وسماؤه تقطر ندى .

فهل يكون هذا كله مع كون الخمر محرمة ، أو ليس يعطى هذا انها من النعم المباحة ومتاعهم الشهى حتى يدعى عليهم بفقدانها ويدعى لهم بوجدانها.

وما معنى ما يذكر من أن داود النبى قسم على كل واحد من رجال بنى اسرائيل رغيف خبز وكأس خمر وقرص زبيب (٢ صم ٦ : ١٩ و ١ أى

٦ : ٣) ، وما وجه اهداء زق الخمر الى داود (٢ صم ١٦ : ١) ، وما وجه اسكاره لاوريا (٢ صم ١١ : ١٣) أفلا يصح الاحتجاج بذلك لجواز شرب الخمر كما ينقل عن المسيح الاحتجاج لجواز أكل تلاميذه من الزرع فى يوم السبت بأكل داود من خبز التقدمة الذى لا يحل الا للكهنة (مت ١٢ : ١ — ٥) .

وأيضاً ما معنى المنقول من جلوس المسيح ووالدته وتلاميذه فى قانا الجليل فى مجلس العرس الذى تسكب فيه الخمر وتدار الراح فى الأقداح حتى يفعل السكر بالألباب ما يفعل ، وينال من العقول ما ينال ، ولم يكف ذلك حتى طلبت منه والدته اذ نفد الخمر أن يصنع لهم بمعجزة خمراً ، فعمل لهم ستة أجران من الخمر الجيد وسقوا منه ، وكان ذلك بعد أن اعتمد من يوحنا بمعمودية التوبة ، ونزل عليه الروح القدس ، وتبعه اندرواس وبطرس ونثنائيل ، وفيلبس (انظر الى ثالث متى والثانى والثالث من يوحنا) .

وأيضاً ما معنى المنقول عن كلام المسيح فى شأن جيله فى سابع لوقا (٣٢) يشبهون أولاداً جالسين فى السوق ينادون بعضهم بعضاً ويقولون زمرنا لكم فلم ترقصوا نحنا لكم فلم تبكوا ٣٣ لأنه جاء يوحنا المعمدان لا يأكل خبزاً ولا يشرب خمراً فتقولون به : شيطان (٣٤) ، جاء ابن الانسان يأكل ويشرب فتقولون : هو ذا انسان أكول ، وشريب خمر ، ونحوه فى حادى عشر متى .

أو ليس صريح هذا الكلام وفحواه ان المسيح - وحاشاه - كثير الشرب للخمر المسكر بخلاف يوحنا .

وأيضاً ما معنى المنقول من قوله لتلاميذه بعد أن شرب من الكأس وأعطاها لهم ، وأقول لكم من الآن : لا أشرب من نتاج الكرمة هذا الى ذلك اليوم حينما أشربه معكم جديداً فى ملكوت أبى (مت ٢٦ : ٢٩ و مر ١٤ : ٢٥ و لو ٣٢ : ١٨) حيث عبر عن الخمر فى هذا الكلام بعد أن شربها تعبير

الشريب المغرم بها المودع لها المتألم على فراقها .

وأيضاً ما معنى المنقول عن الرسل من حصرهم اللازم على الامم باجتناب ما ذبح للأصنام والدم والمخنوق والزنا (اع ١٥ : ٢٩) .

وان اقترحت فوق هذا من صراحة العهدين فني ثانى عشر التثنية (١٧) لا يحل لك أن تأكل فى أبوابك عشر حنطتك وخمرك وزيتك - (١٨) بل امام الرب الهك تأكلها فى المكان الذى يختاره الرب .

وفى رابع عشر التثنية (٢٣) وتأكل امام الرب الهك فى المكان الذى يختاره ليحل اسمه فيه عشر حنطتك وخمرك وزيتك (٢٤) ، ولكن اذا طال عليك الطريق حتى لا تقدر أن تحمله - (٢٥) فبعه بفضة وصر الفضة فى يدك واذهب الى المكان الذى يختاره الرب الهك (٢٦) وانفق الفضة فى كل ماتشتهى نفسك من البقر والغنم والخمر والمسكر وكل ما تطلب منك نفسك ، وكل هناك امام الرب الهك وافرح أنت وبيتك .

حتى جرى اليهود بعد رجوعهم من سبى بابل على تقديم رفائع الخمر ، وعشر الخمر الى بيت المقدس حسب الشريعة (انظر نح ١٠ : ٣٧ و ٣٩ و ١٣ : ١٢) .

فإن قلت لا أكتفى بهذه الصراحة حتى يحضر الاله فى مجلس الشرب ويسقى الناس الخمر بمجلس أنبيائه ورسله .

قلت : ان مزاعمك تقتضى وقوع ذلك فإن الذى زعمت فى مقدمة الجزء الأول من كتابك وغيرها أنه الاله الذى توشح الطبيعة البشرية ليرفع قدرها قد ذكر الكتاب الذى تحامى عن الخدشة فى الالهية انه قد جلس فى قانا الجليل فى مجلس الشرب والسكر هو وعدة من رسله وسقى الناس زيادة على خمرهم اذ عمل لهم بمعجزة ستة أجران من الخمر . . . . . اللهم انى أعوذ بقدسك وجلال وجهك من التعرض لمثل هذا لغير الجدل الذى تدعو

اليه ضرورة الوقت ، ومعارضة فلتات الأوهام ارشاداً لعبادك المغرورين الى الهدى والصواب .

فأقول للمتكلف ليعتبر السامع :

أفتقول ان التوراة والإنجيل ناطقان بأن الخمر حرام قطعاً ويكون كل هذا فيهما ؟ أم تقول : ان هذا كله مدسوس فى العهدين ليس من الوحى وكلام النبوة فى شىء ؟ أم تقول : ان العهدين غير خاليين من التناقض والإضطراب والتهافت .

وأما قوله المتكلف (يه ١ ج ص ١٤) ، أما المسيح فلم يشرب (أى من الخمر) إلا شيئاً لا يعتد به فى عيد الفصح مرة فى السنة حسب شريعة موسى .

فهو قول مخالف للأناجيل الرائجة فى دلالتها على أن المسيح وحاشاه شريب خمر كما تقدم أى كثير الشرب لها ، وكونه حضر مجلس العرس المعقود لشرب الخمر وعربدة السكر هو وعدة من تلاميذه وزادت فى الطنبور نغمة إذ ذكرت انه عمل لهم بطلب والدته ستة أجران من الخمر الجيد ، وحاشا قدسه من هذا كله .

وأيضاً أين يوجد من شريعة موسى حكم شرب الخمر فى عيد الفصح ، أو ليست التوراة الرائجة هى التى يزعمون انها كتاب شريعة موسى ، وان كل ما لم يذكر فيها لا حقيقة له .

وأما قول المتكلف عقيب كلامه المتقدم ، فكان كل واحد من بنى اسرائيل يشرب شيئاً طفيفاً لا يعتد به فى هذا العيد تذكاراً لمراحمه تعالى .

فيحق أن يقال فيه ان سكر بنى اسرائيل الذى استغاث منه أشعيا النبى فى الثامن والعشرين من كتابه ، وذكر أن الأنبياء والكهنة ابتلعتهم الخمر وتاهوا من المسكر حتى ضلوا فى الرؤيا وقلقوا فى القضاء ، أيضاً كان كله تذكاراً لمراحمه تعالى .

وعبد بنو اسرائيل العجل تذكاراً لمراحمه تعالى ، وزنوا ببنات مواب وذبحوا لآلهتهن تذكاراً لمراحمه تعالى ، وعبدوا البعل والعشتاروت وآلهة الكنعانيين وغيرهم تذكاراً لمراحمه تعالى ، وذبحوا أولادهم للأصنام تذكاراً لمراحمه تعالى ، وجعلوا بيوت المأبونين عند بيت الرب تذكاراً لمراحمه تعالى وخربوا بيت المقدس ونجسوه تذكاراً لمراحمه تعالى ، وتمادوا على ارتداداتهم وأحوالهم المذكورة فى المقدمة الخامسة تذكاراً لمراحمه تعالى ، وأظرف من هذا كله أن المتكلف كان شاعراً بما فى العهدين من تلويث قدس الأنبياء وخصوص المسيح بشرب الخمر فحاول أن يموه على البسطاء المغفلين ويلوث قدس خاتم المرسلين بشربها فتشبث لذلك بأخبار آحاد لم يتحقق سندها ولم يفهم مدلولها ، ولو أنها صحت وكانت لها مداخلة فى اصول الدين لكانت أجنبية عن مقصوده الممتنع عليه .

فقال (يه ١ ج ص ١٣) ان محمداً شرب الخمر ، وذكر عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وآله أتى السقاية فى مكة وقال اسقونى من هذا فقال العباس : ألا نسقيك مما فى البيوت ؟ فقال صلى الله عليه وآله : لا ولكن اسقونى مما يشرب منه الناس فأتى بقدح من نبيذ فذاقه فقطب ثم قال هلموا وصبوا فيه الماء ، ثم قال : زد فيه مرة أو مرتين أو ثلاثاً ، ثم قال إذا صنع أحد منكم هكذا فاصنعوا به هكذا .

وذكر عن ابن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وآله عطش وهو يطوف بالبيت فأتى بنبيذ من السقاية فشمه ثم دعا بذنوب من ماء زمزم (أى دلو) فصب عليه ثم شربه فقال له رجل : أحرام هذا يا رسول الله ؟ فقال لا .

وقد غفل المتكلف أو تغافل عن ان اسم النبيذ مأخوذ من النبذ وهو الطرح ، قد كان النبيذ على قسمين :

« أحدهما » أن يطرح التمر أو الزبيب فى الماء فى الأوانى التى تصبر

على التمادى إلى أن يبلغ حد الإسكار كأوانى الدبا وهو القرع اليابس والمزفت وهى أوان تطلى بالزفت ، والحنتمة وهى أوان خزفية تدهن بالقلى ونحوها فيترك زماناً طويلا الى أن يبلغ حد الإسكار .

« وثانيهما » ان ماء الحجاز كان مراً مضراً فيطرح فيه لمداواة طعمه وطبعه ما يتمكن الأعرابى منه فى ذلك الزمان وهو قليل من التمر فإن ترقى فالزبيب بمقدار الكف أو أقل يطرحونه فى السقاء غدوة فيشربونه عشياً ويطرحونه عشياً ، فيشربونه غدوة ، حينما يؤثر طعم التمر أو الزبيب فى الماء حلاوة ما .

وقد تضافرت الاخبار الكثيرة بأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان ينهى عن نبيذ الدبا والمزفت والحنتمة بسبب أنه يصبر عليه حتى يبلغ حد الإسكار ، ويرخص فى نبيذ الأسقية وهو أن يطرح فى السقاء كف ونحوه من التمر أو الزبيب فيشرب فى يومه أو صبيحة ليلته حينما يطيب طعم الماء بحلاوة التمر أو الزبيب لأن أسقية البيوت لا تحتمل أن تشغل زماناً طويلا بالنبيذ ، ولا تقوى على بقائه الى أن يختمر ويتعفن ويبلغ حد الإسكار.

انظر الى مسند أحمد وغيره من كتب الحديث ، فعلى المتكلف فى تشبثه بما ذكر من الحديثين ان صحا فى الجامعة الإسلامية أن يعين دلالتهما على أن النبيذ المذكور فيهما كان من القسم المسكر المخمر لا الذى ذكرنا انه يطرح فيه قليل من التمر أو الزبيب لمحض تطييب طعم الماء على عادة أهل الحجاز .

ونحن نقول : ان المتعين كون النبيذ فيهما من هذا القسم ، لا القسم المسكر لوجوه :

(أولها) انه لو كانت فى مكة مصانع للنبيذ المسكر كمصانع اوربا لما وسعت كفاية الالوف العديدة من الحجيج فى الأيام الكثيرة وهو يعطى مجاناً لهم ، وكيف يقوى العباس على ذلك ؟

(وثانيها) ان السقاية فى مكة كانت لإرواء الحجيج من العطش لا أنها حانوت خمار .

(وثالثها) ان هذه الواقعة إن كانت فإنما تكون بعد فتح مكة فى أواخر أيام النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، ومقتضى الأخبار التى يذكرها المتكلف (يه ١ ج ص ٢٣ و ٢٤) ان الخمر حرمت فى أوائل الهجرة .

وفى ما ذكره عن ابن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال فيما شربه انه ليس بحرام ، مع ان حرمة النبيذ المسكر كانت حينئذ مقررة معلومة فى الإسلام .

(ورابعها) الذى يكشف الحجاب ما صح نقله عن جعفر الصادق وهو الإمام السادس من أهل البيت حيث قال فى نبيذ السقاية : ان العباس كانت له حبله وهى الكرم ، فكان ينقع الزبيب غدوة فيشربونه بالعشى وينقعه بالعشى ويشربونه غدوة يريد أن يكسر به غلظ الماء على الناس .

وأما سر تقطيبه صلوات الله عليه فى رواية ابن عباس فليس لأن النبيذ الذى اعطى له كان من القسم المسكر ، بل لأن حلاوة التمر والزبيب كانت زائدة على المتعارف من نبيذ الأسقية ، فان الحلاوة إذا ظهر أثرها مع مرارة الماء كانت من المهوعات فزاد عليها من الماء إلى أن ردها إلى النحو المتعارف ، وأرشدهم إلى أن هذا هو الذى ينبغى أن يكون عليه هذا النحو من المشروب لإصلاح طعم الماء .

ولو تنزلنا وفرضنا ان النبيذ المذكور فى الروايتين كان من القسم المسكر لكانتا دليلا على أنه صلوات الله عليه كان يعاف المسكر ويشمئز ويقطب وجهه الشريف منه ولم يشربه حتى أخرجه عن موضوعه وصورته بإراقة الماء الكثير عليه . . . أفبهذا يتشبث الكاتب ويقول بملىء فمه ومهوى قلمه ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شرب الخمر .

وقد فات المتكلف الشنب فإن فى أخبار الآحاد التى لا تقيم لها الجامعة الإسلامية وزناً ما يساعفه على مقصوده بعض المساعفة ، فقد روى فى مسند أحمد ان رجلا كان إذا قدم المدينة أهدى لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خمراً فقدم مرة ومعه زق خمر ليهديه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقيل له : ان الخمر قد حرمت ولكن ماذا يعمل الوهم من هذا الخبر فى مقابلة متواترات الآثار ومعلومات السير بأن قدس رسول الله لا تحوم حوله هذه الأوهام .

وقد جاء عنه صلوات الله عليه فى مستفيض الحديث من طريق أهل البيت قوله صلى الله عليه وآله وسلم : أول ما نهانى عنه ربى شرب الخمر وعبادة الأوثان ، وكفاك أن مشركى قريش والعرب قد تمحلوا فى تكذيب رسول الله صلى الله عليه وآله وكابروا الوجدان وغالطوا العيان بدعواهم انه صلوات الله عليه مجنون ولو أنه صلوات الله عليه كان يمكن أن يرمى بشرب الخمر والمسكر لتيسر لهم أن يقولوا بلا مكابرة للوجدان ان إدعاءه صلى الله عليه وآله وسلم للرسالة والوحى إنما هو من سورة الخمر وعربدة السكر وخيالات الخمار ، ولكنه كان صلوات الله عليه ولم يكن لقائل فيه مغمز ، فيا ذا الرشد والفكر الحر الذى لم يستأسر للعصبية والتقليد .

سألتك بفضيلة الصدق وشرف النفس هل كان من الرشد وأدب المكاتب أن يتغاضى هذا المتكلف عما لوثت به الكتب الإلهامية فى نحلته قدس الأنبياء وخصوص المسيح بشرب الخمر وحضور مجلس السكر صريحاً ويتشبث لتلويث قدس رسول الله بهذه الأوهام ، ولقد شذ بنا الكلام عن وضع المقدمة ولكنه بفضل الله لم يشذ عن إحقاق الحق والهدى إلى الرشد .

الفصل الثالث

﴿ فى شأن ابراهيم وما قيل فيه ﴾

أما رسالته ففى القرآن الكريم بقوله تعالى فى سورة الحديد ٢٦٠ (ولقد أرسلنا نوحاً وإبراهيم) ، وقوله تعالى فى سورة مريم ٤٢ (واذكر فى الكتاب إبراهيم إنه كان صديقاً نبياً) ، وقوله تعالى فى سورة البقرة ١١٨ : (إنى جاعلك للناس إماماً) .

وأما دينه وإيمانه فيكفى فيه من القرآن قوله تعالى فى سورة الانعام ١٦٢ (قل إننى هدانى ربى إلى صراط مستقيم ديناً قيماً ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين) .

وأما كتابه وبعض مضامينه ، فقد أشار اليه بقوله تعالى فى سورة النجم ٣٧٠ : (أم لم ينبأ بما فى صحف موسى) ٣٨ (وإبراهيم الذى) وفى - ٥٦ وفى سورة الأعلى بعد ذكر بعض المضامين العالية ١٨ (إن هذا لفى الصحف الاولى صحف إبراهيم وموسى) .

وفى ثانى عشر التكوين (١) ، وقال الرب لابرام : إذهب من أرضك ومن عشيرتك ومن بيت أبيك إلى الأرض التى اريك (٢) فأجعلك امة عظيمة واباركك واعظم اسمك وتكون بركة ، (ومقتضى الأصل العبرانى وكن بركة) (٣) ، وابارك مباركيك ولاعنك العنه وتتبارك فيك جميع قبائل الامم .

وفى سابع الأعمال عن قول استفانوس (٢ - ٤) ان هذا الخطاب كان حينما كان إبراهيم بين النهرين فى أرض الكلدانيين قبلما سكن حاران .

وفى سابع عشر التكوين (٩ - ١٤) وقال الله لإبراهيم وجعل له شريعة الختان وعهده ولذريته وخدمه وعبيده .

وفى الثامن عشر عن قول الله (١٩) لأنى عرفته لكى يوصى بنيه وبيته من بعده أن يحفظوا طريق الرب ليعملوا براً وعدلا .

وهذا هو حقيقة الرسالة فى هذا المقام ، ويوضح أمرها ما فى السادس والعشرين من التكوين عن قول الله لإسحاق (٥) من أجل ان إبراهيم سمع لقولى وحفظ ما يحفظ لى أوامرى وفرائضى وشرائعى .

وفى العشرين من التكوين عن قول الله لأبى مالك (٧) ان ابراهيم نبى وفى العهدين خليل الله (٢ أى ٢٠ : ٧ و اش ٤١ : ٨ و يع ٢ : ٢٣) .

وأما ما ذكر فى شأنه فقد قال الله فى القرآن الكريم فى سورة الانعام ٧٥ (وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين) ٧٦ (فلما جن عليه الليل رأى كوكباً قال هذا ربى فلما أفل قال لا أحب الآفلين) ٧٧ ، (فلما رأى القمر بازغاً قال هذا ربى فلما أفل قال لئن لم يهدنى ربى لأكونن من القوم الضالين) ٧٨ ، (فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى هذا أكبر فلما أفلت قال يا قوم إنى برىء مما تشركون) .

قال المتكلف (يه ١ ج ص ٢٠) ان عبارة القرآن ناطقة بوقوعه (يعنى ابراهيم) فى عبادة الأصنام .

فأقول : ان الآيات واضحة الدلالة على ان رؤية ابراهيم للكواكب وملكوت السموات والارض كانت أول رؤية منه لها فقال ما ذكره القرآن فأما أن يعتمد فى ذلك على ما روى من أن امه ولدته فى مغارة خوفاً عليه من النمرود فلما ترعرع خرج من المغارة فرأى الكوكب إلى آخر المذكور ، أو انها أول رؤية كانت فى إبتداء تمييزه حال طفوليته الذى التفت به إلى عظمة شأن العالم العلوى وأجرامه وفضيلة اشراقها ونورها ، فان الله علم منه ان فطرته السليمة فى أول تمييزه قد أشعرته بأن له إلهاً صانعاً وربا معبوداً ،

ولكنه بعد لم يوصله التدرب بالنظر والتقدم بالتمييز إلى حق المعرفة ليقف عندها على اليقين ، فرحمه الله ولطف به وأراه ملكوت السموات والارض ليكون بالتدبر والتدرب فى النظر من الموقنين بالله ، فصار ينظر عند رؤيتها بالنظر الصائب ، ويسير متدرجاً إلى حق المعرفة على جادة الصواب فأدرك فضل العالم العلوى على السفلى ، ثم أدرك فضل النير على غيره ، فإذا رأى الكوكب النير وقفت به الطفولية وعدم التقدم بالتمييز عنده فلما أفل الكوكب سدده فكره فقال : لا أحب الآفلين ولا يكون الإله متغيراً ، ولما رأى القمر بازغاً مشرقاً يفوق نوره نور الكوكب وقفت به الطفولية أيضاً عنده فلما أفل أدرك انه ضال فى نظره ، فطلب الهدى من إلهه : فلما رأى الشمس بازغة بنورها الباهر وقفت به الطفولية أيضاً ، فلما أفلت أوصله التدبر إلى الحق اليقين من العرفان وخالص الإيمان ، حتى لم يمض له يومان من أول تمييز الطفولية .

ويمكن أن يكون وقوفه المذكور وقوف شك وحيرة واستعلام فيكون قوله : هذا ربى على سبيل الإستفهام ، وقد اسقط حرف الإستفهام من الآيات جريا على المتعارف من لسان العرب ، كما يشهد له الكثير من شعرهم ونثرهم ، والأقرب ان وقوفه المذكور كان وقوف فرض وتقدير إلى أن يحصل له من النظر ما يكشف عن الحق المبين ، وعلى كل حال لم يقع من إبراهيم الشرك القبيح المعاقب عليه حتى لو قلنا : بأن ما ذكرناه فى شأنه كان فى زمان مهلة النظر عند أول التكليف بالمعرفة ، فإن الإنسان لم يخلق عارفا بالله من أول أمره ، بل جعل الله له النظر لتحصل له فضيلة الجهاد فى سبيله .

فإن قلت : من أين لك هذه الوجوه فى الآيات ؟ وهل هى إلا احتمال وتخمين ؟ .

(قلت) : يدل عليها سوق الآيات والمتكرر فى القرآن من قوله تعالى فى وصف إبراهيم (وما كان من المشركين) .

ثم أقول : هب ان هذه الوجوه إحتمالات لا دليل عليها ، ولكن مع قيامها كيف يتجه للمتكلف أن يقول غير متأثم ان عبارة القرآن ناطقة بوقوع ابراهيم فى عبادة الأصنام .

وقال الله تعالى فى سورة البقرة ٢٦٢ : (وإذ قال إبراهيم رب أرنى كيف تحيي الموتى قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي) .

فقال المتكلف فى هذا الشأن (يه ١ ج ص ٢٠ س ٤) القرآن ناطق بأنه يعنى ابراهيم شك فى قدرة الله .

أقول : ليت شعرى أين سمع المتكلف وبصره وقلبه عن قول ابراهيم بلى ولكن ليطمئن قلبي ، أفيشك عاقل بأنه إذا اجتمع العقل والحس على أمر كان أوقع فى النفس وأثبت فى الإعتقاد وأدخل فى الإطمئنان من المعقول الصرف ، وصريح الآية ان ابراهيم كان يطلب هذه المرتبة من الإطمئنان والإيمان الكامل ، وان كان إيمانه بقدرة الله ثابتاً ، ولأجل إيمانه وخلوص نيته فى طلب الإطمئنان ، وأكمل أفراد الإيمان أعطاه الله مراده فقال تعالى له : خذ أربعة من الطير فصرهن اليك الآية .

فانظر يا ذا الرشد والفكر الحر إلى ما ذكرناه فى القرآن الكريم وإلى ما فى الخامس عشر من التكوين (٧) وقال له : (أى الله لإبراهيم) أنا الرب الذى اخرجك من أور الكلدانيين ليعطيك هذه الأرض لترثها (٨) فقال أيها السيد الرب بما ذا أعلم انى أرثها ؟ .

وقل أى المقامين أولى بأن يكون شكا فى قدرة الله وصدقه فى وعده .

فهل هو ما ذكر فى القرآن الكريم من طلب ابراهيم الاطمئنان وأعلى مراتب الايمان زيادة على إيمانه المطلوب فى شأن المعاد العظيم أمره ؟ أم هو

ما ذكر فى التوراة فى شأن اعطاء الله أرض الكنعانيين لابراهيم ليرثها فقال ابراهيم : بماذا أعلم انى أرثها ؟

فإنه صريح فى انه لا يحصل له العلم بمجرد قول الله بل يحتاج فى ذلك إلى شاهد يوجب له العلم بقدرة الله على ذلك أو صدقه فى وعده مع ان اعطاء الأرض لقوم بدل آخرين أمر سهل على التصديق .

ثم انظر أيضاً استطراداً وتتميماً لمتعلقات المقام فى انتظام البرهان المذكور فى القرآن على إحياء الموتى لأجل اطمئنان ابراهيم ومناسبته للبرهن عليه بقوله تعالى : (فخذ أربعة من الطير فصرهن اليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً ثم ادعهن يأتينك سعياً) ، حيث أقام جل شأنه الحجة الحسية على إحياء الموتى بعد تفرق أوصالهم بإحياء الطيور بعد موتها وتفرق أوصالها على النحو العجيب والاعجاز الباهر .

وأمعن النظر فى البرهان المذكور فى خامس عشر التكوين ليحصل العلم لابراهيم بصدق وعد الله له بأنه يرث أرض كنعان وقدرته على ذلك (٩) فقال له : خذ عجلة ثلثية ، وعنزاً ثلثية ، وكبشاً ثلثياً ، ويمامة وحمامة (١٠) فأخذ هذه كلها وشقها من الوسط وجعل شق كل واحد مقابل صاحبه ، وأما الطير فلم يشقه (١١) فنزلت الجوارح على الجثث فكان ابرام يزجرها .

وقل : ماذا يفهم من مداليل هذه الفقرات من حاصل أمر الله وبرهانه على صدقه فى وعده وقدرته وأى نتيجة فيها مناسبة للمقام ، أفلا تجدها حكاية بتراء لا يفهم لها أول من آخر ، ولا حاصل ولا فائدة ، أفهكذا كلام الله العليم الحكيم ؟ .

هذا وأما ما تشبث به المتكلف (يه ١ ج ص ٢٠ س ٧) من الرواية عن قول رسول الله نحن أولى بالشك من ابراهيم ، فيكفى فى ردها مخالفتها لنص الكتاب بإيمان ابراهيم فى قوله تعالى : (أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن

قلبي) فهذه الرواية كلاشيء .

وقال الله تعالى فى سورة الأنبياء ٦٣ : (قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم) ٦٤ (قال بل فعله كبيرهم هذا فاسئلوهم إن كانوا ينطقون) .

فقال المتكلف : (يه ١ ج ص ٢٠ س ٧) ، ورد فى القرآن انه (يعنى إبراهيم) كذب .

قلنا : ان قول ابراهيم بل فعله كبيرهم لم يخرج مخرج القطع والاخبار الجدى ، بل هو للتوبيخ والتبكيت إذ هو معلق على قوله إن كانوا ينطقون وحاصله توبيخ المشركين على عبادة الاصنام ، ومعناه ان أصنامكم إن كانوا ينطقون ويملكون حراكاً فقد فعله كبيرهم إذ لا وجه لنسبة هذا الفعل إلى دونه مع عدم المشاهدة وإن كانوا جماداً فلم تعبدون جماداً لا ينطق ؟

ومن المعلوم ان الخبر المعلق على أمر يعلم المتكلم والمخاطب انه غير واقع ليس خبراً جديا حتى يقال انه صدق أو كذب .

(فإن قلت) : ان هذا احتمال محض فى الآية ، (قلت) : أولا كونه احتمالا كاف فى بطلان قول المتكلف وورد فى القرآن ان ابراهيم كذب .

(وثانيا) ان دلالة العقل والنقل على عصمة النبي تعين دلالة الآية عليه ، وكونه المراد منها خصوصا مع صلاحية التركيب بدون تجوز أو خروج عن القانون .

وأما الرواية التى ذكرها المتكلف فى كذب ابراهيم ثلاث مرات فلا يصح بها الجدل للمسلمين لما ذكرناه فى المقدمة السابعة .

وقال الله تعالى حكاية عن ابراهيم فى سورة الصافات ٨٦ : (فنظر نظرة فى النجوم ٨٧ فقال إنى سقيم) ، وقد تشبث المتكلف هاهنا (يه ١ ج ص ٢٠) برواية استنتج منها ان ابراهيم فعل حراما بنظره فى علم النجوم وكذب بقوله انى سقيم .

ولا يخفى ان الرواية لا يصح بها الجدل للمسلمين فى جامعتهم بحكم المقدمة السابعة ، أما الآية الاولى فلا تدل إلا على أن ابراهيم نظر نظرة فى النجوم لا فى علمها الذى لا يعلم انه هل كان فى زمانه محرما حتى عليه أم لا ، ولعلما كان نظره فى النجوم نظر تفكر وتأمل فى شأنه كما هو المعتاد للتفكرين فى شؤونهم من نظرهم إلى السماء وإلى الأرض ونحو ذلك ، كما يحكى عن المسيح لما أتاه اليهود بالزانية ليرجمها أنحنى إلى الأسفل وكان يكتب باصبعه على الارض (يو ٨ : ٦) .

وأما قوله : انى سقيم فمن أين يعلم من القرآن انه كان كذبا ، ولماذا لا يحمل على حقيقته .

وفى الثامن عشر والعشرين من التكوين ان ابراهيم قال عن سارة امرأته انها اخته لكن العشرين من التكوين عن قول ابراهيم (١٢) وبالحقيقة ايضا هى اختى ابنة أبى ، غير انها ليست ابنة امى فصارت لى زوجة .

وعلى ظاهر هذا لم يكذب بقوله انها اخته ، نعم قوله أنها اخته وسكوته عن جهة الزوجية خصوصا مع شهادة المقام بإنكار كونها إمرأته ، وتعريضها لطمع الغير فيها يمكن أن يكون مما أباحته ضرورة الوقت لابراهيم حفظا لنفسه ، أو انه كذب على الوحى لعصمة ابراهيم .

الفصل الرابع

(فى ذكر إسحق وما جاء فى شأنه)

أما نبوته فيكفى فيها من القرآن الكريم قوله تعالى فى سورة مريم ٥٠ (ووهبنا له إسحاق ويعقوب وكلا جعلنا نبياً) ، وفى سورة النساء ١٦١ : (وأوحينا إلى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب) .

وفى السادس والعشرين من التكوين (٢ و ٢٤) ان اسحاق ظهر له الله وكلمه بما كلمه .

وأما ما ذكر فى شأنه فى السادس والعشرين من التكوين (٧) انه قال عن إمرأته انها اخته وهو خلاف الواقع لأنها بنت ابن عمه بتوئيل ابن ناحور من ملكه بنت هاران (تك ١١ : ٢٩ و ٢٥ : ٢٠) وكان هذا القول منه مخافة من القتل فيمكن أن يكون جائزاً لضرورة الوقت .

ولا يمكن أن يكون كذباً على الوحى لما ذكرناه من عصمة النبى ، وعلى هذا فلا وجه للوقيعة بقدس إسحاق لأجل هذا لإمكان أن يكون مباحا لضرورة الوقت ، ولماذا لا يكون ذلك فى أقل الأمر احتمالا مانعاً لأهل الكتاب عن الاقدام على قداسة الأنبياء الصالحين ، أفلا ترى ما نقله فى إظهار الحق عن القسيس وليم اسمت من علماء بروتستنت فى كتابه المسمى بطريق الأولياء وكيف قد أطال لسانه على ابراهيم واسحاق من أجل ما نقل عنهما من قولها عن امرأتيهما انهما اختاهما .

فقال فى شأن ابراهيم ص (٩٩) لعل ابراهيم لما انكر كون سارة زوجة له فى المرة الاولى عزم فى قلبه انه لا يصدر منه مثل هذا الذنب لكنه وقع فى شبكة الشيطان السابقة مرة اخرى بسبب الغفلة .

وقال فى شأن اسحاق ص (١٦٨) زل إيمان اسحاق لأنه قال لزوجته : انها اخته و ص (١٦٩) يا أسفا انه لا يوجد كمال فى واحد من بنى آدم غير الواحد العديم النظير ، والعجب ان شبكة الشيطان التى وقع فيها ابراهيم وقع فيها اسحاق ايضاً ، وقال عن زوجته : انها اخته فيا أسفاً ان أمثال هؤلاء المقربين عند الله يحتاجون إلى الوعظ .

وقال المتكلف (يه ١ ج ص ١٩) فى شأن ابراهيم ولا ينكر انه ترك الاولى لضعف الطبيعة البشرية ، فالمولى سبحانه وتعالى هو الكامل وحده والنقص ملازم لكل إنسان مهما كان .

وقال فى شأن اسحاق ص (٢١) فإذا كان هذا حال خليل الله وانه لم يسلم

من الكذب فلا عجب إذا وقع اسحاق فى ذات هذه الخطيئة فلم يقو على التجربة لضعف الطبيعة البشرية .

فأقول : ليت شعرى إذ بنوآ على صحة هذه القصص وانها من الوحى الصادق ، فلماذا لم يحتملوا ان مثل هذا الكذب كان على وجه من الضرورة بحيث يكون مباحا أو واجباً على مثل ابراهيم واسحاق حفظاً من الهلكة والقتل لنفس النبى الذى يفدى بجملة الناس .

هب انه لا يجوز مثله فى شرعنا ولكن لماذا لا يكون مباحا فى شرع ابراهيم واسحاق خصوصاً مع قولهم لم تكن شريعة للقدماء قبل موسى فينحصر تحريمه عليهم بحكم العقل بقبح الكذب وان قبحه مع الضرورة وخوف القتل على النبى غير معلوم ، ولماذا لا يحتملون ذلك فيتقون الله من الوقيعة فى قدس الأنبياء .

أفيقولون : ان الكذب بحسب كل حال وكل شريعة لا يمكن أن يكون غير قبيح وجائزاً أو واجباً لأجل بعض الضرورات والدواعى الراجحة ، إذاً فكيف أمر الله موسى وشيوخ بنى اسرائيل بمقتضى نقل التوراة الرائجة أن يكذبوا على فرعون ، ويقولون له : ان إله العبرانيين التقانا فالآن نذهب سفر ثلاثة أيام فى البرية لو نذبح للرب إلهنا (خر ٣ : ١٨) فعمل موسى بهذا الأمر وزاد على قول الله بقوله لئلا يصيبنا بالوباء أو بالسيف (خر ٥ : ٣) وبقوله : لأن لنا عيداً للرب (خر ١٠ : ٩) ، مع أن الغرض الحقيق والموعد بين الله وموسى غير هذا بل هو ذهاب بنى اسرائيل إلى أرض الموعد أرض الكنعانيين وما والاها وخلاصهم من عبودية المصريين (انظر إلى ثالث الخروج أقلا ٨ و ١٧) .

وكأنى بالمتكلف وغيره يقول : ان الغرض من سفر الثلاثة أيام ليس على ما هو المعروف من هذا التركيب ، بل المراد منه السفر الذى تقطع

مسافته بالسير المتوالى الدائم فى اثنين وسبعين ساعة مثلا وهو صادق على السفر إلى أرض الموعد فإن أقرب أرض الكنعانيين إلى رعمسيس منزل بنى اسرائيل فى مصر لا يزيد مسافته عنها على الستين فرسخاً ، أى مائة وثمانون ميلا إعتيادياً بكثير .

(قلت) : لئن سامحناهم فى صدق ذلك وجاز من الله وموسى أن يريدا هذا الغرض المعمى من هذه العبارة البعيدة عنه جداً فى المحاورات لأجل التعمية على فرعون وان فهم من الكلام ما هو المتعارف منه مما يخالف المراد فلماذا لا يجوز لإسحاق أن يعمى مراده بقوله عن امرأته انها اخته ويريد انها اخته من حيث القبيلة والإتصال بالنسب كما سمى الادومى أخا للإسرائيلى باعتبار اجتماعهما فى النسب بعيسو ويعقوب فى إسحاق « تث ٢٣ : ٧ » .

دع هذا وقل : كيف جاز للمسيح أن يقول لاخوته حيث لم يكونوا يؤمنون به اصعدوا أنتم إلى هذا العيد ، أنا لست اصعد بعد الى هذا العيد لان وقتى لم يكمل بعد ثم صعد الى ذلك العيد بالخفاء « يو ٧ : ١ - ١١ » .

وأما قول طريق الأولياء : لا يوجد كمال فى واحد من بنى آدم غير الواحد العديم النظير .

فأقول فيه : ويا أسفا ويا ليت كتبكم المنسوبة إلى الإلهام تركت قدس هذا الواحد عن التلويث ، كما سنذكر بعضه فى الفصل الخامس عشر فى عصمة المسيح .

وفى السابع والعشرين من التكوين (٢٥) ان يعقوب أحضر لإسحاق أبيه خمراً فشرب .

أقول : قد تقدم فى الفصل الثانى فى عصمة نوح ما يتعلق باضطراب المتكلف وتناقض العهدين فى مسألة شرب الخمر .

فإن قال المتكلف هنا كما قال فى شأن نوح ان اسحاق شرب الخمر ولما

أفاق تاب من هـــذه الخطيئة ولم يعد .

قلنا له : يا أيها الكاتب الماهر أين توجد توبة اسحاق من العهدين ؟ .

الفصل الخامس

﴿ فى نبوة يعقوب وما قيل فى شأنه ﴾

أما نبوته فيكفى فيها من القرآن الكريم النص عليها مع نبوة أبيه اسحاق كما تقدم فى أول الفصل السابق .

وفى الخامس والثلاثين من التكوين (١) قال الله ليعقوب (٩) : وظهر الله ليعقوب (١٠) وسماه اسرائيـــل (١١) وقال له : وكذلك « تك ٢٨ : ١٣ » .

وأما ما ذكر فى شأنه ففى السابع والعشرين من التكوين ما ملخصه ان اسحاق أمر عيسو ابنه البكر ان يذهب الى البرية ويتصيد له صيداً ويصنع له اطعمة كما يحب ليباركه قبل ان يموت ، فلما ذهب قام يعقوب بمشورة امه رفقة واخذ من الغنم جدين معز وصنع لأبيه طعاما ولبس ثياب عيسو الفاخرة وألبس يديه وملاسة عنقه جلود جدين المعز ليزور على أبيه ان رقبته ويديه مشعرة على ما كانت عليه رقبة عيسو ويداه وتقدم لابيه وقال كذبا : أنا عيسو بكرك قد فعلت كما كلمتنى قم اجلس وكل من صيدى لكى تباركنى نفسك ، وأحضر له خمراً فشرب وقال اسحاق : هل أنت هو ابنى عيسو ؟ فقال يعقوب أنا هو فباركه اسحاق ، ومن جملة البركة ان دعا له بكثرة الحنطة والخمر فاستعمل يعقوب بمقتضى التوراة الرائجة هـذا الخداع والتزوير وكذب على أبيه أكثر من أربع مرات حتى أوقعه مع كبر سنه وذهاب بصره فى أذى الارتعاد العظيم جداً حيث علم بالخديعة « تك ٢٧ : ٣٣ » :

أقول قد قدمنا لك فى الباب الأول من هذه المقدمة ما يدل بأوضح

دلالة على أن مثل هذه المخادعة والتزوير والكذب المتكرر على الأب النبي العاجز الكال البصر مناقضة لورود النبوة على يعقوب خصوصاً مع دلالة هذا العمل المذكور عنه على ضعف الإيمان والمعرفة بالله بسبب البناء على أن بركات الله التي هي من مفاتيح النبوة وسلسلة عهده مع ابراهيم تستلب من الله ونبيه اسحاق بمثل هذه المخادعات والتزويرات القبيحة ، فلا بد من القول بكون هذه الحكاية ليست من الوحي ولا صادقة مضافاً إلى سخافتها في نفسها ومنافاتها لجلال الله الحكيم الغني علام الغيوب لأنه إن فرضت هذه البركة وما يتبعها من الشؤون العظيمة مقدرة من الله ليعقوب ، كما عن وحي ملاخي عن قول الله أحببت يعقوب وأبغضت عيسو (مل ، ١ : ٢ و ٣) ، وكما عن الوحي لامهما من قول الرب لها وهي حبلى بهما ، ان الكبير يكون عبداً للصغير (تك ٢٥ : ٢٣ و رو ٩ : ١١ و ١٢) .

سألنا أهل العقول السليمة أنه هل يصح في حكمة علام الغيوب أن يقدر هذه البركة التي هي زمام النبوة أو نفسها لمن تنسب له هذه المخادعات والتزويرات والأكاذيب الناشئة عن ضعف الإيمان والمعرفة بالله أو عدمهما كما ذكرنا ، مع أن اللسان الكاذب مكرهة للرب (ام ٦ : ١٦ و ١٧) وكراهة الرب شفتا كذب (ام ١٢ : ٢٢) ، وكيف يجتمع هذا مع كون الله أحب يعقوب ؟ .

وأيضاً في التاسع عشر من الأمثال (٥) المتكلم بالأكاذيب لا ينجو (٩) المتكلم بالأكاذيب يهلك .

قال فكيف قدرت له هذه البركة العظيمة (انظر تك ٢٧ : ٢٧ - ٣٠) .

هذا وان فرض أن أمر هذه البركة موكول الى جعل إسحاق وانها تكون حيثما يجعلها سواء كان مخدوعاً أو مختاراً .

سألنا أيضاً أهل العقول السليمة كيف يوكل الله العليم الحكيم أمر هذه

البركة مع عظيم شأنها إلى جعل اسحاق ، مع ان اسحاق أراد وعزم وجزم على أن يجعلها لعيسو مبغوض الله ثم جعلها توهماً وانخداعاً بالكذب ليعقوب بتوهم انه عيسو فاتبع الله اسحاق على وهمه ، أفيعجز الله عن جعل البركة فى محلها ولا يعلم حيث يجعل رسالته ؟ .

أفيغفل العاقل عن كون هذه القصة خرافة مخالفة للعقل ، مجعولة مكذوبة على الوحى ؟ .

الفصل السادس

﴿ فى نبوة يوسف وما جاء فى شأنه ﴾

أما نبوته فيدل عليها من القرآن الكريم ذكر الله له فى عداد الأنبياء الذين فضلهم على العالمين من ذرية ابراهيم (انظر سورة الانعام ٨٤ — ٨٦ ونص على نبوتهم بقوله تعالى ٨٩ : (اولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة) .

وأما ما جاء فى شأنه فقد قال الله تعالى فى سورة يوسف فى شأنه مع إمرأة العزيز ٢٤ (ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه) .

فقال المتكلف « يه ١ ج ص ٥ » ان القرآن نسب ليوسف ما هو منزه عنه بقوله : ولقد همت به وهم بها أى قصدت مخالطته وقصد مخالطتها .

قلت أولا : من أين للمتكلف أن المراد قصد مخالطتها ولماذا لا يكون المراد أنه هم بها ضرباً ونحو ذلك من وجوه المدافعة عن قداسته .

(وثانياً) ان قوله تعالى : (وهم بها) معلق على عدم رؤيته لبرهان ربه الذى هو العصمة . فمعنى الآية انه لو لا أن رأى برهان ربه وكان معصوماً لهم بها لأجل وجود الدواعى الكثيرة من شبابه وجمال المرأة ورغبتها فيه وخلو المكان والفتها .

ولعل المتكلف إنما لم يذكر فى نقله للآية تتمتها ، وهو قوله تعالى : (لو لا أن رأى برهان ربه لأجل التفاته ، إلا أن التتمة تنقض غرضه خصوصاً ما فى التتمة من قوله تعالى : (كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين) سيما وقد حكى الله عنه قبل الآية المذكورة قوله : (معاذ الله انه ربى أحسن مثواى) .

وحكى جل شأنه عن المرأة ٣٢ (انا راودته عن نفسه فاستعصم) ٥١ (انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين) فصراحة القرآن تدل على نزاهة يوسف فى هذه الحادثة مطلقاً .

الفصل السابع

﴿ فى رسالة موسى وما قيل فى شأنه ﴾

أما رسالته فى القرآن الكريم فغنية عن البيان ، ويكفى مما يدل على بعثته ورسالته وكتابه ومعجزاته ودعوته ما اقتصه الله جل شأنه فى سورة الاعراف ١٠١ - ١٥٥ - ولا حاجة إلى بيان رسالته من العهدين فإنها العنوان والأساس لها .

وأما ما قيل فى شأنه فقد قال الله جل اسمه فى شأنه فى سورة القصص ١٤ (ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه فاستغاثه الذى من شيعته على الذى من عدوه فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان إنه عدو مضل مبين ١٥ قال رب انى ظلمت نفسى فاغفر لى فغفر له إنه هو الغفور الرحيم) .

فقال المتكلف (يه ١ ج ص ٤١) فقتل القبطى مع انه لم يكن ذلك مباحاً له ولم يكن قتله على سبيل الخطأ بل كان قتل عمد وعدوان لقوله هذا من عمل الشيطان . وقوله : (رب انى ظلمت نفسى) وقوله فى سورة الشعراء ١٩ :

(فعلتهـــا إذاً وأنا من الضالين) .

أقول : لا يخفى ان بنى اسرائيل حينئذ كانوا مؤمنين بالله موحدين له يعرفونه بإسمه المقدس اهيه الذى آهيه . ويهوه اله ابراهيم واسحاق ويعقوب وهم شعب الله « انظر إلى ثالث الخروج » وأبناء الله أى أولياءه « خر ٤:٢٣ » وكان المصريون مشركين يعبدون البهائم « خر ٨ : ٢٦ » .

فلما رأى موسى الذى من شيعته فى الدين مع الذى من عدوه فى الدين يقتتلان حسن منه دفاع المشرك عن الموحد فوكزه فقضى عليه . ولا يتبين من الآية انه وكزه ليقتله بل سوقها يعطى انه أراد به مجرد الضرب للدفاع فصادف قتله خطأ فيجوز فى نفس الواقعة أن يكون دفاع موسى للقبطى جائزاً ، ويجوز أيضاً أن يكون قتله جائزاً ولو لأجل دفاع عابد الوثن عن الموحد خصوصاً والعادة تقضى أن يكون القبطى هو الظالم المعتدى لكون بنى اسرائيل حينئذ تحت عبودية المصريين القاسية وهذا الدفاع والقتل كان على حين غفلة من أهـــل المدينة يمكن ستره فى وقته بحيث لا يتعقبه ضرر فعلى ليكون حراماً من هذه الجهة ، ولكن كان الأفضل لموسى تركه ستراً على نفسه المقدسة أو على بنى اسرائيل من تجسس المصريين وتهمتهم أو اخبار الإسرائيلى إذا غضب وساء خلقه ، فلما مات القبطى وعلم موسى انه وقع فى خلاف الأفضل قال انه من عمل الشيطان يعنى اغواء المصرى على العدوان أو اغواء الإسرائيلى على المقاومة أو إقدامه على خلاف الأفضل ليثير الشيطان شر المصريين عـــلى بنى اسرائيل فقال على وتيرة الصديقين الذين يفزعون من تركهم الأفضـــل « ربى انى ظلمت نفسى فاغفر لى » ليعود إلى مقامه الرفيع فغفر له . وأما قوله « فعلتها إذاً وأنا من الضالين » فلا دلالة فيه على أنه فعل حراماً لأنا قد قدمنا فى الفصل الثانى من عصمة نوح أن المعنى الموضوع له لفظ الضلال بل والمستعمل

فيه غير مختص بمعصية الله ومخالفة أمره ونهيه اللازمين بل هو إضاعة الطريق ويختلف باختلاف متعلقه .

ومن الواضح أن النبي بعد أن يهديه الله بنور النبوة إلى الحق اليقين . ويكشف له بمشاهداتها عن أسرار اللاهوت والملكوت يرى أنه كان قبلها كالميت الذى أحياه الله .

والجماد الذى نعشه بروح القدس فيحق له أن يصف حاله فيما قبلها بالضلال الذى هو اضاعة الطريق عما اهتدى اليه بنور الوحى .

فالظاهر من سوق الآية وما قبلها ان موسى لما أخبر فرعون بأنه رسول رب العالمين وأمره بأن يرسل معه بنى اسرائيل ألقى عليه فرعون جملة من الكلام تتضمن أمرين « أحدهما » الإمتنان عليه بتربيتهم وايوائهم له « وثانيهما » التهكم على دعواه الرسالة وإنكارها بأنهم هم الذين ربوه من الطفولية ولبث فيما بينهم سنين من عمره وآخر أمره كفر نعمتهم وفعل فعل الأشرار فقتل منهم نفساً فمتى جاءته النبوة فأجاب موسى عليه السلام بما معناه انى فى آخر مكثى معكم حينما فعلت الفعلة وقتلت النفس لم أكن رسولا بل كنت من الضالين عن هدى الرسالة إلى الحق اليقين ، ففررت منكم لما خفتكم فوهب لى ربى حكماً وجعلنى من المرسلين .

وأما التربية والمكث بينكم فقد كان ذلك من آثار استعبادكم القاسى لقومى المؤمنين أولاد الأنبياء ، فتلك نعمة تمنها على ان عبدت بنى اسرائيل (انظر سورة الشعراء ١٥ - ٢٢) ، وهب ان ما ذكرناه مع وضوحه احتمالا فى الآيات والواقعة ، فلماذا لا يمنع المتكلف من أن يقول جازماً ان قتل موسى للقبطى لم يكن مباحاً ولم يكن خطأ بل كان قتل عمد وعدوان .

وقال الله تعالى فى سورة الشعراء حكاية عن موسى لما أرسله إلى فرعون ١١ (قال رب إنى أخاف أن يكذبون ١٢ ويضيق صدرى ولا ينطلق لسانى

فأرسل إلى هارون ١٣ ولهم علي ذنب فأخاف أن يقتلون ١٤ قال كلا فاذهبا بآياتنا إنا معكم مستمعون) .

فقال المتكلف (يه ١ ج ص ١٤) ان هذا يدل على أنه لما أمر الله موسى اعتذر عن التوجه بسبب العقدة التي في لسانه وقتله أحد المصريين فطلب من المولى أن يرسل إلى أخيه هارون بأن يبلغ الرسالة والقصة مأخوذة من التوراة وإنما دأب القرآن الإستخفاف بالخطايا فلم يذكر غضب الله على موسى كما ذكرته التوراة ، فموسى ترك الأفضل .

أقول : ليس في الآيات شيء من الدلالة على اعتذار موسى عن التوجه إلى ما ارسل اليه ، وإنما كان كلامه هذا حرصاً على حصول الغرض من رسالته وطلباً لليقين بحصوله بإبداء الموانع منه ، ولم يطلب تحويل الرسالة عنه إلى هارون إذ لا دلالة في قوله : ارسل إلى هارون على طلب الإستبدال به بل غاية ما يدل على طلب الرسالة لهارون ، وان الموارد الاخر من القرآن لتشهد بأنه طلب الرسالة لهارون معه ليكون ذلك أنجح لحصول الغرض ، فقد حكى الله عنه في سورة القصص قوله ٣٤ : (وهارون أخي هو أفصح مني لساناً فارسله معي رداءً يصدقني إني أخاف أن يكذبون ٣٥ قال سنشد عضدك بأخيك) وفي سورة طه ٣٠ (واجعل لي وزيراً من أهلي ٣١ هارون أخي ٣٢ اشدد به أزري ٣٣ واشركه في أمري - ٣٦ قال قد اوتيت سؤلك ياموسى) . بل يدل في خصوص المورد ما تقدم من قوله تعالى : (كلا) أي لا تخف من القتل ولا يصلون اليك بسوء فاذهبا بآياتنا فإن قوله تعالى : (فاذهبا بآياتنا) دال بواسطة الفاء التفريعية على أن الأمر بذهابهما معاً إجابة لمطلوب موسى وإيتاء لسؤله بقوله : (فارسل إلى هارون) وكاشف عن أن المطلوب لموسى هو إرسال هارون معه لا الإستبدال به .

ولئن تنزلنا قلنا لذي المعرفة : أفلا يكون ما ذكرنا في دلالة الآيات

احتمالا يمنع المتكلف عن جزمه فى دعواه ولكنه قد امتلأ سمعه وقلبه من صراحة التوراة الرائجة فى نقلها استعفاء موسى من الرسالة بلسان غير لين ولا موافق للأدب فصار يحمل ذلك على عاتق القرآن وحاشا وكلا . ففى رابع الخروج (١٠) فقال موسى للرب : استمع أيها السيد لست أنا صاحب كلام منذ أمس ولا أول أمس ولا من حين كلمت عبدك ، بل أنا ثقيل الفم واللسان (١١) فقال له الرب : من صنع للإنسان فماً أو من يصنع أخرس أو أصم أو بصيراً أو أعمى ؟ أما هو أنا الرب (١٢) فالآن اذهب وأنا اكون مع فمك واعلمك ما تتكلم به (١٣) فقال استمع أيها السيد ارسل بيد من ترسل (١٤) فحمى غضب الرب على موسى وقال : أليس هارون اللاوى أخاك أنا أعلم انه هو يتكلم الى آخره .

وانك لترى ان سوق الكلام القول المنسوب الى موسى أخيراً : (استمع أيها السيد أرسل بيد من ترسل) يعطى ما معناه انى لا أعتمد على هذا الوعد ولا أصغى الى هذه الحجة ، بل اختر لرسالتك رسولا غيرى . وحق أن يحمى غضب الله لذلك اللهم انى أعوذ بك أن انسب مثل هذا لقدس رسولك وكليمك موسى . وأن انسب لجلال وجهك أن ترسل من يرد عليك بمثل هذا الرد .

وأما قول المتكلف فيما تقدم من كلامه إنما دأب القرآن الإستخفاف بالذنوب فنقول فيه : ان القرآن الكريم كلام الله العليم الحكيم لم يجر على مجرى العهدين الرائجين فى اوقيعة بقدس موسى والأنبياء ونسبة فضائح الذنوب والكفر اليهم كما سنذكر بعضه فى هذه المقدمة إن شاء الله ولم يكن القرآن ليجمع على العقل والنقل بين المتناقضين وهما الرسالة وقبائح الذنوب .

وأما قوله : ان موسى ترك الأفضل فهو من الظرائف أفما ذكر عنه فى التوراة فى خطابه مع الله يعد من ترك الأفضل ، أو ان ترك الأفضل

يستدعى غضب الله ، ولعل المتكلف سمع من المسلمين بلفظ ترك الأفضل ولم يصل الى حقيقة المراد منه .

وأما ما ورد فى القرآن الكريم فى سورة الكهف ٦٤ - ٨٢ فى الحكاية عن شأن موسى والرجل الذى آتاه الله شيئاً من علم الغيب من قوله تعالى : (فوجدا عبداً من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علماً) الى قوله تعالى : (وما فعلته عن أمرى ذلك تأويل ما لم تستطع عليه صبراً) فقد حاول المتكلف (يه ١ ج ص ٤٢) أن يجعل فيه قدحاً بقدس موسى وأنى له ذلك .

ولنكشف نقاب الغفلة عن وجه هذه الآيات ، فلا يذهب عليك ان الله جلت عظمته وعظمت آلاؤه قد قسم رحمته وفضله على عباده حسبما اقتضته حكمته فى خلقه فأنعم على هذا العبد الصالح الذى يقال انه الخضر بشىء من علم الغيب وأسرار الحقائق ، وأنعم على موسى كليمه فخصه فى ذلك العصر بسيادة الرسالة بالشريعة وحقائق العرفان بالله وقوانين السياسة المدنية والسيطرة على تربية الناس وتأديبهم على ذلك بالدعوة اليه والاجراء له حسب فرصة الوقت من الاجراء بالقول والفعل وعلى حكمة التمدن من مراعاة ظاهر الحال وحجبه عن علم الغيب الذى لا مساس له بحكمة وظيفته ، فلما اجتمع موسى مع ذلك العبد الصالح طلب منه أن يطلعه على شطر مما منحه الله من علم الغيب ولم يتواطئا على أن يكون كل ذلك بأسرار الأفعال الجارية بحسب ظواهرها على خلاف الشريعة التى جعل تبليغها وسيطرتها لموسى ، فكان العبد الصالح يفعل الأفعال على مقتضى حقائقها وأسرارها الغيبية ، وكان موسى يعترض فيها على مقتضى وظيفته فى القوانين الشرعية والسياسات المدنية .

ولم يظهر من القرآن ان موسى كان مذعناً بعصمة ذلك العبد الصالح فى جميع أفعاله عن الخطأ والجهل ليكون الإعتراض من موسى عليه منافياً للإذعان بعصمته فيسوغ لموسى السكوت عما يخالف ظاهره الشريعة إلى أن يخبره بسره

الغيبي ، ولم يظهر من القرآن ان ذلك الرجل كان رسولا واجب العصمة . نعم يظهر من القرآن ان موسى كان معتقداً بصدقه فى دعواه بأن ما صدر من أفعاله المشار اليها إنما هو لكشف غيبي ، ووصول إلى حقائقها لا لغفلة أو خطأ فى شريعتها .

هذا ويجوز أن يكون اعتراض موسى على وجه الإستعلام عن الحقيقة والإستكشاف لغيبها ، ويكون قوله شيئاً أمرا وشيئاً نكرا ، إنما هو بحسب مزاعم الناس الذين لا يعلمون بحقيقة الرجل واطلاعه على بعض الغيب فلا ينبغى لغير المتسرع فى غفلاته أن يتوهم فى دلالة الآيات شيئاً من القدح بقدس موسى .

ثم قال المتكلف فى هذا المقام (يه ١ ج ص ٤٢) والظاهر أن محمداً أخذ هذه القصة من أقوال أهل عصره أو من خرافات اليهود فإنه لا وجود لها فى التوراة التى هى أقدم كتاب فى الدنيا .

قلت : من أين للمتكلف حصر الحقائق والوقائع التاريخية بما ذكر فى التوراة ، ومن أين له ان التوراة أقدم كتاب فى الدنيا ؟ أفتقبل هذه الدعاوى الكبيرة بلا برهان مقبول ؟

وكأن المتكلف لا ينزه القرآن من الخرافات حتى يذكر ما فى التوراة من خوف الله من آدم أن يأكل من شجرة الحياة لأنه صار مثل الله فى معرفة الخير والشر (انظر تك ٣ : ٢٢) .

وأكل الملائكة من الزبد واللبن والعجل الذى قدمه لهم ابراهيم (تك ١٨ : ٨) .

ومصارعة يعقوب مع الله حتى انه لم يقدر على يعقوب فطلب منه أن يطلقه فلم يطلقه حتى باركه (انظر تك ٣٢ : ٢٢ - ٣٠) .

ومخادعة صفوره لله حين التقى موسى وطلب أن يقتله بعد أن أرسله

ووعده (انظر خر ٤ : ٢٤ - ٢٧) ، وفى هذا المقدار كفاية فإن الإكثار منه يخرج عن حد البحث إلى سوء القالة .

وأما قوله تعالى فى سورة الشعراء ٤٢ (قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون) فلم يكن قول موسى فيه لسحرة فرعون اذناً فى السحر أو بعثاً عليه ليكون قد فعل حراماً بذلك كما زعم المتكلف ، بل إنما حقيقته اختياره التأخر فى إلقائه العصا عما صمموا عليه من السحر بإلقاء حبالهم وعصيهم ، كما يفيده قوله تعالى (ما أنتم ملقون) أى ما أنتم مصممون على إلقائه حيث جمعهم فرعون ليقابلوا بسحرهم معجزة موسى ، ويكشف عن ذلك قوله تعالى فى سورة الاعراف ١١٢ (قالوا يا موسى اما أن تلقى وإما أن نكون نحن الملقين ١١٣ قال : ألقوا ، وفى سورة طه ٦٨ (قالوا يا موسى إما أن تلقى وإما ان نكون أول من ألقى ٦٩ (قال بل ألقوا) .

وانا لنسأل المتكلف من أين اخذ قوله قال علماء الإسلام : انه اذن لهم فى السحر ، وان السحر كان جائزاً .

ولا تقل للمتكلف ان العهد القديم يذكر عن ايليا النبى انه أمر أنبياء البعل (صنم) ان يذبحوا له محرقة ويدعوا بإسم آلهتهم ففعلوا ذلك باقتراحه حسب العادة فى عبادة المشركين من الصباح الى الظهر قائلين : يا بعل اجبنا ، كل ذلك بمحضر ايليا وبنى اسرائيل ، وزاد ايليا على ذلك بقوله : ادعوا بصوت عال لأنه إله لعله نائم ونحو ذلك ، كل هذا ليظهر لهم معجزته (١ مل ١٨ : ٢٣ - ٣٠) .

لأنا نقول لك أولا : لا قياس بين الأمرين فإن موسى لم يأذن بمقتضى القرآن بالسحر ولا اقترحه ابتداء ولا بعث عليه كما ذكرنا بخلاف ما يذكره العهد القديم عن ايليا من انه هو المقترح للعبادة الشركية للبعل والباعث عليها فسماه إلهاً .

(وثانياً) ان المتكلف لا يتحاشى فى هذا الحال عن أن يقول نعم ان

ايليا اخطأ هاهنا وتحمل إثم العبادة الشركية وفعل خلاف الأفضل دلالة على ضعف الطبيعة البشرية كهارون وسليمان وغيرهما من الأنبياء .

وأما قوله تعالى فى شأن موسى فى سورة الاعراف ١٤٩ (ولما رجع موسى إلى قومه غضبان أسفاً قال بئسما خلفتمونى من بعدى أعجلتم أمر ربكم وألقى الألواح وأخذ برأس أخيه يجره اليه) فلم يعين القرآن ان أخذ موسى رأس أخيه وجره اليه كان على وجه الإهانة والإذلال فى التعزير بحسب متعارف ذلك الوقت فى بنى اسرائيل ، بل يجوز أن يكون بحسب المتعارف من أحوال بنى اسرائيل من أهون أوضاع العتاب فإن العهدين ليوضحان بنقلهما لسير بنى اسرائيل انهم كان عندهم تمزيق الثياب عند الغضب والتألم بمنزلة الحولقة والتمرغ على الأرض بمنزلة الإسترجاع (انظر أقلا الى السقوط على الأرض وتمزيق الثياب من أنبيائهم وملوكهم الذين هم أولى باوقار والتحمل (تك ٣٧ : ٢٩ و ٣٤ و عد ١٤ : ٥ و ٦ و ١٦ : ٤ و ٢٢ و ٤٥ و ٢٠ : ٦ و يش ٧ : ٦ و ٢ صم ١ : ١١ و ٣ : ٣١ و ١٣ : ٣١ و ٢ مل ٢ : ١٢ و ٥ : ٧ و ١٩ : ١ و ٢٢ : ١١ و خر ١١ : ١ و مت ٢٦ : ٦٥) .

وقد كان موسى حينئذ حرياً بالغضب لله إذ شاهد ذلك الأمر العظيم من قومه ، وان المتكلف (يه ٢ ج ص ٥٦ س ٤) جعل ما ذكره القرآن من فعل موسى مع هارون من فعل السفهاء .

وانظر أنت الى ما نذكره فى هذا الفصل مما نسبته التوراة الرائجة لموسى فى خطابه مع الله وقل انه كخطاب من يكون ، وفى خامس الخروج (٢٢) فرجع الى الرب وقال : يا سيدى لماذا اسأت الى هذا الشعب لماذا أرسلتنى ؟ .

وفى الثانى والثلاثين إذ عبد بنو اسرائيل العجل نسب الى موسى انه قال لله (٣٢) والآن ان غفرت خطيئتهم وإلا فامحنى من كتابك الذى كتبت .

وفى حادى عشر العدد (١١) فقال موسى للرب لماذا اسأت الى عبدك ؟

حتى انك وضعت ثقل جميع هذا الشعب علي. (١٢) لعلي حبلت بجميع هذا الشعب أو لعلي ولدته حتى تقول احمله فى حضنك (١٥) فإن كنت تفعل بى هذا فاقتلنى قتلا .

ولما وعده الله بقول التوراة عند ذلك ان يخفف عنه ثقل بنى اسرائيل ويطعمهم اللحم شهراً من الزمان (٢١) فقال موسى ستمائة الف هو الشعب الذى أنا فى وسطه ، وأنت قلت اعطيهم لحماً ليأكلوا شهراً من الزمان (٢٢) أيذبح غنم وبقر ليكفيهم أم يجمع لهم كل سمك البحر ليكفيهم (٢٣) فقال الرب لموسى هل تقصر يد الرب الآن ترى يوافيك كلامى أم لا إنتهى .

فانظر يا ذا المعرفة واللسان ولحن المحاورات ومواقع الأدب والجرأة والطلب والشك والتهكم والسخرية وسوء الأدب فى الكلام، والتفت الى مواقع هذا الكلام المنسوب لموسى مع الله وحاشاه .

وانظر أين الأقوال الأخيرة من قول الله فى القرآن الكريم : (رب أرنى كيف تحيي الموتى قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى) .

أفقول ابراهيم هذا مع اعترافه بالايمان وطلبه لاطمئنان قلبه بانضمام الحس الى العقل يكون شكا فى قدرة الله ، أم هذا القول المنسوب صدوره لموسى بعد ما رأى من آيات الله العظيمة فى مصر وبعد خروجهم منها ما رأى سيما وقد رأى كيف أنزل الله عليهم المن فى برية سين قبل ورودهم برية سينا حسب كفاية بنى اسرائيل وزيادة (خر ١٦ : ١ - ٦) وبمقتضى التوراة ان هذا الكلام المنسوب لموسى كان فى قبروت هتاوه إذ اشتهى بنو اسرائيل اللحم بعد أشهر من نزول المن (عد ١١ : ٤ - ٣٤) .

ثم انظر أيها الفطن الى انه هل تليق هذه الأقوال والمخاطبات لله العظيم بوظائف الأنبياء المرسلين لأجل ردع الناس عن مثل هذه الجرأة على الله ، وتعريفهم عظمة الله وحكمته وقدرته وتعليمهم ان أوامره نعمة وتكاليفه لطف

ونبوته عناية ورحمة ورسالته فضل منه وتحمل مشقاتها عبادة وجهاد في سبيله وان الذى يمحى من كتابه من الهالكين .

وذكرت التوراة عن قول الله فى شأن موسى وهارون انهما لم يؤمنا بالله (عد ٢٠ ، ١٢) وعصيا قوله عد (٢٧ : ١٤) وخاناه (تث ٣٢ : ٥١) حتى ان موسى فرط بشفتيه (مز ١٠٦ : ٣٣) وليت شعرى ماذا فرط بشفتيه وحاشاه ومع هذا كله والمتكلف يقول ويكتب « يه ١ ج ص ٤٢ س ١٨ » .

أما التوراة فلم تذكر يعنى فى شأن موسى سوى انه اعتذر بثقل لسانه ، ولعله يقول أيضاً : ان اعتذار موسى كان بألين الكلام وأحسنه أدباً فيا لهفاه على الناس لو كانت رسل الله اليهم ودعاتهم الى الحق وإدلاؤهم الى الله وهداتهم الى الرشد على مثل هذه الصفات وحاشا لله من ذلك .

الفصل الثامن

﴿ فى رسالة هارون وما ذكر فى شأنه ﴾

أما رسالته فى القرآن الكريم فيكفى فيها قوله تعالى فى سورة مريم ٥٤ (ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبياً) وفى سورة قد أفلح ٤٧ (ولقد أرسلنا موسى وأخاه هارون) .

وأما فى العهدين ففى السابع من الخروج (١) فقال الرب لموسى انظر انا جعلتك إلهاً لفرعون وهارون أخوك يكون نبيك ، ولئن أبيت هذا فيكفى من التوراة صراحتها بأن الله كلم هارون فى امور الشريعة ولوازم الرسالة مع موسى ومنفرداً ففيها مالفظه وكلم الله موسى وهارون وقال الله لموسى وهارون مايزيد على ثلاثة عشر مورداً « انظر أقلا خر ٧ : ٨ و ١٢ : ٤٣ و لا ١١ : ١ » ، وكلم الرب هارون « لا ١٠ : ٨ » ، وقال الرب لهارون : « عد ١٨ : ١ و ٢٠ » .

وفى الثانى عشر من صموئيل الأول (٨) أرسل الرب موسى وهارون وفى المزمور الخامس بعد المائة (٢٦) أرسل موسى عبده وهارون الذى اختاره وفى المزمور السادس بعد المائة (١٦) وهارون قدوس الرب .

وفى التوراة انه ظهرت على يده معجزة عصاه ويكفى من ذلك « خر ٧ : ١٠ و ٢٠ » وانه صنع الآيات أمام عيون الشعب « خر ٤ : ٣٠ » .

وأما ما ذكر فى شأنه فقد ذكرنا عن التوراة قولها فى شأنه وشأن موسى قولها انهما لم يؤمنا بالله وعصياه وخاناه .

وفى الثانى والثلاثين من الخروج (١) ولما رأى الشعب ان موسى ابطأ فى النزول من الجبل اجتمع الشعب على هارون وقالوا له : قم اصنع لنا آلهة تسير أمامنا «٢» فقال لهم هارون انزعوا أقراط الذهب التى فى آذان نسائكم وبنيكم وبناتكم وائتونى بها ، فنزع كل الشعب أقراط الذهب التى فى آذانهم وأتوا بها هارون «٤» فأخذ ذلك من أيديهم وصوره بالازميل وصنعه عجلا مسبوكا فقالوا هذه آلهتك يا اسرائيل التى أصعدتك من أرض مصر «٥» فلما نظر هارون بنى مذبحاً امامه وقال غداً عيد الرب «٦» فبكروا فى الصباح وأصعدوا محرقات وقدموا ذبائح .

فأقول : وان ما تذكره التوراة من صنع هارون العجل إجابة لطلب بنى اسرائيل منه أن يصنع لهم آلهة ، لهو بمنزلة الاخبار القولى الصريح بأن العجل إلههم ، وبمنزلة الدعوة الصريحة الى عبادته ، وزاد على ذلك فى الصراحة بأن بنى مذبحاً أمام العجل ونادى بالعيد على الرسم المألوف للعبادة . بل ان بناءه للمذبح ونداءه للعيد عبادة منه فى الظاهر للعجل الذى تبانوا على أنه إلههم .

فإذا كان الإعتقاد فى هذا المقام موافقاً للقول والعمل ، كان القول والعمل عبادة ظاهراً وواقعاً ، وان كان الإعتقاد مخالفاً لهما كانا عبادة منه فى محض

الظاهر ، وينضم الى قبحها قبح الاضلال للناس وحملهم على الشرك بالله كفعل ابليس ، وعلى كل حال فالتوراة الرائجة صريحة فى أن هارون وحاشاه صنع العجل ليتخذه بنو اسرائيل الهاً لهم وعبده وأمر بعبادته ولم تتعرض لبيان أن اعتقاده كان مخالفاً للظاهر .

وقد أنكر المتكلف « ية ١ ج ص ٣٥ » على صاحب السيف الحميدى قوله ورد فى سفر الخروج ان هارون صور العجل وعبده وأمر بنى اسرائيل بعبادته فجعل المتكلف هذا القول افتراء على هارون فرية كبرى .

فأقول : أولا لا يخفى حتى على الغبى ان صاحب السيف الحميدى كان باعتراضه منزهاً لهارون والتوراة الحقيقية عن هذه النسب ، بل يقول ان هذه الأقوال افتراء على هارون قدوس الله وعلى التوراة الحقيقية كتاب الله .

(وثانياً) ان قول التوراة الرائجة فلما نظر هارون بنى مذبحاً أمامه ونادى غداً عيد الرب قد بتره المتكلف عند نقله لهذا المقام ليموه اعتذاره البارد بأن هارون طلب من بنى اسرائيل أقراط الذهب ليصرفهم ويماطلهم فى مطلوبهم الى أن يأتى موسى .

أجل فلماذا فعل وصنع العجل الذى أرادوه الهاً ؟ أو ليس اللازم على المؤمن فضلا عن النبى الرسول أن يبذل نفسه وما يعز عليه فى المحاماة عن التوحيد ، ولماذا لما سمعهم يقولون عنه هذه آلهتك يا اسرائيل التى أصعدتك من أرض مصر ورأى عكوفهم عليه على انه اله بنى مذبحاً أمامه ودعى للعيد .

وان المتكلف هل يحصر العبادة بوضع خاص أو قول خاص ، أو ليس من الواضح ان أولاها وأظهرها القول والاعلام بأن هذا اله ، ثم التطوع له وترتيب آثار الالوهية ، وقد نسبت التوراة الرائجة كل هذا لهارون .

فيا أيها الذين لا يجوزون كذب النبى فى التبليغ ، ولا يجوزون على الله أن يرسل النبى الكاذب فى تبليغه كيف جوزتم على النبى الرسول أن يصنع

وثناً لمن يدعوه الهاً ويدعو الى الشرك بالله وعبادة الأوثان ويعين عليهما بفعله وجعلتم ما تضمن ذلك من اوحي والالهام .

وليت شعرى كيف يجتمع هذا الذى تذكره التوراة فى شأن هارون مع ما ذكرته قبل ذلك من تكليم الله لموسى فى شأن هارون أيضاً وزيادة عنايته به فى استخدامه زيادة على النبوة والرسالة بتوظيفه للكهنوت والرئاسة الدينية للتقديس وتكفير الخطايا وتعليم الشريعة وسدانة خيمة الاجتماع وزاد فى العناية بالتفصيل الضافى لثياب كهنوته للمجد والبهاء وتلوينها وتزيينها وترصيعها وكان هذا التكليم المطنب على طور سينا فى صعود موسى الذى تذكر التوراة ان هارون صنع فى أثنائه العجل الهاً لبنى اسرائيل وعبده ودعا لعبادته حينما ابطأ موسى فى النزول من الجبل « انظر الى الثامن والعشرين من الخروج بتمامه ولاحظه مع خر ٢٤ : ١٢ - ٣٢ : ٩ .

واسأل المتكلف هل كان الله يعلم حينئذ بما يصنعه هارون من العجل وعبادته والدعوة اليها وتساهل معه أو تقول غير ذلك تعالى الله علواً كبيراً .

وكيف ثم كيف يجوز العقل والعقلاء أن يرسل الله رسولا ويوظفه لخدمته فى اوظائف العظيمة وحفظ شريعته ويؤيده باظهار عنايته به مع أن ذلك الرجل يساعد على الضلال والشرك ثم يظهره أو يعتقده ويدعو اليه ويغوى المؤمنين .

أترى ان واحداً من ملوك الدنيا يعتنى هذه العناية بمن يعلم أنه يضل رعيته ويهيأ لهم التمرد على شريعته وسلطانه ، أو ليس أهون من ذلك أن يكون الرسول موحداً فى الظاهر والباطن محافظاً على التوحيد والدعوة اليه ولكنه يكذب قليلا أو كثيراً فى تبليغ الأحكام التى لا تضر بأصل الايمان وجوهر الشريعة .

ومن الظرائف فرار بعضهم كصاحب ميزان الحق الى انكار نبوة هارون

ورسالته فكابر فى ذلك ما ذكرنا من صراحة العهدين .

ولقد صرف المتكلف فيما نحن فيه كلاماً كثيراً لاينفعه حتى فى المغالطة انظر الى (يه ١ ج ص ٣٦ و ٣٧) .

واستشهد أيضاً حيرة منه بآيات كثيرة من القرآن الكريم تنقض عليه بصراحتها غرضه .

ومنها قول الله جل اسمه فى سورة طه ٨٧ - ٩٥ وآخرها قوله تعالى : (ولقد قال لهم هارون من قبل يا قوم إنما فتنتم به وإن ربكم الرحمان فاتبعونى وأطيعوا أمرى قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى) .

أفترى المتكلف توهم من هذه الآيات وخصوص الأخيرة ان معناها ان هارون صنع العجل إلهاً لبنى اسرائيل واجابة لطلبهم ذلك منه ، وبنى مذبحاً ودعى الى العيد .

ثم ان المتكلف لما شعر بارتباكه فى هذا المقام ولم يجد من طول كلامه طائلا فر الى الإنتقاد بوهمه على القرآن ورسول الله ونسب (يه ١ ج ص ٣٧) الخلط والغلط بتسميته صانع العجل المذكور بالسامرى وجعلها من الجهل التام بالتاريخ وبعلم توقيع البلدان وادعى بغفلته (يه ٢ ج ص ٥٥) انه لم يكن فى عصر موسى شىء يقال سامرة ولا سامرى .

فأقول : والذى دعى المتكلف الى هذا التهور والاقدام ما فى السادس عشر من الملوك الاول فى التراجم العربية الجديدة فى ذكر عمرى ملك اسرائيل الذى ملك بعد سليمان بن داود بخمسين سنة تقريباً (٢٤) ، واشترى جبل السامرة من شامر بوزنتين من الفضة وبنى على الجبل ودعى المدينة التى بناها باسم شامر السامرة ، فأضاف المتكلف الى ذلك بوهمه مقدمتين احداهما انه لم يقع فى خلق الله فى جميع الأمكنة والأزمنة منشأ للتسمية بالسامرى حتى بنى عمرى مدينته المذكورة ، (وثانيهما) ان القرآن تبع فى تسميته صانع العجل بالسامرى لما

ذكرناه عن الملوك الاول ، وان دعوى هاتين المقدمتين لتحتاج الى الإلهام ولعل المتكلف يدعيه ولم يختص بهـــذا بل سبقه اليه المتعرب (ذ ص ٥٠) فادعى انه لا يمكن أن يكون فى بنى اسرائيل على عهد موسى سامرى وان هذا النعت لم ينعت به إلا بعد جلاء بابل .

إذا سمعت هذا فاعلم انه كل ما جاء فى العهد القديم من اسم السامرة المذكورة فإنما لفظه فى الأصل العبرانى (شمرون) ، وعلى ذلك جرت النسخة الفارسية المطبوعة فى ادن برغ سنة ١٨٤٥ و ١٨٤٦ حتى فى العهد الجديد الذى ترجمه هنرى مارتن ، وعليه أيضاً جرت النسخة العربية المطبوعة سنة ١٨١١م فى العهد القديم منها . والترجمة العبرانية للعهد الجديد وجرت عـــلى نهج الأصل العبرانى للعهد القـديم فسمت السامرى (شمرونى) ، والسامرية (شمرونيت) والسامريين (شمرونيم) ، (انظر أفلا مت ١٠ : ٥ و يو ٤ : ٤ و ٩ و ٨ : ٤٨) .

ولا بد أن يتضح لك من ذلك ان سامرة وسامر تعريب شمرون فى اللغة العبرانية ، وسامرى تعريب شمرونى ، وسامريين تعريب شمرونيم .

وحينئذ فاعلم انه لا ينحصر وجه التسمية بالسامرى بالنسبة الى ما بناه عمرى بعد زمان سليمان ، بل ان من المدن التى افتتحها يوشع بن نون ووقعت فى سهم سبط زبولون مدينة شمرون ، وكان لها ملك فلا بد أن تكون موجودة فى عصر موسى لقرب الزمان (انظر الى يش ١١ : ١ و ١٢ : ٢٠ و ١٩ : ١٥) فيكون تعريبها سامرة ، والمنسوب اليها سامرى ، وهذا كاف فى جهل المتكلف والمعرب .

ويبقى السؤال على كثير من تراجم العهدين بالعربية ، وهو أنه لماذا عربوا شمرون مدينة عمرى بالسامرة وتركوا فى التعريب شمرون التى افتتحها يوشع فى تراجمهم على حالها .

دع هذا فحقيقة الحال ان من أولاد يساكر ابن يعقوب من إسمه (شمرون) (تك ٤٦ : ١٣ و عد ٢٦ : ٢٤ و ١ أى ٧ : ٢١) .

وكان بنوه من عشائر بنى اسرائيل المعدودين فى الجند على عهد موسى وسميت عشيرتهم فى الأصل العبرانى (هشمرونيم) (عد ٢٦ : ٢٤) وبمقتضى ما ذكرنا من التعريب يكون اسمهم فى العربية السامريين وواحدهم سامرى ، ولئن تهازل المتكلف معجباً بعلمه ومعارفه .

وقال (يه ١ ج ص ٣٧) لا نعلم من أين أتى هذا السامرى هل نزل من السماء أم طلع من الارض ؟

قلنا إنا لنعذرك فى مبلغ اطلاعك وتهوراتك ونخبرك بمقتضى العهد القديم انه جاء من سبط يساكر من عشيرة « هشمرونيم » باللفظ العبرانى والسامريين بالعربى .

الفصل التاسع

﴿ فى رسالة أيوب وما ذكر فى شأنه ﴾

أما نبوته ورسالته فى القرآن الكريم فيكفى فيها أن عده الله فى عداد من أوحى اليهم من الرسل المبشرين والمنذرين لتقوم بهم الحجة « انظر الى سورة النساء ١٦١ - ١٦٣ .

وجاء فى شأنه قوله تعالى فى سورة ص ٤٤ : « إنا وجدناه صابراً نعم العبد إنه أواب » .

وأما نبوته فى العهدين فقد تكرر ذكر تكليم الله له ووحيه اليه « انظر أى ٣٨ : ١ و ٤٠ : ١ و ٦ و ٤٢ : ٧ » .

وما يدل على انه كان عظيماً عند الله يخلص نفسه ببره « مز ١٤ : ١٤ و ٢٠ » وانه ليس مثله فى الارض رجل كامل ومستقيم يتقى الله ويحيد

عن الشر (أى ١ : ٨ و ٢ : ٣) .

وفى الخامس من رسالة يعقوب (١١) قد سمعتم صبر أيوب .

ومع ذلك قد جاء عنه فى العهد القديم من الإعتراض على أمر الله ، والضجر من ابتلائه ، وسوء الأدب فى الإعتراض على الله والتألم من الوعظ والإرشاد ما لا ينبغى أن يصدر من أجهل جهال الأشرار .

فقيل عنه انه جعل القضاء ظلماً بكلام بلا معرفة (أى ٣٨ : ٢) وصار يطلب المحاكمة مع الله (أى ١٩ : ٧ و ٢٣ : ٣ - ٩) ويعرض بنسبة الظلم اليه تعالى الله عن ذلك (أى ١٠ : ٣ و ١٩ : ٧) وان الله نزع حقه (أى ٢٧ : ٢) ولفق فوق اثمه (أى ١٤ : ١٧) .

وانظر الكلام المنسوب له فى السفر المسمى باسمه تجد العجب العجيب (انظر أقلا أى ٩ : ٢١ - ٢٤ و ٢٨ - ٣٥ و ١٠ : ١ - ٨) ، فهل يجتمع صدق هذا النقل عنه مع صدق المنقول فى رسالة يعقوب . قد سمعتم صبر أيوب ، وهل يجتمع هذا مع النبوة والرسالة التى من مهمات مقاصدها قطع مادة هذا الفساد .

الفصل العاشر

(فى نبوة داود وما ذكر فى شأنه)

أما نبوته فى القرآن الكريم فيكفى فيها قوله تعالى فى سورة بنى اسرائيل (ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وآتينا داود زبوراً) . وعده فى جملة الرسل الموحى اليهم كما فى سورة النساء ١٦١ — ١٦٣ ، (وانظر الى سورة الانعام ٨٤ - ٩٠ .

وأما فى العهدين ففى الثالث والعشرين من صموئيل الثانى ١ وحى داود ابن يسى ووحى الرجل القائم فى العلا روح الرب تكلم بى وكلمته على لسانى ٣

قال إله اسرائيل إلى تكلم صخرة اسرائيل .

وفى ثانى عشر مرقس ٣٦ لأن داود يدعوه بالروح القدس رباً ، ونحوه فى الثانى والعشرين من متى .

وفى ثانى الأعمال ٣٠ صرح ما عن بطرس بأن داود كان نبيا ، وفى أول رسالة العبرانيين المنسوبة إلى بولس استشهد بفقرات عديدة من المزامير وجعلها قول الله .

وأما ما ذكر فى شأنه فى القرآن الكريم فى سورة ص ٢٠ (وهل أتيك نبوء الخصم إذ تسوروا المحراب ١٢ إذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض — ٢٢ إن هذا أخى له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة فقال اكفلنيها وعزنى بالخطاب ٢٣ قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه — وظن داود إنما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعاً وأناب) .

قال المتكلف يه ١ ج ص ٤٧ كل من اوتى ذرة من الفهم جزم بأن هذه الأقوال مأخوذة من التوراة .

يعنى انها مأخوذة من الحادى عشر من صموئيل الثانى حيث ذكر فيه ان داود وحاشا زنى بامرأة اوريا الحثى الذى هو من جنده المؤمنين على علم بأنها امرأة اوريا وذات بعل فحملت منه وحاول أن يموه حملها منه ويلصقه باوريا زوجها ثم سعى فى قتل اوريا ، وقد تشبث المتكلف لدعوى مطابقة الآيات فى المراد لما ذكرنا عن صموئيل الثانى بأقوال بعض المفسرين حيث ذكروا فى تفسيرها نحو ما ذكر فى صموئيل من الزنا وإلقاء اوريا للقتل وقد قدمناه فى المقدمة السابعة ان مثل هذه الأقوال لا تحتفل بها الجامعة الإسلامية ولا يصح الجدل بها ، وان التشبث بها إنما هو من ضيق الخناق خصوصاً مع مصادمتها لحكم العقل بعصمة النبى ومعارضتها بما حكاه المتكلف (يه ١ ج ص ٤٩) عن

تفسير النسفى وغيره من أن داود وقعت عينه على المرأة فأحبها فسأل اوريا النزول له عنها فاستحيا أن يرده ففعل فتزوجها .

وما نقله أيضاً (يه ١ ج ص ٥٠) مما روى عن على عليه السلام انه قال من حدثكم بحديث داود على ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين وهى حد الفرية على الأنبياء فسمى عليه السلام رواة ذلك قصاصاً وهم المعتمدون على الخرافات التاريخية ، وصرح بأنه فرية على النبي .

وروى الراوندى فى قصص الأنبياء عن الامام السادس من أهل البيت جعفر بن محمد عليهما السلام روايتين بهذا المضمون وتبرئة ساحة داود عن هذا الإفتراء .

فمن اوهم البين قول المتكلف قبل ذكر الرواية عن على عليه السلام ان علياً لم يكن زجره إنكاراً لحقيقة القصة بل لصرف الناس عن المثالب .

وليت شعرى ألم يفهم المتكلف معنى قوله عليه السلام حد الفرية على الأنبياء ولم ينظر إلى معنى الفرية فى كتب اللغة ، هذا وقد رويت أيضاً فى تفسير الآيات روايات متعددة مختلفة المضمون وكلها معارضة لما ذكره أولا عن المفسرين ومبرئة بجامع مضمونها لداود عن الزنا وما بعده ، فانظر إلى كتاب تنزيه الأنبياء للسيد المرتضى « قدس سره » (١) .

فأقول : ان من كان له من الفهم ما يهديه إلى الصواب ليجزم بأن مدلول الآيات مباين للقصة المذكورة فى حادى عشر صموئيل الثانى ، فإن دعوى أحد الخصمين إن كانت على سبيل المثل لفعل داود كانت هى وجواب داود فى القضاء بمقتضى القرآن يدلان على أن الصورة محض الطلب والسؤال للنعجة من دون أخذها أو تصرف بها قهراً أو اختلاساً وبمقتضى قانون

(١) طبع فى المطبعة الحيدرية فى النجف الأشرف .

المثل فى مطابقته للممثل أن لا يكون داود تصرف بامرأة اوريا ، وحيث ان الروايات المفسرة للآيات زيادة على تعارضها فيما بينها لم يبلغ بعضها الحد الذى يصح الإعتماد عليه أو الجدل به حسب القانون الذى ذكرناه فى المقدمة السابعة فصواب القول فى الآيات هو أنها لا دلالة فيها على أن الخصمين من أى نوع كانا ، ولا على أن محاكمتهما كانت صورية لأجل التوبيخ لداود ، ولا على أنه تسرع فى القضاء ، ولا على أن فتنته وامتحانه بأى نحو كانا ، فمقتضى ظاهر اللفظ ان المخاصمة غير صورية ، ومقتضى ان داود آتاه الله الحكمة وفصل الخطاب كما فى سورة ص ١٩ ، وانه عن أحكام الله لم يمل لأن الله هو علمه ولم ينس شريعة الله ولم يضل عن وصاياه (مز ١١٩ : ١١٢ و ١٠٩ و ١١٠) هو انه لم يتسرع فى الحكم ولم يجر على غير قانونه الشرعى .

وأما فتنته فيجوز فى معناها أن يكون داود قد امتحنه الله بدخول الخصوم من غير الموضع المعتاد للدخول ومخاصمتهم فى أمر غير مهم كثيراً حتى فزع وفكر فى ذلك ، وانه ما عسى أن يكون هذا الأمر فشغل بفزعه وفكره زماناً عن وظيفته وطريقته فى محراب العبادة من النوافل والتسابيح المندوبة فخر راكعاً مسارعة إلى وظيفته ، وأناب إلى الله عما يعده فى تقواه واجتهاده فى العبادة زلة من زلات المتقين فطلب من الله المغفرة والعود إلى مقامه الرفيع ومنزلة الصديقين فقال الله جل شأنه فى اثر الآيات ٢٤ : (فغفرنا له ذلك وان له عندنا لزلفى وحسن مآب) ، وكيف يكون له عند الله زلفى وحسن مآب إذا كان قد اتبع هواه مدة من الزمان كما يزعمون إلى الزنا بذات البعل وتسبيبه قتل زوجها ، وقد قال الله له ٢٥ : (ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب .

وان هاتين الآيتين الأخيرتين يتحصل منهما برهان إستثنائى على أن داود لم يتبع الهوى فلم يفعل خطيئة ، وتقريره هو أن كل من يتبع الهوى له

عذاب شديد بحكم الآية الأخيرة ، لكن داود ليس له عذاب شديد بل له عند الله زلفى وحسن مآب بحكم الآية التى قبلها ، فينتج بالبداهة ان داود لم يتبع الهوى فكيف تفسر الآيات السابقة ؟ أو يتوهم فى معناها ما يناقض هذه النتيجة ، وإذا تدبرت هذا كله عرفت صواب الشيخ السنوسى وجرأة المتكلف عليه (يه ١ ج ص ٥٣ س ١٦) ، وسيعلمون غداً من أصحاب الصراط السوى ومن اهتدى .

وفى المزمور المائة والتاسع عشر ١٠١ من كل طريق شر منعت رجلى لكى أحفظ كلامك ١٠٢ عن أحكامك لم أمل ، لأنك أنت الذى علمتنى ١١٠ أما وصاياك فلم أضل عنها .

وليت شعرى كيف يجتمع هذا المنسوب إلى الإلهام والوحى مع ما سنذكره من العهدين مما يشدد القدح فى قدس داود ، وكيف لا يتناقضان ؟ وكيف يكون التناقض ؟ .

ففى الحادى عشر من صموئيل الثانى ٢ وكان فى وقت المساء ان داود قام عن سريره وتمشى على سطح بيت الملك فرأى من على السطح امرأة تستحم وكانت المرأة جميلة جداً ٣ فأرسل داود وسأل عنها فقال واحد : أليست هذه بثشيع بنت اليعام امرأة اوريا الحثى ؟ ٥ فأرسل داود رسلا وأخذها فدخلت اليه فاضطجع معها وهى مطهرة من طمثها ثم رجعت إلى بيتها ٥ وحبلت فأرسلت وأخبرت داود وقالت : انى حبلى ، فأرسل داود على اوريا وجاء به من الحرب وأمره أن يذهب إلى بيته (وغرضه أن يقارب اوريا امرأته فيتموه أمر الحمل) فلم يمض اوريا إلى بيته مواساة لاصحابه المتجردين للحرب فى سبيل الله مع تابوت الله ، ولما مضى اوريا إلى الحرب كتب داود إلى رئيس جيشه أن يجعلوا اوريا فى وجه الحرب الشديدة ويرجعوا من ورائه ليقتل ففعلوا وقتل اوريا واخبر داود بموته فأرسل إلى امرأته المذكورة فضمها

إلى بيته فولدت له ولداً من حمل ذلك الزنا (٢ صم ١١ : ٦ - ٢٧) فأرسل الله ناثان النبي إلى داود وقال له قد كان فى مدينة رجلان واحـــد فقير له نعجة واحدة عزيزة عليه ، وآخر غنى له غنم وبقر كثيرة جداً فأخذ الغنى نعجة الفقير وهيأها لضيفه فقال داود يقتل هذا الرجل ويرد على الفقير النعجة أربعة أضعاف (وفى النسخة السبعينية سبعة أضعاف) فأخبره ناثان بأن هذا مثل له ووبخه عن قول الله على أفعاله وان الله سيكافيه ويسلط عليه من أهل بيته من يزنى بنسائه قدام جميع اسرائيل وأخبره بأن الولد المولود له من هـــذا الزنا سيموت ، ولما مرض الولد صام داود لأجله وطلب من الله شفائه وبات مضطجعاً على الأرض ولم يأكل خبزاً (٢ صم ١٢ - ١٨) .

وقد نسب إلى داود هاهنا خطيئة اخرى وهو حكمه على آخذ النعجة بخلاف شريعة التوراة إذ قد جمع عليه بين القتل وغرامة أربعة أضعاف النعجة أو سبعة لأنه ان كان قد سرقها غرم أربعة أضعافها ولكن لا يهدر دمه مطلقاً إلا إذا وجد ينقب فضرب ومات فإنه ليس له دم ، ولكن ان أشرقت عليه الشمس فله دم (خر ٢٢ : ١ و ٢) ، واما إن كان قد غصبها فليس عليه إلا أن يعوض عنها ويزيد عليها خمس العوض ويكفر بكبش صحيح ذبيحة اثم (لا ٦ : ١ - ٨) .

وأيضاً قد نسب له مع أبشالوم ابنه ما ينجر إلى الخطيئة والتساهل فى تأديبات الشريعة وحدودها مع الأشرار المفسدين فى الأرض لمحض الهوى وحب اولد (انظر ٢ صم ١٥ - ١٨ : ٣٣) .

الفصل الحادي عشر

﴿ فى نبوة سليمان وما ذكر فى شأنه ﴾

أما نبوته فى القرآن الكريم فقد ذكره الله جل اسمه فى عداد الأنبياء من ذرية ابراهيم فى سورة الانعام ٨٤ (وقال تعالى بعد تعدادهم ٨٩ اولئك الذين آتيناهم الكتاب والنبوة) .

وذكره أيضاً فى سورة النساء فى عداد الرسل الموحى اليهم المصرح برسالتهم ١٦١ - ١٦٣ .

وأما فى العهدين ففى الثالث من الملوك الاول ٥ والاول من الأيام الثانى ٧ ترائى الله لسليمان وقال له : اسأل ماذا أعطيك ؟

وفى العهدين أيضاً فقال الله لسليمان : (١ مل ٣ : ١١ و ١٢ ى ١ : ١١) ، وفى السابع من الأيام الثانى ١٢ ما حاصله ان الله ترائى ثانياً لسليمان وقال له : قد سمعت صلاتك .

وفى سادس الملوك الاول ١١ وكان كلام الرب إلى سليمان .

وفى الثامن والعشرين من الأيام الاول عن قول داود عن قول الله له ٦ وقال : ان سليمان ابنك هو يبنى بيتى وديارى لأنى اخترته لى ابناً وأنا أكون له أباً . ونحوه فى الثانى والعشرين من الأيام الاول ٩ و ١٠ ، وسابع صموئيل الثانى .

وأما ما ذكر فى شأنه ففى القرآن الكريم فى سورة ص ٢٩ (ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنه أواب ٣٠ إذ عرض عليه بالعشى الصافنات الجياد ٣١ فقال إنى أحببت حب الخير عن ذكر ربى حتى توارت بالحجاب ٣٢ ردوها على فطفق مسحاً بالسوق والأعناق .

قال المتكلف (يه ١ ج ص ٤٣) قد ورد فى القرآن ما يفيد انه

اشتغل بالامور الدنيوية التى ألهته عن عبادة الله - والآيات دالة على أن الخيل ألهته عن الصلاة .

أقول : لا ينبغى أن ينكر ان اقتناء سليمان للخيل واختياره لأحوالها كان من الخير الراجح ، لأن اقتناءها كان بمقتضى الحال لتثبيت مملكة الإيمان والإستعداد لدفاع طغيان الوثنيين وعدوانهم ، وربما يدل عليه قوله أحببت حب الخير فلا وجه للقطع بأنه كان من اللهو الدنيوى كما توهمه المتكلف بل هو على ما ذكرناه نحو من أنحاء العبادة ومقدمات المحافظة على الموحدين والجهاد فى سبيل الله ، ومن أين فى دلالة الآيات ما يفيد انه اشتغل بالنظر إلى الخيل عن عبادة واجبة حتى فات وقتها ليكون قد أذنب وفعل قبيحاً . فلماذا لم يحتمل المتكلف ان ذكر الرب فى الآية كان من التسابيح المندوبة التى يجوز تركها وان كان عمداً فضلا عن الإشتغال عنها بخير آخر ، ولكنها لما كانت من وظائف سليمان المعتادة فى ذلك الوقت أسف على فوات وظيفتها بسبب ما يمكن تحويله إلى وقت آخر .

ويمكن أن يكون معنى باقى الآيات ان لم يكن هو الظاهر منها ان سليمان رد الخيل إلى محالها ليدرك وقت الوظيفة من الذكر المعتاد له ، ولما توارت بالحجاب وفات وقت الوظيفة قال : ردوا الخيل علىّ ليعود إلى الخير الاول فطفق يمسح بسوقها وأعناقها لأحد أمرين اما لأنه أحب أن يتواضع لله ويعمل عمل المتولين لخدمة الخيل وسواسها ، واما لأن يتآلفها ليتمكن منها وتجرى على إرادته عند الركوب ، وكيف كان فإن قول الله جل اسمه عند صدر القصة فى شأن سليمان (نعم العبد إنه أواب) ، مانع عن حملها على وجه يقتضى وقوع سليمان فى المعصية .

وقال الله تعالى فى سورة ص أيضاً ٣٣ (ولقد فتنا سليمان وألقينا على على كرسيه جسداً ثم أناب ٣٤ قال رب اغفر لى . .) .

فقال المتكلف (يه ١ ج ص ٤٥) ان هذه العبارات دالة بصراحة اللفظ على وقوعه أى سليمان فى الخطيئة .

أقول : ان من معانى الفتنة هو الإمتحان والإبتلاء وقد اقتضت الحكمة إبتلاء سليمان فألقى على كرسيه جسداً فشغله ذلك عن تسابيحه المندوبة ووظائفه المعتادة ولم يفعل بذلك ذنباً ولو تركها عمداً وابتداء ولكن اجتهاد الأنبياء فى العبادة يأبى ذلك بل يعدونه من الخسران وأسباب عدم الترقى بالطاعة إلى المراتب السامية ، فساء سليمان ذلك وأناب إلى ربه واستغفره لتقصيره عن وظيفته الذى يعده الصديقون من الزلل ونقصان الربح فغفر الله له ، ولعل ما ناله بالإنابة إلى الله أفضل مما فاته .

ومما ينبغى الإعتبار به ان المتكلف تقوّل على القرآن وهذه الآيات .

فقال (يه ١ ج ص ٤٣) غير متحرج حتى من انتقاد الناس ، انه ورد فى القرآن ان سليمان سمح بعبادة الأصنام فى بيته .

وتشبث لكل ما ادعاه هاهنا كعادته بأخبار بعض القصاص (انظر إلى يه ١ ج ص ٤٤ و ٤٥) وانه ليعلم ان جمهور المسلمين والجامعة الإسلامية لا يحتفلون بها ، وانه لحق أن يقال له ماذا تصنع ؟ أو ما سمعت المثل ولن يصلح العطار ما أفسد الدهر .

فإن فى الحادى عشر من الملوك الاول ٤ وكان فى زمان شيخوخة سليمان ان نساءه أملن قلبه وراء آلهة اخرى ولم يكن قلبه كاملا مع الرب إلهه كقلب داود أبيه ٥ فذهب سليمان وراء عشتاروت آلهة الصيدونيين وملكوم رجس العمونيين ٦ وعمل سليمان الشر فى عينى الرب ولم يتبع الرب تماماً كداود أبيه ٧ حينئذ بنى سليمان مرتفعة لكموش رجس الموابيين على الجبل الذى تجاه اورشليم ولمولك رجس بنى عمون وانظر الى (٢ مل ٢٣ مل:١٣) .

وليت شعرى هل عبادة الأوثان إلا أن يذهب ورائها ويعمل لها مثل

ما يعمله عبدتها لها كبناء المرتفعات ونحوه ، وان المتكلف قد هون هذا الأمر (يه ١ ج ص ٤٣) فقال ذكر فى التوراة : ان النساء الغريبات أملن قلب سليمان حتى بنى لآلهتهن المرتفعات .

ومن الإتفاق الظريف ان فى العهدين كلمة تنقل عن قول الله قد لازمتها العاقبة الغير المحمودة (وهى كلمة الابن) .

فنى رابع الخروج ٢٢ يقول الرب اسرائيل ابنى البكر ٢٣ اطلق ابنى ليعبدنى فكان عاقبة ذلك ان هؤلاء الذين قيل فيهم هذا قد تقلبوا فى شركهم ما شاؤا كما سمعت فى المقدمة الخامسة .

وفى الثامن والعشرين من الأيام الاولى فى شأن سليمان اخترته لى ابناً وأنا أكون له أباً .

ويقول الحادى عشر من الملوك الاول ٥ - ٨ ان هذا المختار مال قلبه إلى الأوثان وذهب ورائها وعمل لها ما يعمله عبادها .

وفى ثالث متى فى شأن المسيح ١٧ هذا هو ابنى الحبيب الذى به سررت فكانت العاقبة ممن ينتمى اليه أن يقول ان الله ذو اقانيم ثلاثة فهو واحد وثلاثة.

هذا وقد نسب الحادى عشر من الملوك الاول إلى سليمان غير هذا من المعاصى الكثيرة ومخالفات الشريعة ، منها تزوجه بسبعمائة امرأة واتخاذه ثلاثمائة من السرارى (١ مل ١١ : ٣) .

وقد حرمت التوراة على ملك بنى اسرائيل كثرة النساء (تث ١٧:١٧) ومنها تزوجه بالوثنيات وقد حرمته التوراة أيضاً (خر ٣٤ : ١٦ و تث ٧ : ٣ و ٤) .

ولا بد حينئذ من أن تكون مقاربة المرأة التى حرم التزويج بها من قسم الزنا المحرم فى التوراة (خر ٢٠ : ١٤ و تث ٥ : ١٨) .

وعلى هذا فقد نسب إلى سليمان كثرة الزنا فى كثير من عمره الشريف

وذلك من حين تجاوزه المقدار الموظف له فى الشريعة من النساء ومن حين تزوجه بالمشركات .

فلينظر العاقل انه هل يجوز فى حكمة الله ولطفه أن يكون مثل من تنسب له هذه الامور نبياً بعث لإرشاد الخلق واختاره الله ابناً له وأوحى اليه مثل كتاب الأمثال والجامعة المعدودين من كتب الوحى .

الفصل الثاني عشر

﴿ فى نبوة اليسع وما ذكر فى شأنه ﴾

أما نبوته فى القرآن الكريم فقد ذكره فى عداد الأنبياء الذين صرح بنبوتهم فى سورة الانعام ٨٦ - ٨٩ ، وفى مقام آخر ظاهر فى انه لتعداد الأنبياء فى سورة ص ٤٨ .

وأما فى العهدين فقد صرح بنبوته فى أول التاسع من الملوك الثانى ، وأما ما ذكر فى شأنه ففى الثامن من الملوك الثانى ٧ - ٩ ان بنهدد ملك آرام كان مريضاً فارسل حزائيل مع هدية إلى اليشع ليسأله عن كلام الله انه هل يشفى من مرضه ١٠ فقال له اليشع : اذهب وقل له شفاء تشفى وقد أرانى الرب انه يموت موتاً .

وقد نسب الى اليشع فى ذلك صريح الكذب على الوحى وكلام الله .

وفى السادس من الملوك الثانى ١٩ ما حاصله ان اليشع كذب على الجيش الذى أرسله فى طلبه ملك آرام ثلاث كذبات لم تلجأ اليها الضرورة كما ألجأت اسحاق إلى قوله عن امرأته انها اخته .

الفصل الثالث عشر

﴿ فى نبوة ارميا وما ذكر فى شأنه ﴾

أما نبوته ففى صريح السادس والثلاثين من الأيام الثانى ١٢ وثامن متى ١٧ وفى هذا المقدار كفاية لأهل الكتاب .

وأما ما ذكر فى شأنه ففى العهدين فى رابع كتابه المسمى ارميا عن قوله ١٠ فقلت آه يا سيد الرب حقاً انك خداعاً خادعت هذا الشعب واورشليم قائلا يكون سلام وقد بلغ السيف النفس .

أقول : وليت شعرى ماذا يقول المتكلف فى هذا المقام ؟ أيقول ان الله جل شأنه متصف بهذا تعالى عن ذلك علواً كبيراً ؟ أم يقولون ان هذا النبى الموحى اليه بكثير من الغيب والمرسل لموعظة بنى اسرائيل وارشادهم لا معرفة له بالله ولم يسمع عن التوراة أقلا قولها ان الله ليس إنساناً فيكذب (عد ٢٣ : ١٩) .

وفى خامس عشر صموئيل الاول ٢٩ ونصيح إسرائيل لا يكذب أم يقولون ان هذا النبى شاء أن يسب الله ويصفه بالكذب والخداع لينكشف للناس علم الله وغناه وحكمته فى إرساله ، ولا أقل من أن يكون هذا الكلام المعدود من الإلهام كذباً فى تبليغ الناس وإرشادهم إلى المعارف الحقة إذ نسب هذه الصفة إلى الله تعالى ، أم يقولون ان هذا الكلام وما يجرى مجراه مكذوب على الأنبياء مدسوس فى كتب الوحى من تصرف الضلال أو من عبث الجهل ، فليعتبر ذو الرشد .

الفصل الرابع عشر

﴿ فى نبوة حزقيال وما ذكر فى شأنه ﴾

أما نبوته فضرورية عند أهل الكتاب والكتاب المنسوب اليه المشتمل فى أواخره على تبليغ الشريعة معدود من الكتب الإلهامية الصادرة عن أوحى وكلام الله عند عامة أهل الكتاب ما عدا بقية السامريين .

وأما ما ذكر فى شأنه فقد قدمنا عنه انه اخبر فى السادس والعشرين من حزقيال عن قول السيد الرب فى شأن تخريب نبوخذ راصر لصور ونهبه لثروتها وغنيمة لتجارتها بتفصيل طويل الذيل ، ثم ذكر عنه فى التاسع والعشرين عن كلام الرب ان نبوخذ راصر لم تكن له ولا لجيشه اجرة من صور وان الله عوضه عنها بمصر فراجع وافرض صحة ما تكلفه المتكلف ومع ذلك تجد ما لا بد من أن يكون كذباً فى التبليغ عن الله .

الفصل الخامس عشر

﴿ فى رسالة المسيح وما قيل فى شأنه ﴾

أما رسالته فى القرآن الكريم فيكفى قول الله جل شانه فى سورة النساء ١٦٩ : (يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة إنتهوا خيراً لكم إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد له ما فى السموات وما فى الارض وكفى بالله وكيلا) ، وقوله جل شانه فى سورة المائدة ٧٩ : (ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وامه صديقة كانا يا كلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون) .

وأما رسالته فى العهد الجديد فلا تحتاج إلى ذكر .

وأما ما ادعى فى العهد الجديد من إشارة العهد القديم اليه وإلى نبوته فسيأتى إن شاء الله إيضاح ان بعضها لا وجود له فى العهد القديم ، وبعضها لا يمكن انطباقه عليه ، وبعضها نص فى سليمان بن داود وبعضها رموز تنطبق على غيره كما تنطبق عليه ، بل لعل انطباقها على غيره أولى .

وأما ما ذكر فى شأنه فأمور :

(الأول) ان فى سابع لوقا ٣٤ و حادى عشر متى ١٩ ما يتضمن اعتراف المسيح وحاشاه بأنه شريب خمر - أى كثير الشرب لها - ، وفى السادس والعشرين من متى ٢٧ - ٣٠ ، ورابع عشر مرقس ٢٣ - ٢٦ والثانى والعشرين من لوقا ١٧ و ١٨ ما يتضمن انه حاشاه شرب الخمر وقال قول المودع لها المتأسف على فراقها ، وفى ثانى يوحنا ١ - ١٢ انه وحاشاه حضر هو وتلاميذه فى قانا الجليل مجلس العرس الذى تشرب فيه الخمر ولما فرغت الخمر صنع لهم بطلب امه ستة أجران من الخمر الجيد فسقوا منه .

وليت شعرى ما يصنع المتكلف وغيره بهذا إذا كانت الخمر حراماً قطعاً ، كما اعترف به المتكلف (يه ١ ج ص ١٣) ، وكذا سقيها كما فى ثانى حبقوق ١٥ ، وكما سنوضحه إن شاء الله فى موانع النبوة وبيان حرمتها خصوصاً على الأنبياء .

(الثانى) قد قدمنا فى الفصل الرابع من الباب الثانى من هذه المقدمة صحيفة ٥٢ انه قد ذكر عن قول المسيح فى شأن معاصريه جيل شرير وفاسق يطلب آية ولا تعطى له آية إلا آية يونان النبى (مت ١٢ : ٣٩ و لو ١١ : ٢٩) الحق أقول لكم لن يعطى هذا الجيل آية (مر ٨ : ١٢) .

وذكرنا ان كل واحد من هؤلاء الثلاثة يذكر فى انجيله ما يكذب هذا القول المنسوب إلى المسيح بنقله صدور الآيات بعد ذلك ويكذبه أيضاً يوحنا

بواقعة احياء العازر ويلزم من ذلك ، أما نسبة الكذب إلى المسيح وحاشاه أو كذب أصحاب الأناجيل فيما نقلوه من صدور الآيات بعد ذلك أو كذبهم فى نسبة هذا الكلام إلى المسيح أو كذب غيرهم فى نسبة ذلك اليهم .

وأيضاً ذكر عن قول المسيح لأنه كما كان يونان فى بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال ، هكذا يكون ابن الإنسان فى قلب الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال (مت ١٢ : ٤٠) .

مع ان مقتضى الأناجيل الأربعة انه لم يبق فى قلب الارض إلا ليلتين وهما ليلة السبت وليلة الأحد ويوماً كاملا وهو يوم السبت وشيئاً يسيراً من يوم الجمعة وشيئاً يسيراً لا يذكر من يوم الأحد ، فاختر لمن تنسب الكذب فى هذا الأمر .

وأيضاً فى سابع يوحنا ان المسيح إذ كان فى الجليل قريباً من عيد المظال قال له اخوته أن يذهب الى اليهودية ليرى تلاميذه أعماله ، فقال لهم ٨ اصعدوا أنتم الى هذا العيد أنا لست أصعد بعد الى هذا العيد لأن وقتى لم يكمل بعد ٩ قال لهم هذا ومكث فى الجليل ١٠ ، ولما كان اخوته قد صعدوا صعد هو أيضاً إلى العيد .

وأيضاً فى حادى عشر متى عن قول المسيح فى شأن يوحنا المعمدان ١٤ وان أردتم أن تقبلوا فهذا هو ايليا المزمع أن يأتى مع أن فى أول انجيل يوحنا فى شأن يوحنا المعمدان ٢١ فسألوا إذاً ماذا ايليا أنت ؟ فقال : لست أنا وينتج من هذين النقلين نسبة الكذب الى أحد النبيين ، أما الى المسيح بقوله ان يوحنا هو ايليا المزمع أن يأتى ، واما الى يوحنا بقوله : انه ليس ايليا مع انه نقل عن قول المسيح فى شأن يوحنا ، انه نبى وأعظم من نبى (مت ١١ : ٩) .

(الثالث) فى ثامن يوحنا عن قول المسيح إذ قال له الفريسيون : أنت

تشهد لنفسك وشهادتك ليست حقاً حيث قال ١٧ .

وأيضاً فى ناموسكم مكتوب شهادة رجلين حق ١٨ أنا هو الشاهد لنفسى ويشهد لى الأب الذى أرسلنى وقد نسبوا الى قدسه بهذا الكلام تمام الجهل بحكم التوراة ومعرفة المكتوب وحكم القضاء شرعاً وعرفاً ، فإن المدعى لا يكون أحد الشهود البتة حتى عند الأوباش .

(الرابع) فى ثالث عشر يوحنا بعد أن ذكر أخبار المسيح بأن واحداً من تلاميذه سيسلمه ٢٣ ، وكان متكئاً فى حضن يسوع واحد من تلاميذه كان يسوع يحبه ٢٤ فاومأ اليه سمعان بطرس أن يسأل من عسى أن يكون الذى قال عنه ٢٥ فاتكأ ذاك على صدر يسوع وقال : يا سيد من هو انتهى ، واعلم ان قوله كان متكأ معناه انه كان جالساً وشواهده من العهد الجديد كثيرة انظر أقلا الى (يو ٢ : ١ - ١٠ و مت ١٤ : ١٩ و ١٥ : ٣٥ و مر ٦ : ٣٩ و لو ٩ : ١٤ و ١٥ و يو ٦ : ١٠ و ١١) .

ولا تظن ان هذا التلميذ كان ابن أربع سنين أو ثلاث حتى لا يقبح اتكاؤه وجلوسه فى حضن المسيح ، بل يدلك الحادى والعشرون من يوحنا ٢٠-٢٥ على أنه هو يوحنا بن زبدى الذى ينسب اليه هذا الإنجيل ، وانه قبل اتكائه وجلوسه فى حضن المسيح بنحو ثلاث سنين كان يصطاد السمك مع أبيه وأخيه ويعمل فى السفينة ويصلح الشباك (مت ٤ : ٢١ و ٢٢ و مر ١ : ١٩ و ٢٠) فلا بد وان يكون حين ما يدعى من جلوسه فى حضن المسيح واتكائه على صدره شاباً فى ريعان الشباب وغضارته ، فانظر يا ذا الرشد والفهم الحر واعتبر فى أحوال البشر ونزاهة الأولياء وعفافهم وقل هل يجوز على قدس المسيح أن يجلس فى حضنه شاب غض فى محفل من التلاميذ ويعطيه وجهاً حتى إذا أراد أن يكلمه اتكأ على صدره كتغنج الفتاة المعجبة بجمالها المعتمدة على شغف زوجها بها .

أفهذا وضع رسول مرشد إلى الهدى والعفاف أم وضع . . . غفرانك الله مما ذكرت فانى أردت إرشاد الجاهل وتنبيه الغافل وتنزيه مسيحك المقدس ورسولك المكرم ليحيي من حى عن بينة .

(الخامس) فى عاشر يوحنا فى شأن المسيح ٣٣ إجابه اليهود قائلين لسنا نرجمك لأجل عمل حسن بل لأجل تجديف فإنك وأنت إنسان تجعل نفسك إلهاً ٣٤ أجابهم يسوع أليس مكتوباً فى ناموسكم انا قلت انكم آلهة ٣٥ ان قال : آلهة لاولئك الذين صارت اليهم كلمة الله ولا يمكن أن ينقض المكتوب ٣٦ ، فالذى قدسه الأب وأرسله الى العالم أتقولون له : انك تجدف ؟ لأنى قلت : انى ابن الله إنتهى .

فأقول فى هذا الكلام وفرض نسبته الى المسيح وحاشاه ان كان هذا الإحتجاج بما فى الناموس جدلا من المسيح لليهود وإسكاتاً بما فى ناموسهم لزم أن يكون فى ناموسهم ما ليس من الإلهام بل هو كذب عليه فجادلهم به المسيح الزاماً لهم وانتقاداً عليهم ، وهذا من شواهد التحريف الذى ادعيناه وإن كان برهاناً من المسيح لزم أن يكون معتقداً مصدقا بتعدد الآلهة وكثرتهم وحينئذ أين يكون ما فى التوراة ولا تذكروا اسم آلهة اخرى ولا يسمع من فمك (خر ٢٣ : ١٣) لا يكن لك آلهة اخرى امامى (تث ٥ : ٧) لتعلم ان الرب هو الإله ليس آخر سواه ، فاعلم اليوم وردد فى قلبك ان الرب هو الإله فى السماء من فوق وعلى الأرض من أسفل ليس سواه (تث ٤ : ٣٥ و ٣٩) أنا هو الرب وليس إله معى (تث ٣٢ : ٣٩) .

وفى السابع عشر من الأيام الاول ٢٠ يا رب ليس مثلك ولا إله غيرك.

وفى المزمور الثامن عشر ٣١ لأنه من هو إله غير الرب .

وفى الرابع والأربعين من اشعيا ٦ هكذا يقول الرب ملك بنى اسرائيل وفاديه رب الجنود أنا الأول وأنا الآخر ولا إله غيرى ٨ هل يوجد إله غيرى؟

الى غير ذلك من العهدين .

وكيف أمكن أن ينقض هذا كله ويقال بتعدد الآلهة ولا يمكن أن ينقض قول المزامير ، أنا قلت : انكم آلهة ولا يصرف عن ظاهره المدعى لأجل دلالة العقل والنقل على توحيد الإله ، هذا كله مع أن المزمور الثانى والثمانين المتضمن لهذه الفقرة ظاهر بسوقه فضلا عن قرينة العقل فى أن هذه الفقرة مسوقة للإنكار لا للأخبار ففيه ٢ حتى متى تقضون جوراً وترفعون وجوه الاشرار سلا ٥ ، ٣ أقضوا للذليل ولليتيم انصفوا المسكين والبائس نجوا المسكين والفقير من يد الاشرار انقذوا ٥ لا يعلمون ولا يفهمون فى الظلمة يتمشون تتزعزع كل اسس الارض ٦ أنا قلت : انكم آلهة وبنوا العلى كلكم ٧ لكن مثل الناس تموتون وكأحد الرؤساء تسقطون ٨ ، قم يا الله دن الارض لأنك أنت تمتلك الامم إنتهى .

فتأمل فى أول هذا الكلام وآخره وسوقه وحصل بفهمك الحر معناه ثم تنبه الى أن العهدين مع ما تضمنا من توحيد الإله كما سمعت بعضه وستسمع إن شاء الله فى محاله باقيه ، ومع نهى التوراة عن ذكر اسم آلهة اخرى ، وأن لا يسمع ذلك من الفم ، قد ذكر فيها ان موسى إله لهارون (خر ٤،١٦) وإله لفرعون (خر ٧ ، ١) .

وفى العهد الجديد ما سمعت من أن الذين صارت لهم كلمة الله آلهة ، أو يرضى ذو الفكر السليم أن يكون هذا كله من الوحى الإلهى ، أو كما يقول المتكلف به ١ ج ص ٣٨ وغيرها تنزيل العليم الحكيم .

وأما رسل العهد الجديد فقد مر عليك فى أواخر المقدمة الخامسة شىء مما وصمهم به كتابهم .

فتبصر أيها العاقل فيما ذكرنا عن العهدين فى شأن أنبيائهما وانظر نظر الطالب للحق الراغب فى السعادة الخائف من الهلكة ، فهل ترى ذلك كله يمكن

أن يكون من الوحى الإلهى وتنزيل العليم الحكيم فإن الله عليك رقيب ، وللمتكلف كلام قد آن أوان التعرض له .

قال (يه ج ص ٤٢ و ٤٣) أن الله عز وجل المذكور فى التوراة قدوس ظاهر يعاقب على أقل خطيئة بخلاف الإله المذكور عندهم (يعنى المسلمين) فإنه يتساهل بالخطايا ويغفرها وحاشا لله الحق من ذلك فإن عدله وقداسته يستلزمان عقاب أصغر الخطايا ما لم يكفر عنها بالذبيحة .

أقول : أنا بفضل الله وبركة الإسلام دين الحق لنبرأ قلوبنا وألسنتنا وأقلامنا وننزهها عن فرض تعدد الآلهة ، ولكنا نقول : ان الله الذى لا إله إلا هو العليم الغنى الحكيم اللطيف الخبير اختار من خلقه بلطفه وحكمته وعلمه بعباده رسلا مطهرين مقدسين برة مبرئين عن الارجاس والقبائح ليكونوا أدلاء على معرفته ، وهداة الى الحق وقدوة للخلق باعثين لهم بما تقتضيه الحكمة الإلهية ، ومصلحة الوقت على التقوى والصلاح ليعرفوا الحق وينكروا الباطل ، ويهتدوا بهداهم الى الرشد والعدل والصلاح فينالوا سعادة الدارين .

فإن صدر من هؤلاء الرسل المطهرين من خلاف الاولى والأفضل ما يرونه لحسن معرفتهم بجلال الله منافياً لما ينبغى للعبد العارف من الإنقياد الى مولاه عدوا ذلك على أنفسهم زلة تحطهم عما يرغبون فيه من المقام الرفيع وفزعوا مما صدر منهم الى الله مولاهم بالتوبة وطلب المغفرة والرحمة وان لم يفعلوا حراماً ويتركوا واجباً فيغفر لهم ذلك ولا يحطهم به عما يجتهدون له من رفيع المقام وحسن الزلفى فإنه أكرم مسؤول وأوسع معط .

ونقول ان الله تقدست أسماؤه أعلى شأناً وأوسع رحمة وعلماً وأتقن حكمة ولطفاً من أن يرسل للغاية المذكورة من يكذب ، أو يستعمل الخداع والتزوير ، أو يستهين بالرسالة ومواعيد الله ، ويصفه بالإساءة ويتحكم عليه

بالمغفرة لمن أشرك به ، ويرضى بمحوه من كتابه ، أو يصنع وثناً للعبادة ويعبده ويدعو لعبادته أو يبرر نفسه ويصف الله جل شأنه بالجور ويطلب المحاكمة معه ، أو يزنى بالمحصنات من نساء أصحابه المحامين عنه المجاهدين فى سبيل الله ، ويحاول أن يلصق ولد الزنا بغير أبيه ، ويسعى فى قتل الزوج ، أو يتزوج بالمشركات والنساء الكثيرة المحرمة عليه فى الشريعة بحيث وقع فى أغلب عمره بالزنا بهن ومال قلبه الى الشرك وذهب وراء آلهة اخرى وعظم شعائر الأوثان ومعابدها وهو معنى عبادتها ، أو من يكذب فى التبليغ عنه أو من يسميه خداعاً ، أو من هو شريب الخمر المحرمة ويعين على شربها ويكدب ويصدر منه ما لا يرضاه اولوا العفة ويقول بتعدد الآلهة تعالى الله عن ذلك وتقدست رسله عن هذه الأوهام الباطلة .

وأما قول المتكلف ان عدل الله وقداسته يستلزمان عقاب أصغر الخطايا ما لم يكفر عنها بالذبيحة فنقول فيه :

(أولا) ان رحمة الله وغناه يقتضيان الغفران للتائب المنيب إذا وجده مولاه أهلا لذلك ، وأين يذهب العبد إلا الى مولاه الكريم الرحيم ، نعم إن كانت الخطيئة من نحو الظلم للعباد كان مقتضى العدل أن لا يضيع حق المظلوم وذلك لا ينافى المغفرة للتائب إذا كان أهلا لها .

(وثانياً) إن كان العدل والقداسة يستلزمان ما ذكره فليوضح لنا هو أو غيره وجهاً معقولا لحل الذبيحة لعقدة هذه الملازمة .

ثم ان أراد من الذبيحة ذبيحة العهد القديم فإن الله لغنى عن جميع العالم وعنها وعن رائحة السرور للرب (لا ١ : ٩ و ١٣ و ١٧) ، وان كثرة المعاصى المنسوبة للأنبياء فى العهدين ليناسب تكفيرهم عنها بالذبائح ما فى أول اشعيا عن قول الله تعالى عن ذلك علواً كبيراً ١١ اتخمت من محرقات كباش وشحم مسمنات .

وان أراد ذبيحة العهد الجديد أعنى المسيح المصلوب بزعمه سألناه أيضاً كيف يعقل أن تنحل بهذه الذبيحة عقدة ما ذكره من الملازمة .

وأيضاً ما هو ومن هو المانع لله عن جوده ورحمته بغفران خطايا التائب المنيب إلا بالتكفير بالذبيحة .

وأيضاً ما حاجة الله الى الفداء والتكفير حتى يجعل ابنه بزعمهم تعالى عن ذلك عرضة للإهانة والصلب والإستهزاء كما يقول العهد الجديد مع ما كان عليه المسيح بمقتضاه من الإضطراب والخوف والإكتئاب والبكاء وطلبه من الله أن تعبر عنه كأس المنية (انظر مت ٢٦ : ٣٦ - ٤٦ و مر ١٤ : ٣٢ - ٤٢ و لو ٢٢ : ٣٩ - ٤٥) .

ومن الظرائف فى مسألة الفداء انه لما كان من أقوال التوراة ملعون من لا يقيم كلمات هذا الناموس ليعمل بها (تث ٢٧ : ٢٦) جاء عن بولس فى ثالث غلاطيه ١٣ المسيح افتدانا من لعنة الناموس إذ صار لعنة لأجلنا لأنه مكتوب ملعون كل من علق على خشبة إنتهى .

أفليس للسائل أن يسأل عن الكيفية المعقولة لهذا الفداء والإفتداء ، وعن موافقته لعدل الله وقداسته المستلزمين للعقاب على أصغر الخطايا ، وعن كيفية كون المسيح وحاشاه لعنة لأجلهم ، وعن توقف فدائهم على كونه وحاشاه لعنة مع الزعم بأنه ابن الله جل شأنه والاقنوم الثانى لله بل الإله الذى تقمص الطبيعة البشرية ليرفع قدرها ، وعن حسن ذلك وعدم منافاته لعدل الله وقداسته ، وعن جواز ذلك بالنسبة لمن يزعمونه إلهاً ، وعن مناسبة ذلك للمكتوب المشار اليه فإنه فى الحادى والعشرين من التثنية ٢٢ وإذا كان على إنسان خطيئة حقها الموت فقتل وعلقته على خشبة ٢٣ فلا تبت جثة على الخشبة بل تدفنه فى ذلك اليوم لأن المعلق ملعون من الله فلا تنجس أرضك إنتهى .

وانظر هل يسب المسيح أعداءه أكثر من هذا (فإن قيل) ان هذا

المكتوب المشار اليه غير هذا (قلنا) ها هما العهدان بأيدينا ، فأين يكون المكتوب المشار اليه فيهما .

ولم يكتف المتكلف بما ذكره هاهنا فى سر الفداء وخيل له وهمه ان هذا من الحقائق البينة والمعقولات الممكنة التى ينشرح لها العقل بالقبول فقال (يه ٢ ج ص ٢٩٠ و ٢٩١) وإذا قيل ماهى الغاية من تجسده وصلبه (قلنا) ان الغاية هى أن يكفر عن خطايا كل من يؤمن به لأن الجميع أخطأوا واحتاجوا الى من يكفر عن خطاياهم لأننا إذا نظرنا الى العالم رأينا أنه لم يسلم أحد من اقتراف الخطيئة وعقاب الخطيئة هو الموت فى جهنم الى الأبد لأن المولى سبحانه وتعالى طاهر قدوس وعدله يستلزم عقاب الخطيئة بهذه الكيفية ، فالمسيح احتمل فى جسده ما كنا نستوجبه من العقاب ، ووفى ما كان علينا من الدين رحمة منه لأن الله هكذا أحب العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكى لا يهلك كل من يؤمن بل تكون له الحياة الأبدية ، فطريقة الخلاص موافقة للعدل الإلهى ولكمالات الله .

أقول : أو تدرى من يريد بالمتجسد المصلوب فى كلامه هذا هو من تكرر فى مزاعمه فى كتابه بأنه الإله الذى تقمص الطبيعة البشرية ليرفع قدرها فإن أردت الإيضاح قال لك هو اقنوم الابن ، فإن قلت : وما اقنوم الابن قال لك ان الله اواحد والاقانيم ثلاثة الأب والابن والروح القدس والثلاثة هم واحد فالله واحد ثلاثة فإن قلت : كيف يكون الواحد ثلاثة ومن الباذل ومن المبذول إذا كان الثلاثة واحد ومن المصلوب ومن المتجسد قال لك اسكت ولا تكثر فى سؤالك فإن هذه الامور لا يدركها العقل ، وليست من وظيفته بل تؤاخذ من تعليم القسوس المؤيدين بروح القدس بلا تعقل لها ، فقد قال بولس الرسول : لأنه إذا كان العالم فى حكمة الله لم يعرف الله بالحكمة استحسن الله أن يخلص المؤمنين بجهالة الكرازة ، لأن جهالة الله أحكم من الناس

وضعف الله أقوى من الناس (١ كو : ٢١ و ٢٥) .

فإن قلت له إذا كان عقاب الخطيئة هو الموت فى جهنم الى الأبد لأن المولى سبحانه وتعالى طاهر قدوس وعدله يستلزم عقاب الخطيئة بهذه الكيفية والمسيح احتمل فى جسده ما كنا نستوجبه من العقاب ، ووفى ما كان علينا من الدين رحمة منه ، أفكان الوفاء أو المحتمل عنا من نحو العقاب الذى استوجبناه والدين الذى كان علينا وهو الموت فى جهنم إلى الأبد ، وننسب هذا الى المسيح الفادى أم هو من غير هذا النحو ، فإن كان من غير هذا النحو سألنا كيف وأنت تقول : ان عدل الله الطاهر القدوس يستلزم العقاب بهذه الكيفية.

وأيضاً أفلا يكون هذا الوفاء من المخادعة الجزافية .

وأيضاً إذا كان هذا الفداء من الابن رحمة منه ، أفلم يكن عند الأب شيء من هذه الرحمة ليغفر لنا بدون تحمل ابنه لعقاب الخطيئة .

وأيضاً من هو الاب ؟ ومن هو الابن ؟ وأنت تقول : ان الثلاثة واحد وبالنتيجة يرجع الكلام الى ان الأب تحمل ما تقول ولازم قولك انه تحمل الموت الأبدى فى جهنم .

(قلت) : سيقول لك المتكلف هذا كلام تجديف فأنا نبشر لا بحكمة كلام لئلا يتعطل صلب المسيح (١ كو ١ : ١٧) فإن الكتاب يقول : صار المسيح لعنة لأجلنا كما سمعت .

فإن قلت : ان لى على هذا الكلام وما ذكرته وما ذكرته سابقاً من نحوه سؤالات كثيرة ، قلت : أو على عهدة الجواب فى مثل هذا وأنى سائل مثلك وقد أجبتك عن البعض بما أعلمه من حالهم ومقالهم وكتبهم ، فجاهد فى الله يهدك الى سبيله .

ونتيجة ما تقدم ان العقل والنقل دالان بأوضح دلالة على لزوم عصمة الرسول عن الخطايا والقبائح والتمرد على الله فلا يجتمع للكتاب المنسوب

للوحى والإلهام أن يصرح برسالة شخص ونبوته ، ثم ينسب بصراحته له الفعل القبيح عقلا أو شرعاً ، ودونك القرآن فهل تجد فيه ما هو صريح فى نسبة الفعل الحرام أو ترك الواجب أو فعل القبيح الى من صرح برسالته خصوصاً وقد نبهناك على معانى ألفاظه ومرامى مقاصده ودلائل شواهده ، ولئن وجد فيه ما يوهم ذلك ابتداء فإن قرينة العقل والنقل وخصوص القرائن المتصلة لتكبح ذلك الوهم وتصرف عنه ايهام اللفظ .

وأما العهدان فكم وكم ترى فى صريحهما من نسبة الخطايا الكبائر ومفضعات الجرائم الى من صرحا بنبوتهم ورسالتهم ونزول الوحى للتبليغ عليهم ، ولا يجتمع لهما الصدق فى وصفهم بالرسالة ونزول الوحى عليهم للتبليغ ونسبتهم الى ما ذكراه من الخطايا كما شرحنا بعضه فى فصول هذا الباب ، فإن بداهة العقل والنقل لتحكم بكذبهما فى أحد الامرين لا محالة ، فاختر لنفسك فإن اخترت كذبهما فى وصف هؤلاء بالرسالة لزم كذبهما على الوحى بأجمعهما لأن مدارهما على رسالة موسى والمسيح وهما العمدة فى محل الكلام .

الفصل السادس عشر

﴿ فى عصمة خاتم المرسلين محمد صلى الله عليه وآله وسلم وما يتعلق بها ﴾

اعلم ان المتكلف حاول أن يلوث قدس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعبادة الاصنام قبل النبوة والميل الى ذلك بعدها فتشبث لذلك بآراء فاسدة وروايات آحاد مضطربة متعارضة محفوفة بأسباب الوهن والخلل وصار يحمل على ذلك بتشهيه واقتراحه بعض الآيات التى لا ربط لمداولها بمراده ، وسود بذلك وجه ست صحائف (انظر يه ١ ج ص ٦٠ - ٦٥) ، وجاء فى خلال ذلك بما يشوه وجه التحقيق ويشين شرف الكاتب ، وما ضره لو فاز مع ذلك بحسن الأدب أقلا ، فاستدل لعبادة الاصنام بقوله تعالى فى سورة الضحى ٧ (ووجدك ضالا فهدى) وقال : فهذه العبارة ناطقة بأنه كان على عبادة

وعشيرته ، أقول : هل ترى المتكلف يدعى ان معنى الضلال فى اللغة هى عبادة الأوثان أو عبادة ما يعبده الأهل والعشيرة ، أو ليس يعلم كل متورع باللسان العربى ان معنى الضلال مساوق لمعنى التيه واضاعة الطريق ، ويختلف المراد منه باعتبار متعلقه ، فيقال : ضل الرجل عن التوحيد إذا عبد غير الله وضل عن الشريعة إذا جهل أحكامها أو خالفها ، وضل عن الجادة إذا تاه ، وضل عن الصواب إذا خبط وخلط ، وضل عن الرشد إذا تحير فى اموره ، وضد الضلال هو الهدى ، ويختلف المراد منه أيضاً باعتبار متعلقه على نهج ما تقدم . فعلى المتكلف ان أراد أن لا يضل فى الدعوى أن يبين المراد بالضلال من صريح لفظ الآية حتى يدعى ان العبارة ناطقة بمدعاه ، بل نقول لماذا لا يكون المراد من الآية ووجدك قبل النبوة واعلان الوحى ضالا عما اوحى اليك من الشريعة المتكفلة لأحسن التهذيب والتكميل وأتقن النظام للدين والدنيا فهداك الله اليها بنور النبوة واعلام الوحى ودفع عنك الحيرة فيما كنت تطلبه من الهدى الى شريعة الحق لتحمل عليها الناس .

وما المرجح لما يدعيه المتكلف على هذا لولا الهوى ، ولماذا يخلط (يه ١ ج ص ٦١) بين الدين والشريعة فإن الخلاف الذى ذكره عن جامع الجوامع إنما هو باعتبار الإختلاف بين شريعة نوح وابراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام من حيث الناسخ والمنسوخ فى الاحكام العملية ، ولا اختلاف فى دين هؤلاء ولا غيرهم من الأنبياء من حيث التوحيد والمعارف اللاهوتية أصلا ولم يقل ذو رشد باختلافهم فى ذلك .

ثم قال المتكلف : من أقوى الأدلة على حيدانه (يعنى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم) عن عبادة الحق وميله الى الاصنام هو مدحه لآلهة قريش وتقديم العبادة لها .

أقول : المنشأ فى تشبث المتكلف فى ذلك هى الرواية المقطوعة الفاحشة

الإضطراب المشوشة فى نقلها وألفاظها حيث أرسلها بعض المفسرين ، وهو أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قرأ فى سورة النجم فى مجلس لقريش فلما بلغ قول الله تعالى ١٩ : (أفرأيتم اللات والعزى ٢٠ ومناة الثالثة الاخرى) قرأ بعده تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى ، فلما سمعت قريش ذلك فرحوا به ، ومضى رسول الله فى قراءته فقرأ السورة كلها وسجد فى آخرها وسجد المسلمون بسجوده ، وسجد جميع من فى المسجد من المشركين وقد سرهم ما سمعوا .

وكأن المتكلف يذعن بصدق هذه الحكاية أكثر من اذعانه بصدق ما فى العهدين حتى عدها من أقوى الأدلة ، وكأن لم يشعر بأن أهل العلم والدراية والنظر من المسلمين قد جبهوا هذه الحكاية بالرد ، وسماها السيد المرتضى خرافة وقال النسفى : ان القول بها غير مرضى ، وفى تفسير الخازن ان العلماء وهنوا أصل القصة وذلك انه لم يروها أحد من أهل الصحة ، ولا أسندها ثقة بسند صحيح أو سليم متصل ، وإنما رواها المفسرون والمؤرخون المولعون بكل غريب ، الملفقون من الصحف كل صحيح وسقيم ، والذى يدل على ضعف هذه القصة اضطراب رواتها ، وانقطاع سندها واختلاف ألفاظها ، إنتهى كلامه .

أما ضعف سندها فمن جهات كثيرة معروفة فى فن الدراية ومعرفة الرجال لا يسع المقام إحصاءها . وأما انقطاع سندها فأقله أنه لا يتجاوز فى طرقه عن التابعين ومن دونهم إلا الى ابن عباس مع أنه لم يكن مولوداً فى الوقت المجعول للقصة أو كان ابن سنتين أو ثلاث .

وأما اضطرابها فقد جاء نقلها المضطرب على وجوه ١ ان النبى حين قرأها كان يصلى ٢ وأنه كان جالساً فى نادى قومه ٣ حدث نفسه بها فجرت على لسانه ٤ كان يصلى عند المقام فنعس فألقى الشيطان ذلك على لسانه فتكلم

بها فتعلق بها المشركون وحفظوها ٥ ان الشيطان أخبرهم بأن نبي الله قد قرأها ٦ ان رسول الله لم يتنبه لذلك حتى أمسى وأتاه جبرائيل فقرأ عليه فى جملة السورة ما ألقاه الشيطان فقال جبرائيل : ما جئتك بهذا فأوحى الله الى رسوله (وان كادوا ليفتنونك الآية) ، فما زال مهموماً مغموماً حتى نزل عليه قوله تعالى : (وما أرسلنا قبلك من نبي الآية) ٧ انه سهى فقرأها ففرح المشركون بذلك فقال : لا إنما كان ذلك من الشيطان ٨ انه علق يتلوها فنزل جبرائيل فنسخها ٩ قرأها بعد قوله تعالى : (ومناة الثالثة الاخرى) ١٠ قرأها بعد قوله تعالى (قسمة ضيزى) ١١ انه تنبه لها عند قراءتها وقبل إكمال السورة ففزع وجزع فأوحى الله اليه الآيه السادسة والعشرين من السورة (وكم من ملك فى السموات الآية) ١٢ لم يتنبه حتى أتم السورة وسجد المشركون وحملوه فاشتدوا به بين قطرى مكة يقولون نبي بنى عبد مناف ١٣ جاء فى لفظها انهن لفى الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى ١٤ ، تلك الغرانيق العلى ، وان شفاعتهن لترتجى ١٥ ، ان تلك الغرانيق العلى منها الشفاعة ترتجى ١٦ تلك الغرانيق العلى منها الشفاعة ترتجى ١٧ انهن الغرانيق العلى ١٨ ان شفاعتهن ترتجى ١٩ وانهن لهن الغرانيق العلى وان شفاعتهن التى ترتجى ٢٠ تلك الغرانيق العلى وشفاعتهن ترتضى ومثلهن لا ينسى ٢١ وهى الغرانيق العلى شفاعتهن ترجى ٢٢ ، وان شفاعتها لترجى ، وانها لمع الغرانيق العلى ٢٣ تلك إذاً فى الغرانيق العلى ، تلك إذاً شفاعة ترجى ٢٤ ، تلك الغرانقة العلى وان شفاعتهن ترتجى .

ويزيد الإضطراب فى رواية هذه القصة ما فى بعض نقلها من ان الله عزى نبيه وفرج عنه بقوله تعالى فى سورة الحج ٥١ (وما أرسلنا من قبلك من نبي ولا رسول إلا إذا تمنى ألقى الشيطان فى امنيته فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم) فذكروا عن رواية ابن عباس فى سبب

نزولها ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تمنى من الله أن يقارب بينه وبين قومه فألقى الشيطان على لسانه ما كان يحدث به نفسه ويتمناه ٢ .

عن ابن عباس أيضاً ان امنية رسول الله هى إسلام قومه ٣ كان يتمنى كف أذاهم ٤ تمنى من الله أن لا يأتيه شيء يفرق عنه قريشاً ، وعلى هذا فالتمنى والامنية من أفعال القلب ٥ .

عن ابن عباس أيضاً إذا حدث ألقى الشيطان فى حديثه ٦ .

عن ابن عباس أيضاً وغيره تمنى تلا وقرأ والامنية التلاوة والقراءة ٧ .

عن مجاهد تمنى تكلم وامنيته كلامه ٨ لم يذكر تمنى النبي (ص) فى بعض الروايات عن ابن عباس وغيره ولذا فسروا تمنى بتلى وامنيته بتلاوته واستشهد المفسرون بقول حسان :

تمنى كتاب الله أول ليلة وآخره لاقى حمام المقادر

وقول الآخر :

تمنى كتاب الله آخر ليلة تمنى داود الزبور على رسل

وهذا بعض الإضطراب والإختلاف فى امهات المطالب من رواية هذه القصة ، ولو استقصينا الإختلاف فى الألفاظ والمعانى لأدى طول الكلام الى الملل ، وخرج الكتاب عن موضوعه ، فانظر أقلا الى الدر المنثور تفسير السيوطى .

وان فيما ذكرنا كفاية لمعرفتك أن الحق أبلج ، والباطل لجلج .

ثم لنعطف الكلام الى تطبيق الآية على المدعى من القصة فنقول اما على تفسير التمنى والامنية فيها بالارادة القلبية فلا تصلح لان تكون تعزية عن الحزن من اجل القول الذى القاه الشيطان كما يزعم لو فرضت مطابقتها لما ذكروه من تمنى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

واما اذا جعلنا الامنية بمعنى المتمنى وهو الشيء الذي يتمناه الانسان فلا

يطابق قوله تعالى (الا القى الشيطان فى امنيته) بعض المطابقة الا ماذكر من ان الامنية كانت اسلام قومه صلى الله عليه وآله وسلم .

فان معنى القى الشيطان فى المتمنى هو ان يدخل فيه مايضره ويشوشه ؛ بل نقول ان معنى قوله تعالى القى الشيطان فى امنيته لابد ان يكون لتركيبه معنى واحد عرفى مقرر وهو مايرجع الى موافقة المتمنى او مخالفته . وعلى كل حال لايطابق جميع ماقيل فى بيان الامنية . وهى ان يقارب الله بينه وبين قومه ٢ اسلام قومه ٣ كف اذاهم ٤ لايأتيه من الوحى شيء يفرقهم عنه .

واما تفسير التمنى والامنية بالتلاوة فهو شيء غريب لم يسمع له شاهد إلا شاذ يقال انه لحسان فلا يحسن حمل القرآن على لغة هذا شأنها .

وايضا ان المروى عن ابن عباس وابن الزبير ان سورة الحج التى فيها هذه الآية مدنية من دون استثناء لهذه الآية افلا يعارض هذا ما روى من ان الآية نزلت فى مكة فى مساء واقعة الغرانيق وفى حينها تعزية لرسول الله من اجلها لانه كان به رحيما ؟ ام تقول ان الله الرحيم برسوله اللطيف بعباده أخر تعزية رسوله عن ورطة الغرانيق ولم ينزل فيها الآية المذكورة إلا بعد مدة من السنين وتنقل فى الامكنة وتقلب فى الاحوال التى فات بها مقام التعزية والتدارك دع هذا كله وقل كيف يذعن عاقل بصدق هذه الحكاية خصوصا على مزاعم المتكلف مع مناقضتها لما فى خصوص المقام من سورة النجم فى التنديد بالاصنام وبيان كونها باطلا بقوله تعالى ٢٣ (إن هى إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الانفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى) وان هذه الآية لتوضح ان حكاية الغرانيق وسجود المشركين فى آخر السورة مع رسول الله سروراً بمدح آلهتهم انما هى تلفيق من غير تدبر افترى المشركين يسجدون فى آخر السورة فرحين مسرورين بعدما سمعوا من التنديد بآلهتهم . والتسفيه لهم بقوله تعالى (ان هي إلا أسماء

الآية) ، أفلم يكونوا أهل اللسان والمعرفة بمحاوراته ؟ أفتراهم لا يفهمون مواقع الكلام مثل . . . على أن هذه الحكاية بأصلها وفروعها والإستشهاد لها مخالفة لنص القرآن فى نفس سورة النجم بقوله تعالى فى شأن رسول الله ٣ : (وما ينطق عن الهوى ٤ إن هو إلا وحى يوحى) .

فإن قلت إذا فما يكون المعنى فى الآية المذكورة قوله تعالى : (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى إلا إذا تمنى الآية) .

قلنا : والله أعلم الظاهر هو أن يكون المراد من الامنية هو الشىء المتمنى كما هو الإستعمال الشائع فى الشعر والنثر ، كما ان الظاهر من التمنى المنسوب الى الرسول والنبى كما يشهد به سوق الآيات هو أن يكون ما يناسب وظيفتهما وهو تمنى ظهور الهدى فى الناس وانطماس الغواية والهوى وتأييد شريعة الحق ونحو ذلك فيلقى الشيطان بغوايته بين الناس فى هذا المتمنى الصالح ما يشوشه ويكون فتنة للذين فى قلوبهم مرض ، كما ألقى بين امـــة موسى من الضلال والغواية ما ألقى ، وألقى بين أتباع المسيح ما اوجب ارتداد كثير منهم وشك خواصهم فيه واضطرابهم فى التعاليم وأحكام الشريعة بعده كما مر عليك شرحه فى المقدمة الخامسة ، والقى بين قوم رسول الله ما أهاجهم على تكذيبه وحربه وبين امته ما أوجب الخلاف وظهور البدع ، فينسخ الله بنور الهدى غياهب الضلال وغواية الشيطان ، فيسفر للعقول السليمة صبح الحق ، ثم يحكم الله آياته ويؤيد حجته بإرسال الرسل أو تسديد جامعة الدين القيم ، وإذا نورت فكرك بما ذكرناه عرفت شطط المتكلف (يه ٣ ج ص ١٦٩ - و ٢ ج ص ٩٧).

(ورطات المتكلف) وإذا تبصرت بما شرحناه فلا تعجب من المتكلف إذ جعل قصة الغرانيق السخيفة من أقوى أدلته فإنه قـــد أبدع فى التحقيق وحرية الضمير حيث قارن بين هذه القصة وبين ما جاء فى العهد القديم فى شأن سليمان بن داود فقال (يه ١ ج ص ٦٣ س ١٩) لم يظهر نبى من الأنبيـــاء

الصادقين مثل هذا التلاعب ومسايرة الناس على شركهم وعبادتهم الكاذبة ولا مناسبة بين خطيئته (يعنى قدس رسول الله وخرافة الغرانيق) وبين خطيئة سيدنا سليمان ، فسيدنا أباح لبعض نسائه الأجنبيات عبادة آلهتهن ولم يقع هو فى هذه العبادة إنتهى .

وينبغى له أن يقول أيضاً تتميماً لكلامه واستغفر الله ، ولا مناسبة أيضاً بينها وبين خطيئة سيدنا هارون فسيدنا هارون بقول التوراة صنع العجل إلهاً يعبده بنو اسرائيل وبنى مذبحاً أمامه ونادى غداً عيد للرب .

فأقول فى شرح بعض كلامه انك قد سمعت حكاية الغرانيق وهى القصة التى تزداد بزعم المتكلف قوة الى قوة بإنقطاع سندها وضعفه وتناقض مضامين روايتها وتلونها ، وعدم التئام آية التمنى معها ومناقضة آية الأسماء والوحى لها وتكذيب العلماء المحققين لها ، وتسميتهم لها خرافة الى غير ذلك .

وفى العهد القديم الذى هو عند المتكلم كتاب وحى إلهى وكلام الله السميع العليم ما نصه ان سليمان أمالت نساءه المشركات قلبه وراء آلهة اخرى فذهب وراء عشتاروت آلهة الصيدونيين وملكوم رجس العمونيين ، وعمل الشر فى عينى الرب ولم يتبع الرب تماماً كداود أبيه وبنى المرتفعات قبالة اورشليم لعشتاروت رجاسة الصيدونيين ولكموش رجاسة المواببين ولملكوم كراهة بنى عمون (انظر الى ١ مل ١١ : ٤ - ٨ و ٢ مل ٢٣ : ١٣) .

أفتقول ان فى هذا شيئاً من الشرك ؟ فإن المتكلف يقول : حاشا وكلا بل غاية الأمر ان سليمان أباح لبعض نسائه عبـــادة آلهتهن وماذا تقول للمتكلف لو قال لك ان هذه الإباحة من وظائف الأنبياء والعدل مع النساء الأجنبيات ؟ وما عساك تقول فى سليمان وقد نص عليه العهد القديم عن قول الله ان سليمان هو يبنى بيتى وديارى لأنى اخترته لى ابناً وأنا أكون له أباً (١ أى ٢٨ : ٦) .

والمتكلف يقول (يه ١ ج ص ١٢٢) انه من كبار الانبياء فلا يضر فى ذلك انه ذهب وراء آلهة اخرى وعمل الشر ولم يتبع الرب وبنى مرتفعات الأوثان ، فليعتبر ذو الرشد والبصيرة .

ثم قال المتكلف (يه ١ ج ص ٦٤) كان محمد لا يستنكف عن التعبد بآلهة قومه للتقرب منهم ثم ينقلب عليها لما يرى عدم الفوز بمرغوبه ، فورد فى سورة بنى اسرائيل ٧٥ وإن كادوا ليفتنونك عن الذى أوحينا اليك لتفترى علينا غيره وإذاً لاتخذوك خليلا .

وذكر فى سبب نزولها ثلاث روايات أو أربع متعارضة متناقضة كل واحدة تذكر سبباً مبايناً لما تذكره الاخرى وكلها تنسب الى ابن عباس انظر الى الدر المنثور وتفسير الخازن.

وأقول : وتزيد على ذلك فى التعارض والتناقض رواية محمد بن كعب القرضى انها نزلت فى أثناء سورة النجم فى قصة الغرانيق المتقدم ذكرها .

ويا عجباً كيف يتشبث أحد بمثل هذه المتناقضات ويحاول أن يموه أمرها اللهم إلا أن يكون لا يبالى بما يقول وما يقال فيه .

وان المتكلف لم يذكر الآية التى بعد هذه الآية لأجل انه شعر بأنها تنقض غرضه الفاسد بمدلولها وهو قوله تعالى ٧٦ : (ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئاً قليلا) .

وان الذى ينبغى تحصيله من معنى الآيتين بمقتضى لفظهما والنظر فى مقتضى الحال من الامور المعلومة من حال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقريش هو انه لما اشتدت وطأة رسول الله عليهم بالدعوة والتنديد بآلهتهم والتسفيه لهم فى عبادتها حتى اهتدى جملة منهم ومال اليه من لم تعمه العصبية صاروا يريدون منه الملاءمة معهم والكف عن الدعوة والتعرض لإلهتهم ويتوسلون الى ذلك مرة بالمشاغبة ومرة بالإضطهاد ومرة بالإستشفاع

بأبي طالب وغيره . وغرضهم من ذلك بزعمهم الفاسد أن ينجر تركه لهم عن الدعوة وتبليغ الوحي إلى التساهل منه والموافقة على أهوائهم التي هي افتراء على الله . فربما خطر على فكر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم احتمال الصلاح في متاركتهم زماناً قليلا استصلاحاً لهم وسياسة في الهدى وتلطفا في تحصيل الغرض فسدده الله الى الصواب وثبته على الجد في الدعوة والدوام عليها وانزل عليه الآيتين المذكورتين تعريضا باصرار المشركين والامتنان عليه بتسديده الى الصواب في كل حال : وحاصل الآيتين ان المشركين قد كادوا باختلاف وسائلهم في طلب المتاركة من رسول الله ليحصل لهم ماتوهموه من الغرض الفاسد وهي الموافقة لأهوائهم اخيراً وقاربوا بذلك ان يفتنوه باحتمال الصلاح في المتاركة والكف شيئاً قليلا عن الدوام في الدعوة التي أمره الوحي بها فسدده الله وثبته على ان الصلاح إنما هو بالدوام على الدعوة ولو لا هذا التثبيت لكاد رسول الله أن يركن اليهم شيئاً قليلا من المتاركة لإحتمال الصلاح والنجاح ، فلم يكن المشركون ليفتنوه ولكن كادوا ، ولم يركن رسول الله اليهم شيئاً قليلا ولكن كاد .

فأين منطوق الآيتين ومرماهما من مقصود المتكلف المحال ، وكيف لا يقبح الإستشهاد بالاولى منهما على أن رسول الله لا يستنكف عن التعبد بآلهة قومه أفيجري في الوهم ان القرآن يسمي التعبد بآلهة المشركين شيئاً قليلا.

وقد ترقى المتكلف فصار يدعي أسبـــاب النزول حسب هواه ومشتهاه فصار يدعي أن بعض ما روى في سبب نزول الآية المتقدمة هو السبب في نزول قوله تعالى في سورة بني اسرائيل ٤١ : (ولا تجعل مع الله إلهاً آخر فتلقى في جهنم ملوماً مدحوراً) .

مع انه لم يرد في ذلك عن المفسرين الذين عرفت حالهم في تفسير الآية شيء من هذه الأوهام على أن صريح السوق فيما قبل هذه الآية وما بعدها ينادي

بأنها كأخواتها واردة لتعليم الناس وصايا الله من قبيل - إياك أعنى واسمعى يا جارة - انظر الى إطراد الوصايا فى هذه السورة من الآية الثالثة والعشرين الى الخامسة والأربعين حيث قال الله جل اسمه ٢٣ : (لا تجعل مع الله إلهاً آخر فتقعد مذموماً مخذولا ٢٤ وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما اف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريماً) .

أفيقول المتكلف ان الأمر بالإحسان بالوالدين كان المقصود منه رسول الله مع انه لم يدرك حياة أبويه . كلا بل أن السوق الجارى فى هذه الآيات كالسوق الجارى فى كثير من خطاب التوراة وخصوص العشرين من الخروج ٣ لا يكن لك آلهة اخرى امامى ٤ لا تصنع لك تمثالا منحوتاً ١٧ . وكذا الثالث والعشرين من الخروج والرابع والثلاثين ١١ - ٢٧ وغير ذلك فراجع.

ثم قال المتكلف (يه ١ ج ص ٦٥) لما كان المشركون يرون منه ميلا الى آلهتهم كانوا يطلبون منه أن يذكر شفاعتها ، فكان كثيراً ما يجيب دعوتهم ثم يرجع عن ذلك ويدعى ان الله نهاه فورد فى سورة الأحزاب ١ (يا أيها النبى اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين إن الله كان عليماً حكيما ٢ واتبع ما يوحى اليك من ربك) . فلو لم يقترف ذنباً لما نهى عنه .

أقول : ومن الظرائف دعوى المتكلف ان المشركين كانوا يرون ميلا من رسول الله الى آلهتهم . وليت شعرى هل وجدوا خصماً دائم المثابرة لآلهتهم مثل رسول الله فلا توحشه فى ذلك وحدة ولا يصده عنه اضطهاد ولا تميله عنه المطامع ، كما لا يخفى ذلك على العدو والصديق ، وأظرف من ذلك دعوى المتكلف ان رسول الله كان كثيراً ما يجيب دعوة قريش الى شركهم . وهل وجد فى الناس ضداً مقاوماً للوثنية مثل رسول الله . وان المتكلف ليعلم انه لا يوافقه على هذه الخرافة أحد من الناس ، ولذا التجأ فيها الى

الإحتجاج الذى لا يخفى حتى عليه وهنه وسخافته بقوله : فلو لم يقترف ذنباً لما نهى عنه .

أفيقول ان وصايا الشريعة ونواهيها لا تكون إلا بعد الوقوع فى الذنب ؟ أفلم يتدبر فى شريعة التوراة ؟ أفلم يتدبر فى شرائع الملوك ؟ أفلم يتدبر فى أحكام الموالى ؟ .

وأظرف من ذلك نقضه بنفسه لهذا التوهم حيث قال فى تتميم دعواه بزعمه ، روى ان ابا سفيان وعكرمة بن أبى جهل وأبا الأعور السلمى قدموا فى الموادعة التى كانت بينه وبينهم وقام منهم ابن ابى ومتعب بن قشير والجد ابن القيس فقال له : ارفض ذكر آلهتنا وقل ان لها شفاعة وندعك وربك فادعى ان الله أنزل عليه ذلك .

فهل ترى المتكلف لم يشعر ان هذه الرواية تنقض غرضه لصراحتها بأن رسول الله قد جبههم فى هذه الآيات بالرد وآيسهم من أمانيهم الكاذبة .

وفى تفسير البغوى انه شق على النبى قولهم وأمر عمران يخرجهم .

وفى تفسير النسفى هم أن يقتلهم فنزلت (يا أيها النبى اتق الله) يعنى فى قتلهم ونقض العهد ، ولعله لو قيل للمتكلف إذاً فمن يشهد لك على مدعاك ؟ لقال : أليس فى قرآنكم مكتوب شهادة رجلين حق أنا هو الشاهد لنفسى ويشهد لى التعصب الذى يغرينى ويورطنى فإن من أوضح المعلومات التى لا يسترها غبار التزوير والتلفيق ان رسول الله كان أثقل الناس وطأة على الاصنام وأشدهم ذماً لها وعيباً لعبدتها وتسفيهاً لأحلامهم ، لا يفتر عن ذلك ولا يداهن بل كان هذا هو العنوان لنهضته والقانون الاساسى لدعوته حتى عاداه فى محض ذلك القريب والبعيد ولاقى من الإضطهاد ما لاقى .

ثم قال المتكلف . ومما يشبه هذه الحادثة قوله فى سورة الزمر ٦٥ (لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين) .

أقول : كأن المتكلف قد مناه وهمه بإحراز الموفقية في المنقولات والمحسوسات حتى صار يعتمد على الحدس والتخمين . أو تراه لم يشعر بأن صدر الآية الذى حذفه مما ينقض مرامه ، فقد قال الله تبارك وتعالى : (ولقد اوحى اليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك الآية) وان الآية لتنادى بصراحتها ان هذا الخطاب قد خوطب به رسول الله كما خوطب به كل من قبله من الأنبياء الموحى اليهم .

أفيقول : ان خطاب الأنبياء بذلك كان مما يشبه هذه الحادثة ، أو لم يتدبر ما فى هذه السورة الشريفة من التشديد والتفنن فى زجر المشركين عن شركهم وتوبيخهم وبيان ضلالهم فيه ، وفى المحاماة عنه والدعوة اليه ، فمرة يزجرهم الله بالحجة عليهم بالتجائهم بمقتضى فطرتهم الى ناحية التوحيد حينما يضايقهم الضر ، ثم يرجعون الى ضلالهم واضلالهم فى الرفاهية ، كما فى الآية الحادية عشر .

ومرة باعترافهم بأن الخالق القادر هو الله مع عجز الأنداد عن النفع والضر كما فى الآية التاسعة والثلاثين .

ومرة بضرب المثل فيما يشهد به الوجدان من اختلال النظام بالشركة والشركاء كما فى الآية الثلاثين .

ومرة يوبخهم ويقطع آمالهم ويخيب أطماعهم بتلقين رسول الله أعلامهم بما أمره به من التوحيد وترك الأنداد وبيان النكال المعد للمشركين والبشرى للمؤمنين كما فى الآية الرابعة عشر الى الآية الثانية والعشرين .

ومرة بتلقينه توبيخهم والإنكار عليهم بطمعهم فى الموافقة لهم على الشرك وآيسهم من أوهام أطماعهم بتلقينه ان الله قد توعده وجميع الأنبياء قبله بالوعيد العظيم الشديد على الشرك فقال تعالى ٦٤ : (قل أفغير الله تأمرونى أعبد أيها الجاهلون ٦٥ ولقد أوحينا اليك والى الذين من قبلك لئن أشركت)

الآية ، فجاء الخطاب فى هذه الآية لرسول الله وإعلامه بما اوحى اليه وإلى الأنبياء الذين من قبله مجىء الحجة والبرهان على مضمون الآية التى قبلها وهو الإنكار على المشركين فيما يدعونه اليه وتجهيلهم فيه ، بل والبرهان على التوحيد ونفى الانداد المتقدم فى مضامين الايات التى قبلها ، فأين المتكلف عن التبصر بهدى سورة الزمر (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها) .

ثم قال المتكلف فى شأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وكما انه كان يقدم على المنكر المنهى عنه كان يتأخر عن أداء المأمور به لأنه كان يخشى بأس قومه ولما كان يرى ان موافقتهم لم تأت بفائدة ولا ثمرة كان يتخلص من ذلك بأن يدعى ان الله زجره فورد فى سورة المائدة ٧١ (يا أيها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته) .

وعن الحسن ان الله لما بعث رسوله ضاق ذرعا وعلم ان فى الناس من يكذبه فقال هذه العبارة .

أقول : أما رواية الحسن فزيادة على كونها معارضة مقطوعة السند . مردودة بأن هذه الاية من سورة المائدة التى هى مدنية من آخر ما نزل من القرآن حينما أظهر الله دينه وكسرت دعوة الحق شوكة الشرك واخمدت نائرة المشركين فلا ربط لها بأصل البعثة وتكذيب المشركين ، بل أن صريح الاية ومرماها يناديان بأنها تحث على أمر هو غير أصل الدعوة وتعظم أمره ببيان ان تركه بمنزلة ترك التبليغ لأصل الدعوة وإلا فأى معنى لقوله فإن لم تبلغ أصل الدعوة فما بلغت أصل الدعوة .

وان سألت عن مرمى الاية وقصدها (قلنا) لا يمتنع أن يكون رسول الله قد يؤمر بأمر سياسى وتدبير اجتماعى وقانون اصلاحى غير متعلق بحادثة وقتية يفوت الغرض منها بتأخير البيان ولا يكون فى الوحى به تضييق بتعجيل التبليغ فيتربص رسول الله فى تبليغه فرصة التأثير ويراعى فى تأخيره سياسة

الفائدة ومجال التنفيذ وعدم التشويش مراعاة لحكمة الوظيفة واعتماداً على سعة الاطلاق فيأتيه بيان التضييق والتعجيل بصورة الحث والتشديد اشعاراً للعباد بأهمية ذلك الأمر وتنويهاً بكبير شأنه في السياسة الدينية ونظام المدنية وانتظام الجامعة .

فلماذا لا يحمل المتكلف الآية على هذا الوجه الواضح ؟ ولماذا يميل مع الهوى ؟ ويعتل بالقيل ؟ بل لنا أن نقول : ان المأمور به إذا كان عظيم الأثر في النظام العام كبير الفائدة في الإجتماع والجامعة ، فقد تقتضي الحكمة في الاشعار بأهميته والسياسة في تنفيذه وإجرائه وتثبيته في القلوب وجلبها اليه كما هو حقه أن يقرن الله الوحي به إلى الرسول المبلغ له بالحث والتشديد على تعجيل تبليغه ابتداء ومن دون سابقة له في الوحي فيجري الحث عليه على نحو فلسفي سياسي في براعة البيان ليكشف عن حسن أثره في الدين ، ومدخليته في الجامعة .

والشيعة من المسلمين يقولون : ان الآية نزلت في أمر رسول الله بنصب علي خليفة على امته من بعده وأخذ العهد له من الامة بذلك وبالبناء عليه يتضح انطباق الاية وحسن مرماها .

ثم ان المتكلف (يه ١ ج ص ٦٦ - ٦٨) والمتعرب (تذ ٦٥) قد تعرضا لشأن تزوج رسول الله بزينب بنت جحش التي كانت عند مولاه زيد بن حارثة فاستفزهما ما فيهما إلى أن جاء في كلامهما بما يقبح حتى منهما فراجعه فإن الأوراق لأشرف من أن يسود وجهها بنقله .

وهاك خلاصة الأمر في القضية لا يخفى أن زيداً كان غلاماً لرسول الله فجاء أبوه حارثة ليفكه من الرق ويأخذه فأبى زيد أن يتبعه رغبة في خدمة رسول الله لما رآه من بره وعظيم شأنه فشكر له رسول الله ذلك وأعتقه وعامله في البر معاملة الابن حتى دعاه الناس زيد بن محمد ، وزوجه زينب بنت

جحش ، ثم طلقها زيد ولما انقضت عدتها تزوجها رسول الله حسب قوانين الشريعة المقدسة .

فاسأل المتكلف والمتعرب وأشباههما عن السبب فى جرأتهما على رسول الله فى ذلك ، فإن كان لأجل تزوجه بالمطلقة حيث منع العهد الجديد الرائج من أصل الطلاق والتزوج بالمطلقة فى حجة متهافتة وتعليل عليل لا يليق بعوام الناس فضلا عن وحى الله للمسيح .

قلنا من ذا الذى يوجب على رسول الله أن تكون أعماله وشريعته على مقتضى العهد الجديد الرائج ولا سيما فى هذا الحكم الذى قد تلجلج العهد الجديد بحجته وتدافعت أقواله فى نسخ مشروعيته حتى رفض تعليمه هذا عقلاء اتباعه فى هذه الأعصار المتنورة فجعلوا الطلاق شريعة متبعة كما يشهد به الاحصاء ، لأجل ما وجدوه فى منع الطلاق من الضرر الباهظ بنظام المدنية والإجتماع وصفاء العيش ، وانتظام أمر العائلة ، وحسن الأخلاق ، والعدل ، والحرية من أقبح القيود .

وان كان السبب هو تزوجه صلوات الله عليه بمطلقة من يدعى ابنه لأنها تكون محرمة عليه بتا وان لم يكن ابناً حقيقياً .

قلنا : من حرم ذلك ؟ وفى أى شريعة جاء تحريمه هذه التوراة والعهد الجديد الرائجان وشريعة اليهود وشريعة النصارى .

فإن قالا : انه محرم بشريعة مشركى الجاهلية (قلنا) لا نضايق من يرضى لنفسه أن يتشبث بمثل هذه اواهيات ، ولكن أليس رسول الله قد جاء ليجعل شرائع الجاهلية وعاداتها الوخيمة تحت قدميه ويجرى بشريعة الحق كل الامور على حقائقها . فلماذا لا يصد المتكلف شيء مما يصد ادباء الكتاب ؟ حتى كتب فى هذا المقام أكثر من ثلاث مرات ان رسول الله أخذ امرأة ابنه .

هذا وإن كان السبب هو مقدمات التزويج (قلنا) لم يذكر فيها القرآن الكريم إلا قوله تعالى فى سورة الاحزاب ٣٧ : (وإذ تقول للذى أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفى فى نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها لكى لا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطراً .

وأما الروايات المضطربة المختلفة فقد اقتضروا فى الصحاح عن أنس على أن زيداً جاء يشكو زينب إلى رسول الله وآل الأمر إلى طلاقها .

وفى رواية أبى سعيد عن زينب قالت : زوجنى منه رسول الله فأخذته بلسانى فشكانى إلى رسول الله الحديث .

وفى رواية قتادة ان زيداً جاء رسول الله فقال له : ان زينب قد اشتد لسانها على ، فهل ترى فى هذه المقدمات شيئاً ينتقد به ، وقد أرسل المتكلف (يه ١ ج ص ٦٦) حسب أمانته وغرضه ان رسول الله أتى زيداً ذات يوم لحاجة فأبصر زينب فى درع وخمار وكانت جميلة فوقعت فى نفسه وأعجبه حسنها فقال سبحان مقلب القلوب وانصرف مع انه قد جاء فى رواية محمد بن يحيى بن حيان ان رسول الله لما رأى زينب فجأة أعرض عنها ورجع .

وفى رواية الطبرى وكان على الباب ستر من شعر فرفعت الريح الستر .

ونقول : لو تنازلنا وأعملنا أخبار الاحاد فيما يتعلق بأصول الدين . وأغمضنا عن اضطراب هذه الرواية واختلافها ، وقبلنا ما أرسله المتكلف لقلنا ما ذا على النبى وغيره إذا وقع نظره اتفاقاً ومن دون قصد على امرأة أجنبية وما ذا عليه إذا عرف بهذا الإتفاق حسن الحسن وقبح القبيح ووقع فى نفسه موقعه ، وما ذا عليه لو التفت إلى قدرة الله على التصرف بالقلوب ، أيشترط فى النبى أن يكون فى مثل هذه الموارد ينقلب الحسن فى عينه قبيحاً .

وان المحرم القبيح هو النظر إلى الأجنبيات ريبة وتلذذاً وهو معنى قول

الإنجيل الرائج كل من ينظر الى امرأة ليشتهيها فقد زنى بقلبه . وكذا معنى إذا أعثرتك عينك ويدك (مت ٥ : ٢٨ - ٣٠) .

(ورطات المتكلف) وقد تورط فى هذا المقام بمقاييساته فقال (يه ١ ج ص ٦٦ س ٩) نعم ان داود وقع فى خطيئة الزنا ولكن يوجد فرق جسيم بين الأمرين فلم يأخذ داود امرأة ابنه .

أقول : وقد كشف لنا بكلامه هذا عن أنه لا منتهى لورطات الغفلة ولا حد لفلتات العصبية ، فلنصور لك هذه القصة على الرواية التى اشتهاها المتكلف ، ونذكر لك القصة التى قرف بها داود ملخصة من التفصيل الذى ذكر فى العهد القديم كتاب إلهامهم ، وقايس أنت بينهما واحكم ولو ببعض إنصافك ووجدانك .

فنقول : جاء فى بعض الروايات المضطربة أن رسول الله أتى بيت زيد غلامه ومعتقه فوقعت عينه على امرأته فوقعت فى نفسه وأعجبته واشعر بذلك فطلقها زيد وقل طمعاً ببر رسول الله وشكراً عليه ، بل قل مصانعة لدنياه بل قل باستدعاء من رسول الله فلما انقضت عدتها تزوجها رسول الله حسب تسويغ شريعته المقدسة ولا تقل بأمر من الله ولا لأجل الحكمة التى سنبينها إن شاء الله فى مبحث النسخ .

وجاء فى العهد القديم الذى هو كتاب وحى وإلهام عند أهل الكتاب ان داود تمشى على السطح فرأى امرأة اوريا تستحم فسأل عنها فأخبر انها امرأة اوريا . ومن اوريا ؟ هو أحد رجاله المؤمنين بالله الغازين للجهاد فى سبيل الله مع تابوت الله لنصرة دين الله . فهى فى الحقيقة وديعة فى حمى داود وظل جواره وأمن رعايته فأرسل عليها وواقعها فحبلت وأخبرته بالحبل فأحضر زوجها من الحرب ليدخل على امرأته فيلتصق به ذلك الحمل الذى هو من الزنا ، وأسكره أيضاً لهذا الغرض فأبى ذلك المؤمن المجاهد الناصح أن

يستريح إلى أهله ويأنس بهم وذلك ليواسى تابوت الله والمجاهدين فى سبيله ، فتوصل داود إلى قتله بأن أمر قائد العسكر أن يجعله فى وجه الحرب الشديدة ويرجعوا عنه لكى يضرب ويموت ففعلوا وجاهد اوريا صابراً محتسباً حتى قتل فسر قتله داود وضم امرأته إلى بيته وولدت له من ذلك الحمل ولداً ولما مرض ذلك الولد جزع حتى بات مضطجعاً على الأرض باكياً لم يأكل ولم يشرب (٢ صم ١١ و ١٢) فدونك المقايسة التى تورط بها المتكلف .

ثم ان له فى هذا المقام وللمتعرب (ذ ص ٦٥) كلاماً يفضى استقصاؤه إلى طول ممل وغايته انهما وجدا فى أنفسهما بعض القدرة على تلفيق بعض الألفاظ فتكلما حسب ما تنضح به آنيتهما من دون نظر إلى العاقبة . وأقل ما فيه انهما فتحا به باباً قبيحاً ولم يشعرا بأن خصمهم ممن لم يلقنه دين الإسلام طهارة المسيح وبراءته من بوادر العهد الجديد ليقول ويقول إذا رأى ما فى سابع لوقا فى شأن المسيح ٣٧ وإذا امرأة فى المدينة كانت خاطئة إذ علمت انه متكىء فى بيت الفريسى جاءت بقارورة طيب ٣٨ ووقفت عند قدميه من ورائه باكية وابتدأت تبل قدميه بالدموع وكانت تمسح بشعر رأسها وتقبل قدميه وتدهنهما بالطيب ، ولا سيما إذا سمع اعتراض الفريسى والجواب المحكى عن المسيح فإنه لينمق من ذلك رومانا عشقيا ، ومقامة وجدية وصالية يوشيها من مرامى ألفاظ القصة ورموز شواهدها بمغازلات صبابتية ، ومطارحات شوقية ودادية ، واشارات غرامية ، لم يقف العرجى وابن أبى ربيعة موقفها ولم يحظ امرء القيس بمثلها ، ولم يبح القيسان ببثها ، ولم يصل نشيد الانشاد الى رموز محاوراتها ، ولود أن يكون قساً إذ فتح إنجيل لوقا للسيدات باب هذه التوبة . فأين تذهب الأحلام وتشذ العقول ؟

ثم انظر (يه ٣ ج ص ٤٨) تجد العجب من الإصرار على الغى . فإن سألت عن معنى الآية الشريفة فحاصلها . وإذ تقول يا رسول الله للذى أنعم

الله عليه بالخلق السوى والإسلام وسائر النعم العظام ، وأنعمت عليه بالبر والعتق أمسك عليك زوجك واتق الله فى شكواك منها أو بحسن معاشرتك لها عند إمساكك إياها ولا يحملك كلامها معك على أن تجور عليها زيادة على التأديب المشروع .

وتخفى فى نفسك يا رسول الله ما الله مبديه ، فقد أعلمك أن زينب تكون من أزواجك ولا بد من أن يكون ذلك . وتخشى الناس أن يقولوا جرياً على عوائد الجاهلية وضلالا وزوراً ان رسول الله أخذ امرأة ابنه مع أن الناس لا ينبغى أن تخشاهم فانهم لا يضرونك بجهلهم ولا يحطون من شرف منزلتك بأغاليطهم ولا يضلون من سدده الله بالهدى . والله أحق أن تخشاه فانه هو المالك للنفع والضر وهو الذى يحق الحق بكلماته ويتصرف فى عباده بقدرته ومشيئته وحكمته ، فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها ابطالا لأضاليل الجاهلية وعوائدهم الفاسدة فى معاملتهم الادعياء معاملة الابناء الحقيقيين وتثبيتاً للناس على شريعة الحق اقتداء بك لكى لا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطراً ، وفارقوهن عن رغبة واختيار فى طلاقهن .

هذا معنى ما ورد عن أهل البيت فى تفسير الآية ولا أقل من أن يكون احتمالا فى معناها يكبح أغراض المغرضين .

﴿ حديث الافك ﴾ ومما ينبغى استطراده من هذا النحو أيضاً تعرض المتكلف (يه ١ ج ص ٦٨) والمتعرب (ذ ٥٩ - ٦١) لحديث الافك إلا أن المتعرب قد كشف عن مخبأه وأبدى نضحه لما فى آنيته وان كان عيالا فى كل ما جاء به على بعض افتراء اليهود والوثنيين فى شأن ولادة المسيح الطاهرة ويزيدون عليه بأن شواهد العادة الطبيعية تعضدهم وظواهر الأحوال تساعدهم بحيث يباين ما يقولونه لحديث الافك مباينة العادات الطبيعية لجزاف آلهتهم

مضافاً إلى أن أصل حديث الافك وتهمته الشخصية غير معلوم وإنما جاء برواية الآحاد التى لا تفيد علماً .

وان القرآن الكريم لم يعين لها مورداً خاصاً وإنما جاء بعنوان عام . ولو عرضنا الأمرين على اليهود والوثنيين لقال أهل الشرف والنفوس الحرة فى حديث الافك لا يسوغ لنا الاقدام على التهمة والتخمين ، وان الإعتبار ليساعد فيه على البراءة .

هذا وان الوحى الصادق الإلهى الرادع عن سوء التهم والقاهر ببيان قدرة الله على خلاف العادات الطبيعية .

والمكذب بنفوذ مشيئته لشواهد الحال قد أعلمنا بفضل الله ولطفه بالطهارة والبراءة فى المقامين والله الهادى إلى سواء السبيل .

وأما هزوء المتكلف والمتعرب فى هذا المقام واعتراضهما على الأطناب فى تشديد النكير والموعظة فى آيات الافك فهما معذوران فيه ، إلا إذا نبههما الراصدون بروحانيتهم لسياسة الإجتماع والمدنية المكتشفون بوصول عقولهم أسباب الإئتلاف وارتباط العواطف وحفظ الشرف وناموس العفة . وفهموهما ان أضر شىء فى ذلك هو الإقدام على التهم فى الأعراض . فإن الكلمة البادرة من ذلك تفعل ما لا تفعله السيوف وتجنى ما لا تجنيه الحروب فإنها تثلم فى شرف القبيلة ثلماً لا يتدارك ، وتسم عمومهم بالعار وسماً لا ينمحى وتحطهم عن الكفاءة لاقرانهم ومن دونهم ، وتصد طالبى العفة عن الرغبة فى نسائهم ، وتوقع بينهما العداوة وتنشب الشر والعداوة بينهم وبين القاذف وقبيلته وتلجأهم إلى قتل البرىء وتغرس البغضاء فى العائلة وتقطع علائق عواطفهم وتجرعهم غصص النكد والكمد وتشتت الشمل المجتمع وتفرق بين الطفل وامه ، والوالد وولده ، والحبيب وحبيبه . إلى غير ذلك من المضار الفظيعة . .

وانها لتنشأ عن كلمة يقدر عليها الكبير والصغير والرجل والمرأة والقوى والضعيف والشريف والوضيع . تتفلت من ألسنة ضعفاء النفوس بأيسر غيظ وأدنى سبب فيسرع انتشارها فى الناس فلا يدركها كتمان ولا يمحو أثرها حيلة ولا تدبير ، فلا يرتق فتقها ولا يداوى جرحها وانها مما لا يصد عنه سلطة حاكم ولا يردع عن بوادرها قدرة متساط ولا سيطرة مؤدب إلا النواميس الروحية المكتسبة من التعاليم الإلهية . فلا غرو إذاً إذا أطنب القرآن الكريم فى الزجر عن ذلك . وأخذ فى الردع عنه بجامع أسباب التهذيب والتأديب والتشديد فى النكير والتغليظ فى العقوبة والتلطف فى الموعظة وان هذا لمن اعجاز القرآن الذى لا يخفى إلا على الغبى أو المتعصب . فنور فكرك وخذ حظك من التهذيب والكمال بالنظر إلى سورة النور (٤-٢٦) وانها مع ما فيها من جوامع الكلم وبواهر الحكم فى حفظ النظام وتهذيب الأخلاق وفلسفة صون العائلة وإصلاحها لم تبلغ ألفاظها ربع ما جاء فى التوراة الرائجة فى صيدلة البرص والقوبا (انظر الى الثالث عشر والرابع عشر من اللاويين) واسأل الحكماء والأطباء عن ذلك ما لم يكن فيهم كاهن ، ولقد أوجزنا وأجملنا فى كشف أسرار الآيات الشريفة ، وأخرنا شرح ما تصل اليه عقولنا بعون الله من فوائدها الى حين التعرض لما فى القرآن من الأخلاق الإجتماعية .

ولا ألوم المتكلف والمتعرب ، فيما جاء به فى هذا المقام فانهما قد اشربت قلوبهما طريقة العهدين الرائجين فى نسبة الفظائع والفواضح الى الأنبياء وعائلتهم ونشر ذلك عن لسان الوحى (انظر الى التكوين ١٢ : ١٤ - ٢٠ و ١٩ : ٣١-٣٨ و ٢٠ : ٢ - ١٧ و ٢٦ : ٧ - ١٢ و ٣٤ : ١ - ٤ و ٣٥ : ٢٢ و ٣٨ : ١٣ — ٣٠) والى سفر القضاة (١١ : ١ - ٣ و ١٤ - ٢٠ و ١٦ : ١ و ٤) والى صموئيل الثانى (١١ و ١٢ و ١٣ : ١ - ٢٢) وزادت النسخة السبعينية فى الطنبور

نغمة إذ ذكرت فى هذه الحكاية الشنيعة ان داود لم يحزن روح امنون ابنه لأنه أحبه لأنه بكره .

وأيضاً (١٦ : ٢٠ - ٢٣) وإلى هوشع (١ : ٢ - ٢ : ٤ و ٣ : ١ - ٤) وإلى متى (١ : ٣ و ٥ و ٦) وإلى لوقا (٧ : ٣٧ و ٣٨) وإلى يوحنا (١٣ : ٢٣ - ٢٦) غفرانك اللهم تقدست أنبياؤك الطاهرون وكتب وحيك المطهرة وإنما أردت بذلك أن يعتبر من يتوجه اليك بنور هداك .

وأما تشهى المتكلف (يه ١ ج ص ٦٩) فى تشبثه بالرواية المضطربة فى السبب لنزول قوله تعالى فى أول سورة التحريم : (يا أيها النبى لم تحرم ما أحل الله لك) فسيأتى إن شاء الله التعرض له عند التعرض لما فى الآية الشريفة من الفوائد فى نظم العائلة .

ومال المتكلف (يه ١ ج ص ٦٩) من تأمل تاريخ محمد ظهر له انه اشتهر بالقسوة والحقد فكان يغتال بالغدر والعدوان من عارضه إلى آخره .

أقول : وقد استشهد لذلك بما يروى من قصة عصماء بنت مروان وأبى عفك وكعب بن الاشرف وبنى قريضة . وأبى رافع .

وليت شعرى هل تعدو وظيفة رسول الله المبعوث لاعلاء كلمة الحق وانتشار الصلاح وقمع الفساد والمفسدين أن يكون حسب إعلان الوحى شديد الوطأة على اعداء الله المفسدين فى الارض الذين كانوا عثرة فى سبيل التوحيد واعلاء كلمة الحق وحسن النظام فكان اعدامهم بكل وسيلة من لوازم الاصلاح النبوى واحسنه مالا يثير فتنة ولا ينشب حربا .

ولئن كان هذا من القسوة والحقد والعدوان فيا لهفاه ويا اسفاه على موسى كليم الله . وماذا يقولون فيه إذ أمر بقتل ذكور الأطفال وموطوآت النساء من سبى مديان ولم يبقوا إلا البنات الأطفال اللواتى لم يقربهن ذكر . وإنما أبقوهن لانتفاعهم بهن لا رقة عليهن (عد ٣١ : ١٧ و ١٨) وقتل بأمره كل

من فى مدن سيحون من الرجال والنساء والأطفال (تث ٢ : ٣٤) وكذا مملكة عوج ملك باشان (تث ٣ : ٥ و ٦) .

ويا لهفاه ويا أسفاه على يشوع بن نون إذ قتلوا وحرموا بأمره كل ما فى مدينة اريحا من رجل وامرأة وشيخ وطفل حتى الحيوانات (يش ٦ : ١٧ و ٢١) وكذا كل من فى مدينة عاى مما عدا البهائم (يش ٨ : ٢٦ و ٢٧) وكل نفس بمقيده ، ولبنه ، ولخيش ، وعجلون ، وحبرون ودبير . وكل أرض الجبل والجنوب والسهل والسفوح (يش ١٠ : ٢٨ - ٤١) وكذا حاصور (يش ١١ : ١١) .

ومع ذلك ينسب الأمر بهذا كله إلى الله ، بل انه هو الذى شدد قلوب المحاربين لبنى اسرائيل من هؤلاء ليقع هذا الفعل بهم وبنسائهم وأطفالهم ولا تكون عليهم رأفة ويحرموا ويبادوا كما أمر الرب موسى (يش ١١ : ٢٠) فإن قلت : ان التوراة قد اعلنت بحكمة هذا التحريم والابادة وهى المحافظة على أن لا يختلطوا مع بنى اسرائيل فيردونهم أو يردون أبناءهم عن عبادة الله الى عبادة آلهتهم (تث ٧ : ٣ و ٤ و ٢٠ : ١٨) .

قلت : أولا لئن جاز هذا كله بما فيه من العظائم ، وصح من موسى ويوشع حذراً من العاقبة فى المستقبل وحماية للتوحيد من احتمال أن يغوى نسل هؤلاء المبادين لبنى اسرائيل الذين عرفت فى المقدمة الخامسة انهم لم يستقروا على التوحيد فى جيل من أجيالهم من زمان موسى الى سبى بابل . فلماذا لا يجوز لرسول الله المبعوث لمحو الشرك وإعلاء كلمة الحق أن يطهر الأرض من رجاسة فلان وفلان وبنى النضير الذين قد أسرفوا وأفرطوا فى مقاومة الموحدين والتوحيد بأقوالهم وأفعالهم ، وجرأتهم وبغيهم وغدرهم ونكث العهد ، ونصرة الشرك .

أفلم ينظر المتكلف فى السير ليعرف ما جناه هؤلاء وعلى الخصوص

بنى النضير الفجرة الذين أرادوا بغدرهم أن يؤيدوا كلمة الشرك ويمكنوا المشركين من قتل الموحدين .

(وثانياً) ان حكم التوراة الرائجة بالتحريم وإبادة كل نسمة حتى الأطفال مختص بسبعة شعوب : الحثيين . والجرجاشيين . والاموريين والكنعانيين . والفرزيين . والحويين . واليبوسيين . (تث ٧ : ١ — ٥ و ٢٠ : ١٦ — ١٨) ، وأما غير هؤلاء الشعوب من المحاربين لبنى اسرائيل ، فإن نساءهم وأطفالهم وبهائمهم تكون غنيمة ولا يقتلون (تث ٢٠ : ١٢ - ١٥) .

فنقول : ان المديانيين إن كانوا من الشعوب السبعة ، فلماذا أبقى موسى من اناثهم الأبكار اللواتى لم يعرفن مضاجعة ذكر اثنين وثلاثين ألفاً (عد ٣١ ١ - ٣٥) أفأمن موسى من أن يغوين بنى اسرائيل ويردنهم الى عبادة غير الله ؟ كيف لا وان المديانيات هن اللواتى أغوين بنى اسرائيل فى شطيم إذ زنوا بهن وأكلوا من ذبائح آلهتهن وسجدوا لها وتعلقوا ببعل فغور (عد ٢٥ : ١ - ١٨ و ٣١ : ١٦) .

وهل كان هذا منه محاباة لبنى اسرائيل حيث أعجبهم جمالهن وذاقوا لذة الزنى بهن . ولئن كان هذا عن أمر الله فهاهنا يقول القائل نحو ما قاله المتكلف (يه ١ ج ص ٦٦ س ١٣) حاشا لله القدوس الطاهر أن يصادق على العمل الشهوانى المنبعث عن لذة الزنى الموقع فى الشرك . هذا وإن لم يكن المديانيون من الشعوب السبعة فلماذا قتل موسى أطفالهم الذكور وهم يبلغون ألوفاً عديدة يقتضى قياس الابكار من الاناث .

وأيضاً كيف أقدم يشوع لأجل سرقة من الغنيمة فاحرق عخان وبنيه وبناتهم مع انهم مؤمنون من نسل ابراهيم من بنى اسرائيل شعب الله وهب ان عخان سرق فما ذنب البنين والبنات وما ذنب حيواناته حتى أحرقوها

أيضاً هي وكل ما له (يش ٧ : ٢٤ و ٢٥) .

وأيضاً فى العهد القديم ان صموئيل النبي أمر شاول ان يقتل عماليق رجلا وامرأة طفلا ورضيعاً بقراً وغنماً جملا وحماراً انتقاماً وتشفياً منهم لأجل ما عملوه ببنى اسرائيل حين وقفوا لهم بالطريق عند صعودهم من مصر (١ صم ١٥ : ٢ و ٣) بعد ما مضى ما يقرب من أربعمائة وخمسين سنة .

أفليس هذا من القسوة والحقد ؟ وأعجب من هذا ان ذلك ينسب إلى أمر الله وحاشا له أن يأمر بقتل الاطفال الذين لا ذنب لهم ولا تكليف عليهم بفعل الغير قبل ما يزيد على أربعة قرون .

(ورطات المتكلف) فإنه قد قابل بين قتل رسول الله لمن عدهم وقد عرفت مظاهرتهم للشرك على التوحيد وبين عفو داود عن قتل شاول ملك اسرائيل ، وهذا من المضحكات فإن العهد القديم يقول : ان شاول رجل مؤمن موحد قد تنبأ مع الانبياء ومسحه الله ملكاً على اسرائيل لتخليصهم فكان متجرداً للجهاد فى سبيل الله ونصرة التوحيد وكسر شوكة الشرك والمشركين ويكفى فى ارتداع داود عن قتله اعترافه بأنه مسيح الرب (انظر صموئيل الاول من التاسع الى الرابع والعشرين) .

ولكن لماذا لم يذكر المتكلف فى المقابلة ما يذكره العهد القديم عن داود وحاشاه من غدره باوريا فى زوجته ونفسه ذلك الغدر الفاحش ، ولماذا لم يذكر ما يذكره كتابهم عن موسى ويشوع وصموئيل كما ذكرناه ؟ وليت شعرى ماذا ترى المتكلف يقول فى تقولاته لو لم يكن مثل ما ذكرنا فى كتبه التى ينسبها إلى اوحى ؟ أتقول : انه لم يطلع عليها ، كيف وقد كرس نفسه مبشراً فى نحلته عالماً من الكتاب ؟ أفلم ينظر فى كتبه حتى فى المكتب الإبتدائى ؟ أيكون مثل هذا فى هذا الجيل المتنور . ما عشت أراك الدهر عجباً .

(دعوى الخطأ) ثم قال المتكلف (يه ١ ج ص ٧١) فى شأن رسول الله

صلى الله عليه وآله وسلم كثيراً ما كان يخطىء فى أعماله .

واستشهد لذلك بآيتين الاولى قوله تعالى فى سورة الانفال ٦٨ (ما كان لنبى أن يكون له أسرى حتى يثخن فى الارض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم) .

وقد أرسل المتكلف حسب أمانته وترويج غرضه فى نزول الآية رواية مضمونها ان رسول الله أتى بأسارى بدر وفيهم عمه وابن عمه فاستشار أصحابه وأظهر فى لوائح كلماته وأمثاله ميله الى استحيائهم وفدائهم فخير أصحابه فاختاروا الفداء فنزلت هذه الآية .

أقول : ولئن تشهى المتكلف فيما أرسل روايته فإن الرواية فى هـذا الشأن مضطربة ذات وجوه ، فعن أبى عبيدة قال : نزل جبرائيل على النبى صلى الله عليه وآله وسلم يوم بدر فقال : ان ربك يخبرك إن شئت أن تقتل هؤلاء الاسارى ، وإن شئت أن تفادى بهم ويقتل من أصحابك مثلهم فاستشار أصحابه فقالوا : نفاديهم فنتقوى بهم ويكرم الله بالشهادة من يشاء .

وفى رواية ان رسول الله كان كارهاً لإستحياء المشركين وآخذاً الفداء حتى رأى سعد بن معاذ كراهية ذلك فى وجهه الشريف فرجح له قتلهم . وكذا عمر بن الخطاب فاستحسن قولها .

وفى رواية اخرى لما أمر رسول الله بقتل عقبة والنفر من الاسارى خافت الأنصار أن يأمر بقتلهم جميعاً فقاموا اليه واستوهبوهم منه ليأخذوا منهم الفداء ، وعلى كل حال فليس فى صريح الآية ولا ظاهر سوقها إنكار على رسول الله ولا توبيخ على فعله ولا تخطئة لعمله ، وإنما لفظها وسوقها يعطى أن التوبيخ كان للامة حيث اختاروا عرض الحياة الدنيا من فداء الاسارى ولم يشددوا الوطأة على أعداء الله فهى كقوله تعالى فى سورة النساء ٩٦ : (ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام لست مؤمناً تبتغون عرض الحيوة الدنيا) .

فإن قلت فما ذكر النبي ها هنا قلت للأعلام بأن استحياء الاسارى والفداء إنما هو للنبي ووظيفته الخاصة به يجرى فيها بحسب ما يراه من الأصلح والأولى والأنسب بالعزة ، وليس لأحد أن يتعدى طوره بالتعرض فى ذلك فكانت هذه بياناً لمن له الوظيفة وزجراً لمن يتداخل فيها فضولا أو رغبة فى المال ، هذا على مقتضى الرواية بأن الآية نزلت فى الإبقاء على الاسارى بعد أسرهم . وأما إذا أعرضنا عن الرواية لكونها من الاحاد المضطربة لفظاً ومضموناً فلا تفيد علماً ولا ظناً بسبب النزول ، فلنا أن نقول ان ظاهر الاية يقتضى كونها توبيخاً على نفس الاسر فى أول الأمر وترك قتل المأسورين فى أول الظفر بهم وهذا أمر لا ربط له برسول الله لأنه وقع فى أمكنة متباعدة وأوقات مختلفة عند ما تشتت المشركون بالهزيمة .

وأما ذكر النبي فلبيان حكم الحرب الشرعية التى يقوم بها النبي لتأييد دعوته وإظهار شريعة الحق والتوبيخ للمجاهدين بأن هذه الحرب لا ينبغى للمجاهد أن يميل فيها الى عرض الحياة الدنيا ، وليست مثل سائر حروبكم المقصود منها الغلبة الوقتية ومطامع النهب وفداء الاسارى .

واما اضافة الأسرى الى النبي فلبيان علو شأنه وانه أولى بأمرهم لأن سلطة الأسر والغلبة إنما كانت ببركات رئاسته ودعوته ونجدته وشدته فى ذات الله واستجابة دعائه .

(فإن قلت) إذا كانت المصلحة فى عدم الأسر ، بل الأولى اعدام الاسارى وقتلهم ، فلماذا لم يأمر رسول الله بقتلهم ؟ ولماذا رضى للمسلمين باستحيائهم وأخذ الفداء .

قلت : ان المصلحة وإن كانت كذلك أولا وبالذات إذلالا للشرك وتثبيتاً لنيات المجاهدين على الشدة فى ذات الله وإعلاء كلمة التوحيد ، ولكن لما علقت آمالهم بفداء الاسارى وكان قتلهم جميعاً بعد سكون الحرب يعده

المشركون من الغلظة والقسوة وسوء الولاية فتستحكم بذلك عقدة الاضغان ويشتد بذلك تكالب المشركين على الإسلام والمسلمين ، صارت المصلحة بتسويغ أخذ الفداء تقوية للمجاهدين وتثبيتاً لعزائمهم على الاقدام فى الحرب وتسكيناً لغوائل الاضغان والاحقاد وصوناً لكرم أخلاق رسول الله عن شطط قول المشركين والمنافقين ، ولعل هذا هو المراد من قوله تعالى فى هذا المقام : (ولو لا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم فكلوا مما غنمتم حلالا طيباً) .

وأما الآية الثانية التى استشهد بها المتكلم لدعواه فهو قوله تعالى فى سورة براءة ٤٣ : (عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين) .

فاعلم ان ما بعدها من الآيات من الرابعة والأربعين إلى الثامنة والأربعين لينادى بأن صورة العتاب فيها على الاذن لم تكن الملامة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى على ترك الأولى ، وإنما حقيقتها ومرماها هو التوبيخ لهؤلاء القاعدين المستأذنين بنحو من لحن الخطاب الموجه لرسول الله بياناً لضلالهم وموافقة اذنه صلوات الله عليه لهم للصواب والسداد من حيث المصلحة الجهادية ، وليس فى عدمها من الفائدة إلا افتضاحهم عند رسول الله وعلمه بكذبهم فى التعلل بالمعاذير ، وصدق الصادقين فى الجهاد ، وفضيلتهم حيث أعدوا له عدته .

فسوق الآيات الخمس قرينة قاطعة على أن قوله تعالى (عفى الله عنك) بنحو لا ربط له بتقدم الذنب وإنما هو جار على النحو المتعارف فى التلطف والعناية فى الخطاب بتصديره بنحو من الدعاء والإكرام رفعاً لحزازة ما فى أثنائه من صورة العتاب وصرفاً لحزازته إلى من قصد به .

وبهذا تعرف ما فى كلام المتكلف (يه ١ ج ص ٧٢ - وكذا ٧٣) حيث

قال ومع ذلك فقالوا : ان الله عاتبه ولو كان الإله الحقيق هنا لعاقبه أشد العقاب ، ففى التوراة لما أخذ عخان بعض الأشياء المحرمة ضرب الله الامة الإسرائيلية بتمامها وسلط عليها من هزمها ، ولما كان أحد ملوك بنى اسرائيل يبقى واحداً من الذين أمر الله بإعدامهم عقاباً لهم على خطاياهم كان يضربه ضربة شديدة بخلاف الحال هنا فإذا اقترف محمد المنكر الذى يستوجب أشد عقاب وأنكى عذاب يعاتبه الله ويلاطفه ويراعى خاطره . فأين عدل الله وقداسته.

أقول : قد أقام المتكلف من حيث لا يشعر برهاناً على برائة رسول الله ها هنا من مخالفة أمر الله أو فعل ما لا يرضاه وإلا لعاقبه أشد العقاب أفتراه يقول : ان الإله الحقيق غير حاضر ها هنا ، وانه يشتهى أن يستهزىء بعدل الله وقداسته كما يفترى على قدس رسوله . أو كما ينسب العهد القديم إلى الله القدوس العادل اموراً تنافى العدل والقداسة ويمتنع صدورها من الله جل شأنه.

(منها) ان عخان سرق من الغنيمة فغضب الله على بنى اسرائيل وسلط عليهم الكفرة ونسب اليهم السرقة والخيانة مع ان المقام ينادى بأن عامة بنى اسرائيل لم يكن لهم علم بذلك ليؤآخذوا بترك النهى عن المنكر ومع ذلك فاحرق عخان هو وبنيه وبناته وبهائمه وكل ما له بأمر الله تعالى الله عن ذلك ومقتضى العادة لا بد أن يكون فى بنيه وبناته من هو طفل غير مكلف أو لا يعلم بالسرقة أو ضعيف لا يقدر على النهى عن المنكر فأى عدل يعاقب هؤلاء بذنب غيرهم (انظر يش ٧) .

(ومنها) ان صموئيل النبى أمر شاول ملك اسرائيل عن أمر الله بأن يقتل عماليق رجلا وامرأة طفلا ورضيعاً عقاباً لما فعله أسلافهم قبل أربعمائة سنة تقريباً . وهب ان الكبار كفرة مستحقون للقتل ، فأين يكون قتل الأطفال والرضعان من العدل ؟

(ومنها) ان العهد القديم نسب الى داود وحاشاه فى شأن اوريا

وامرأته ما هو من أعظم الخطايا وأشنعها ، فكان عقابه أن سلط عليه ابنه ليزنى بنسائه ، ومع ذلك يقول ناثان النبي لداود الرب أيضاً قد نقل عنك خطيئتك لا تموت (٢ صم ١٢ : ١٣) . فهل يقول المتكلف ها هنا أين عدل الله فى عدم عقابه بالموت ؟ وأين قداسته بعقابه بالزنا تعالى الله عما يقولون .

ثم قال فى شأن رسول الله : كان دأبه مراعاة صاحب الجاه والشوكة وعدم الإكتراث بالمسكين والفقير فمرة قطب فى وجه الأعمى ولم يلتفت اليه مع أنه كان آتياً ليتعلم منه ديانته ، ولما عرف أن هذا لا يليق ادعى بأن الله وبخه ، فورد فى سورة عبس ١ (عبس وتولى أن جاءه الأعمى ٣ وما يدريك لعله يزكى ٤ أو يذكر فتنفعه الذكرى ٥ أما من استغنى ٦ فأنت له تصدى ٧ وما عليك ألا يزكى ٨ وأما من جاءك يسعى ٩ وهو يخشى ١٠ فأنت عنه تلهى . . الخ) .

روى ان ابن ام مكتوم أتى محمداً وهو يتكلم مع عظماء قريش وقال : اقرأنى وعلمنى مما علمك الله فلم يلتفت اليه وقال فى نفسه يقول هؤلاء الصناديد إنما اتبعه الصبيان والسفلة فعبس فى وجهه وأعرض عنه .

أقول : اما أولا فإن التشبث بهذه الرواية لما يدعيه باطل من وجوه :

(أولها) كون الرواية من رواية الآحاد التى قد عرفت حالها .

(ثانيها) كونها مقطوعة السند ، فإن أقرب الرواة فى سندها الى الزمان الذى تنسب اليه الحكاية هما ابن عباس وعائشة . وهما فى ذلك الزمان إما أن لا يكونا مولودين أو انهما طفلان لا يميزان شيئاً .

(ثالثها) كونها مضطربة النقل فانه روى عن عائشة تارة ان رسول الله حين جاءه ابن ام مكتوم كان عنده رجل من عظماء المشركين ، وتارة انه كان في مجلس فى ناس من وجوه قريش منهم أبو جهل وعتبة بن ربيعة ، وتارة

ان اللذين كانا عنده عتبة وشيبة .

وفى الرواية عن ابن عباس انه لقى عتبة والعباس وأبا جهل ، وفى الرواية عن أنس ابى ابن خلف ، وفى الرواية عن أبى مالك امية بن خلف وفى الرواية عن مجاهد عتبة بن ربيعة وامية بن خلف ، وفى رواية اخرى عنه ان رسول الله كان مستخلياً بصنديد من صناديد قريش ، وفى الرواية عن الضحاك لقى رجلا من أشراف قريش ، وان هذا الإضطراب مما يلحق الرواية بالخرافة .

(رابعها) كونها معارضة بما هو أحسن منها طريقاً ، فقد روى ان الذى عبس فى وجه الاعمى ونزلت فيه الآيات هو غير رسول الله ويدل على ذلك قوله تعالى فى السورة (وأما من استغنى فانت له تصدى وما عليك ألا يزكى) فانه لا يصح أن يكون خطاباً لرسول الله لأن كل أحد يعلم انه لم يكن من وظيفة رسول الله ولا خلقه ولا عادته ولا همته فى الهدى انه لا يبالى بتزكى أحد بالإسلام . كيف وقد كان أقصى همته الدعوة اليه خصوصاً لمن يقوى الدين بإسلامهم . وليس كل خطاب فى القرآن هو خطاب لرسول الله فإن فيه ما لاشك بكونه خطاباً لغيره كقوله تعالى فى سورة القيامة المكية ٣٤ (أولى لك فأولى ٣٥ ثم أولى لك فأولى) .

(خامسها) ان ما فى الرواية من سوء الخلق مع الاعمى ومداهنة قريش مناقض لما هو المعروف من خلق رسول الله ولاسيما مع المسلم المسترشد ومناقض أيضاً لقوله تعالى فى سورة القلم المكية ٤ (وإنك لعلى خلق عظيم ٩ ودوا لو تدهن فيدهنون . وقال تعالى فى سورة آل عمران ١٥٣ : (فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك) .

(وأما ثانياً) فانا لو تنزلنا مع المتكلف وفرضنا صحة ما تشبث به من الرواية فى نزول الآية لما خرج كلامه عن كونه افتراء على قدس رسول الله . فإن من يفرض انه أعرض مرة عن الاعمى مراعاة لبعض المصالح فأدبه الوحى

أو على زعم المتكلف عرف أن هذا لا يليق فتداركه .

هل يسوغ ممن يتقى فضيحة الإفتراء أن يقول فى شأنه كان دأبه مراعاة صاحب الجاه والشوكة وعدم الإكتراث بالفقير والمسكين ، فمرة قطب فى وجه الأعمى .

وليت شعرى ألم يسمع المتكلف من قطعيات السير والتواريخ هتافها بأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان من أول أمره إلى آخر عمره يعد الفقراء والمساكين خير جليس وأحسن أنيس وأخص سمير ، وأقرب بطانة حتى ساء ذلك أهل الشرف وشق عليهم .

أفلم يسمع من القرآن الكريم إطراءه بمدح خلق رسول الله ، أفلم يسمع أقلا من الروايات التى تشبث بها هاهنا ان رسول الله كان شديد الاعتناء بابن ام مكتوم لأن الله عاتبه فيه .

ومن الظرائف ان المتكلف أيد مزاعمه هذه بما أرسل روايته حسب مشتهاه من أن الأقرع وعيينة وجدا رسول الله جالساً مع صهيب وبلال وعمار وخباب ونفر من ضعفاء المؤمنين فحقروهم وقالوا لرسول الله لو جلست فى صدر المجلس ونفيت عنا هؤلاء ورائحة جبابهم ، وكانت لهم جباب صوف لها رائحة ليس عليهم غيرها لجالسناك وأخذنا عنك ، وان وفود العرب تاتيك فنستحى أن ترانا العرب مع هؤلاء الاعبد فإذا نحن جئناك فاقمهم عنا فإذا نحن فرغنا فاقعدهم حيث شئت قال : نعم قالوا فاكتب لنا بذلك عليك كتاباً فاتى بصحيفة ودعى علياً ليكتب فنزل قوله تعالى فى سورة الانعام ٥٢ (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شىء وما من حسابك عليهم من شىء فتطردهم فتكون من الظالمين) .

فاقول : أما أولا كيف يجعل هذه الرواية مؤيدة لما توضح بطلانه ، فاين هو عن صراحتها بأن رسول الله كان يجلس مع هؤلاء كأحدهم ولا يكون

فى مجلسه معهم صدر يختص به كعادة الأشراف ، وان انفصالهم عنه ، واختصاص بعض مجالسه بذوى الجاه كان متعسراً يتوصل طالبه الى تحصيل قراره بكتابة الصحائف .

فهل هذا شأن من دأبه مراعاة صاحب الجاه والشوكة وعدم الإكتراث بالمسكين فأين الافهام وأين التمييز ؟

(وأما ثانياً) فإن هذه الرواية بسبب نزول هذه الآية مما لا يكاد أن يصح لأنها قد رويت مضطربة بوجوه متناقضة وأحوال متفاوتة ، فإن ذكر الأقرع وعيينة وطلبهم من رسول الله مجالسته ليأخذوا عنه وذكرهم لوفود العرب عليه يقتضى أن تكون الواقعة فى المدينة بعد فتح مكة .

وكذا رواية الزبير بن بكار فى أخبار المدينة خصوصاً مع ذكر المؤلفة قلوبهم فيها .

وعن ابن مسعود ان الذين طلبوا من رسول الله طرد الفقراء ليتبعوه هم الملأ من قريش .

وعن عكرمة عد جماعة من قريش وأشراف الكفار من عبد مناف ، وانهم توسطوا لطرد رسول الله للمساكين بأبى طالب فأشار عمر بطردهم فنزلت الآية فأقبل عمر معتذراً من مقالته وهذا لا يكون إلا فى مكة قبل الهجرة إلى غير ذلك من الروايات المضطربة التى يلزم أيضاً من ذكر سلمان الفارسى فى بعضها كون الواقعة فى المدينة .

وأيضاً فقد روى من طرق كثيرة ان سورة الانعام نزلت بمكة جملة واحدة فيكون ذلك منافياً لما يلزمه كون الآية نزلت فى المدينة كرسلة المتكلف ، ومنافياً أيضاً لما يلزمه كون الآية نزلت مستقلة عن السورة لاجل سبب خاص ، بل لعل جميع روايات النزول تذكر ان هذه الآية نزلت فى مكة أو غير المدينة ، وانها نزلت فى جملة السورة فلا يبقى فى روايات

أسباب النزول مع اضطرابها ووهنها فى نفسها ، رواية غير معارضة بما يكذبها بمضمونه .

انظر أقلا إلى الدر المنثور تفسير السيوطى عند أول سورة الانعام وعند تفسير الآية المذكورة فالصواب أن يقال فى الآية انها نزلت لحسن التأديب وتهذيب الاخلاق وخوطب بها النبى صلى الله عليه وآله وسلم ككثير من خطاب القرآن من باب (اياك أعنى واسمعى يا جارة) ، بل ككثير من خطاب التوراة .

ثم تعرض المتكلف (يه ١ ج ص ٧٤ و ٧٥) لذكر آيات توهم صدور الذنب من رسول الله وها نحن نذكرها ونذكر ما ينبغى أن يقال فيها .

(الآية الاولى) قوله تعالى فى سورة الإنشراح ٢ (ووضعنا عنك وزرك ٣ الذى أنقض ظهرك) فنقول : ان الوزر فى اللغة هو ما يثقل ويتعب وبهذا الإعتبار استعير للذنب اسم الوزر كما حسن ان يستعار للهم المجهد والغم الباهظ ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبل البعثة فى أشد ما يكون من الغم والهم ، وأثقله وأجهده لأجل ما يراه من ضلال الناس وأهوائهم المردية وعوائدهم القبيحة وعباداتهم الباطلة ويتجرع من ذلك غصص النكد حتى انه صلوات الله عليه كان لأجل ذلك يحب العزلة ويلازم غار حراء مدة من السنة مستوحشاً من ضلال الناس معانياً لاعباء هذا الهم المبرح وعسر الحيرة وضيق الصدر منتظراً لفرج الله ولطفه ورحمته الواسعة حتى شرح الله صدره ويسر أمره وفتح له باب الهدى والرحمة بالوحى ووضع عنه أوزار الهم والعنا بالبعثة والرسالة بالدعوة إلى الحق فوجد من ذلك انشراح الصدر ، وروح الهدى وراحة الفرج ، ومسرة اليسر .

ويرشد إلى ذلك دلالة العقل والنقل على عصمة النبى ، وكذا سوق السورة فى طرد الإمتنان بقوله تعالى : (ألم نشرح لك صدرك) أى بالوحى

والنبوة بعد ما كان ضيقاً بالهموم (ووضعنا عنك وزرك) أى ثقل الهم والغم ببركة الأمر بالدعوة ، (ورفعنا لك ذكرك) ، أى بالرسالة وحقائق معارفها .

ويوضح ذلك تعليله المؤكد بقوله تعالى : (فإن مع العسر يسراً ٦ إن مع العسر يسراً) ، فإن هذا التعليل إنما يناسب الفرج من الضيق وتيسير الامور ، وإزاحة ثقل الهم الباهظ . ولا مناسبة له مع غفران الذنوب . على انه لو كان ماذكرناه احتمالا مساوياً فى الآية لكفى فى ابطال مزاعم المتكلف.

(الآية الثانية) قوله تعالى فى خطاب رسول الله فى سورة الفتح ١ (إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ٢ ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما ٣ وينصرك الله نصراً عزيزاً) .

وان سوق الآيات يأبى أن يكون المراد من الذنب فيها هو معصية الله بل المتعين بمقتضى مناسبة السوق أن يكون المراد ذنبه عند قريش والعرب من أجل ما جاء به فى دعوته الباهظة لاهوائهم الملاشية لدينهم الفاسد ، وما قام به من الدفاع عن حوزة دين الحق بالحروب التى ارغمت آنافهم وحطتهم عن جبروتهم وطاغوتهم فإنه لا مناسبة بين الفتح المبين وغفران الذنوب التى هى معصية الله ليكون الفتح سببا له ، بل فى السوق والمناسبة شهادة قاطعة بان هذا الفتح سبب لغفران ذنبه صلوات الله عليه عند قريش والعرب لما شاهدوه من عفوه وإحسانه ولطفه ، وأيقنوا به فى صدقه فى دعوته وانه على بينة من ربه وان غرضه الشريف الحميد وراء دواعى الهوى وحب الرئاسة والسلطة والهوى فى أمر الدين وإلا لشدد فى الإنتقام والتشفى .

وقد رأوه على شدة ما جنوه عليه بضلالهم وطغيانهم وقبح معاملتهم له قد أعرض عن أوتاره وثاراته التى عندهم ، وفداها لكلمة التوحيد وملاشاة الأوثان فصار بذلك أعدى أعدائه المحاربين له قبل الفتح يسير تحت ركابه

ومرف لوائه فى حومة الحرب ولهوات الموت يقيه بنفسه ويجاهد بين يديه .

انظر أقلا إلى سيرة غزوة حنين القريبة من الفتح فأتم الله نعمته على رسوله بهذا الفتح إذ جمع له من شذ عنه من قريش وغيرهم الذين كانوا عثرة فى سبيل التوحيد والإسلام وعقبة دون المسجد الحرام ، وهداه صراطاً مستقيما الى إقامة شعائر الحج وسنن أبيه ابراهيم ونشر دين الحق وبث الدعوة ونصره الله نصراً عزيزاً انقادت به جزيرة العرب للتوحيد وتخطتها الدعوة الى مملكتى فارس والروم .

ويمكن أن ينزل على هذا المعنى قوله تعالى فى سورة المؤمن ٥٧ (فاصبر إن وعد الله حق واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشى والإبكار) .

وكذا قوله تعالى فى سورة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ٢١ (فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات) ويمكن أن يكون تعليماً للامة وان كان الخطاب للرسول كما قدمناه فى قوله تعالى فى سورة بنى اسرائيل ٢٤ (وبالوالدين إحساناً إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما الآية) ولو لم يكن فى سوق الآيات ما يدل على ما ذكرنا للزم حملها عليه بقرينة دلالة العقل والنقل على عصمة الرسول .

وهب ان ما ذكرناه فى الآيات احتمال محض فإنه يكفى فى إبطال تكلف المتكلف (يه ١ ج ص ٧٤ و ٧٥) إذ ليس فى الآيات مثل صراحة العهدين بنسبة القبائح الى الأنبياء كما سمعت منه فى هذه المقدمة ما تمجه الأسماع .

(آداب القضاء) قال المتكلف (يه ١ ج ص ٧٥) ونقول أيضاً : انه « يعنى قدس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم » كان جائراً فى أحكامه ولما ظهر له انحرافه رجع عنه ، كما ورد فى سورة النساء ١٠٦ (إنا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيماً واستغفر الله إن الله كان غفوراً رحيما) .

قال ابن عباس : نزلت هذه العبارة فى رجل من الأنصار يقال له طعمة سرق درعاً من جار له يقال له قتادة بن النعمان وكانت الدرع فى جراب فيه دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق فى الجراب حتى انتهى الى داره ثم خبأها عند رجل من اليهود يقال له زيد بن السمين فالتمست الدرع من عند طعمة فحلف بالله ما أخذها وما له به من علم فاتبع أصحاب الدرع أثر الدقيق حتى انتهى الى منزل اليهودى فأخذوها منه فقال اليهودى : دفعها الى طعمة زادفى الكشاف وشهد له جماعة من اليهود وجاء بنو ظفر قوم طعمة الى محمد وسألوه ان يجادل عن صاحبهم طعمة فهم محمد صلى الله عليه وآله وسلم أن يعاقب اليهودى وأن يقطع يده بلا حق وهو حرام وعلى كل حال فهو مذنب فلو لم يذنب لما استغفر ربه ولو كان نبياً لعرف الحراى الحقيقى من أول الأمر .

أقول : هب القصة على ما زاده فى الكشاف وانه ليس فيه إلا أن رسول الله هم ان يعاقب اليهودى فنزلت عليه الآية قبل أن يفعل . فكيف يجترىء المتكلف ويقول : انه كان جائراً فى أحكامه فإن هذه الكلمة تقال فيمن تكرر منه الجور فى الأحكام وكان عادة له ، ثم ان الكشاف قال (وقيل انه هم أن يقطع يد اليهودى) وهذا مشعر بأنه لم يصح هذا القول عند الكشاف فلماذا يخون المتكلف فى النقل .

وأيضاً ان هذه القصة قد تلونت روايتها واضطربت اضطراباً شديداً يكشف عن كونها لا أصل لها فقد جاء فى روايتها وجوه ١ ـ ما نقله المتكلف أولا ٢ ـ ما زاده الكشاف ٣ ـ ما نسبه الى القيل ٤ ـ ان المسروق منه رفاعة بن زيد من مشربته (محل فى الدار) ٥ ـ عن ابن عباس أيضاً والحسن نفر من الأنصار فى بعض الغزوات سرقت درع لأحدهم ٦ ـ السارق بشير بن ابيرق دعاه رسول الله فانكر ورمى بالسرقة لبيد بن سهل ٧ ـ رمى بها رجلا من اليهود ٨ ـ بنو ابيرق رموا بها لبيد بن سهل رجل له صلاح وإسلام

٩- طعمة بن ابيرق استودعه رجل من اليهود درعاً ودفنها بيده فأخذها طعمة فألقاها فى بيت أبى مليك الانصارى ١٠ - طعمة سرق درعا لعمه كانت وديعة عندهم فقدم بها على يهودى ١١ - طعمة استودعه رجل من الانصار مشربة له فيها درع فلما قدم لم يجد الدرع فرمى بها طعمة يهودياً .

انظر الى الدر المنثور تجد ما ذكرناه من الإضطراب قليلا من كثير ومع هذا الإضطراب الفاحش لا يصح التشبث بهذه القصة لشيء .

فالآية الشريفة واردة فى القضاء اشعاراً للعباد بأن الله أنزل على رسوله كتاباً يهديه الى الحكم بالحق وأدب رسوله بآداب القضاء ليسمع من المتداعيين كلامهما ويحكم بينهما بما أراه الله ، ولا يكون طرفاً فى المخاصمة فلا يكون خصما يخاصم الخائن ولا يجادل عنه ، كما فى قوله تعالى ١٠٧ (ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم) .

وأما قول المتكلف فلو لم يكن مذنباً لما استغفر من ربه فهو شطط لأنه ليس فى الآية الشريفة ان رسول الله استغفر عن ذنب فعله وإنما فى الآية قوله تعالى (واستغفر الله) فيجوز أن يكون الإستغفار المأمور به هو الإستغفار للمبطل من المتداعيين اشعاراً للعباد برفع أضغان التداعى أو اشارة الى أن مخاصمة المبطل الخائن خروج عن وظيفة القضاء وأمر يحتاج الى الإستغفار ، فما حال من يجادل عن الخائنين كل ذلك ليتأدب قضاة الامة بهذه الآداب كما جاء قوله تعالى فى خطاب رسول الله (وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما اف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما) .

وأما قول المتكلف ولو كان نبياً لعرف الحرامى الحقيقى من أول الأمر فهو شطط أيضا .

أما أولا فإن اضطراب رواية القصة لا يسمح لها بشيء من الثبوت حتى يبنى على أساسها .

(وثانيا) من اين يلزم فى النبي أن يكون عالما بكل شيء من أول الأمر فى الأحكام والموضوعات بل إنما يعلم بسبب اعلام الوحى .

أفلم ينظر المتكلف فى كتب وحيه ان يشوع النبي لم يكن يعلم بالسرقة من الغنيمة ؟ ولا بالسارق حتى أعلمه الوحى بالسرقة ؟ وعين عخان بالقرعة فاستنطقه فاعترف بالسرقة ، ودله على موضع دفنها ، (انظر سابع يشوع) .

وان موسى كليم الله لم يعلم ان جلدوجهه صار يلمع فى كلام معه (خر ٣٤ : ٢٩) ، وقد يشاء الله أن لا يعلم رسله ببعض الأشياء الى آخر الأمر (فى ثالث عشر مرقس ٣٢) .

وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بها أحد ولا الملائكة الذين فى السماء ولا الابن إلا الأب .

(شطط الغرور) قال المتكلف (يه ٤ ج ص ٢٥١ و ٢٥٢) ارتياب محمد فى الله قال فى القرآن (إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي . .) ، وقال أيضا : (ولو لا أن ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا) واستنتج علماء المسلمين من هاتين العبارتين أن محمداً مثل الامة فى حق صدور المعصية منه وتقدم فى الجزء الأول بعض أعماله ومقتضى القانون الذى وضعه المعترض وهو الشك فى الإله كفر أن محمداً فانه ورد فى القرآن انه شك وأشرك وخسر وكفر وافترى وامترى وضل وجهل وكذب الى غير ذلك .

أقول وقد تشبث لهذه الجرأة على قدس رسول الله بما توهمه من قوله تعالى فى سورة يونس ٩٤ (وإن كنت فى شك مما أنزلنا اليك) - أى فى نبأ نوح وقومه ونبأ موسى وهارون مع فرعون - . (فاسأل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك) .

وقوله تعالى : (فلا تكونن من الممترين ، ولا تكونن من الذين

كذبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين) ، ولا تكونن من المشركين ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنك إذاً من الظالمين) ونحو ذلك .

فأقول أما قوله تعالى (قل إنما أنا بشر مثلكم) ، فلا يفيد سوق الآية ولا لفظها إلا تثبيت التوحيد ورفع أوهام الغلو برسول الله ، وتمام الآية (يوحى إلى انما إلهكم إله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحداً) .

وأما قوله تعالى : (فلو لا أن ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئاً قليلا) فقد قدمنا لك فى أوائل هذا الفصل دلالتها ومرماها فراجع .

وأما قوله تعالى : « فإن كنت فى شك مما أنزلنا اليك الآية » ، فان أن الشرطية فيه للتعليق على فرض الشك والمراد من ذلك تلقين الحجة لرسول الله فيما أوحى اليه وإعلامه بأن ما اوحى اليه فى شان نوح وقومه وموسى مذكور فى الكتب التى لم تطلع عليها أنت ولا قومك . بل لنا أن نقول أن صورة الخطاب وإن كانت لرسول الله ولكن المقصود من ذلك قومه الذين لا اطلاع لهم على الكتب السابقة .

ولا نجيب عن الآية الشريفة بأنها مثل ما يحكى عنه قول المسيح « ان كنت اشهد لنفسى فشهادتى ليست حقاً » (يو ٥ : ٣١) لأنه حكى عن قول المسيح شهادته لنفسه وقوله أنا هو الشاهد لنفسى (يو ٨ : ١٨) ولا دليل من القرآن على ان رسول الله شك فيما انزل اليه ، كما تدل التوراة الرائجة على ان موسى وحاشاه شك فى وعد الله وأجاب بالاستهزاء والسخرية كما ذكرناه فى أواخر الفصل السابع فى عصمة موسى فراجعه .

وأما النواهى الواردة فى القرآن الكريم عن الشرك والامتراء والجهل والمظاهرة للكافرين ونحو ذلك فهى مثل ما تذكره التوراة من النواهى الواردة

عن خطاب الله لموسى لا يكن لك آلهة اخرى امامى . لا تسجد لهن ولا تعبدهن لا تنطق باسم الرب إلهك باطلا . لا تقتل ، لا تزن لا تسرق ، لا تشهد على قريبك شهادة زور ، لا تشته امرأة قريبك (خر ٢٠ : ٣ - ١٧) لا تضع يدك مع المنافق لتكون شاهد ظلم ، لا تتبع الكثيرين إلى فعل الشر (خر ٢٣ : ١ و ٢) .

فإن كل من له فهم مبرء عن رجاسة العصبية ورذيلة الغرور يعلم ان الخطاب بهذه النواهى لا يدل على أن المخاطب قد كان فعل الشيء المنهى عنه . بل يعرف انها إذا خوطب بها النبي فهى لتأسيس الشريعة وبيان تعاليمها للامة وقد بقى للمتكلف مما هو من قبيل هذا مما يتشبث له بأخبار الآحاد المضطربة المردودة فى الجامعة . وقد أخرنا التعرض لها إلى المحال المناسبة لذكرها على أن الناظر العارف يتضح له وجه بطلانها مما شرحناه هاهنا والله الموفق .

وان المتكلف قد غالطه وهمه بأن يدرك مقصوده فى التمويه بالتشبث بأقوال بعض المفسرين ونحوها مما لا تقيم له الجامعة الإسلامية وزناً فقال : (ية ٣ ج ص ٥) الشيطان قرين محمد ، وتشبث بنقله عن بعض المفسرين قولهم : انه كان لرسول الله عدو من شياطين الجن كان يأتيه بصورة جبرائيل وانه يسمى الأبيض .

وليت شعرى كيف ترى المتكلف يصول ويتحمس لو جاء فى كتاب إلهامى عند المسلمين أو سيرة تسالموا عليها أن الشيطان تصرف برسول الله كما جاء فى الأناجيل التى تسالم النصارى على إلهاميتها فى شأن المسيح وحاشاه من أنه بعد أن اعتمد من يوحنا بمعمودية التوبة وانفتحت السموات وأتاه روح الله وروح القدس مثل حمامة جسمية وصوت من السماء هذا هو ابنى الحبيب الذى سررت به وامتلأ من الروح القدس أصعده الروح إلى البرية أربعين يوماً ليجرب من ابليس .

أو تدرى ما معنى ذلك ؟ هو أن يروض نفسه ويؤدبها على مخالفة الشيطان وهوى النفس الذى هو شبكته لئلا يقوى الشيطان عليه بالغواية .

فإن قلت : ما حاجة المسيح إلى التجربة من ابليس والتأديب للنفس عن اتباع الهوى ، مع أن المتكلف يزعم انه أبن الله والاقنوم الثانى وهو والله واحد ، والإله الذى تقمص الطبيعة البشرية ليرفع قدرها ، بل الكلمة الذى كان عند الله وكان هو الله كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء فيه كانت الحياة والحياة كانت نور الناس (يو ١ : ١ - ٥) .

قلت : لا أدرى ومن ذا الذى يدرى ؟ فاستمع الى تمام الكلام فان الشيطان بعد تجربة الأربعين يوماً أصعد المسيح الى جبل عال وأراه جميع ممالك المسكونة فى لحظة من الزمان ، وقال له ابليس : أعطيك هذا السلطان كله واسجد لى ، ثم جاء به من البرية إلى اورشليم وأقامه على جناح الهيكل وقال له : إن كنت أبن الله فاطرح نفسك من ها هنا (مت ٤ : ٣ - ١١ ولو ٤ : ٣ - ١٣) .

فإن قلت : ان من كان فى مزاعم المتكلف وأصحابه بالمنزلة التى ذكرناها عنهم من الالوهية ولوازمها كيف يطمع فيه ابليس أن يسجد له بعد تجربة أربعين يوماً ، وانا لنرى أن من كان من الصالحين فيه شيء من النعمة والتوفيق الإلهى ليندحر عنه ابليس ولا يطمع فى اغوائه إلا بالإختلاس والمخادعة من ناحية التقوى ، فكيف يطمع بالمسيح فى السجود له ؟ وكيف لم يجبه المسيح على مزاعم المتكلف وأصحابه بقوله اخسأ ياشيطان فانى أنا الاله المستحق للسجود ولى ملكوت كل الموجودات وبى كان كل شيء وبغيرى لم يكن فهى فى قبضة سلطانى . ولماذا أخفى هذه الحقيقة والحال انه لم يكن معهما أحد من اليهود ليخاف منه ، بل قال له : انه مكتوب للرب إلهك تسجد وإياه تعبد ، ومن هو إله المسيح ومعبوده إذا كان المسيح إلهاً .

وكيف يتصرف الشيطان بالاله ؟ فمرة يصعده الى جبل ومرة يأتى به من البرية ويقيمه على جناح الهيكل . وكيف أراه كل المسكونة فى لحظة من الزمان ؟ أفلم يكن يراها من يقال : انه إله ؟ أفيكون الشيطان أقدر على ذلك من الإله ؟ .

قلت : لا أدرى سل عما عندك فى هذا الشأن ممن يبشر لا بحكمة كلام ويقول استحسن الله أن يخلص المؤمنين بجهالة الكرازة (١ كو ١ : ١٧ - ٢٦) فانا إذ قيدنا العقل بالتمييز بين الممكن والممتنع لم نستطع جواباً لسؤالك على موضوعه ، واستمع لباقى الكلام ولا تقطع اطراده فان نص الرابع من لوقا ١٣ ولما أكمل ابليس كل تجربة « أى مع المسيح » فارقه الى حين .

وفى النسخة المطبوعة سنة ١٨١١ م مضى عنه الى زمان .

وفى ترجمة هنرى مارتن بالفارسية « مدتى أز وى جدا كشت » .

وفى ترجمة بروس « تا مدتى أز او جدا شد » .

ولم يعلم من الاناجيل مقدار زمان المفارقة ، ولعله كان يوماً وأهملت الاناجيل ذكر الاقتران بعده كما اهمل كل من الاناجيل كثيراً مما ذكره الآخر .

وفى سادس عشر متى عن قول المسيح فى شأن بطرس ٢٣ اذهب عنى يا شيطان أنت معثرة لى لأنك لا تهتم بما لله بل بما للناس ونحوه فى « مر ٨ : ٣٣ » مع ان بطرس هو الرسول المعطى له بناء الكنيسة ومفاتيح ملكوت السموات « مت ١٦ : ١٧ - ٢٠ » ورعاية الامة « يو ٢١ : ١٥ - ١٧ » .

وفى الثانى والعشرين من لوقا عن قول المسيح لسمعان بطرس فى شأن الصليب ومقدماته والقيامة من القبر ٣١ سمعان سمعان هو ذا الشيطان طلبكم لكى يغربلكم كالحنطة .

وقد قدمنا لك فى المقدمة الخامسة عن الاناجيل ما تذكره فى شأن شكهم بالمسيح عند حادثة الصليب ، وعدم مواساتهم له بسهر ليلة وتفرقهم

عنه ، وتركهم له وحده ، وإنكار بطرس له ، وشكهم جميعاً فى قيامه من القبر ، فإن راجعته واطلعت على تفصيله تعرف أن الأناجيل تقول فى شأنهم انه لم يبق فى غربلة الشيطان لهم حبة حنطة على الغربال وان لسان حالها لينشد فى حقهم :

مخضت الوطاب على زبدة فلم ألف إلا مخيضاً صراحا

وفى الثانى عشر من كورنتوس الثانية عن قول بولس الرسول العظيم عند النصارى ٧ ولئلا ارتفع بفرط الاعلانات اعطيت شوكة فى الجسد ملاك الشيطان ليلطمنى لئلا ارتفع من جهة هذا تضرعت الى الرب ثلاث مرات أن يفارقنى .

وفى ترجمة هنرى مارتن بالفارسية « وأز اينجاكه مبادا أز غايت مشاهده مغرور شوم نيشترى در جسم بجهت بى قرارى داده شد كه فرستاده شيطانست تا مرا مشت زند كه مبادا مغرور شوم » .

وفى ترجمة بروس « خارى در جسم من داده شد فرشته شيطان تا مرا لطمه زند مبادا زياده سر افرازى نمايم .

ثم انظر إلى الرابعة عشر من رابع غلاطية ، وفى ثانى تسالونيكى الاولى ١٨ لذلك أردنا أن نأتى اليكم انا بولس مرة ومرتين وإنما عاقنا الشيطان .

فلو ان أحداً قال للمتكلف ان كتاب وحيكم يقول : ان بطرس شيطان ويقول الشيطان قرين بولس لما تعدى حده فى الجدل ، وحاشا المسيح وحوارييه مما نقلناه عن كتب المتكلف ، ولكن انظر الى المتكلف كيف يتغاضى عما ذكر فيها وهو يقول : انها كلام الله السميع العليم . ويتشبث للبهتان على قدس رسول الله بأقوال من لا يتبع قوله فى الدين والجامعة الاسلامية ولو تألف من أمثاله ألف ألف بجمع فلا يعدو مثل كلامه هذا أن يكون عند الجامعة خرافة مردودة .

﴿ المقدمة التاسعة ﴾

فى بيان ما تثبت به الرسالة وتقوم به لله على الناس الحجة

وبيان ما يلزم فيها وما لا يلزم

يلزم فيها ان تكون مقتضية لتصديق المدعوين بالرسالة وايمانهم بصدق مدعيها بحسب حالهم ووقتهم كافية فى الاحتجاج عليهم قاطعة لمعاذيرهم .

ويلزم أيضا ان تكون معلومة عند الدعوة وطلب التصديق اما بأن تكون سابقة فى الزمان ولكنها معلومة أو يمكن تحصيل العلم بها للمدعوين ، كما لو نص الرسول السابق المسلم الرسالة عند المدعوين بالنص الصريح المشخص المعين على رسالة المدعى ، وكان ذلك النص معلوما عند المدعوين أو يمكن لهم تحصيل العلم به عند الفحص بشرط أن لا يكون محتملا للإشتباه والإشتراك وإلا فلا حجة فيه ، واما أن تكون سابقة فى الزمان على الدعوة مستمرة إلى حينها ، كما لو كفت أحوال مدعى الرسالة أخلاقه الحميدة فى الشهادة على صدقه فى دعواه للشاهد لها وغيره الذى يمكنه تحصيل العلم بها ، واما أن تحدث عند الدعوة وطلب التصديق حسب ما تقتضيه الحكمة بشرط أن تكون معلومة للمدعوين أو يمكنهم تحصيل العلم بها .

وإذا تبصرنا بهدى العقل وتصفحنا الكتب المنسوبة الى الإلهام وجدناهما لا يسمحان بأن نتشهى ونقترح على الحجة المذكورة ان تكون علة تامة لتصديق كافة المدعوين وإيمانهم فعلا ، لأن فى الناس من المتعصبين من أوقعوا أنفسهم فى أسر العصبية وعبوديتها ونبذوا عقولهم وراء ظهورهم فلا ينتفعون بها ، ومن المقلدين من أماتوا بداء التقليد قلوبهم ، وأعموا عيون بصائرهم ، وهؤلاء لا يستضيؤن بنور عقولهم ، ولا يوجهون نظرهم الى طلب

الحق ليهتدوا اليه (وإن يروا كل آية لا يؤمنون بها وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وإن يروا سبيل الغى يتخذوه سبيلا) الاعراف (١٢٣ و ١٢٤).

وانظر الى العهدين فكم ترى فى نقلهما من هؤلاء اناساً لم تنفع فيهم بواهر المعجزات المتكررة والآيات المتظافرة مهما بلغت فلا يجدى معهم إلا أن يصرف الله نفوسهم بقدرته القاهرة الى الإيمان ويلجئهم بغير اختيار منهم عليه ويطبعهم عليه كما يطبع الحجر الأبيض على البياض وهذا خلاف ما جرت عليه حكمة الله فى خلقه لعباده .

ولا يسمحان أيضاً بأن تقترح فى الحجة على الرسالة ان تكون دائماً من قسم الفعل المعجز الخارق للعادة فإن ذلك غير لازم بل يكفى نص الرسول المسلم الرسالة عند المدعوين على رسالة الرسول الذى يدعوهم نصاً معيناً مشخصاً لا يحتمل الإشتراك والإشتباه وذلك لأجل حكم العقل بعصمة الرسول فى التبليغ ، فعصمة الرسول الناص حجة كافية فى تصديق الرسول المنصوص عليه وصدقه بدعواه الرسالة .

ويكفى أيضاً ان يكون مدعى الرسالة على نحو يمتاز به عن سائر البشر فى تهذيب جميع أخلاقه واستجماعه لصفات الكمال وطهارته عن جميع الرذائل والنقائص منزهاً عن الميل مع الهوى مبرءاً عن الإثم والتخلق والتصنع والتزوير فإن هذا كاف فى الحجة على صدقه ومقتض لأن يؤمن به من لم تعم العصبية عينيه أو يصم التقليد اذنيه .

وان قلت ان ذلك من نحو المعجز الخارق لعادة الطبيعة البشرية فلا نضايقك فيما تقول .

وبمقتضى العهد الجديد ان إيمان الناس بيوحنا المعمدان كان على أحد هذين الوجهين حتى أقبل عليه جمهور اليهود وغيرهم مصغين لبشائره ووعظه معتمدين منه بمعمودية التوبة .

فى عاشر يوحنا ٤١ ان يوحنا (المعمدان) لم يفعل آية واحدة مع انه عن قول المسيح نبى وأعظم من نبى (مت ١١ : ٩ و لو ٧ : ٢٦) ومرسل من الله (يو ١ : ٦) وليس فى الناس نبى أعظم منه (لو ٧ : ٢٨) وكان جميع الشعب من بنى اسرائيل ما عدا من كان يأكل الدنيا باسم الدين واثقين بأنه نبى (انظر لو ٢٠ : ٦ و مر ١١ : ٣٢) ، وان إيمانهم لا بد أن يكون على أحد الوجهين اما لأجل نص أبيه زكريا عليه بأنه نبى الله العلى (لو ١ : ٧٦) . واما لأجل ماكان عليه يوحنا من تهذيب الأخلاق واجتماع صفات الكمال وحسن جده واجتهاده فى خدمة الله وإرشاد عباده الى الهدى والتوبة والطاعة وكونه القدوة فى جميع الكمالات وشرف النفس وطهارة العفة .

وان كثيراً من أنبياء العهد القديم قد أذعن الناس بنبوتهم وأصغوا الى تبليغهم عن الله ، مع انه لم يذكر فى العهدين ان ذلك كان مقترناً بفعل المعجز أو النص المشخص اللذين هما حجة أيضاً على الرسالة فتصفح العهدين فى حال صموئيل ، وداود ، وسليمان ، واشعيا ، وارميا ، وحزقيال وهوشع ، ويوئيل ، وعاموس ، وعوبديا ، ويونان ، وميخا ، وناحوم وحبقوق ، وصفنيا ، وحجى ، وزكريا ، وملاخى

وتبصر فى ان العهدين قد ذكرا من غير هؤلاء جملة من الأنبياء واستقصيا فى ذكر معجزاتهم .

فإن قلت : ان الكثير أو الكل من هؤلاء المذكورين قد ذكر العهدان فى شأنهم انهم قد تنبأوا عن الوحى بأمور من الغيب فوقعت فى المستقبل على نحو ما اخبروا وهذا من نحو المعجز .

قلت : لماذا نسيت ان الحجة التى هى محل الكلام إنما هو ما كان مقتضياً لتصديق الناس فى أول أمر التبليغ وطلب التصديق وان الذى تذكره لو صح فإنما ينكشف كونه معجزاً بعد وقوع ما اخبروا به على طبق الخبر وان البعض

الكثير مما تشير اليه إنما تبين صدقه بمقتضى العهدين وانتفى عنه احتمال الكذب بعد موت النبي الذى اخبر به بمدة أو بمآت من السنين ، والبعض الآخر إنما تبين صدقه بمقتضى العهدين وانتفى عنه احتمال الكذب بعد سنين من أول الدعوة وطلب التصديق .

ومثل هذا لا يكون حجة على الرسالة لمن يطلب منهم التصديق فى أول التبليغ ، ولا يكون حينئذ مقتضيا لتصديقهم وإيمانهم ، وأنه حينئذ لمردد بين كونه دالا على صدق مدعى الرسالة فى دعواه إذا وقع المخبر به وبين كونه دالا على كذبه فيها إذا لم يقع ، كما أعطت التوراة علامة على ذلك (تث ١٨ : ٢١ و ٢٢) .

ولا يسمح العقل والنقل أيضا ان نقترح كون الحجة على الرسالة مشاهدة لكل المدعوين أو المطلوب منهم الإيمان بذلك الرسول وإن كانوا أجيالا عديدة .

فان المدار على حصول العلم بها على النحو الذى تكون به حجة كافية للرسالة فانه لا يجد العقل فرقا فى كونها حجة بين كونها معلومة بالحس أو بالنقل المتواتر ، وعلى ذلك جرت حجج رسل العهدين .

فإن معجزات موسى إنما شاهدها جيله من بنى اسرائيل مع أن الإيمان به كان مطلوبا من أجيالهم ، على انه من البعيد عادة أن يكون جميع بنى اسرائيل رجالا ونساء قد شاهدوا معجزات موسى حينما كان الإيمان مطلوبا منهم . وان معجزات المسيح حتى أشياعه الخمسة آلاف من قليل الخبز والسمك إنما كانت مشاهدة لبعض الناس فى سوريا مع ان الإيمان به كان مطلوبا من جميع الناس في شرق الأرض وغربها .

نعم لا ننكر ان المعجزات يختلف حالها بالنقل المتواتر ، فإن منها ما لا يشك من نقلت له فى كونها معجزة كانشقاق البحر الأحمر لبنى اسرائيل

وعبورهم على اليابسة والماء عن يمينهم ويسارهم مع غرق فرعون وجنوده على أثرهم ، ومنها ما تختلج فيه الشكوك ولو تواتر نقل أصله وذلك مثل ما فى ثالث يوحنا من جعل المسيح للماء خمراً .

وما فى سابع لوقا من احياء المسيح ابن الأرملة فى نايين من الموت .

وما فى حادى عشر يوحنا من إحياء المسيح لعازر من الموت ، فإن هذه المقامات الثلاثة معرض للشكوك واحتمال التصنع والتواطى فيها ، ولا يرتفع الشك فى واقعة قلب الماء خمراً إلا بأن يخبر جماعة يبلغ عددهم حد التواتر المفيد للعلم ويبينوا انهم شاهدوا الماء فى الاجران ، وانه انقلب فى الحال خمراً مسكراً من دون مداخلة عمل أو تصرف .

ولا يرتفع الشك أيضاً فى واقعتى إحياء الميتين المذكورين إلا باخبار جماعة يبلغ عددهم حد التواتر المفيد للعلم وهم من العارفين المميزين بين الموت وغيره كالأطباء ونحوهم ويشهدون بأنهم شاهدوا موت الميتين يقيناً ولم يكن يحتمل التصنع والاغماء ونحوه ، أو يخبروا فى واقعة لعازر بأنهم شاهدوه منتفخاً منتناً بانتفاخ الأموات ونتنهم ثم أحياه المسيح بعد ذلك .

فإن قلت : إذا كان بعض الذين تشملهم دعوة الرسول لم يشاهد المعجز والحجة على الرسالة ولم يحصل له العلم به من النقل وان جد واجتهد بالفحص أو علم بمبدئه لكنه ليس من أهل التمييز بين كونه من قسم المعجز أو من قسم السحر أو من قسم المهارة فى الصناعة كما يشتبه على البربرى الوحشى إذ رأى الفونغراف انه هل هو من المعجز أو من السحر أو من ممكنات الصناعة ؟ فهل من كان على أحد هذه الأحوال مكلف بالإيمان بذلك الرسول ومعاقب على عدمه ، أو هو غير مكلف ولا معاقب .

قلت أولا اما مثال البربرى الوحشى فيمكن له تحصيل العلم والتمييز بالرجوع إلى أهل الخبرة والتمييز الذين يركن اليهم فى اموره ويطمئن بهم

فى معلوماته على وجه يعلم ويميز كون الشىء المشار اليه معجزاً أو سحراً أو من ممكنات الصناعات البديعة .

وثانياً ان فى هذا المقام مخادعات للشيطان ، ومغالطات للهوى ومخالسات للعصبية ، ومعثرات للتقليد قد ضل بسببها كثير من الناس ، فمن فرض انه لم يقصر بجده فى طلب الحق ، ولم يصده عند انقياده الى الشيطان أو الهوى أو العصبية أو التقليد ، وإنما حجبه عن الوصول الى الحق قصوره وان صدق فى الجد مبلغ جهده فى طلبه فهذا الإنسان غير معاقب والله من ورائه محيط وهو بكل شىء عليم لا يكلف نفساً إلا وسعها .

ولا يسمح العقل والنقل أيضاً بأن نقترح على المعجز كونه من نحو خاص لأن الغرض منه هو كونه دالا على صدق الرسول وحجة على الناس وأى نحو منه كان وافياً بهذا الغرض .

صح فى الحكمة أن يكون حجة على الرسالة فانظر الى ما تضمنه العهدان من اختلاف معجزات أنبيائهما وشواهدهم على الرسالة كمعجزات موسى لبنى اسرائيل ولفرعون ، ومعجزات ايليا واليشع والمسيح .

بل قد توجب الحكمة الإلهية اختلافها مراعاة لمصلحة الوقت وحال المدعوين بحسب أزمانهم وأحوالهم ومعرفتهم .

ولا يسمحان أيضاً بأن نشترط فى المعجز أن يكون معتضداً بالاشارة من النبي السابق ، لأن هذا الشرط يلزم منه بطلان النبوات بأجمعها فان النبوة الاولى منها لا اشارة اليها إذليس قبلها نبوة فتبطل فيبطل ما بعدها من النبوات ولا ينفعها الاشارة من النبوة التى بعدها لأن مقتضى هذا الشرط ان النبوات المتأخرة لا تثبت لكى تنفع اشارتها حتى يثبت ما قبلها بما له من الشروط . ويكفى من العهدين فى الدلالة على بطلان هذا الإشتراط ما دل منها على كفاية المعجز فى الدلالة على النبوة والرسالة .

فى رابع الخروج (١ - ١٠) ان الله جعل لموسى آية العصا واليدالبيضاء حجة لرسالته على بنى اسرائيل ومقتضية لايمانهم به ، وقد كفى ذلك وآمن لأجله بنو اسرائيل (خر ٤ : ٣٠ و ٣١) .

وفى خامس يوحنا عن قول المسيح ١٦ لأن الأعمال التى أعطانى الأب لأكملها هذه الأعمال بعينها التى أنا أعملها هى تشهد لى ان الأب قد أرسلنى .

وفى ثانى الأعمال عن قول بطرس ٢٢ يسوع الناصرى رجل قد تبرهن لكم من قبل الله بقوات وعجائب وآيات صنعها الله بيده فى وسطكم كما انكم أيضاً تعلمون .

ولا يسمح العقل والنقل أيضاً بأن نقترح على المعجز ان لا يصدر إلا بعد الطلب والإقتراح لأن الغرض منه على نحو الغرض من النص وإعجاز كمالات الرسول إنما هو اقتضاؤه لايمان المدعوين كما ذكرنا .

وهذا الغرض يحصل مع تقدمه على طلب المدعوين فإنه قد تقتضى الحكمة تقدمه تعظيماً لشأن الرسول وبياناً لكرامته على الله .

وفى ثانى يوحنا فى حديث قلب المسيح للماء بمعجزة خمراً ١١ هذه بداءة الآيات التى فعلها يسوع فى قانا الجليل وأظهر مجده فآمن به تلاميذه ، ولم تكن بطلب المدعوين لأجل التصديق وإنما كانت بطلب امه .

ولا يسمحان بأن نقترح على المعجز أن يصدر عند كل طلب واقتراح فان الطالب للحق بصدق النية يكفيه العلم بالمعجز الأول كما قدمنا ، وأما المتمرد المستهزء فانه لا فائدة فى صدور المعجز ، ثانياً إجابة لاقتراحه وتشهيه ولا غاية إلا جعل آيات الله عرضة للمستهزئين وهذا خلاف الحكمة فى المعجز .

فى سادس عشر متى عن قول المسيح لما جاءه الفريسيون والصدوقيون فسألوه أن يريهم آية من السماء ٤ جيل شرير فاسق يلتمس آية ولا تعطى له آية إلا آية يونان النبى (وانظر مر ٨ : ١١ و ١٢ ولو ١١ : ١١ و ٢٩) .

ولا يسمحان بأن نقترح على الرسول أن يكون قادراً مختاراً على فعل الآيات والمعجزات متى شاء ومتى طلبت منه لأنه إنسان لا يقدر بطبيعته إلا على ما يقدر عليه سائر البشر .

وأما أمر الآيات فبيد الله يجريها على ما تقتضيه حكمته البالغة .

وفى خامس يوحنا ١٩ فأجاب يسوع وقال لهم الحق الحق أقول لا يقدر الأبن أن يعمل من نفسه شيئاً ٣٠ أنا لا أقدر أن أفعل من نفسى شيئا .

وفى سادس مرقس فى شأن المسيح فى وطنه ٥ ولم يقدر أن يصنع هناك ولا قوة واحدة .

﴿ المعجز ما هو ؟ ﴾

فالمعجز هو ما يظهره الله على يد رسوله من الفعل الخارق للعادة بحيث يعجز عنه سائر البشر بما عندهم من دقائق الفلسفة والحذاقة فى الصناعة والمهارة فى الفنون وبذلك يعرف أن الله هو الذى أظهره بقدرته الباهرة على يد الرسول تصديقا لرسالته .

وأما شهادته بصدق الرسول فى دعواه الرسالة فهو من المرتكزات فى الأذهان كما لا يخفى ، وعليه كافة أهل الملل القائلين بالنبوات .

وانا معاشر المسلمين قد بينا وجه ارتكازه فى الاذهان إذ قد أوضحنا البرهان فى اصولنا على أن الله لا يظهر المعجز المذكور على يد الكاذب بدعوى الرسالة لامتناع ذلك فى عادة الله بحسب حكمته وغناه وقدسه جل شأنه لان إظهار المعجز على يد الكاذب بدعوى الرسالة قبيح ، ويمتنع صدور القبيح من الله القدوس ، الغنى ، الحكيم ، العليم .

وإلى الآن لم أطلع على ما عند أهل الكتاب من البرهان العقلى على ذلك ، وان الاحتجاج له بالكتاب المنسوب إلى الالهام لا يفيد شيئا وذلك لتوقف ثبوت الالهامية للكتاب على ثبوت الرسالة وهى متوقفة على معرفة

الوجه لشهادة المعجز على صدق دعوى الرسالة .

على ان كتب العهدين وإن ذكرت فى بعض مضامينها شهادة المعجز على الرسالة لكن فى بعض مضامينها ما يعارض ذلك ويشوش بيانه ويكدر صفوه فانها قد سميا المعجز بالآية . والقوة . والاعجوبة (انظر أفلا الى خر ٤ : ٨ و ٧ : ٣ و يو ٢ : ١١ و اع ٢ : ٢٢ و عب ٢ : ٤) ومع ذلك قد نسبا صدور الآية والاعجوبة والقوة إلى الكاذبين بدعوى النبوة ، وإلى الداعى للشرك وإلى الدجال الأثيم (انظر أفلا إلى تث ١٣ : ١ و ٢ و مت ٢٤ : ٢٤ و مر ١٣ : ٢٢ و ٢ تس ٢ : ٩) .

فإن قلت : ومضافا إلى ذلك قد ورد فى التوراة ان سحرة مصر وعرافيها قد طرحوا عصيهم فصارت ثعابين كما فعل هارون (تك ٧ : ١١ و ١٢) وفعلوا أيضا بسحرهم مثل ما فعل هارون ، فاصعدوا الضفادع على أرض مصر (تك ٨ : ٦ و ٧) .

وغاية الأمر انهم لم يقدروا أن يخرجوا البعوض من أرض مصر وان عصا هارون ابتلعت عصيهم .

فكيف يعرف الناس ان فعل موسى وهارون كان من المعجز الخارج عن طاقة البشر بما عندهم من الحكمة والفلسفة ؟ وانه فعل الله لأجل تصديقهما بدعوى الرسالة .

وكيف يكون حجة من الله على صدق دعوى الرسالة ؟ وهل يختلج فى أذهان الناس فى مسابقة هذا الميدان إلا أن موسى كان أحذق وأتقن من السحرة والعرافين فى الحكمة وفن السحر ، وقد جاء فى العهد الجديد عن استفانوس المملوء من الروح القدس ان موسى بواسطة تربيته فى بيت فرعون تهذب بكل حكمة المصريين ، وكان مقتدراً فى الأقوال والأعمال (اع ٧ : ٢٢) .

قلت : أعلى تحمل ثقل ما فى العهدين الرائجين ؟ أم قد ضمنت لك صحة جميع ما فيها .

فسل وقل ما هو المائز بين المعجز الذى هو الحجة على الرسالة وبين السحر ؟ لكى أقول لك : ان المعجز هو ما كان على نحو يعترف غير العميان بالعصبية والتقليد بأنه من الله لا من السحر . ونحوه وإن قال المتعصبون أو المقلدون مكابرة وجهلا وعناداً انه سحر ويختلف ذلك بحسب اختلاف الناس فى وقتهم ومحلهم ومعارفهم .

قال المتكلف (يه١ ج ص٢٢٤) المعجزة هى أمر خارق للعادة داعية إلى الخير والسعادة (ص ٢٢٥) يلزم أن تكون نافعة ومفيدة أو كما قال السيد الجرجانى داعية إلى الخير والسعادة . فمثل كلام الجمادات كلام الحصى والرمان والعنب واسكفة الباب ، وحيطان البيت وكلام الشجر وشهادة الذئب لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم بالنبوة وكلام الظبية ليست بمعجزة فانه لا فائدة للإنسان منها وهى جديرة بأن تدرج فى سلك الخرافات .

اقول : اولا قد قال المتكلف (ص ١٣) لا ننكر ان شرب الخمر حرام والتوراة والانجيل ناطقان بانها حرام قطعا .

وجاء فى ثانى يوحنا ٢ — ١٢ ان المسيح كان فى مجلس العرس ولما نفد خمرهم استدعت منه امه ان يصنع لهم . بمعجزه خمرا (لئلا تتعطل عبادة السكر ولا تحصل سكتة فى عربدته وهذيانه وفواحش آثاره) فعمل لهم ستة اجران من الخمر الجيد وكان ذلك بدء الآيات منه فآمن به تلاميذه .

فينتج من كلام المتكلف هذا وكلام يوحنا وحكايته . انه لا يلزم فى المعجزة ان تكون داعية الى الخير والسعادة ، بل يجوز أن تكون مضرة فى الشريعة منتهكة لحرمتها مضطهدة لصلاحها داعية إلى مثل فواحش السكر وشرور مجالسه المنعقدة له لتزيد فى عربدته وتقوى انبعاث مفاسده وقبائحه

ويقوم الهرج والمرج من تتابع السكر واستحكام آثاره المعهود قبحها على ساق ، ولكن المتكلف ينسى أو لا يدرى بما يقول وما فى كتب إلهامه .

وليت شعرى ما الذى يريده المتكلف من منفعة المعجزة وفائدتها أكثر من كونها مقتضية لإهتداء الخلق إلى صدق الدعوة وبر الإيمان ، وهو معنى كونها داعية إلى الخير والسعادة ، وكل ما عدده من معاجز رسول الله من كلام الحصى الى كلام الظبية يفيد باعجازه الصريح الباهر هذه الفائدة ، ويمنح ببركته هذه المنفعة على أكمل الوجوه إذ لا يحتمل فيه التصنع والتواطى كدعوى إحياء الميت من دون أن يبلى بالموت . وليت شعرى ما الذى أراده بقوله إذ لا فائدة للإنسان منها ، أتراه يريد من فائدة المعجزة للإنسان أن تكون مثل ابقاء مجلس العرس وادامة شرب الخمر لتأخذ شدة السكر من العقول مأخذها وتؤثر حدته ما تؤثر من مفاسدها .

وعليه فأية فائدة إذاً فى لعن المسيح لشجرة التين حتى يبست فى الحال إذ لم يجد فيها ثمراً يسد جوعه ، وهل فيها إلا الضرر على مالكها إن كانت مملوكة ، أو على الفقراء والعابرين إن كانت من المباحثات (انظر مت ٢١ : ١٨ - ٢٣ و مر ١١ : ١٢ - ٢٤) .

وأية فائدة فى صيرورة يد موسى برصاء ، وأية فائدة فى صيرورة عصا موسى حية (انظر الى خر ٤ : ٢ و ٣ و ٦ و ٨ و ٣٠) ، وأية فائدة للإنسان فى أن عصا هارون اخرجت فروخاً وأزهرت زهراً وأنضجت لوزاً (عد ١٧ : ٨) وأية فائدة للإنسان فى تكلم اتان بلعام ومراجعته فى الجواب (عد ٢٢ : ٢٨ و ٣٠) . وليت المتكلف إذ كتب كتابه كان له بعض الإلمام بكتب إلهامه ، أو أنه يظن ان فى الناس من يكون له اطلاع عليها ، أو انه كان يحذر من عاقبة ما يقوله ، أو انه احتشم الحقائق الإلهية والمآثر النبوية فعرف قدره ولم يوجه اليها بضاعته من الجرأة واللسان البذى .

﴿ المقدمة العاشرة ﴾

فى ذكر الموانع للنبوة والرسالة الشاهدة على كذب ادعائها

وهى امور (الأول) أن ينص النبى المعلوم النبوة على كذب المدعى للنبوة والرسالة ، فإن تصديق هذا المدعى تكذيب للنبى المعلوم النبوة فى تبليغه لكذب هذا المدعى وهو غير جائز بالعقل والنقل واتفاق الملليين القائلين بالنبوات (ومثل هذا) أن ينص النبى المعلوم النبوة على أن لا يكون نبى من هذه القبيلة أو من هذا الصنف أو فى الزمان الفلانى ويكون مدعى النبوة من هذه الأقسام .

ومثله أن ينص على انحصار النبوة بهذه القبيلة أو بهذا الصنف أو بهذه البلاد أو بهذا الزمان ويكون مدعى النبوة من غيرها .

(المانع الثانى) أن يعطى النبى المعلوم النبوة علامة على كذب دعوى النبوة وتنطبق تلك العلامة على مدعيها .

(المانع الثالث) ان يعترف مدعى النبوة ويخبر بنبوة شخص وينص هذا الشخص على كذب ذلك المدعى للنبوة فى دعواه لها لأنه ان كان هذا الشخص نبياً حقاً ، فقد نص على كذب مدعى النبوة فيلزم تصديقه فى ذلك وان لم يكن هذا الشخص نبياً فقد كذب مدعى النبوة فى التبليغ عن الله باخباره بنبوة هذا الشخص ، والعقل وإجماع أهل الملل حاكمان بأنه لا يكذب النبى فى التبليغ .

(المانع الرابع) أن يكون مدعى النبوة فاعلا للإثم وما هو قبيح فى العقل أو فى الشريعة التى يتدين بها لما قدمناه فى الفصل الثالث من المقدمة الثامنة من دلالة العقل والنقل على لزوم عصمة النبى ، ومن جملة ذلك أن لا يظهر عليه الكذب المحرم فى تعاليمه واستشهاداته .

(المانع الخامس) أن لا يأتى فى دعوته بما هو مخالف للعقل ومنه الدعوة الى الشرك وتعدد الآلهة وعبادة غير الله ، فان العقل لا يذعن بنبوة من هو على خلاف هداه وبديهى حكمه ، ويجحدها أشد الجحود ، وانا ان لم نتبع موازين العقل فقد أضعنا رشدنا ، وضللنا عن السبيل الهادى الى الله ورسله وكتبه والمعارف الحقة ، وهل وراء العقل إلا الجهل ؟ وهل بعد الحق إلا الضلال المبين ؟

(المانع السادس) تناقض تعاليمه فى بيان الحقائق وتناقض احتجاجه لها بنحو لا يكون من النسخ للحكم السابق ، فان اللازم من ذلك كذبه فى التبليغ فى أحد الأمرين المتناقضين وجهله فى وجه الإحتجاج للأمور الإلهية .

(المانع السابع) شرب الخمر أم الشرور والقبائح والتهتك والخلاعة المنافية لوظيفة الرسول وسفارته من قبل الله على الخلق لهداهم وتكميلهم وتهذيبهم وإصلاح مدنيتهم وأخلاقهم ، كما يدل عليه اعتبار العقل وتظافر النقل ، ففى القرآن الكريم فى سورة المائدة ٩٣ (إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلوة) وفى سورة البقرة ٢١٦ (وإثمهما أكبر من نفعهما) أى الخمر والميسر .

وفى ثانى حبقوق ٥ وحقاً ان الخمر غادرة .

وفى رابع هوشع ١١ الزنا والخمر والسلافة تخلب القلب .

وفى العشرين من الامثال ١ الخمر مستهزئة المسكر عجاج ومن يترنح بهما فليس بحكيم .

وفى الثالث والعشرين منه ٢٠ لا تكن بين شربى الخمر ٢٩ لمن الويل لمن الشقاء ؟ لمن المخاصمات ؟ لمن الكرب ؟ لمن الجرح بلا سبب ؟ لمن ازمهرار العينين ٣٠ للذين يدمنون الخمر الذين يدخلون فى طلب الشراب الممزوج ٣١ لا تنظر الى الخمر إذا احمرت حين تظهر حبابها فى الكأس وساغت مرقرقة ٣٢

فى الآخر تلسع كالحية وتلدغ كالافعوان ٣٣ عيناك تنظران الاجنبيات وقلبك ينطق بامور ملتوية ٣٤ وتكون كمضطجع فى قلب البحر او كمضطجع على رأس سارية ٣٥ يقول ضربونى ولم اتوجع لقد لكأونى ولم اعرف متى استيقظ اعود اطلبها بعد .

وفى خامس اشعيا ١١ ويل للمبكرين صباحاً يتبعون المسكر للمتأخرين فى العتمة تنهبهم الخمر ٢٢ ويل للأبطال على شرب الخمر ولذى القدرة على مزج المسكر ، وفى الثامن والعشرين منه ١ ويل لأكليل فخر سكارى افرايم المضروبين بالخمر ٧ ولكن هؤلاء أيضاً ضلوا بالخمر وتاهوا بالمسكر الكاهن والنبي ترنحا بالمسكر ابتلعتهما الخمر تاها من المسكر ضلا فى الرؤيا قلقاً فى القضاء .

وانظر الى تاسع عشر التكوين (٣٠ - ٣٨) وتبصر فيما جنته الخمر بزعمهم على لوط البار (٢ بط ٢ : ٧ و ٨) مما تقشعر منه الجلود وتشمئز منه حتى نفوس الفساق .

وفى الحادى والعشرين من التثنية (١٨ - ٢١) أن كون ابن الولد سكيراً من معايبه التى يشتكى بها والده عند شيوخ المدينة ليرجموه حتى يموت وينزع الشر .

وفى عاشر اللاويين ٨ وكلم الرب هارون قائلا ٩ خمراً ومسكراً لا تشرب أنت وبنوك معك عند دخولكم الى خيمة الإجتماع لكى لا تموتوا فرضا دهريا فى أجيالكم ١٠ وللتمييز بين المقدس والمحلل والنجس والطاهر ١١ ولتعليم بنى اسرائيل جميع الفرائض التى كلمهم الرب بها بيد موسى .

وفى أول لوقا عن قول ملاك الرب لزكريا فى تمجيد ابنه يوحنا المعمدان ومدحه ١٥ لأنه يكون عظيماً أمام الرب وخمراً ومسكراً لا يشرب .

وفى خامس افسس ١٨ ولا تسكروا بالخمر الذى فيه الخلاعة بل امتلأوا

بالروح ، وتأمل فى أن العهد القديم قد أمر بأن النذير لله لا يشرب خمراً ولا مسكراً وكل ما يعمل من جفنة الخمر بل أمر الإمرأة الحاملة بالنذير بذلك (انظر عد ٦ : ٣ و ٤ و قض ١٣ : ١٤) .

﴿ المقدمة الحادية عشرة ﴾

فى وجوب النظر فى دعوى الرسالة

ليعرف أمرها من حيث الصدق فيجب الإيمان بها أو الكذب فيجب جحودها أو يبقى أمرها مردداً مجهول الحال فيجب العمل على ما يقتضيه العقل وطريقة العقلاء فى مثل هذه الموارد ، ولعمرى أن هذا المقام لهو الذى يرفع به الشيطان راية الغواية ويستنهض جنده ويعد عدته ويرتب جيشه فيجعل الغفلة على مقدمته ، والعصبية على ميمنته ، والتقليد على ميسرته ، وحب الراحة على القلب وحب الدنيا فى الكمين والميل مع الهوى جاسوسه فيستخدم النفس الأمارة وزيراً على هذا الجند لأنه طالما استسلس قيادها لغوايته وجربها فى طاعته أعاننا الله وجميع الراغبين فى الحق على مكائد الشيطان ومخادعاته وهدانا بنور العقل وبصيرة الهدى الى الصواب انه أرحم الراحمين .

اعلم هداك الله الى الحق اليقين ، وكفاك شر الشيطان اللعين انه إذا قام مدعى النبوة والرسالة ودعى الى الإيمان به وقبول ما يدعيه من الوحى وأخبر ان عدم الإيمان به مستلزم لوبال الضلال وموجب لأليم العقاب وشديد النكال فلا شك ان هذه الدعوى قبل النظر فى الشواهد والموانع محتملة للصدق والكذب فيقع المدعو حينئذ بين أخطار ثلاثة لأنه ان تسرع الى تصديقها من دون نظر وتثبت فى أمرها كان مخاطراً فى ذلك لاحتمال كذبها فى الواقع ولخوف ضرر الضلال بالإيمان بها واتباع تعاليمها الفاسدة الكاذبة التى تعمى عن الحق ، وان تسرع الى تكذيبها من دون نظر وتثبت فى أمرها كان

مخاطراً أيضاً فى ذلك لاحتمال صدقها فى الواقع ولخوف الضلال بجحود الرسالة الحقة والعقاب الشديد عليه وحرمانه بركة الإيمان بها ومنافع تعاليمها وإصلاحها وتكميلها وسعادة تقريبها الى الله والفوز العظيم ، وان بقى متردداً فيها متوقفاً فى شأنها من دون نظر وتثبت فى أمرها كان أيضاً مخاطراً لاحتمال صدقها فى الواقع ولخوف العقاب على عدم الايمان بها وحرمانه وخسرانه ما ذكرنا من منافعها العظيمة .

فلا رافع لهذه المخاطرات ولا مؤمن من مخاوفها العظيمة إلا اتباع هدى العقل والاستضاءة بنوره فى الجد والاجتهاد بالبحث والنظر فى أمرها بشرط مراقبة النفس فى معاثر الميل مع الهوى ، والرغبة فى الدين المألوف وغوايات العصبية وعمايات التقليد مع حسن التجرد فى الجهاد ، والتحذر عن هذه المعاثر ، فيجب على المدعو حينئذ بحكم العقل وطريقة العقلاء اعمال النظر فى أمر ما دعى اليه بالنحو الذى ذكرناه ليتخلص من هذه المخاطرات ويرفع الضرر عن نفسه التى هى أعز الأنفس وأكرمها عليه ، فضلا عن جلب النفع لها ، فانه ان تثبت بهذا النحو من النظر الصادق كان فائزاً بالسعادة ان أصاب ومعذوراً بحكم الشرع والعقل ان أخطأ وآمناً من العقاب بحكم العقل والشرع فانه لا يكلف الله نفساً إلا وسعها .

﴿ فصل فيما يتعلق بكيفية النظر ﴾

لا يخفى انه لا يجتمع فى الواقع ونفس الأمر شاهد الرسالة مع المانع منها ، فإذا اجتمعا فى الظاهر تبين كذب الكاشف عن أحدهما أو عنهما كليهما ، وان الكاشف عنهما اما أن يكون هو الحس فيهما معاً ، واما أن يكون هو النقل فيهما معاً . وأما أن يكون هو النقل فى احدهما والحس فى الآخر .

وان الذى يهم عموم الناس بعد رحلة خاتم المرسلين الى سعادة الآخرة إنما هو الكاشف النقلى فى شأن الأنبياء الذين تنسب اليهم الدعوة الى دينهم وشرائعهم الواردة فى إصلاح البشر فى أمر دنياهم وآخرتهم ، فلا بد وان يكون الكاشف النقلى هو النقل المتواتر المفيد للعلم ، فإن غيره مما لا يفيد العلم لا حظ له فى المداخلة والحكومة فى اصول الدين المبنية على الاعتقاد واليقين .

﴿ النقل المتواتر ﴾ المفيد لليقين هو اخبار جماعة يذعن العقل المبرء عن غواية العصبية وعماية التقليد بأنهم لم يتواطأوا على الكذب ، وإذا كان النقل متعدد الطبقات فلا بد من أن يكون متواتراً فى جميع طبقاته على هذا النحو ليكون مفيداً لليقين وإلا فلا .

وليعلم الطالب للحق الراغب فى الهدى الحريص على نجاته ودفع المخاطرات العظيمة والمخاوف المهلكة عن نفسه انه اذا بلغته دعوة الرسالة الى الايمان بها واتباع شريعتها والاهتداء بتعاليمها كان عليه ان يفحص جهد قدرته عن النقل لشواهد تلك الرسالة وموانعها من معدنه وأهل خبرته . وليلتفت الى انه لا ينبغى ان يعتمد فى امر الشواهد على من يحرص بتعصبه على اخفائها حتى يلبسها بتمويهه ثوب الاستحالة والامتناع ، او من يحرص بتعصبه لدعواها حتى يفرغها بتلفيقه فى قالب بداهة الوجدان .

ولا يعتمد ايضا فى امر الموانع على من يدعوه الحسد والعناد الى تخييلها باباطيله للعيان . أو من يدعوه الهوى الى سترها بحجب الكتمان ، بل ليعتبر لتأييد الشواهد باعتراف الخصوم بنحو منها . وليعتبر لتأييد الموانع بالتزام جامعة الاتباع بما يؤول اليها . ثم ليتثبت فى امر النقل ويدقق فى جميع طبقاته لئلا يكون فيها ما يمنع من كونه متواتراً . ويحقق فى سائر منقولات هذا النقل لئلا يكون فيها ما يلزم منه كذبه وفساده ويكشف بنحو اجمالى عن فساد دعوى

التواتر فيه : وليحقق فى شان المنقول من الشاهد للرسالة والمانع منها حسب قانون العقل الذى ذكرناه لئلا يشتبه عليه الشاهد بما ليس بشاهد والمانع وما ليس بمانع .

وليحذر كل الحذر فى هذا المقام العظيم كله من مخادعات الشيطان ومهاجمات جنوده التى ذكرناها . بل يتجرد لمقاومة الشيطان محافظا على حدوده منعته فان ميل الانسان مع الهوى قد دل الشيطان على جميع عوراته التى يؤخذ منها فان قصر الانسان فيما شرحناه فازل الشيطان عن الحق فى مقام النظر قدمه وثناه عن الهدى فلا يلو من إلا نفسه حيث استحق بتقصيره العقاب العظيم واستوجب الحرمان وقرت بضلاله وهلاكه عين الشيطان . ذلك هو الخسران المبين . اعاذنا الله من ذلك وكل طالب للهدى ودين الحق انه ولى التوفيق

فان ثبتت عنده نبوة النبى فليعد النظر لأخذه بشريعته وتعالمه فيهما ليميز بين الحق منهما وبين ما زوره تلاعب الأيام عليهما ، ثم يميز بين ما هو الثابت فى حقه منهما وبين ما هو منسوخ بشريعة صادقة من نبوة لاحقة ليعرف بصدق النظر ما هو حكم الله الفعلى فى حقه فيتعبد الله به ويطلب صلاحه وسعادته فى الدارين بسببه .

﴿ فصل فى انموذج النظر ﴾

حسبما شرحنا من قوانينه تمريناً للذهن

انا قد حاولنا إثبات النبوات وكتبها وشرائعها بحججها من غير توقف لثبوت نبوة أو ثبوت آثارها على تصديق النبوة التى بعدها ، فوجهنا النظر الى نبوة الأنبياء الذين هم قبل موسى فلم نجد لدعواهم النبوة وحجتها ولا لشرائعهم ولا لكتبهم أثراً يعتد به فى غير النبوات التى بعدهم ولئن كان لها أثر عند أهل الملل من بعد موسى فإنما هو من نبواتهم وكتبها .

فوجهنا النظر الى نبوة موسى وكتابه وشريعته وما حدث بعده من النبوات والكتب والشرائع.

فنظرنا أولا فى رسالة موسى وكتابه وشريعته فوجدنا معاصرينا من اليهود متفقين فى نقلهم على ان موسى ادعى الرسالة من الله وظهرت على يده المعجزات العظيمة وأنزل الله عليه كتاب التوراة وبعثه بالشريعة، وان التوراة الدارجة الآن هو الكتاب المنزل من الله عليه لبيان الشريعة وغيرها.

وهم متفقون أيضاً على أن هذه النقول قد تلقوها متواترة فى أجيالهم وطبقاتهم يداً عن يد إلى الجيل السامعين من موسى دعوى الرسالة المشاهدين لمعجزاته، ويؤيد نقل اليهود المعاصرين ومن قاربهم نقل طبقات المسلمين وطبقات النصارى عن طبقات اليهود ولكنه منقطع ينتهى فى أثناء سلسلة التواتر الى طبقات اليهود دون غيرهم وذلك ظاهر فان المسلمين أولهم من العرب والعجم وجملة من الامم الذين ينكرون نبوة موسى ومعجزاته وكذا النصارى فى امهم.

بل نقول ان نقل المسلمين والنصارى لمعجزات موسى إنما أصله وحقيقة مأخذه إنما هو الإعتماد على نبواتهم، ولذا ترى المسلمين لا يعرفون من معجزات موسى إلا ما جاء فى القرآن الكريم، فينحصر حصول التواتر بنقل اليهود، وعلى كل حال فان نقل اليهود يمكن باعتبار كثرتهم فى أجيالهم أن يكون من المتواتر ما لم يمنع من ذلك مانع أو نجد فيه ما يكذبه ويشهد بعدم كونه من النقل المتواتر.

فوجهنا نظرنا الى الفحص وابتدأنا بالنظر فى المواضع فوجدنا فى عاشر يوحنا عن قول المسيح ما يقدح بعمومه فى رسالة موسى ورعايته للامة ويصمه بالعيب المانع من النبوة فانه بعد ما ذكر الرعاية الحميدة والإختلاس (يو ١٠: ١ - ٦) قال ٧ الحق أقول لكم انى أنا باب الخراف ٨ جميع الذين أتوا قبلى

هم سراق ولصوص إنتهى .

إلا انه يكفى فى دفع هذا المانع توقف منعه على ثبوت نبوة المسيح والعلم بأن هذا المنقول من قوله ، بل يكفى فى بطلانه عجالة انه جاء فى الأناجيل عن أقوال المسيح ما يناقضه فى شأن موسى ، ويكفى من ذلك صراحتها بكون المسيح متبعاً لشريعة موسى عاملا بالفصح وأعياد التوراة آمراً باتباع أقوال الكتبة لأنهم جلسوا على كرسى موسى (مت ٢٣ : ٢) جاعلا قول التوراة من عند الله وتكليم الله لموسى وقول الرب (مت ٢٢ : ٣١ و مر ١٢ : ٢٦ ولو ٢٠ : ٣٧) .

فصرفنا النظر الى تعاليم موسى لعلما يوجد فيها شيء من الموانع فنظرنا فى سند التوراة الدارجة التى هى بنقل اليهود كتاب تعاليمه فوجدناها مساوية لدعوى موسى للرسالة وظهور المعجز على يده فى اتفاق اليهود ودعواهم التواتر على أن جميعها كتاب موسى عن الوحى ، وانهم قد تسلموا نقلها متواتراً عن أجيالهم يداً بيد الى الجيل المعاصرين لموسى ، فأحرزنا من ذلك ان هذا النقل المتحد فى الأمرين لا يمكن أن يذعن بتواتره فى بعض منقولاته مع كذبه فى المنقول الآخر ، فلزمنا فى مقام النظر التفحص عن هذه المنقولات إذ لعل ما يوجد فيها من الموانع ما هو مساو فى السند لصورة الحجة فلا يبقى اعتماد على هذا النقل المتساوى فيهما .

وإذ تفحصنا وجدنا فى تعليم التوراة عن قول الله لا تذكروا إسم آلهة اخرى ولا يسمع من فمك (خر ٢٣ : ١٣) لتعلم ان الرب بهره هو الإله ليس آخر سواه (تث ٤ : ٣٥) أنا أنا هو وليس إله معى (تث ٣٢ : ٣٩) .

ووجدنا أيضاً فى التوراة عن قول موسى عن قول الله ان موسى يكون إلهاً لهارون (خر ٤ : ١٦) وجعله إلهاً لفرعون (خر ٧ : ١) .

وفى التوراة أيضاً ان موسى استعفى من الرسالة بخطاب مع الله غير جار

على الادب : ولم يثق بوعد الله حتى حمى غضب الله عليه : وقال لله لماذا اسأت الى هذا الشعب لما ذا ارسلتنى ؟

وقال ايضا لماذا اسأت الى عبدك ؟

وقال فى شأن عبدة العجل . والآن ان غفرت لهم وإلا فامحنى من كتابك الذى كتبت ، وشك فى قدرة الله على اشباع بنى اسرائيل من اللحم وخاطب الله بما يشبه الانكار لذلك .

وذكرت التواة ايضا ان موسى وهارون لم يؤمنا بالله . وعصيا قوله . وخاناه كما ذكرنا ذلك تفصيلا فى الفصل السابع من المقدمة الثامنة : وهذا لا يجتمع مع الرسالة كما ذكرناه فى المقدمة المذكورة : مضافا الى ان فى التوراة الرائجة مايمتنع ان يكون من الألهام كما سمعت فيما مضى وسيمر عليك ان شاء الله : مضافا الى شهادة ارميا . بأن شريعة الله وتوراته حولها الى الكذب قلم كذب الكتبة . كما سمعت فى المقدمة السادسة : ثم تحققنا ايضاً فى خصوص سند التوراة فوجدناه بحكم المقدمة الخامسة وشهادة المقدمة السادسة واوليات المقدمة الثالثة عشر فتحقق لنا انه منقطع لا يمكن فى العادة للعاقل ان يحتمل اتصاله الى موسى بل لابد من ان يكون نقل مجموع التوراة الدارجة عن موسى كاذبا لا اعتدادبه .

فيتضح من ذلك ان دعوى اليهود تواتر نقلهم لدعوى موسى الرسالة وظهور المعجز على يده غير صحيحة . وذلك لأجل التنافى بين منقولاتهم التى يدعون فيها التواتر فيعلم كذب احدهما او كليهما اجمالا . ولأجل ظهور الكذب على بعض منقولاته .

لكنا قلنا يمكن ان تكون دعوى اليهود صادقة فى اتصال النقل والتواتر لدعوى موسى للرسالة وظهور المعجز على يده ' وان ظهر انقطاع النقل بل والكذب فى نقل التوراة . وذلك لأجل اكتشاف الداعى الى الكذب فى نقل

التوراة وهو حرص الكهنة ورؤساء الدين على ابقاء صورة الشريعة وآثار موسى بعد تلاشيها وانطماسها بدواهى التقلبات والانقلابات المشروحة فى المقدمة الخامسة فلفقوها من أوهامهم ومن النقول المشتبه صدقها بكذبها وكابروا فى حفظ اسمها وعنوانها بدعوى تواترها .

ومع ذلك لايعدو أمر موسى فى دعواه الرسالة وظهور المعجز على يده من حيث نقل اليهود ان يكون احتمالا وظنا لا يصلح ان يكون حجة فى اصول الدين .

ولو ان نقل اليهود له افاد العلم وكان حجة لما ثبت عندنا الامجرد نبوة موسى ولا أثر لذلك الاوجوب الايمان به فقط اذ لم تصل الينا منه شريعة معلومة ولا كتاب معلوم .

ثم وجهنا نظرنا الى دعوة المسيح وانجيله وتعليمه وشريعته فوجدنا المعاصرين من النصارى متفقين فى النقل على انه ادعى الرسالة وظهرت على يده المعجزات وانزل عليه الأنجيل .

ومتفقين ايضاً على أنهم قد تسلموا هذا النقل مسلسلا عن اجيالهم يداً عن يد الى الكثيرين من جيل المسيح السامعين لدعواه الرسالة والمشاهدين لمعجزاته .

ومتفقين ايضا بهذا الاتفاق فى النقل على ان الأناجيل الأربعة الدارجة هى من تعاليم المسيح واحواله الواقعية ، وانها قد كتبها رسل ملهمون عن الروح القدس ادعوا الرسالة وظهر على يدهم المعجز وانهم (اعنى النصارى) تسلموا هذا كله مسلسلا من نقل اجيالهم الى الكثيرين السامعين من هؤلاء الرسل دعواهم الرسالة ، والمشاهدين لظهور المعجز على ايديهم ، وأن هذه الكتب الأربعة من كتابتهم .

ومتفقين ايضا بهذا الاتفاق على أن أعمال الرسل ، وأربعة عشر رسالة لبولس ، وواحدة ليعقوب واثنتين لبطرس ، وثلاثا ليوحنا وواحدة ليهوذا .

ورؤ يايوحنا على ما شرحناه فى المقدمة الأولى هذه كلها كتب رسل ملهمين ادعوا الرسالة وظهر على يدهم المعجز ، وانهم تسلموا هذا كله مسلسلا من نقل اجيالهم الى الكثيرين السامعين من هؤلاء الرسل دعوى الرسالة المشاهدين لظهور المعجز على ايديهم ، وان هذه الكتب المذكورة من كتابتهم.

ووجدنا النصارى المعاصرين أيضاً يدافعون أشد المدافعة فى أقوالهم وكتاباتهم على الخدشة فى سند هذه الأناجيل والكتب ، ويحامون عنها بدعوى تواتر النقل لكونها كتباً إلهامية صادرة من رسل ملهمين .

فقلنا لننظر أولا فى الموانع عن رسالة المسيح وهؤلاء الرسل فوجدنا اليهود يقدحون فى نسب المسيح وولادته الطاهرة فتمتنع رسالته بحكم (تث ٢٣ : ٢) ، ويدل عليه إعتبار العقل فإن هذا الأمر منقصة منفرة للناس فيمتنع للرسالة التى هى إتمام للحجة من الله على الناس أن يكون فيها مثل هذا الأمر المنفر

وأيضاً يصفون قدس المسيح بالضلال والسحر ، وكذا بعض الوثنيين حتى عدوا من كتبه كتاب الشعبذات والسحر ، وانه فى مدة بقائه بمصر تعلم النيرنجات ، ويكيلون لباقى الرسل بنحو هذا المكيال .

فقلنا لننظر أولا فى الحجة على رسالة المسيح وموانعها الداخلية فإن تمت الحجة لم تعارضها هذه الموانع الخارجية بل يوضح تمام الحجة كذب دعوى هذا المانع .

فقد قضت العادة بأن كل من نهض لدعوة جديدة أو رئاسة جديدة محقاً كان أو مبطلا لا بد أن ينهض له مقاومون يرمونه بالعيب والضلال فاشتبه حق هذا لقدح بباطله ، وخصوصاً ان قدح اليهود وغيرهم فى نسب المسيح فى غير محله ، لأن الذى يدعونه أمر غيبى ، وان كانت العادة تعضده إلا أن اليهود معترفون بأن الله قادر على خلق الولد فى رحم امه من غير فحل .

وقد ظهرت قدرة الله فى شأن آدم وحوا بأعظم من ذلك ، وان الطبيعة التى سخرها الله بقدرته صالحة لمثل هذا .

فقد وجدنا فى الحيوانات المعتاد تخلقها بآلات التناسل قد تتخلق بغيرها كما هو المشاهد فى (الفار) إذ يتخلق من الطين ، والدجاج قد يبيض ويفرخ من غير فحل » فإن اخبر نبى بتولد إنسان من غير فحل وجب تصديقه لاخبار الصادق بأمر ممكن فى قدرة الله جل شأنه مع صلاحية الطبيعة لمثله خصوصاً مع وقوع ما هو من هذا القبيل ، هذا وان لم يخبر به النبى فلا ينبغى أن يستلب حقه من الامكان والإحتمال وإن كان على خلاف العادة خصوصاً إذا كانت المرأة الوالدة من المعروفات بالدين والعفاف .

دع هذا فنظرنا فى هذا الاتفاق من النصارى المعاصرين المتساوى فى جميع منقولاته على نحو واحد بحيث لا يمكن ان يكون متواتراً فى بعض منقولاته كاذبا فى المنقولات الأخر فوجدناه مختل الاركان متناقض المنقولات مضطربا فيها مشتملا على مايكذب بعضه بعضا وعلى واضحات الموانع من رسالة المسيح ولنذكر لك من ذلك شيئا يسيرا . فان الأستقصاء يفضى الى السئام والملل والخروج عن المقصود من وضع الكتاب والمقدمة . فاستمع من ذلك إلى امور :

(الأول) شهادة التاريخ بأن فى بعض منقولات هذا النقل ما ليس متواتراً بل هو منقطع قد تواطأ على صحته بعض السلف بتلفيق الأدلة والمؤيدات بزعمهم فتبعهم الخلف واستعاروا له اسم التواتر .

ولنقتصر من نقل ذلك على ما نقله اظهار الحق فإنه الميسور تعجيله فقد نقل من ذلك موارد :

المورد الأول عن جيروم فى مقدمته على كتاب يهوديت ان سبعة كتب وبعض الفقرات مما يدعى المعاصرون والمتأخرون تواتره قد كانت

مشكوكة فانعقد مجلس العلماء المسيحيين لتحقيق أمرها بأمر السلطان قسطنطين فى بلدة نائس (نيقية) سنة ثلاثمائة وخمس وعشرين فلم يتحقق وهى ست رسائل العبرانيين ، وبطرس الثانية ، ويوحنا الثانية ، والثالثة ، ويعقوب ، ويهوذا والسابع رؤيا يوحنا بل سلم من دونها كتاب يهوديت (المردود عند البروتستنت) قال : ثم انعقد مجلس (لوديسا) - أى لاوديقية - سنة ثلاثمائة وأربع وستين فأوجب التسليم للست رسائل المذكورة ، وأبقى رؤيا يوحنا على الشك إلى أن انعقد مجلس (كارتهيج) - أى قرتاجنة - سنة ثلاثمائة وسبع وتسعين فسلم رؤيا يوحنا .

والمتكلف لم تسعه المكابرة بتكذيب إظهار الحق ولا توهين جيروم لأنه اذخره للإستشهاد بكلامه ، وصرح (يه ١ ج ص ١٤٨ س ٧) بأنه كان مشهوراً بالتحقيق والتدقيق فى عصره وهو الجيل الرابع للمسيح ولكنه لما ألجأه الوقت أن يكتب شيئاً مما قال (يه ١ ج ص ٨٢) مداولة المجالس فى الكتب الموضوعة قال : (يعنى اظهار الحق) التأم مجلس العلماء المسيحيين للنظر فى الكتب المشكوكة .

قلنا يؤخذ من كلامه انه لا خلاف فى الكتب الموحى بها وهو الصواب إلى أن قال المتكلف : ولم يحصل أدنى خلاف بين أعضاء المجلس النيقاوى على صحة الكتب المقدسة إنتهى .

وأقول : كيف اخذ المتكلف من كلام اظهار الحق أو جيروم انه لا خلاف فى الكتب الموحى بها مع تصريحه فى النقل عن جيروم ان الكتب السبعة المذكورة كانت مشكوكة وبقيت على الشك بعد المجلس الاول فسلم منها فى المجلس الثانى ستة وبقى السابع مشكوكا إلى المجلس الثالث .

أفيقول المتكلف ان هذه الكتب السبعة ليست من الكتب الموحى بها هذا وان أراد المتكلف ان سكوت اظهار الحق أو جيروم عن الباقى من كتب

العهد الجديد يدل على انها مسلمة فى جميع الاعصار .

قلنا . متى سكت اظهار الحق او جيروم او غيرهم عن باقى الكتب كما سنذكره فى الموارد الآتية وأنها بمرأى المتكلف ومسمعه وقد تعرض لها : ولكنى أخبرك أن ظنى القوى أن المتكلف لايدرى ما ذا قال ههنا : واما قوله : ولم يحصل ادنى خلاف بين أعضاء المجلس النيقاوى على صحة الكتب المقدسة فنقول فيه ان اراد من المجمع النيقاوى هو مجلس نائس المذكور .

قلنا ان نقل جيروم ابعد عن التعصب من دعوى المتكلف وهو اعرف بالأمور القريبة من عصره ومشهور بالتحقيق والتدقيق وهو مثبت والمتكلف نافى : وان اراد من المجمع النيقاوى غير مجلس نائس المذكور فلا يضرنا لأنا لانكر ان مجامع النصارى قد اتفقت فى بعض الأدوار على صحة هذه الكتب بل اتفقت فى ادوار كثيرة على صحة كتب كثيرة حتى نبغت فرقة البروتستنت فى القرن السادس عشر فانفردت بدعوى كذبها . وقد تعرض المتكلف ايضا للمجمع النيقاوى المذكور (به ٣ ج ص ٢٤٦) فلم يجسر على مخالفة جيروم فى النقل ولكنه تكلم بما لادخل له بالمقام كاستشهاده بكثرة الأساقفة على انتشار الديانة المسيحية وان الكتب الموحى بها هى التى تكتب بإلهام الروح القدس وان كتاب يهوديت ليس منها .

المورد الثانى عن وارد كاتلك قال فى كتابه صرح جيروم فى مكتوبه أن بعض العلماء من المتقدمين كانوا يشكون فى الباب الآخر من انجيل مرقس ، وبعض القدماء كانوا يشكون فى بعض الفقرات من الباب الثانى والعشرين من لوقا : وعن المحقق نورتن فى كتابه المطبوع فى بلدة بوستن سنة ١٨٣٧ ص ٧٠ . فى هذا الانجيل (يعنى مرقس) عبارة واحدة قابلة للتحقيق (وهى من الفقرة التاسعة من الباب الأخير الى آخر الانجيل)

والعجب من كريسباخ انه ماجعلها معلمة بعلامة الشك فى المتن وأورد

فى شرحه ادلة على كونها الحاقية (ثم نقل أدلته وقال) فثبت منها ان هـذه العبارة مشتبهة سيما إذ لاحظنا العادة الجبلية للكاتبين بأنهم كانوا أرغب فى إدخال العبارات من اخراجها إنتهى .

قال المتكلف (يه ١ ج ص ١٢٣) : ان القول بأن العلماء كانوا يشكون فى الاصحاح الأخير من انجيل مرقس هو افتراء محض غاية الأمر أن غريغوريوس اسقف (نسا) فى كبد وكية قال : ان انجيل مرقس ينتهى بقوله (وخافوا) (والصواب خائفات) وغض الطرف عن الإثنتى عشرة آية الأخيرة لأنه لم يجدها فى بعض نسخ الفاتيكان ، ومن المؤكد انها كانت موجودة فى نسخ كريسباخ ولكنها كانت مكتوبة بين قوسين .

فأقول : هب المتكلف كذب إظهار الحق أو وارد كاتلك أو معتمده جيروم فى شك بعض العلماء المتقدمين فى آخر مرقس ولكنه اعترف بأن اسقف (نسا) قد اخرج اثنتى عشرة فقرة من آخر مرقس جزماً والاعتذار بأنه لم يجدها فى بعض نسخ الفاتيكان إعتذار واه لا محصل له إلا القدح بتثبت الأساقفة وقصورهم بل وتقصيرهم فى معرفة الحقائق والمحافظة على الكتب الإلهامية بزعمهم .

وينجر إلى القدح أيضاً بسند العهد الجديد لأنه لم يكن لعموم الناس قبل القرن السادس عشر حظ فى تداوله ، كما حدث بعد ذلك وإنما كان أمره مختصاً بالأساقفة ومن تحت أيديهم من القسوس وغيرهم ، على انه لم تكن قبل ناشئة البروتستنت كتب تختص بعنوان الفاتيكان وإنما كان أمر الكتب فى هرج ومرج تسكن سورته المجامع وبعد مجلس كارتهيج أى قرطاجنة صار الفاتيكان وغيره واجب التسليم إلى القرن السادس عشر .

وأيضاً هب ان المتكلف كذب (نورتن) فى نقله عن شرح كريسباخ ولكنه اعترف بأن الفقرات المذكورة كانت مكتوبة فى نسخته بين قوسين ،

ومن المعلوم من الإصطلاح فى رسم العهدين ان الجعـــل بين هلالين إنما هو علامة على ان ما بينهما غير موجود فى أصح النسخ وأقدمها وهو أعظم من الشك

ومن أراد الحكومة بين المتكلف وبين وارد كاتلك ونورتن فليحقق فى كتابات جيروم وكريسباخ فان المتكلف قد أنكر الفقرة الثالثة من ثانى التكوين فى تقديس اليوم السابع وتبريكه (انظر به ٤ ج ص ١٧٤ س ٣) فهل يؤتمن بعد ذلك على نقل ؟

المورد الثالث عن (ص ٢٠٥) من المجلد السابع المطبوع سنة ١٨٤٤ م من كاتلك هولد كتب استادلن فى كتابه أن كافة انجيل يوحنا تصنيف طالب من طلبة المدرسة الاسكندرية بلا ريب .

والمحقق برطشنيدر قال : ان هذا الانجيل كله وكذا رسائل يوحنا ليست من تصنيفه بل صنفها واحد فى ابتداء القرن الثانى .

والمحقق المشهور كروتيس قال : ان هذا الانجيل كان عشرين باباً فالحق كنيسة افسس الباب الحادى والعشرين بعد موت يوحنا .

وعن هورن فى الباب الثانى من القسم الثانى من المجلد الرابع من تفسيره المطبوع سنة ١٨٢٢ م انه قال الحالات التى وصلت الينا فى باب زمان تأليف الأناجيل من قدماء مؤرخى الكنيسة أبتر وغير معينة لا توصلنا إلى أمر معين ، والمشايخ القدماء الأولون صدقوا الروايات الواهية وكتبوها وقبل الذين جاؤا من بعدهم مكتوبهم تعظيماً لهم ، وهذه الروايات الصادقة والكاذبة وصلت من كاتب الى كاتب آخر وتعذر تنقيدها بعد انقضاء المدة إنتهى .

ولم يتعرض المتكلف للكلام على هذا النقل (انظر به ١ ج ص ١٣٤) الى آخره.

المورد الرابع عن هورن (ص ٢٠٦ و ٢٠٧) من المجلد الثانى من تفسيره المطبوع سنة ١٨٢٢ م ، لا توجد فى الترجمة السريانية الرسالة الثانية لبطرس ، ورسالة يهوذا ، والرسالة الثانية والثالثة ليوحنا ومشاهدات

يوحنا ، ومن الآية الثانية الى الآية الحادية عشر من ثامن يوحنا ، والآية السابعة من الباب الخامس من الرسالة الاولى ليوحنا .

وعن وارد كاتلك (ص ٣٧) من كتابه المطبوع سنة ١٨٤١ م ذكر راجرس وهو من أعلم علماء بروتستنت أسماء كثيرين من علماء فرقته الذين أخرجوا الكتب المفصلة من الكتب المقدسة باعتقاد انها كاذبة الرسالة العبرانية ورسالة يعقوب ، والرسالة الثانيـــة ، والثالثة ليوحنا ، ورسالة يهوذا ومشاهدات يوحنا .

وقال داكتر بلس من علماء بروتستنت : ان جميع الكتب ما كانت واجبة التسليم الى عهد يوسى يبوس وأصر على أن رسالة يعقوب ورسالة يهوذا ، والرسالة الثانية لبطرس ، والرسالة الثانية والثالثة ليوحنا ليست من تصنيفات الحواريين ، وكانت الرسالة العبرانية مردودة الى مدة الكنائس السريانية ما سلموا ان الرسالة الثانية لبطرس ، والرسالة الثانية والثالثـــة ليوحنا ، ورسالة يهوذا وكتاب المشاهدات وما سلموا كونها واجبة التسليم وكذا حال كنائس العرب لكننا نسلم .

وعن لارذر (ص ١٧٥) من المجلد الرابع من تفسيره سرل وكذا كنيسة اورشليم فى عهده ما كانوا يسلمون كتاب المشاهدات ، ولا يوجد هذا الكتاب فى الفهرست القانونى الذى كتبه .

ثم قال (ص ٣٢٣) ان مشاهدات يوحنا لا توجد فى الترجمة السريانية القديمة وما كتب عليه بارهى بريوس ولا يعقوب شرحاً وترك (اى بدجسو) فى فهرسته الرسالة الثانية لبطرس والرسالة الثانية والثالثة ليوحنا ورسالة يهوذا ومشاهدات يوحنا وهذا هو رأى السريانيين الآخرين .

وعن (ص ٢٠٦) من المجلد السابع من كاتلك هولد ان روز كتب (ص ١٦١) من كتابه ان كثيراً من محققى بروتستنت لا يسلمون كون كتاب

المشاهدات واجب التسليم .

واثبت بروبرا يوالد بالشهادة القوية ان انجيل يوحنا ورسائله وكتاب المشاهدات لا يمكن أن تكون من تصنيف مصنف واحد .

وعن يوسى بيس فى الباب الخامس والعشرين من الكتاب السابع من تاريخه (قال) ديونيسيش أخرج بعض كتاب المشاهدات عن الكتب المقدسة واجتهد فى رده وقال : هذا كله لا معنى له وأعظم حجاب الجهالة وعدم العقل ونسبته الى يوحنا الحوارى غلط ومصنفه ليس بحوارى ولا رجل صالح ولا مسيحى بل نسبه سرنتهن الملحد الى يوحنا لكنى لا أقدر على إخراجه عن الكتب المقدسة لأن كثيراً من الاخوة يعظمونه الخ .

وعن يوسى بيس فى الباب الثالث من الكتاب الثالث من تاريخه ، ان الرسالة الاولى لبطرس صادقة إلا أن الرسالة الثانية له ما كانت داخلة فى الكتب المقدسة فى زمان من الأزمنة لكن كانت تقرأ رسائل بولس أربع عشر إلا ان بعض الناس اخرج الرسالة العبرانية .

وفى الباب الخامس والعشرين من الكتاب المذكور . اختلفوا فى ان رسالة يعقوب ورسالة يهوذا والرسالة الثانية لبطرس ، والرسالة الثانية ، والثالثة ليوحنا كتبها الأنجيليون او أشخاص اخر كان أسماءهم هذه .

وفى الباب الخامس والعشرين من الكتاب السادس من تاريخه أيضاً نقل قول ارجن فى شأن الرسالة العبرانية الحال الذى كان على ألسنة الناس ان بعضهم قالوا : ان هذه الرسالة كتبها كليمنت الذى كان بشب الروم وبعضهم قالوا : ترجمها لوقا إنتهى كلام ارجن ، قال : وأنكرها رأساً ارنيس بيشب ليس الذى كان سنة ١٧٨ م وهب بوليتس الذى كان سنة ٢٢٠ م ونوتيس برسبتر الروم الذى كان سنة ٢٥١ م وقال ترتولين برسبتر كارتهيج الذى كان سنة ٢٠٠ م انها رسالة برنيا ، وكيس برسبتر الروم الذى كان سنة ٢١٢ م عد رسائل بولس

ثلاثة عشر ولم يعد هذه الرسالة ، وسائى برن بشب كارتهيج الذى كان سنة ٢٤٨ م لم يذكر هذه الرسالة ، وقال اسكالجر من من كتب الرسالة الثانية لبطرس فقد ضيع وقته .

وعن تاريخ البيبل المطبوع سنة ١٨٥٠ م قال كروتيس : هذه الرسالة رسالة يهوذا الاسقف الذى كان خامس عشر من أساقفة اورشليم فى عهد سلطنة ايدرين .

وعن يوسى بيس فى الباب الخامس والعشرين من الكتاب السادس من تاريخه.

قال ارجن فى المجلد الخامس من شرح انجيل يوحنا ان بولس ما كتب شيئاً الى جميع الكنائس والذى كتبه الى بعضها فسطران أو أربعة سطور .

والمتكلف لم يتمكن من انكار هذه النقول ولا القدح بناقليها ، وغاية ما تمكن فى مقابلة بعضها انه لفق بعض الشواهد الواهية لصحة الكتب المذكورة باستشهاد بعض الأشخاص ببعضها ، وتصحيح بعضهم لها واشتمالها على اسم الرسول المنسوبة اليه أو الوعظ وغير ذلك من التشبثات التى ليس فيها شىء يشهد بعدم الجعل (انظر به ١ ج ص ١٥٣) إلى آخره على ان المتكلف قد غفل أو تغافل عما هو الموضوع لكلام إظهار الحق فانه أورد هذه النقول وغيرها شواهد على عنوان الفصل الثانى من الباب الأول وهو أنه لا يوجد عند أهل الكتاب سند متصل لكتاب من كتب العهد العتيق والجديد فكل ما فر اليه المتكلف من الإستشهادات مما يؤكد دعوى إظهار الحق على انا لو استقصينا فى التعرض لتلك الشواهد لاوضحنا سخافتها فى نفسها ولكنها لا تمس غرضنا بوجه ولو تمت بل تؤكد قولنا : ان دعوى النصارى المتأخرين تواتر كتبهم إلى المصادر المدعاة لا أصل لها ، بل أن النصارى مختلفون فيها ، وان من يريد منهم التصحيح يحتاج إلى أعمال الظنون والإعتماد على تقليد آحاد الناس فى أمر مضى له تسعة عشر قرنا .

المورد الخامس قد ذكر إظهار الحق أيضاً فى المقصد الثانى من الباب الثانى شهادة كثير من محققيهم ومفسريهم وأئمتهم فى أجيال مختلفة ونصهم على زيادة كثير من العهد الجديد وانه الحاق ليس منه (انظر المقصد الثانى المذكور من الشاهد السابع والعشرين إلى آخره .

والمتكلف لما أراد أن يتكلم على هذه الشواهد لم يتمكن من جحود نقلها ولا القدح فيمن نقل عنهم فتستر باهماله لذكر من نقلت عنه فموه بإظهار نسبتها إلى إظهار الحق وصار يجيب عنها بالتلفيقات والتشبثات (انظر يه ٣ ج ص ٢٧٠ — ٢٩٠) .

ثم جعل استشهادات إظهار الحق المشار اليها إستشهاداً بأقوال المسيحيين الضعيفة والآراء السقيمة وضرب المثل باعتقاد المتقدمين بكون الشمس متحركة والأرض ثابتة وقد اتضح فساده .

إلى أن قال : ولا يخفى ان المعترض (يعنى إظهار الحق) أورد كل رأى سقيم وقول باطل قديم وما درى ان الدنيا فى تقدم ، فكل سنة تظهر حقائق جمة بل انكشفت بالأبحاث الجديدة امور مهمة إلى أن قال : ولو كان آدم كلادك أو غيره من الجيل الماضى فى هذا العصر لأقلعوا عن كثير من آرائهم الساقطة .

فأقول أولا : ان المتكلف طالما ادعى ان كتبهم وصلت من السلف إلى الخلف بالسند المتصل القوى (انظر أقلا عنوانه يه ٣ ج ص ١٩٢) ولم يجد ملجأ فى زعمه صحتها واتصال سندها فى تسعة عشر قرنا إلا بقول فلان واستشهاد فلان .

(وثانياً) ان جل الذى استشهد بنقلهم إظهار الحق قد التجأ المتكلف فى كتابه إلى التشبث بآرائهم ونقولهم ، انظر كتابه فى أمثال هذه الموارد وراجع إظهار الحق فى هذا المقام .

نعم هؤلاء وأمثالهم من سلف المتكلف عنده على حالتين متباينتين ان استشهد إظهار الحق بكلامهم فى مقام لا يتهمون به كانوا عند المتكلف من الجهلة العارين عن الفهم والعلم (انظر به ١ ج ص ٩٥ س ٦) .

وكان ما ينقله من أقوالهم رأى سقيم وقول باطل قديم وآراء ساقطة (انظر به ٣ ج ص ٢٩١ و ٢٩٢) . وان استشهد بهم المتكلف لمزاعمه كانوا أئمة فضلاء اثبات محققين مدققين ، انظر إلى مدحه لهم عند ما يتشبث بأقوالهم وآرائهم .

(وثالثا) أن صحة سند الكتاب وتواتر سلسلته الى مصدره انما هو أمر تاريخى ولا وجهة للتقدم فى فلسفته إلا مراجعة مأثورات القدماء المتصدين للبحث عنه والتنقير فيما كان فى زمانهم وما قاربه من أحواله وماجرياته . وعند التعارض يحكم الاعتراف على الدعوى والإطمئنان على التهمة ، ومن الوهم الواضح قياس التاريخ بمسألة حركة الشمس أو الأرض فإن وجهة التقدم فى فلسفة هذا مباينة لما تقدم وإنما هى بمزاولة الرصد بالآلة وأعمال النظر فى الرياضيات والطبيعيات .

وقد صار المتكلف فى هذا المقام ان رأى المجمع يوافقه فى مزاعمه احتفل بقراره وارتاح بالإستشهاد به كما فى مجمع (ترنت) سنة ١٥٣٧ ، وان رأى المجمع صدق على ما لا يوافقه أو شك فيما يزعم المتكلف إلهاميته قال لا يسوغ الإعتماد على قرار ذلك المجمع .

وان الكتاب الذى يكتب الوحى الإلهى ويتأيد بالمعجزات فى غنى عن قرار مجلس (انظر به ٣ ج ص ٢٤٦ و ٢٤٧ .

أقول : نعم ان كتابة الرسول أو املاء للكتاب عن اوحى فى غنى عن قرار مجلس : ولكن ياحبذا لو صحت الأحلام . وكيف السبيل الى العلم

بان ما بأيدى الناس هو ذاك . وان الكلام فى المجامع على كتب العهدين يجرى فى امرين باهظين (احدهما) اتصال سنده اتصالا علميا الى مصدره الذى ينسب اليه ومرجع هذا الى محض التحقيق التاريخى (وثانيهما) ان مصدره كتبه عن إلهام متأيد بالمعجزات ومرجع هذا الى التحقيق التاريخى والنظرى وان المجمع العام النيقاوى الأول المشتمل على ثلاثمائة وثمانية عشر اسقفاً ، لم يتحقق فيه صحة السند لسبعة من الكتب التى يزعم النصارى المتأخرون تواترها فى جميع الأجيال إلى الرسل ، بل أبقوها مشكوكة النسبة إلى مصادرها وهذا مما يوضح فساد دعوى التواتر فيها .

ويكشف عن ان هذه الدعوى من اصرار المكابرات ، بل يوهن قبول ما بعده من المجامع لها ولاسيما إذا ادعت تواترها فإن هذه الامور التاريخية البعيدة العهد لا سبيل إلى حجتها بقول فلان واستشهاد فلان ، ومن هو فلان ؟ حتى لو فرضنا انا علمنا قطعاً انه هو القائل أو المستشهد ، أهو نبى أم نخادع عقولنا حتى إذا قيل انه استشهد بفقرة نقول ان كلما يكتب على الورق معلوم النسبة إلى الإلهام ، أو قال : ان ليعقوب رسالة نقول ان كلما يكتب على الورق وهو رسالة يعقوب مثلا ، فان هذه الامور لا تثبت ثبوتاً حقيقياً علمياً إلا بقول المعصوم الموحى اليه بأن هذا الكتاب المعين بالإشارة الحسية وهذه الألفاظ المخصوصة هى كتاب فلان النبى .

أو يثبت ذلك بالتواتر المتصل فى جميع الأجيال ، أفيقول المتكلف ان سبعة كتب من العهد الجديد الرائج هى متواترة وان شك فيها فى القرن الرابع ثلاثمائة وثمانية عشر اسقفاً من المنتخبين للمجمع العام للنظر فى الديانة النصرانية وكتبها نظراً أولياً أو ثانوياً وقد قصروا وقصروا عن الوصول إلى التواتر أو أنهم كابروا بإنكاره حتى بقى الشك مستمراً الى مدة ، أيكون مثل هذا فى التواتر ؟

نتيجة ما تقدم انه قد اتضح من نقل الموارد الخمسة المذكورة ان اتفاق المتأخرين فى النقل لا يصلح لأن يكون من التواتر المفيد للعلم لأجل ظهور الخلاف فى دعوى التواتر ، ونقله فى سبعة من الكتب وجملة من فقرات الكتب الاخر .

وان انعقاد المجامع فى أجيال النصارى للنظر فى امور الكتب ولو ثانوياً كما يزعم المتكلف لهو مما يقرب ان اعتمادهم فى كتبهم كان على التواطىء وقرار المجلس ولو لأجل التشبث بالشواهد ، وهذا مما يدع التواتر هباء منثوراً . فإن من أركان التواتر أن يكون الإتفاق على النقل مستنداً إلى النقل المسلسل فى الأجيال إلى المصدر بحيث لا يحتمل أن يكون مستنداً الى التواطىء وقرار المجامع أو البحث والتشبث بالشواهد والامارات .

﴿ الأمر الثانى ﴾ ان الاناجيل التى يدعون تواتر نقلها الى المصدر الإلهامى قد وجدناها تكذبهم فى دعواهم ان المسيح ادعى الرسالة العامة وظهر على يده المعجز ، وان هذا متواتر فى نقلهم .

ففى خامس عشر متى عن قول المسيح ٢٤ فأجاب وقال : لم ارسل إلا إلى خراف بيت اسرائيل الضالة .

وفى صراحة الاناجيل أيضاً عن قول المسيح انه لا يظهر على يده المعجز والآية مدة حياته فى الأرض إلا بقيامه من الأموات بعد مكثه فى بطن الأرض ثلاثة أيام ، (انظر الى مت ١٦ : ٤ و مر ٨ : ١١ و ١٢ ولو ١١ : ١١ و ٢٩ .

﴿ الأمر الثالث ﴾ ان الاناجيل التى يدعون تواتر نقلها الى المصدر الإلهامى قد وجدناها تبطل احتجاجهم بأن ظهور المعجز شاهد وبرهان على الصدق فى دعوى الرسالة ، فقد صرحت بأن الآية والاعجوبة والقوة التى هى عبارة عن المعجز تظهر على يد الكاذب فى دعوى النبوة (انظر الى متى ٢٤ : ٢٤ ومر ١٣ : ٢٢).

افيمكن ان يكون نقل النصارى متواتر فى دعوى المسيح للرسالة العامة . وفى ظهور المعجز على يده وفى الاناجيل المشتملة على مايكذب ذلك ويبطل الاحتجاج به . ام نتشهى ونقول انه متواتر فى بعض دون بعض مما ذكرنا وان كان النقل فيهما متساويا كتساوى دعوى التواتر .

(الامر الرابع) ان العهد الجديد الذى يدعى النصارى تواتره الى المصدر الالهى والانبياء المرسلين . ويحامون اشد المحاماة عن الخدشة فى تواتره وصحة سنده . قد وجدناه قد تضمن ثلاثة مضامين

(الاول) ان يسوع المتولد فى بيت لحم من مريم العذراء المبشر به فى العهد الجديد هو ابن داود ومن نسله وداود ابوه انظر اقلا الى لو ١ : ٣٢ واع ٢ : ٣٠ ورو ١ : ٣ .

(الثانى) ان يسوع هو المسيح الموعود به . وهذا هو العنوان لدعواه الرسالة انظر اقلا مت ١٦ : ١٦ — ٢٠ ومر ١٤ : ٦١ و٦٢ ويو ٤ : ٢٥ و ٢٦

(الثالث) ان المسيح ليس ابن داود ، ففى ثانى عشر مرقس ٣٥ ثم اجاب يسوع وهو يعلم فى الهيكل كيف يقول الكتبة ان المسيح بن داود ٣٦ لان داود نفسه قال بالروح القدس . قال الرب لربى اجلس عن يمينى حتى اضع اعداءك موطئاً لقدميك ٣٧ فداود نفسه يدعوه بالروح ربا فمن اين هو ابنه ونحوه مت ٢٢ : ٤١ — ٣٦ ولو ٢٠ : ٤١ — ٤٥ .

ولايخفى عليك انا إذا اخذنا بالمضمون الاول ، وهو ان يسوع بن داود ومن نسله . مع المضمون الثانى ، وهو انه هو المسيح لموعود به ، لزم كذب المضمون الثالث ، وهو ان المسيح ليس ابن داود ، واذا اخذنا بالمضمون الثانى مع الثالث . لزم كذب المضمون الاول . وهو ان يسوع المذكور من نسل داود وابنه . واذا اخذنا بالمضمون الاول مع الثالث ، لزم كذب المضمون الثانى وهو ان يسوع هو المسيح فتبطل دعواه الرسالة لانها معنونة

بكونه المسيح الموعود به كما لا يخفى ، فليختر المتكلف ان أى هذه المضامين الثلاثة كاذب، مع انه من العهد الجديد المتواتر وكلام الله السميع العليم بزعم المتكلف

وأيضاً كيف يجعل داود له أرباباً متعددة أحدهما يخاطب الآخر وكيف يحتج المسيح بهذا القول وينسبه الى الروح القدس ، مع انه جاء فى العهد القديم عن قول الله انا انا هو الرب وليس إله معى (تث ٣٢ : ٣٩) أنا الرب وليس آخر (اش ٤٥ : ٥ و ٦ و ١٨) .

فإن قلت : ان معنى الرب المراد به المسيح هاهنا هو المعلم ، قلت أجل فلماذا لا يكون المعلم ابن داود ومن نسله ، دع هذه فإن هذا التفسير منك فى هذا المقام فضولا لا يقبلونه .

(الأمر الخامس) ان الاناجيل التى يدعى النصارى تواترها عن المصدر الإلهامى قد ذكرت عن المسيح إحتجاجات واهية لا تليق بسائر الناس فضلا عن رسل الله ذوى الحجة الواضحة والبيان الشافى الكافى .

(منها) ما أسلفناه فى الفصل الخامس عشر من المقدمة الثامنة عن قول المسيح لما قال له الفريسيون : أنت تشهد لنفسك وشهادتك ليست حقاً حيث ذكر انه قال : وأيضاً فى ناموسكم مكتوب شهادة رجلين حق أنا هو الشاهد لنفسى ويشهد لى الأب الذى أرسلنى (يو ٨ : ١٧ و ١٨) .

فهل ترى أحداً من أوباش الناس يحتج لدعاويه بمثل هذا ؟ أفيخفى على أحد من الناس ان المدعى لا يكون أحد الشاهدين لا فى القضاء الشرعى ولا العرفى .

(ومنها) ما أسلفناه أيضاً من قول الانجيل ان المسيح لما أجابه اليهود قائلين لسنا نرجمك لأجل عمل حسن بل لأجل تجديف فإنك وأنت إنسان تجعل نفسك إلهاً ، أجابهم يسوع أليس مكتوباً فى ناموسكم انا ؟ قلت أنكم آلهة (يو ١٠ : ٣٣ و ٣٤) .

فهل ترى ان واحداً من الموحدين يحتج بهـــذا الإحتجاج وينسب الناموس المنسوب الى الوحى إلى القول بالشرك وتعدد الآلهة ؟ وقد أسلفنا ما فى هذا من الكلام فراجعه .

﴿ الإحتجاج للمنع من الطلاق ﴾ ومنها ما عن المسيح فى احتجاجه للمنع من الطلاق .

فنى تاسع عشر متى ٣ وجاء اليه الفريسيون ليجربوه قائلين له هل يحل للرجل أن يطلق امرأته لكل سبب ٤ فأجاب وقال لهم : أما قرأتم ان الذى خلق من البدء خلقهما ذكراً وانثى ٥ .

وقال : من أجل هذا يترك الرجل أباه وامه ويلتصق بامرأته ويكون الإثنان جسداً واحداً ٦ إذاً ليسا بعد اثنين بل جسد واحد ، فالذى جمعه الله لا يفرقه إنسان ٧ .

قالوا له : فلماذا أوصى موسى أن يعطى كتاب طلاق فتطلق ٨ قال لهم ان موسى من أجل قساوة قلوبكم أذن لكم أن تطلقوا نساءكم ولكن من البدء لم يكن هكذا ٩ وأقول لكم : ان من طلق امرأته إلا لسبب الزنا وتزوج باخرى يزنى (ونحوه مر ١٠ : ٢ - ١٠) .

فأقول : أما الإستشهاد بأنه يترك الرجل أباه وامه ويلتصق بامرأته فإنه ان اريد منه الإلتصاق بالمرأة أحيانا من أجل ضرورة التمتع والرغبة فى النسل وتربية الأولاد فليس ذلك إلا لأن الوالدين لا يصلحان لذلك ، فهذا الإلتصاق بالمرأة كالتصاقه فى أغلب أوقاته بنوع من التكسب وأعمال المعيشة فيترك لاسترزاقه منه أباه وامه وامرأته وولده ، أفيصح أن يجعل التصاقه هذا به حجة على انه لا يجوز أن يفارقه ويتركه إذا استغنى عنـــه أو سقط عن الفائدة أو كان مضراً بنظام حياته وصحته واستراحته . أو انقياده للشريعة ونواميسها .

وان اريد بهذا الإلتصاق تقديمها على اكرام الوالدين وبرهما اللازم ، والاعراض عنهما لأجلها ، فهو استشهاد بعمل الأوباش الذين لم تؤدبهم النواميس الروحية على اكرام الوالدين والبر بهما ، ولا يبالون بإثم العقوق ومنقصته فهم كالحمار إذا رأى الأتانة تبعها ، ولم يبال بمن فوقه وما يراد منه .

فانا نجد كثيراً منهم يلتصقون هكذا بالزوانى اللاتى يختصون بهن بغير زواج شرعى .

وأما الروحانيون المؤدبون بالشريعة فلا يقدمون نساءهم على اكرام والديهم وبرهم ولا يتركونهم لأجلهن ، وحاشا للوحى الإلهى أن يستشهد بعمل الأوباش المخالفين لنواميس الشريعة .

وأيضاً ما معنى ان الرجل وامرأته يصيران جسداً واحداً وانهما ليسا بعد اثنين . فما لنا نرى بعض الكلمات قد كابرت الاعداد على حقائقها فلم تعط الوحدة والاثنينية والتثليث حقوقها من المعانى والحقائق . أفمن ماتت زوجته أو طلقها لسبب الزنا يكون نصف جسد واحد ، وإذا تزوج باخرى يعود جسداً واحداً أو يصير الثلاثة والاربعة والعشرة جسداً واحداً .

وأيضاً ما معنى القول بأن ما جمعه الله لا يفرقه إنسان ، مع ان الوجدان شاهد على أن كثيراً مما جمعه الله يفرقه الإنسان كأجزاء الاجسام الصورية والجوهرية وقد سوغت له الشريعة كثيراً من ذلك .

نعم ان جمع الله بين الرجل والمرأة بالزواج برابطة شرعية غير مؤقتة لا يمكن أن يفرق بدون شريعة ، ولكن الله قد شرع ذلك على يد موسى ثم نقول لهذا المحتج : كيف تسوغ أنت طلاق المرأة إذا كانت زانية وبمقتضى حجتك انها صارت هى وزوجها جسداً واحداً وليسا بعد اثنين ، وما جمعه الله لا يفرقه إنسان .

وأيضاً ما معنى قول المحتج بأن موسى من أجل قساوة قلوبكم اذن لكم أن تطلقوا نساءكم ولكن من البدء لم يكن هكذا .

أفيقول ان موسى جاء بشريعة الطلاق من عند نفسه مداراة لقومه القساة القلوب لا من عند الله ؟ أم يقول : ان الله شرع الطلاق موقتاً من أجل قساوة القلوب ؟ ولكن رفعت هذه الشريعة حيث تسلطت المملكة الروحية على قلوب بنى اسرائيل والعالم أجمع وقدستهم روحانيتهم وأدبتهم على حسن الإئتلاف وعرفان الحقوق حتى تلاشت قساوة قلوبهم .

فنقول : يا حبذا لو صحت الأحلام فإنك إذا نظرت فى تاريخ العالم ورسوم هذه المملكة منذ حادثة الصليب وقبلها وبعدها حتى الوقت الحاضر ونظرت إلى حوادث الوقت قلت مستعبراً .

قف بالمعاهد نبكى رسمها العافى بمدمع من سويدا القلب رعاف

والإجمال أجمل ، وأيضاً ما معنى احتجاج هذا المحتج بأنه لم يكن من البدء هكذا ، أفكلما لم يكن من البدء ينبغى أن لا تكون به شريعة مسوغة له . إذاً فإن آدم وحوا كانا فى البدء عريانين (تك ٢ : ٢٥) فينبغى أن لا تجىء شريعة تسوغ لبس الثياب ، فإن قلت قد عرض لهما من الأحوال ما يقتضى خلاف ذلك وقد صنع الله لهما أقمصة من جلد وألبسهما (تك ٣ : ٢١) .

قلنا : وقد عرض من الأحوال فيما بين الرجال ونسائهم ما لم يكن بين آدم وحوا وقد شرع الله الطلاق على يد موسى (تث ٢٤ : ١) وفى الكل لم يكن من البدء هكذا .

وأيضاً بناء على هذه الحجة ينبغى أن لا تجىء شريعة بتسويغ الطلاق لعلة الزنا ، أو بتزوج الرجل إذا طلق امرأته لعلة الزنا أو إذا ماتت ، ولا للمرأة أن تتزوج إذا مات زوجها أو طلقها لعلة الزنا لأنه لم يكن من البدء هكذا ، إذ لم يجر شيء من ذلك بالنسبة لآدم وحوا .

أفهكذا يكون احتجاج الرسل وماذا يمنع الرسول من أن يقول : انى رسول من الله بشريعة تحريم الطلاق إلا لعلة الزنا ولا يحتج بهذا الاحتجاج الواهى من جميع أطرافه .

﴿ الزواج فى القيامة ﴾ ومنها ما فى العشرين من لوقا عن قول المسيح فى الإحتجاج على الصدوقيين ٣٤ فأجاب وقال لهم يسوع أبناء هذا الدهر يزوجون ويزوجون ٣٥ ولكن الذين حسبوا أهلا للحصول على ذلك الدهر والقيامة من الأموات لا يزوجون ولا يزوجون ٣٦ إذ لا يستطيعون أن يموتوا أيضاً لأنهم مثل الملائكة وهم أبناء الله إذ هم أبناء القيامة ، فانظر وتأمل وقل ما وجه التعليل لعدم التزاوج فى القيامة بأن القائمين من الموت لا يستطيعون أن يموتوا أيضاً ، وما وجه الحجة الكافية فى ذلك .

أفيمتنع الزواج عقلا أو عادة على من لا يموت من نوع الإنسان وقل ما معنى نسبة الموت الى استطاعتهم ، وما معنى كونهم مثل الملائكة ، فان كان ذلك بدعوى كونهم أرواحاً مجردة فهو إنكار للقيامة من الأموات والمعاد الجسمانى الذى عليه صريح العهد الجديد ، وما معنى كون أبناء القيامة أبناء الله فإن كان مضمونه ان غير الأبرار لا يقومون من الموت كان ذلك مخالفاً لصراحة الأناجيل والعهد الجديد وإن كان الغرض منه التعرض لحال الأبرار فقط كان غير مطابق للسؤال العام عن حال الأبرار وغيرهم ، وان كان المراد ان جميع الناس أبرارهم وشرارهم يكونون فى القيامة مثل الملائكة وأبناء الله فأين الدينونة وأين الجزاء حسب الأعمال وأين جهنم النار التى لا تطفىء كما هو مكرر فى صراحة العهد الجديد وكيف يعقل ذلك .

﴿ القيامة من الأموات ﴾ ومنها ما فى العشرين من لوقا عن قول المسيح أيضاً فى الإحتجاج على الصدوقيين للقيامة من الأموات .

وأما ان الموتى يقومون فقد دل عليه موسى فى أمر العليقة كما يقول

الرب إله ابراهيم وإله إسحاق وإله يعقوب ٣٨ وليس هو إله أموات بل إله أحياء لأن الجميع عنده أحياء .

وانظر الى (مت ٢٢ : ٣١ و ٣٢ و مر ١٢ : ٣٦ و ٣٧) .

ولا يخفى انه ان كان وجه هذا الإحتجاج انه ليس فى العالم موت ولا أموات كما يشعر به قوله لأن الجميع عنده احياء .

قلنا : هذا مخالف لضرورة الوجدان والعهدين مع انه بهذا الوجه لا يدل على القيامة من الموت ، بل يدل على انه ليس هناك أموات يقومون بل الجميع عنده احياء ، وهذا خلاف المدعى فيكون البرهان المخالف للضرورة غير منطبق على المدعى .

وان كان الوجه فى الاحتجاج هو أن الله لا يكون إله أموات وقد قال انه إله ابراهيم وإله إسحاق وإله يعقوب فلا بد أن يكون ذلك باعتبار حياتهم بعد الموت وتوجيهه ان المراد من الأموات هى أجسادهم المفارقة للأرواح ، ومن الأحياء أجسادهم التى فيها أرواحهم ، فلا يكون الله إله أموات وأجساد خالية من الأرواح لأنها جماد ، فلا بد أن يكون القول بأن الله إلههم إنما هو باعتبار قيامهم من الموت ، وتلبس الروح بهم لخروجهم حينئذ عن كونهم جماداً .

قلنا أولا لماذا لا يكون الله إلهاً للجماد ؟ أو ليس هو إله كل شىء وربه وخالقه ؟ أو لم يجىء فى العهدين انه إله صهيون (مز ١٤٧ : ١٢) وهى جماد وإله الآلهة (مز ٥٠ : ١) وهى أصنام جماد وإله السماء (دا ٢ : ١٨ و ١٩ ورو ١١ : ١٣) .

وثانياً لو سلمنا ان كون الله إلهاً لابراهيم واسحاق ويعقوب إنما هو باعتبار تعلق الارواح بأبدانهم لقلنا من أين يدل ذلك على القيامة من الموت وتعلق الأرواح بأبدانهم بعد الموت ، ولماذا لا يكون ذلك باعتبار تعلق

الأرواح بأبدانهم قبل الموت ، وهل يكون الاحتجاج على هذا التقدير إلا من قبيل التشهى والمجازفات التى يجب أن تنزه الأنبياء عن غلطها .

وان كان الوجه فى الاحتجاج هو أن كون الله إلهاً لابراهيم واسحاق ويعقوب انما هو باعتبار وجود أرواحهم ، فلو كانت أرواحهم منعدمة عند الموت لما صح قول الله لموسى انا اله ابراهيم الى آخره .

فيدل هذا الخطاب من الله لموسى على ان أرواح ابراهيم واسحاق ويعقوب موجودة حين الخطاب لم تنعدم بموتهم .

قلنا لو سلمنا أن الله ليس الها للأجسام وان الخطاب ليس باعتبار وجود أرواحهم فى حياتهم الاولى لكان الخطاب المذكور لا يدل الا على وجود أرواحهم حينئذ فلا يدل على قيامة الأجسام بعد بلائها من الموت .

وعلى كل حال لا تجد لهذا الاحتجاج ربطاً بالمدعى وحاشا للأنبياء أن يحتجوا بمثل هذه الحجج الواهية ، ويا أسفاه على القيامة أن توقف أمرها على مثل هذه الحجة ، ويا أسفاه على توراة موسى إذ لا يوجد فيها من أمر القيامة ذكر حتى الجأت الحاجة الى التشبث بمثل هذا .

ويا لهفاه على قدس المسيح إذ ينسب له مثل هذه الإحتجاجات . ولا أقول لك ليست هذه الإحتجاجات من قول المسيح ، بل أقول انها ممن لا يعرف وجه الإحتجاج ولا يميز بين الصحيح والغلط فهى أنسب ما تكون بمن يقول لابشر لا بحكمة كلام ـ استحسن الله أن يخلص المؤمنين بجهالة الكرازة ـ لأن جهالة الله أحكم من الناس (١ كو ١ : ١٧ ـ ٢٦) أو بمن يحتج على التثليث بقول الله لموسى أنا إله ابراهيم وإله اسحاق وإله يعقوب .

ومن العجيب ان أصحابنا النصارى يكلفوننا بأن نذعن بأن الاناجيل الاربعة هى الإنجيل الذى نزل على المسيح وصدقه القرآن الكريم وقال انه نور وهدى ، فيا لهفاه على النور والهدى إن كان كما نرى .

﴿ الأمر السادس ﴾ ان الاناجيل التى يدعون تواتر سندها الى رسل موحى اليهم قد اختلفت اختلافاً كثيراً يوضح انها ليست من عند الله ويكفى ذلك اختلافها الفاحش فى نسب المسيح ، (١) فنى متى ان يوسف النجار الذى ينسب اليه المسيح هو ابن يعقوب ، وفى لوقا انه ابن هالى (٢) أوصل متى نسب يوسف النجار الى سليمان بن داود وأوصله لوقا الى ناثا بن داود (٣) جعل متى بين يوسف وداود خمسة وعشرين أباً وجعلهم لوقا أحد وأربعين أباً (٤) جعل متى فى طرد النسب زربابل ابن شألتيئيل بن يكنيا ، وذكر فى لوقا زربابل ابن شألتيئيل بن نيرى فإن كان مرادهما من زربابل شخصاً واحداً فقد اختلفا فى أسماء أجداده وعددهم الى داود .

وأيضاً ذكر متى فى طرد النسب ابيهود بن زربابل .

وذكر لوقا ريسا بن زربابل ولا يوجد هذان الإسمان فى أولاد زربابل الذين ذكروا فى ثالث الأيام الاول (١٩ و ٢٠) كما ذكر فيه ان زربابل هو ابن فدايا ابن شألتيئيل .

ونقل اظهار الحق فى الفصل الثالث من الباب الأول اعتراف جماعة من المحققين مثل اكهارن ، وكيسر ، وهيس ، وديوت ، ووى نر وفرش وغيرهم بأن متى ولوقا مختلفان اختلافاً معنوياً .

ونقل أيضاً عن آدم كلارك فى ذيل شرحه للباب الثالث من لوقا انه نقل التوجيهات لهذا الإختلاف وما رضى بها وتحير .

وانه قال (ص ٤٠٨) من المجلد الخامس يعلم كل ذى علم ان متى ولوقا اختلفا فى نسب الرب اختلافاً تحير فيه المحققون من القدماء والمتأخرين .

والمتكلف لما لم يوافق هواه هذا النقل ادعى ان المنقول عنهم جهلة (يه ١ ج ص ٢٠٩) وان كانوا من أئمة أسلافه ولكن لابد له أن يجعلهم من

الأئمة المحققين عند ما يستشهد بكلامهم فى كتابه كما هو ديدنه ومع هذا فقد ألجأه الأمر الى بعض الاعتراف وان مزجه بشيء من المكابرات فقال (يه ١ ج ص ٢٠٩) كان العلماء والمحققون يظنون فى مبدأ الأمر انه يوجد تناقض بين انجيل متى وبين انجيل لوقا فى نسب المسيح ولكن ظهر لهم بأنه لا يوجد تناقض ولا اختلاف .

ثم انه تكلف الجواب عند هذه الاختلافات الباهظة فقال فى الاختلاف الأول ما حاصله ان متى كتب فى انجيله نسب يوسف النجار الحقيقى لأنه كتب انجيله للعبرانيين فجرى فى النسب على الطريقة التى كانت مشهورة عندهم (وهى رعاية النسب الحقيقى) فنسب يوسف الى أبيه الحقيقى يعقوب وكذا سائر آبائه الحقيقيين الى ابراهيم .

وان لوقا كتب فى انجيله نسب يوسف المجازى فنسبه الى هالى مجازاً لأن هالى هو أب حقيقى لمريم ولما لم يكن لها أخ واقترن بها يوسف صار هالى أباً مجازياً ليوسف فنسبه اليه لوقا .

ثم أخذ المتكلف فى توجيه ما ذكره عن لوقا فتعثر حسبما يقتضيه التقحم وهو بعد ذلك من تقدم الدنيا فى المعارف وتنبه المتأخرين فى الامور التاريخية بنباهتهم الى ما غفل عنه المتقدمون ، فلنوقفك على تناقض كلامه وسخافة دعاويه التى تقدمت بها الدنيا .

١ - قال : بما ان العبرانيين لا يدخلون فى جداول نسبهم النساء فإذا انتهت العائلة بامرأة ادخلوا قرينها فى النسب واعتبروه ابن والد قرينته وعلى هذا كان المسيح حسب هذا الاصطلاح الجارى والعادة المرعية المتبعة ابن يوسف (انظر يه ١ ج ص ٢٠٤) ثم لم يلبث أن ناقض هذا الكلام بقوله (ص ٢٠٥) بما ان متى كتب انجيله الى العبرانيين جرى فى النسب على الطريقة التى كانت مشهورة عندهم (أى مراعاة النسب الحقيقى) ، وبما أن لوقا البشير كتب انجيله

الى اليونان جرى فى النسب على المصطلح عليه عندهم .

فيتبين من كلامه الأخير ان مراعاة النسب الصورى المجازى إنما هو اصطلاح اليونان وان اليهود كانت الطريقة المشهورة عندهم إنما هى مراعاة النسب الحقيقى وبالضرورة تكون مراعاة النسب المجازى ليست اصطلاحاً جارياً ولا عادة مرعية ، وهب ان اصطلاح اليهود انهم يعتبرون قرين البنت الوحيدة ابن والدها ، وبهذا كان يوسف ابناً لهالى أب قرينته مريم لكن قل يا من يعرف ما يقول كيف صار المسيح على هـــذا الاصطلاح الجارى ابناً ليوسف ، فهل كان المسيح مقترناً بابنة يوسف الوحيدة أم هذا الغلط مما تقدمت به الدنيا .

﴿ التناقض الثانى ﴾ قال (ص ٢٠٥) ان شألتيئيل رئيس عائلة سليمان الشرعية (وذلك لأنه يتصل بسليمان بالولادة الحقيقيـة) انظر ثالث الأيام الاول فيتبين من كلامه هذا ان النسب الشرعى هو ما كان بالولادة الحقيقيـة الطبيعية ثم ناقض هـــذا بقوله : ان لوقا نظر الى انه (يعنى يوسف) الابن الشرعى لهالى (وذلك باعتبار اقترانه بمريم ابنة هالى الوحيدة بناء على ما ادعاه من الاصطلاح الجارى لليهود) .

فنقول : لو سلمنا ان هذا اصطلاح جار لليهود ولم يناقضه المتكلف ببيانه ان هذا إنما هو اصطلاح اليونان الذى جرى عليه لوقا لقلنا أين يكون هذا من التوراة الرائجة التى هى كتاب الشريعة بزعمهم فانها لا يوجد فيهـا ما هو من هذا القبيل ، الا ان الرجـــل إذا مات وليس له ابن تزوج أخوه بزوجته ، والبكر الذى تلده يقوم باسم أخيه الميت لئلا يمحى اسمه من اسرائيل (تث ٢٥ : ٥ - ١٠) .

﴿ التناقض الثالث ﴾ قد تكرر من المتكلف ان كون يوسف ابناً شرعياً لهالى بسبب اقترانه بابنة هالى الوحيدة مريم ، ثم ناقضه بمنام رآه أو خيال توهمه

فحاول أن يطبق البنوة على ما ذكرناه عن شريعة التوراة فى سفر التثنية فادعى ان متان المذكور جداً ليوسف فى نسب متى هو من نسل سليمان حقيقة وخلف يعقوب وان متثات المذكور جداً ليوسف فى نسب لوقا كان من سبط يهوذا من عائلة اخرى (وظاهره انه ليس من نسل سليمان وإلا لادعى ذلك) ولما مات متان تزوج امرأته متثات فولد منها هالى ، فصار يعقوب وهالى أخوين من الام ثم مات هالى بدون عقب فتزوج أخوه يعقوب بامرأته فولدت منه يوسف فكان ابن هالى حسب شريعة التثنية .

وليت شعرى عن أى تاريخ يذكر ذلك ولو كان لهذه القصة على طولها أثر فى التاريخ لما تحير المتقدمون فى هذا المشكل ولكنها خيال تخيله بعد ما كتب ان بنوة يوسف لهالى باعتبار اقترانه بابنته الوحيدة مريم .

ويدل على ذلك ان اظهار الحق رد هذه السفسطات بقوله : ان هذا التوجيه لا يصح إلا إذا ثبت من التواريخ المعتبرة ان مريم بنت هالى إنتهى .

والمتكلف لم يقدر أن يتشبث فى قبال هذا بشىء من التواريخ بل ألجأته الضرورة الى قوله (ص ٢١٣) قد أقمنا البراهين القوية على انها بنت هالى .

قلت : ولم يأت بشىء سوى دعواه ان اصطلاح اليهود أن ينسبوا قرين البنت الوحيدة الى والدها ، ثم ناقض هذه الدعوى وجعل هذا من اصطلاح اليونان .

وان الطريقة المشهورة عند اليهود فى النسب خلافه وهى رعاية الولادة الحقيقية ولذا جرى عليها متى لأنه كتب انجيله لليهود ، وهب ان ما ذكره اصطلاح لليهود فمن أين يثبت ان والد مريم اسمه هالى وان مريم كانت بنته الوحيدة وان لوقا نسب يوسف الى هالى بهذا الإعتبار ، وان مثل المتكلف فى هذه البراهين القوية كمثل بعض المغفلين حيث قال لزوجته ليلى : ان فى دارنا سارقاً فقالت له : من أين علمت ذلك ؟ فقال : ان الناس يقولون ان السارق إذا دخل الدار لا يحسون به وأنا الآن لا أحس بشىء ، بل لم يقل هذا المغفل

ان السارق اسمه فلان وله بنت وحيدة اسمها فلانة وقد اقترن بها فلان فنسبه فلان الآخر الى والدها ولم يقل ان هذه المزاعم مما تقدمت بها الدنيا كاكتشاف التلغراف ، والفونغراف ، والماكينات البديعة والهيئة الجديدة ، ومما يشبه من أقوال المتكلف هذا النحو ان اظهار الحق نقل عن انجيل يعقوب الذى لا يقصر عن كونه تاريخاً قديماً من القرون الاولى ، انه صرح ان أبوى مريم (يهوياقيم وعانا) .

فقال المتكلف مما تقدمت به الدنيا (ص ٢١٣) على انه إذا روت التواريخ ان مريم كانت ابنة اليوقيم أو الياقيم فهما مشتقان من هالى أو (الى) فإن الياقيم مركبة من اليا و كلمة قيم .

وأيضاً نقل اظهار الحق ان (اكتساين) قال : انه صرح فى بعض الكتب التى كانت توجد فى عهده (ان مريم عليها السلام من قوم لاوى) فلا تكون من أولاد ناثان ، بل ولا داود ولا يهوذا واحتج اظهار الحق لصدق ذلك بصراحة انجيل لوقا بأن اليصابات امرأة زكريا كانت من بنات هارون (لو ١ : ٥) وصراحته بأن مريم نسيبة اليصابات (لو ١ : ٣٦) ثم دفع احتمال ان قرابتهما من النساء بما ذكره عن التوراة فى السادس والثلاثين من العدد من أن كل رجل يتزوج من عشيرته وسبطه وكذلك المرأة فيتعين أن تكون مريم قرابة اليصابا وشريكتها فى النسب من جهة الرجال فتكون من بنات هارون فيعتضد بذلك نقل اكتساين .

والمتكلف لم يتعرض لنقل اكتساين ولم يحر فيه جواباً ولكن تعرض لاحتجاج اظهار الحق بجواز لبنى اسرائيل أن يتزوج كل واحد من غير سبطه لكى يجوز أن تكون قرابة مريم لليصابات من جهة النساء فلا يتعين كونها كاليصابات من بنات هارون ، واحتج لذلك بأن هارون نفسه اقترن بامرأة من سبط يهوذا .

وليت شعرى أتقول ان المتكلف لم يشعر بأن تزوج هارون فى سبط يهوذا لا يعارض اظهار الحق لأن هارون فعله قبل نزول الشريعة بل قبل خروجهم من مصر بمدة واظهار الحق يحتج بشريعة جاءت بمقتضى التوراة بعد موت هارون بمدة وبعد ما أخذ بنو ماكير بن منسى أرض جلعاد وطردوا الأموريين منها .

نعم لو كان للمتكلف إلمام بشىء من العلم ومعرفة بالعهدين وموفقية فى الإحتجاج لقال على اظهار الحق ان الشريعة التى أشار اليها فى السابع والثلاثين من العدد لا تدل على المنع بالكلية من تزوج كل من الرجل والمرأة فى غير سبطه وإنما يدل على منع البنت الوحيدة الوارثة أن تتزوج فى غير سبطها لئلا يتحول نصيب سبط من الأرض الى سبط آخر .

بل ان صدر السابع والثلاثين من العدد ليشير الى انه كان يجوز فى شريعة موسى ان تتزوج المرأة الوارثة فى غير سبطها ولكن موسى نسخ هذا الحكم فى البنت الوارثة عند مطالبته بنات صلفحاد بسهم ابيهن من أرض جلعاد ، أفتظن ان المتكلف فر من هذا الإحتجاج ستراً لما فيه من الإشارة الى وقوع الناسخ والمنسوخ فى شريعة موسى .

ثم ادعى المتكلف (ص ٢١٣) ان اليهود كانوا يسمون مريم بنت هالى.

قلنا : عن أى تاريخ قديم تنقل ذلك ومن ذا قاله من القدماء فانا لا نقبل أقوال أمثالك ممن تقدمت بمعارفهم الدنيا ، ولماذا تحير المتقدمون فى رفع الإختلاف بين متى ولوقا لو كان لما تدعيه أثر هم أولى بالإطلاع عليه لقرب عهدهم منه وعلى دعواك نقول : لماذا كان العلماء والمحققون يظنون فى مبدأ الأمر انه يوجد تناقض بين انجيل متى ولوقا فى نسب المسيح لو كان لما تدعيه أثر .

(نتيجة ما تقدم) انه قد اتضح مما تقدم ان كون والد مريم اسمه هالى وان نسبة لوقا ليوسف الى هالى باعتبار أن يوسف قرين ابنته الوحيدة مريم ، وانه ابن شرعى له من أضغاث الأحلام التى كلما أراد المتكلف أن يلفقها سقط وتعرقل .

﴿ زربابل وابيهود وريسا ﴾ لما ادعى المتكلف ان زربابل المذكور فى متى (١ : ١٣) هو الرجل المذكور فى لوقا (٣ : ٢٧) توجه عليه الإعتراض بأن متى أنهى اليه نسب يوسف بابيهود ، ولوقا انهاه بريسا ، ولا يوجد فى أبناء زربابل المذكورين فى ثالث الايام الاول فان نصه ١٩ وبنو زربابل مشلام وحننيا وشلومية اختهم ٢٠ وحشوبه ، واوهل ، وبرخيا ، وحسديا ، ويوشب حسد خمسة إنتهى .

فقال المتكلف (ص ٢٠٥) غير مبال ان ابيهود ابن زربابل الأكبر وريسا ابنه الأصغر ليموه على البسطاء انهما معروفان من أولاد زربابل بحيث يتميز الأكبر من الأصغر ، ولكنه لما رأى انه يطالب بما ذكرناه عن ثالث الأيام الاول وهو يقول : ان كل العهد القديم كلام الله السميع العليم ولا يقدر أن يقول فيه كما يصف علماء أسلافه بالجهل إذا خالفوه فيما هم أدرى به وأولى .

قال قلنا ليس الأمر كما ذكر (يعنى اظهار الحق) فانه يعلم من سفر الأيام الاول (ص ٣) ومن لوقا أيضاً ان ابن زربابل هو رفايا ولكنه ذكر فى لوقا بلفظه ريسا وذكر فى متى ابيهود . وهو المذكور فى الأيام الاول بعوبديا ، وفى لوقا بيهوذا والمشابهة قوية بين هذه الالفاظ ، كما لا يخفى على المتأمل ولا سيما فى الأصل العبرى .

ولعله إذا قلنا له ما معنى هذا الكلام يقول : انكم معاشر المسلمين لا دراية لكم بالعهدين ولا وقوف لكم على الامور الجديدة التى تقدمت بها الدنيا

فنقول : إذاً انا نطلب من أهل الدراية من اليهود والنصارى أن يراجعوا متى ولوقا ، والأيام الاول ويلاحظوا مواقع هذه الاسماء فيها ويخرجوا كلام المتكلف عن شبه كلام المبرسمين ويتسألونه ان المشابهة القوية بين ألفاظ هذه الأسماء هل اوجبت وقوع الغلط فى الإلهام أو فى الكتب المتواترة أو أعطت حرية للمتكلم والكاتب أن يفعلا ما يشاءآن .

﴿ ابيهود واضطراب المتكلف ﴾ ولما اعترض اظهار الحق بأن ابيهود المذكور فى متى ولداً لزربابل لم يذكر من أبنائه فى ثالث الايام الاول ، سنح للمتكلف (يه ٢ ج ص ١٩٠) ان يعدل عن جوابه ها هنا بتشابه الحروف بين ابيهود وعوبيد ولا سيما فى الأصل العبرانى ، بل أجاب هناك بأن اليهود كانوا يسمون الشخص الواحد بأسماء متعددة فأعرضنا عن هذه الدعوى وهذا الإضطراب ولكنه قال بعده : على انه إذا صرف النظر عن ذلك قلنا ان البشير متى ذكر النسب من زربابل الى المسيح من الجداول المحفوظة عند اليهود ثم أخذ يبالغ فى حفظ اليهود لجداول أنسابهم .

فنقول : انا نسأل المتكلف وأعوانه عن مراده من هذه العبارة أفيقول ان الروح القدس الذى ألهم متى والإنجيل الذى هو كلام السميع العليم قد اعتمد فى النسب من زربابل الى المسيح على جدول اليهود لأنهم كانوا يحافظون عليها ، فلا عليه إذا أخطأوا فيها فإنه اعتمد عليهم ولا عليه إذا أخطأ بخطأهم أم يقول : ان متى أصاب بصوابهم ولكن الخطأ فى سفر الأيام الاول وان كان أيضاً كلام الله السميع العليم وإلهام الروح القدس للانبياء . أو أن المتكلف لم يدر ما قال هنا ، ولا يعرف وجه اعتذاره وهو يستدعى المسامحة فيه .

﴿ ريسا واضطراب المتكلف ﴾ ولما تعرض (يه ٢ ج ص ٢٥٣) لذكر ريسا الذى جزم هاهنا جزم العارف الخبير بأنه الابن الاصغر لزربابل

ناقضه هناك وقال جازماً : ان لفظة ريسا لقب زربابل لأن معناها الأمير والرئيس فكأن لوقا قال : يوحنا هو ابن زربابل الأمير ، أما يوحنا فهو المسمى فى سفر أخبار الأيام الاول بحنينا ، ولا يخفى ما فى هذه الأسماء من الإتحاد والتشابه .

أقول : ومع هذا التناقض والاضطراب بقى مصراً على أن مريم هى من ذرية الأصغر من أولاد زربابل ، وليت شعرى ألم ينكشف له بالوحى أو بالمنام أو بتقدم الدنيا يوماً فيوماً بالمعارف ان مريم من ذرية الاكبر كما انكشف له أخيراً أن ريسا هو لقب زربابل لا إسم ولده الأصغر ، كما ادعاه هاهنا .

وأيضاً إذا كان يوحنا الذى جعله لوقا ابناً لريسا هو حنينا المذكور فى الأيام الاول من أبناء زربابل ، فنقول : ان لوقا ذكر ابن يوحنا يهوذا ولم يذكر فى الأيام الاول من أولاد حنينا من اسمه يهوذا ؟ فما ذا يقول المتكلف : من هو الذى اقترن ببنت وارثه فصار ابناً شرعياً لوالدها الحقيقى ؟ .

﴿ زربابل ونيرى ﴾ ولما جزم المتكلف بأن زربابل المذكور فى متى هو ذات زربابل المذكور فى لوقا توجه عليه الإشكال باختلاف متى ولوقا فى نسبه ، فمتى نسبه الى يكنيا الى سليمان بن داود ، ولوقا نسبه الى شألتيئيل بن نيرى الى ناثان بن داود ، فحاول المتكلف أن يتخلص من هذا بدعوى ان متى كتب النسب الحقيقى لزربابل ، ولوقا كتب النسب المجازى له باعتبار اقتران أبيه شألتيئيل بابنه نيرى الوحيدة رئيس عائلة ناثان بن داود وذلك اما لأن لوقا كتب انجيله الى اليونان فجرى فى النسب على اصطلاحهم كما زعمه المتكلف مرة ، واما لأن ذلك عادة مرعية متبعة عند اليهود كما زعمه مرة اخرى حسب ما تقدم فى اضطرابه فى هذا الشأن وتناقض كلامه فيه .

وقد استشهد من الآثار القديمة والعهد القديم على صحة نسبة الرجل إلى والد امرأته الوحيدة ، وذكر لذلك أمثلة لا تساعده على وهمه (انظر ص ٢٠٦ - ٢٠٩) .

فنقول من أين له ان نيرى لم يخلف ولداً ذكراً وان شألتيئيل اقترن بابنته فصار ابنه واتحد فرعا عائلة ناثان وعائلة سليمان كما زعم ، ومتى رأى هذا المنام ؟ ولماذا لم يطف على القدماء هذا الطيف ؟ وعلى كالوين مقتدى فرقة بروتستنت .

وأما ما استشهد به فعلى أقسام (منها) ما كان من قسم نسبة الولد الى جده الحقيقى من جهة الأب أو من جهة الام ، وذلك مثل ما وجد فى كتابات الآثار القديمة فى (بالميرا) حيث ذكر فيها ان (ارانيس) أب (اليالاميئيس) مع انه جده الأعلى وان (اليالاميئيس) هو ابن بانوس حفيد موسيموس حفيد ارانيس المذكور (انظر ص ٢٠٨) .

ومثل تسمية صدقيا بابن يوشيا (ار : ٣ و ٣٧ : ١) مع انه ابن يهوياقيم ابن يوشيا (١ أى ٣ : ١٦) ومثله ان يائير ابن سجوب وأباه سجوب بن حصرون سميا بنى ماكير ابى جلعاد مع انه جدهما للام (انظر ١ أى ٢ : ٢١ - ٢٤) ومثله ان شيشان لم يكن له بنون فأعطى بنته امرأة ليرجع المصرى عبده فادرج الأولاد فى نسب سبط يهوذا باعتبار امهم .

وهذه الأمثلة كلها لا ربط لها بدعوى المتكلف ان الرجل ينسب عادة واصطلاحاً وشرعاً الى والد قرينته ، وأين هذا من هذه الأمثلة فإنه لم يقع فيها إلا جعل الجد أباً وابن الابن أو البنت ابناً وهو كذلك وان كان المتفاهم منه من كان بلا واسطة .

(ومنها) ما كان من قسم التبنى بالتربية ، كما اتخذت ابنة فرعون موسى ابناً لها (خر ٢ : ١٠) .

واتخذ مردخاى استير ابنة (اس ٢ : ٧) واتخذت نعمى عوبيد ابنا (را ٤ : ١٧) وهذا القسم لا يدرجه أحد فى النسب ولذا نسب العهد القديم موسى الى امه الحقيقية يوكابد (خر ٦ : ٢٠) ، واستير الى أبيها الحقيقى ابيجائل (اس ٢ : ١٥) ، وعوبيد الى امه الحقيقية راعوث (را ٤ : ١٣ و ١٥) ، وأى شهادة لهذا القسم بنسبة الرجل الى والد قرينته فى جدول النسب .

(وقسم منها) لا يمكن بمقتضى شريعة التوراة ان ينزل على ما يدعيه المتكلف ليشهد له وذلك ان حيرام أو حورام الذى أبوه رجل صورى قد ذكر فى ثانى الايام الثانى ١٤ انه ابن ارملة من بنات دان .

وفى سابع الملوك الاول ١٤ وهو ابن أرملة من سبط نفتالى ، فانه لا يمكن للمتكلف أن يدعى ان نسبة هذه الأرملة إلى أحد السبطين المذكورين كانت لأجل ان أباها أو جدها اقترن بامرأة وارثة من ذلك السبط فنسب الى والد قرينته وسبطها .

فإن شريعة التوراة من قبل أربعمائة وأربعين سنة تقريباً قد منعت البنت الوارثة أن تتزوج فى غير سبطها (انظر عد ٣٦ : ٦ - ١٠) .

فالأولى أن يعد هذا الإختلاف فى نسبة الأرملة إلى السبطين من اغلاط العهد القديم أو تلاعب الزمان به كما وقع فى ثانى الأيام الاول ١٧ وابيجايل ولدت غماسا وابو غماسايئر الإسماعيلى .

ووقع فى السابع عشر من صموئيل الثانى ٢٥ وغماسا ابن رجل اسمه يتر الاسرائيلى الذى دخل الى ابيجايل بنت ناحاش ، وزيادة على الاختلاف بالاسرائيلى والاسماعيلى فقد قال هنا ان ابيحايل بنت ناحاش ، وفى ثانى الملوك الاول (١٣ - ١٧) قال انها بنت يسى اخت داود فراجع المقامين فى النسخ العبرانية والعربية وغيرهما .

﴿ نتيجة باهظة للمتكلف) فانه ينتج من تكلفاته المشحونة بالتناقض والأوهام كما عرفت ان المسيح متولد بواسطة امه تولداً حقيقياً من يهوياكين (يكنيا) وأبيه يهوياقيم ، وقد قال العهد القديم فى شأن يهوياقيم المذكور . هكذا قال الرب عن يهوياقيم ملك يهوذا لا يكون له جالس على كرسى داود (ار ٣٦ : ٣٠) .

وقال فى شأنه أيضاً أو شأن ابنه كنياهو (يهوياكين ويكنيا) ، هكذا قال الرب اكتبوا هذا الرجل عقيماً رجلا لا ينجح فى أيامه لانه لا ينجح من نسله رجل يجلس على كرسى داود وحاكما بعد فى يهوذا (ار ٢٢ : ٣٠) وحينئذ كيف يجتمع هذا مع ما فى لوقا فى شأن المسيح عن قول ملاك الرب ويعطيه الرب الاله كرسى داود أبيه ويملك على بيت يعقوب الى الأبد ولا يكون لملكه نهاية (لو ١ : ٣٢ و ٣٣) فكيف إذاً يعطى المسيح كرسى داود أبيه ويملك على بيت يعقوب وهو على توجيه المتكلف من نسل يهوياقيم ويهوياكين حقيقة.

فإن قلت : ان المتكلف قد وجه ذلك (يه ١ ج ص ٢٢٣ و ٢٢٤) بزعمه ما ملخصه ان المقصود من كرسى داود المعطى للمسيح هو المملكة الروحية التى قد تسلطن بها المسيح فى شرق الارض وغربها وهى التى تقوم بالمحبة والطهارة والسلام وإزالة الشحناء والخصام وهى المملكة التى لا تزول الى الأبد فشبهت تقريباً للأذهان بمملكة داود .

قلت لم يكن الوعد الذى فى لوقا لمريم على وجه التشبيه وان الرب يعطيه مثل كرسى داود حتى يقال بأنه شبهت مملكة المسيح الروحية بمملكة داود الدنياوية تقريباً للأذهان ، بل الوعد هو اعطاء الرب للمسيح كرسى داود أبيه وقد سبق عن ارميا عن الوحى ان كرسى داود لا يكون لنسل يهوياقيم ويكون يهوياقيم أو يهوياكين عقيماً لا ينجح من نسله رجل يجلس على كرسى داود ، وينبغي أن يكون المراد من كونه عقيماً هو كونه عقيماً عن الخير فى

ذريته وإلا فالوعد كاذب ، فإن كلا من يهوياقيم ويهوياكين له نسل كثير بمقتضى العهدين الى زمان المسيح وبعد المسيح ، فقل : كيف يكون عقيماً عن الخير فى ذريته من يكون من نسله مثل المسيح الذى يعطيه كرسى المملكة الروحية إلى الأبد .

وأما قول المتكلف ان ملكوت المسيح ملكوت روحية تقوم بالمحبة والطهارة والسلام وإزالة الشحناء والخصام وهى المملكة الباقية التى لا تزول .

فنقول فيه يا حبذا لو جلس المسيح على كرسى هذا الملكوت قرناً واحداً فقد دللناك من العهد الجديد فى أواخر المقدمة الخامسة على أن تلاميذه ونصارى قرنه لم يخضعوا لهذه المملكة ولم تنفذ فيهم أحكامه الروحية كل النفوذ حسب قوانينها ، وأما فيما تأخر عن قرنه فلا يخفى محل هذه المملكة مع ما جرى فى جميع القرون والادوار إلى الوقت الحاضر من المخاصمات والمشاحنات والإضطهادوسفك الدماء وانتشاب الحروب الفظيعة إلى غير ذلك من الاحوال والافعال التى تلاشى جميع ما ذكره من أركان المملكة الروحية وقوانينها ، كما يشهد به التاريخ والوجدان ولو اطلق عنان القلم فيما جرى فى خصوص القرن الحاضر لسجل من الأفعال والأحوال تاريخاً مشجياً ، ويا للأسف انا لا نرى لهذه المملكة نفوذاً حتى على من يعد نفسه من جندها المتجردين بزعمه لتثبيتها.

﴿ تتمة ﴾ وعلى ما ادعاه المتكلف من اتصال نسب المسيح الحقيقى من قبل امه من زربابل الى سليمان الى داود الى يهوذا بن يعقوب يتوجه سؤال واستفسار ، وهو ان إلهام متى ووحيه فى طرد النسب لم يتعرض للامهات إلا لثامار ، وراحاب ، وراعوث ، وامرأة اوريا ، أفترى الروح القدس يريد أن ينبه من نظر فى العهد القديم على مواقع الكلام فى نسب المسيح ، فإن قلت يريد أن ينبه على الامهات اللاتى لسن من بنى اسرائيل ، قلت فلماذا اهمل ذكر نعمة العمونية ، أم رحبعام بن سليمان (٢ أى ١٢ : ١٣ و ١

مل ١٤ : ٢١) .

ومن اختلاف نقلها عن قول المسيح للكتبة والفريسين الذين طلبوا ان يروا منه معجزة جيل شرير وفاسق يطلب آية ولا تعطى له آية إلا آية يونان النبي ، ومع ذلك تنقل صدور المعجزات العظيمة .

ومن اختلافها نقلها عن قوله انه يبقى فى قلب الارض ثلاثة أيام وثلاث ليال ، مع نقلها ما يقتضى انه لم يبق فى قلب الارض إلا سواد ليلتين وبياض يوم واحد وجزئين قليلين جداً من يومين آخرين ، وقد أسلفنا الكلام فى هذا الفصل الرابع من المقدمة الثامنة .

﴿ ايليا ويوحنا والمسيح ﴾ ومن اضطراب الاناجيل نقلها عن قول المسيح فى حق يوحنا المعمدان بأنه هو ايليا المزمع أن يأتى (مت ١١ : ١٤) وانه نبى وأعظم من نبى وانه لم يقم بين المولودين من النساء نبى أعظم منه إلا المسيح (مت ١١ : ٩ - ١٢ ولو ٧ : ٢٦ - ٢٩) .

مع انها نقلت عن يوحنا المعمدان نفسه قوله بأنه ليس (ايليا يو ١ : ٢١).

فكيف يقول المسيح عن يوحنا انه ايليا المزمع أن يأتى ويقول مع ذلك يوحنا الذى هو نبى وأعظم من نبى انه ليس ايليا ، فأى الأقول إذاً كاذب أو ناشىء عن الجهل أو تلاعب الأيام .

وقد حاول المتكلف (يه ١ ج ص ٢٢٢) رفع هذا التناقض بدعوى ان المراد من مجىء ايليا فى كلام المسيح وكلام ملاخى إنما هو مجىء من يشبه ايليا التشبى وفيه روحه وهو يوحنا المعمدان لكثرة شبهه بايليا ، وان يوحنا المعمدان إنما انكر كونه ايليا التشبى الحقيقى الذى كان معاصراً لليشع النبي فلا يناقض اخبار المسيح بأن يوحنا هو ايليا المجازى .

أقول قد جاء فى رابع ملاخى ٥ ها أنا ذا ارسل اليكم ايليا النبي قبل مجىء يوم الرب العظيم والمخوف .

فهل ترى فى هذا الكلام امارة المجاز والتشبيه خصوصاً مع النص على تعريف ايليا بالنبى اشارة الى وصفه المعهود المميز له .

دع هذا بل نقول ان يوحنا هل كان يعلم ان ايليا الذى بشر به ملاخى هو ايليا المجازى المشابه لإيليا الحقيقى ، أو انه يجهل ذلك فإن كان يجهل ذلك فكيف يكون أعظم الانبياء كما يقول المسيح وان كان يعلم بذلك فهل كان يعلم بأنه هو ايليا المجازى الذى بشر بهملاخى ، أو انه يجهل ذلك . فإن كان يجهل ذلك كان أعظم الانبياء جاهلا بوظيفته وبشارة الكتب به ، ويكون المتكلف وأشباهه اعرف منه بمقاصد كتب الوحى ، هذا وإن كان يوحنا يعلم بأنه هو ايليا المجازى الذى بشر به ملاخى فلماذا لم يرفع هذا الوهم عن الخلق الكثير من الفريسيين وغيرهم الذين آمنوا به واعتمدوا منه بمعمودية التوبة واذعنوا بنبوته ولماذا لا يقول لهم حسب وظيفته ان ايليا النبى الذى يرسل اليكم قبل مجىء يوم الرب إنما هو شخص يشبه ايليا فى أحواله الشريفة وهوانا ولا تتوهموا من بشارة ملاخى ان ايليا الحقيقى الذى ارتفع فى العاصفة هو الذى يرسل اليكم قبل مجىء يوم الرب .

فلا يصدكم هذا الوهم فى انتظار ايليا الحقيقى عن الإيمان بالمسيح ، وهذه هى الوظيفة اللازمة على من جاء ليهىء طريق الإيمان بالمسيح لا انه يبقيهم على وهمهم فى انتظار ايليا الحقيقى بل يغريهم بالجهل ويقول لهم لست ايليا مع ان معناه المقارب للصراحة بشهادة الحال والسؤال انه ليس ايليا الذى ينتظرونه ويسألونه عنه حسب بشارة ملاخى فكان ذلك منه صداً لهم عن الإيمان بالمسيح ومعثرة فيه بل لا يسلك من يريد منع الناس عن الإيمان بالمسيح طريقاً أنجح من هذا فقد بقى الفريسيون متعلقين بهذه الشبهة .

فما للمتكلف يحامى عن الأناجيل التى لا يخفى حالها ويحاول اصلاح اضطرابها وتناقضها بما يلزم منه نسبة الجهل الى يوحنا المعمدان أو مخالفته

لوظيفته حيث يغريهم بالجهل ويصدهم عن الإيمان بالمسيح ، مع ان يوحنا لم يكن مداهناً فى تعاليمه ، أو لم يكن أيسر على المتكلف ان يقول : ان التناقض جاء من خلل الأناجيل الرائجة وبما ذكرناه تعرف مواقع الوهن فى كلامه (يه ١ ج ص ٢٢٢) .

﴿ يوحنا ومعرفته برسالة المسيح ﴾ واعطف على ذلك اضطرابها بل تناقضها فى معرفة يوحنا المعمدان برسالة المسيح وجليل شأنه من حين نزول الروح القدس عليه بل قبل ذلك وان يوحنا كان يعمد الناس بمعمودية التوبة . وقبلما يتبع المسيح واحد من تلاميذه أشار الى شخص المسيح وقال هو ذا حمل الله الذى يرفع خطية العالم هذا هو الذى قلت عنه يأتى بعدى قد صار قدامى ، انى قد رأيت روح الرب نازلا مثل حمامة من السماء فاستقر عليه وأنا لم أكن اعرفه لكن الذى أرسلنى لأعمد بالماء ذاك قال لى الذى ترى الروح نازلا ومستقراً عليه فهذا هو الذى يعمد بالروح القدس وأنا قد رأيت وشهدت ان هذا هو ابن الله ومن أجل شهادة يوحنا هذه صار إثنان من تلاميذه تلاميذ للمسيح ودعا احدهما أخاه بطرس فتلمذ عليه ، ثم دعا المسيح فيلبس ونثنائيل فحصل له بعض التلاميذ ، وحينئذ لم تكن صدرت منه آية بل بعد ذلك صدرت منه بداءة الآيات التى صنعها فى مجلس العرس فى قانا الجليل (انظر يو ١ : ٢٩ - ٢ : ١٢) .

وان يوحنا قبل ان يلقى فى السجن صرح لتلاميذه بما حاصله ان ذات يسوع الذى شهد له هو المسيح الآتى بما له من الصفات وان الأب قد دفع كل شىء فى يده والذى لا يؤمن به لن يرى حياة بل يمكث عليه غضب الله (يو ٣ : ٢٢ - ٣٦) .

فانظر وقل كيف يجتمع هذا كله مع ما فى حادى عشر متى ٢ .

أما يوحنا فلما سمع فى السجن بأعمال المسيح ارسل اثنين من تلاميذه ٣

وقال له : أنت هو الآتى أم ننتظر آخر ٤ فأجاب يسوع وقال لهما : اذهبا واخبرا يوحنا بما تسمعان وتنظران ٥ العمى يبصرون ـ وطوبى لمن لا يعثر فىّ.

وفى سابع لوقا بعد ان ذكر بعض المعجزات واحياء ابن الأرملة فى نايين قال ١٨ فأخبر يوحنا تلاميذه بهذا كله ١٩ فدعا يوحنا اثنين من تلاميذه وأرسل إلى يسوع قائلا أنت هو الآتى أم ننتظر آخر إلى آخر ماتقدم.

قال المتكلم (يه ٤ ج ص ٢٥٠) ان مقصود يوحنا من إرسال التلميذين هو لكى ينظرا بأعينهما أعمال المسيح ويؤمنا به .

قلت طريق ذلك فى الهدى والارشاد ان يقول لهما يسوع هو المسيح الموعود به فانى نبى اخبركم بذلك عن الله وقد رأيت روح الله قد استقر عليه وعرفتم أنتم دعوته ومعجزاته فآمنوا به ولكى يزداد إيمانكم وتطمئن قلوبكم فاذهبوا وعاينوا معجزاته الباهرات . .

وأما الكلام الذى ذكرناه عن متى ولوقا فهو أجنبى بسوقه ولفظه وشواهده عما يزعمه المتكلف .

كيف وصريح لوقا ان التلاميذ هم الذين اخبروا مرشدهم يوحنا بمعجزات المسيح ولا يصح ان يكون تلاميذ يوحنا إلى حين دخوله فى السجن لم يكونوا من المؤمنين بالمسيح ، كيف وقد كان يوحنا يلهج وينادى بالبشارة بالمسيح قبل ان يعتمد المسيح منه ويحل عليه روح القدس أفيترك تلميذيه الى حين دخوله فى السجن وهما لم يؤمنا بالمسيح حق الايمان .

وايضاً ان كان ارساله التلميذين لأجل ما يزعمه المتكلف فهل الواجب على النبى المرشد ان يقول لهما : ما يسددهما ويهديهما الى الايمان إذا شاهد المعجزات ، أم يجعل أمامهما عثرة الكلام المنبىء عن شكه فى ان يسوع هو المسيح الآتى ويغرس فى اذهانهما انتظار آخر غيره .

وايضاً لماذا يقول لهما المسيح اذهبا واخبرا يوحنا بما تسمعان وتنظران

ويعدد معجزاته ويبين دعوته بقوله والمساكين يبشرون ، بل اللازم بمقتضى زعم المتكلف أن يحتج عليهما لا على يوحنا .

والحاصل ان الكلام المذكور في متى ولوقا لايحتمل من المعنى فى محاورات العقلاء وخصوص الأنبياء إلا أن يكون قد تيقن من المعجزات ما هو مصدق للدعوة وحجة عليها ، ولما كان فى السجن لم يمكنه إلا أن يرسل تلميذيه ليكشفا عن حقيقة الدعوة وان يسوع هل يدعى انه المسيح الموعود به أو انه نبى قبل المسيح فكان الجواب منه ليوحنا ببيان ما هو المعهود من معجزات المسيح الموعود به وبشارته ، وهذا مناقض لما مر عن يوحنا .

وانظر (يه ١ ج ص ٢٤١ س ٢) تجده صريحاً بالإعتراف بأن يوحنا أرسل التلميذين لأجل حاجته لا لمحض حاجتهما فى الإيمان .

والمتكلف يرضى بأن يكون كلام يوحنا جارياً على غير النهج العقلائى فى الغرض بل يجعل فى طريق الهدى والإرشاد معثرة الشك والضلالة ويكون جواب المسيح على خلاف الغرض وفضولا زائداً ، كل ذلك محاماة منه عن الأناجيل وإن كانت موهونة من جهات كثيرة .

﴿ يوحنا والمسيح أيضاً ﴾ واعطف على ذلك ان الأناجيل تقول مرة ان يوحنا من بطن امه يمتلىء من الروح القدس (لو ١ : ١٥) ولما جاءت مريم وهى حامل بالمسيح الى اليصابات وهى حامل بيوحنا وسلمت عليها ارتكض يوحنا جنين اليصابات فى بطنها ابتهاجاً ، وامتلأت من الروح القدس وباركت مريم وجنينها ، وقالت : من أين لى هذا ان تأتى ام ربى إلى (لو ١ : ٤٠ - ٤٥) .

وهذا صريح فى ان اليصابات وجنينها يوحنا يعرفان المسيح حق المعرفة وبما له من الوظيفة وهو جنين فى بطن امه ، وان المسيح قبل أن ينزل الروح القدس ويحل عليه جاء الى يوحنا ليعتمد بمعموديته فمنعه يوحنا قائلا أنا محتاج

ان اعتمد منك وأنت تأتى إلى (مت ٣ : ١٣ و ١٤) .

وهذا ينادى بأنه يعرف يسوع بأنه المسيح حق المعرفة ويدل على ذلك أيضاً انه كان يبشر بالمسيح ويقول للشعب المعتمدين منه انه سيأتى من يعمدكم بالروح القدس (مت ٣ : ١١ و مر ١ : ٧ و ٨ و لو ٣ : ١٥ و ١٦) بل أشار للشعب بأنه قائم فى وسطكم (يو ١ : ٢٦) .

فانظر أفلا يناقض هذا ما ذكرته الاناجيل من أن يوحنا وهو فى السجن أرسل يستعلم من المسيح انه هو الآتى (يعنى المسيح الموعود به) أم ينتظر آخر كما تقدم كما يناقض ما ذكرته عن قول يوحنا أيضاً وأنا لم أكن أعرفه لكن الذى أرسلنى لأعمد بالماء ذاك قال لى الذى ترى الروح نازلا ومستقراً عليه فهذا هو الذى يعمد بالروح القدس (يو ١ : ٣٣) .

وهذا صريح فى أن يوحنا لم يكن يعرف بأن يسوع هو المسيح إلا بعد أن نزل روح القدس واستقر على يسوع . أفلا يناقض هذا أقلا قول يوحنا ليسوع أنا محتاج ان اعتمد منك وأنت تأتى إلى ، مع ان هذا الكلام كان قبل أن يعتمد يسوع من يوحنا ، وقبل أن ينزل الروح القدس ويستقر عليه وقد أطال المتكلف هاهنا فى الكلام ولكنه لم يدر ما يقول (انظر به ١ ج ص ٢٤٠) .

﴿ الأعميان والأعمى ﴾ ومن تناقض الاناجيل واضطرابها انها ذكرت فيما هم خارجون (أى المسيح وتلاميذه) من اريحا تبعه جمع كثير وإذا أعميان جالسان على الطريق فلما سمع ان يسوع مجتاز صرخا قائلين ارحمنا ارحمنا ياسيد يا ابن داود فوقف يسوع وناداهما ما تريدان ان أفعل بكما ؟ قالا : يا سيد تنفتح أعيننا ، فتحنن يسوع ولمس أعينهما فللوقت أبصرت أعينهما فتبعاه (مت ٢٠ : ٢٩ - ٣٤) ، ثم اضطرب نقلها وتخالف وتناقض فى عدد من فتحت عينه وعوفى من عماه فى هذه الواقعة .

فذكرت ثانياً وفيما هو (أى المسيح) خارج من اريحا مع تلاميذه وجمع غفير كان بارتيماوس الأعمى ابن تيماوس جالساً على الطريق يستعطى فلما سمع انه يسوع ، ثم ساقت القصة مع هذا الاعمى الواحد على نحو ماتقدم (انظر مر ١٠ : ٤٦ - ٥٢ ونحوه لو ١٨ : ٣٥ - ٤٣) .

وناقضت ما تقدم أيضاً إذ ذكرت ان هذه القصة كانت لما اقترب المسيح من اريحا ثم بعد ذلك دخلها واجتاز فيها (انظر لو ١٨ : ٣٥ و ١٩ : ١) .

وقال المتكلف (يه ١ ج ص ٢٣٢) لو أفادت عبارة مرقس الحصر لثبت التناقض وهى لا تفيده مطلقاً .

وذكر هذا الأعمى لانه كان ابن رجل مشهور طحنته صروف الزمان والقادر على فتح عينى أعمى قادر على فتح عينى غيره وغيره ، وعلى كل حال فلا تناقض مطلقاً ، فالتناقض يتحقق إذا قال أحدهم : ان المسيح فتح عينى بارتيماوس ، ثم قال الآخر : ان المسيح لم يفتح عينى بارتيماوس ولم يحصل شىء من ذلك .

قلنا قد اعترف المتكلف ببعض الحق من حيث لا يشاء وهو قوله : لو أفادت عبارة مرقس الحصر لثبت التناقض فنقول ان مثلها فى مثل مورد ها يفيد الحصر ولا بد أن يريده المتكلم بها إن كان ممن يعرف كيف يتكلم فإنه إذا كانت الواقعة كما فى متى ان الأعميين كانا مقترنين فى الجلوس والإستعلام عن المسيح والإستغاثة به وانتهار الجمع لهما ، وعودهما فى لجاجة الإستغاثة والصراخ ووقوف المسيح لهما ، وسؤاله لهما ، وجوابهما له ، وشفائه لهما ، واتباعهما له فمن كمال العى والشطط لمن يريد أن يسجل تاريخ معجزات المسيح ويمجده بها وينوه بها للناس ان ينقل الواقعة على غير وجهها ورونقها ومجدها ويترك بعض مضمونها وهى واقعة واحدة ، كيف وهم يقولون ان المسجل لهذه الواقعة هو إلهام الروح القدس تنويهاً بمجد المسيح ولا يلزم أن نقول هو الروح القدس

بل ان واحداً من المؤرخين العارفين إذا أراد أن ينوه بمجد الواقعة التاريخية وكان عالماً بالواقعة على النحو المذكور فى متى لا يمسخها إلى النحو المذكور فى مرقس ، فهل يرضى الملك على مؤرخ كتب تاريخ حربه وفتحه وموفقيته فى الحرب الفلانى فى اليوم الفلانى فى الساعة الفلانية ان يكتب فى تاريخه ان الملك لاقى الفيلق الفلانى وجرى بينهما كيت وكيت ثم لاشاه واستولى على معسكره ، هذا وهو عالم ان الملك جرت له هذه الواقعة بتفصيلها مع فيلقين اثنين ولاشاهما معاً بموفقيته وقوته ، وهل يرتضى الناس من هذا المؤرخ تاريخه الأبتر على الخصوص إذا كان كتبه لتبشير رعية الملك والإحتجاج على خصومه وترهيبهم بقوته وسطوته ، كلا ولا يفعل المؤرخ ذلك إلا إذا كانت الواقعة على ما كتب أو كان جاهلا بحقيقتها .

وبما ذكرناه تعرف ان اسلوب مرقس يقتضى الحصر فإن الحصر لا ينحصر بأداة خاصة بل ان بعض السوق من الكلام ومقتضى الواقعة أظهر من الأداة فى الحصر .

ولعل المتكلف شعر بذلك فندم على اعترافه بأن عبارة مرقس لو أفادت الحصر لناقضت ما فى متى ، فعدل وناقض كلامه الأول بقوله (فالتناقض يتحقق إذا قال أحدهم ان المسيح فتح عينى بارتيماوس ، ثم قال الآخر ان المسيح لم يفتح عينى بارتيماوس) فنقول له ان التناقض متحقق بين ما فى متى ومرقس كما هو متحقق بين كلاميك شئت أو أبيت .

وأيضاً ماذا يفيد إذا كان بارتيماوس ابن رجل مشهور ، فهل فتح عينى الفقير من أب وجد ليس بمعجزة ينبغى ذكرها والتمجيد بها . هب ان مرقس صح منه أن يراعى كون بارتيماوس ابن رجل مشهور ولذا ذكر اسمه ، فما بال لوقا ذكر الواقعة أيضاً مع أعمى واحد ولم يذكر اسمه ، ومن أين للمتكلف ان بارتيماوس ابن رجل مشهور طحنته صروف الزمان .

فهل شارك كتبة الأناجيل فى الإلهام كما واساهم بالتناقض ، هب انا سامحناه فى ذلك فماذا يصنع بالتناقض فى هذه الواقعة فإن فى متى ومرقس انها وقعت بعد خروج المسيح من اريحا ، وفى لوقا انها وقعت عند ما اقترب من اريحا ثم دخلها كما أشرنا اليه ولكن المتكلف لا يبالى من أن يقول وعلى كل حال فلا تناقض .

﴿ المجنون والمجنونان ﴾ وجاء فى متى انه لما جاء المسيح إلى العبر الى كورة الجرجسيين استقبله مجنونان خارجان من القبور هائجان جداً حتى لم يكن أحد يقدر أن يجتاز من تلك الطريق ، ولما أراد شفاءهما طلبت منه الشياطين التى فيهما أن يأذن لها بالخروج إلى قطيع خنازير كان هناك فأذن لها وخرجت منهما ودخلت فى الخنازير فألقت نفسها فى البحر وماتت فهرب الرعاة الى المدينة وأخبروا بقصتها وقصة المجنونين فخرج أهل المدينة وطلبوا من المسيح أن ينصرف عنهم (مت ٨ : ٢٨ - ٣٤) .

وفى مرقس وجاؤا (أى المسيح وتلاميذه) إلى عبر البحر إلى كورة الجدريين ، ولما خرج من السفينة للوقت استقبله من القبور إنسان به روح نجس كان مسكنه القبور ، وذكر القصة المتقدمة بتمامها مع مجنون واحد (مر ٥ : ١ - ٢١) .

وفى لوقا وساروا إلى كورة الجدريين التى هى مقابل الجليل ، ولما خرج إلى الأرض استقبله رجل من المدينة كان به شياطين ، وساق القصة نحو مرقس مع مجنون واحد .

قال المتكلف (يه ١ ج ص ٢٣٣) ان مرقس ولوقا اقتصرا على ذكر المجنون الذى كان أشد هياجاً وعربدة .

وثانياً انهما اقتصرا على ذكر المجنون الذى كان من الامم ، وصرفا النظر عن اليهودي .

وثالثاً ان الذى ذكراه كان من المهذبين والمترجح انه كان من ذوى اليسار وذا شهرة إلى آخر ما ذكره .

قلت من أين له ان أحد المجنونين اللذين ذكرا فى متى كان أشد هياجاً وكان من المهذبين وذوى اليسار والشهرة وان المجنون الآخر كان يهودياً مع أن متى وصفهما معاً بشدة الهياج ومنع الناس عن الإجتياز فى الطريق وسائر الأحوال المذكورة فى القصة .

ومرقس ولوقا ذكرا مجنوناً واحداً ومهما وصفاه بشدة الحال لا يزيد عما ذكره متى فى المجنونين معاً ، وان متى ومرقس ولوقا لم يتعرضوا فى كلامهم ولا اشعاراً بكون المجنونين أو أحدهما من الامم أو اليهود ، أو الخاملين أو المهذبين وعلى ان هذه كلها دعاوٍ لا أصل لها حتى فى أضغاث الاحلام فإنها لا تصلح لرفع التناقض والإضطراب بين نقل متى ونقل مرقس ولوقا .

وزد على ذلك ان متى ذكر الواقعة فى كورة الجرجسيين ولسان القصة يقتضى كونها قريب المدينة (وهى جرجسا) قريب مقابرها ومسارحها وجرف البحيرة .

ومرقس ولوقا ذكراها فى كورة الجدريين ولسان القصة أيضاً يقتضى كونها قريب المدينة (وهى جدرة) وقريب مسارحها ومقابرها وجرف البحيرة فقد تناقضوا أيضاً فى محل الواقعة ومقتضى خارطات الجغرافيين ان بين جدرة وجرجسا نحو عشرة أميال انكليزية ، وان جدرة تحت ولاية هيردوس وجرجسا تحت ولاية فيلبس ، ويزداد الإضطراب وظهور الغلط فى القصة بملاحظة الخارطات فإن كون القصة قريبة من المدينة قريبة من البحيرة إنما يناسب كونها فى كورة الجرجسيين لأن جرجسا كذلك ، وأما جدرة فهى بعيدة عن البحيرة نحو أربعة أميال .

وكذا ذكر لوقا للجبل الذى كانت ترعى فيه الخنازير وألقت نفسها منه

إلى البحر ، لأن هكذا جبل موجود قرب جرجسا والبحيرة ولا يوجد جبل قرب جدرة والبحيرة ، ولكن ذكر العشر مدن فى لوقا إنما يناسب كون الواقعة فى جدرة وكورة الجدريين ، لأن العشر مدن قريباً منها ومن ولايتها دون جرجسا ، ولذا ترى النصارى يذكرون فى حاشية متى قراءة الجدريين .

وفى حاشيتى مرقس ولوقا قراءة الجرجسيين أو الجرشيين فاعتبر .

وفى هذا القدر كفاية للمتبصر .

﴿ الأمر السابع ﴾ ان الأناجيل التى يدعون تواترها إلى اوحى والمصدر الإلهامى قد نسبت لقدس المسيح اموراً لا تنفك عن كونها موانع من النبوة والرسالة فاسمع بعضها .

١ — ﴿ تناقض الكلام ﴾ فقد ذكرت عن المسيح انه قال : ان كنت أشهد لنفسى فشهادتى ليست حقاً (يو ٥ : ٣١) وذكرت عن قوله أيضاً : ان كنت أشهد لنفسى فشهادتى حق لأنى أعلم من أين أتيت وإلى أين أذهب ؟ (يو ٨ : ١٤) ولا خفاء فى تناقض هذين الكلامين وكذب أحدهما وهو مانع من النبوة .

وقد حاول المتكلف (يه ١ ج ص ٢٤١ و ٢٤٢) أن يرفع هذا التناقض وإذ كلف نفسه من ذلك ما لا يطاق ضاعت عليه مجارى الكلام وروابطه ومضامين العهدين ، وأطال فيه بما لا يسمن ولا يغنى من جوع فقال كان يجب على صاحب إظهار الحق لتوضيح المعنى أن يورد الفقرة الثالثة عشر من ثامن يوحنا وهى ، فقال له الفريسيون أنت تشهد لنفسك شهادتك ليست حقاً ١٤ أجاب يسوع وقال لهم وإن كنت أشهد لنفسى فشهادتى حق ، ثم قال المتكلف تفريعاً على ذلك ، فترى ان الكلام اللاحق لا ينافى الكلام السابق فإن معنى قوله وان كنت أشهد لنفسى أى إذا شهدت على سبيل

الفرض والتقدير فشهادتى حق .

ثم أخذ المتكلف فى التفرقة بين معنى ان وإذا وأطال فى الكلام ، فكانت نتيجة التفرقة انه جعل إذا ولو فى موضع ان عندما تكلف بتكرار الكلام وتقليبه .

فأقول لا يخفى على من له أدنى فهم ان الفقرة التى اوجب على إظهار الحق ذكرها لا تنفعه شيئاً ولو ملأ من تكرارها كتباً أو نادى بها بأعلى صوته ألف ألف مرة صارخاً فقال له الفريسيون الى آخره .

وأما فراره إلى الفرض والتقدير فلا يخلصه من التناقض بل يقال له : أليس التقدير المذكور مناقض لقوله ان كنت اشهد لنفسى فشهادتى ليست حقاً ، ومن أين جاء بالفرض والتقدير مع ما حكى بعد ذلك بيسير عن قول المسيح .

وأيضاً فى ناموسكم مكتوب ان شهادة رجلين حق أنا هو الشاهد لنفسى ويشهد لى الأب الذى أرسلنى (يو ٨ : ١٧ و ١٨) .

ثم قال المتكلف وعلى كل حال فكلمة ان لا تفيد وقوع الفعل بل لو وقع لما وجد أدنى منافاة .

قلنا ان كلتا الفقرتين مصدرتان بقوله ان كنت أشهد لنفسى ويقول الإنجيل كما تقدم انه شهد لنفسه وقال أنا هو الشاهد لنفسى .

فأين إلى أين الفرار بالفرض والتقدير وما يجدى مع تحقق التناقض بين التقديرين أيضاً .

نعم ان قال المتكلف ان هاتين الفقرتين خاليتان من المعنى كقولى بل لو وقع الفعل لما وجد أدنى منافاة .

قلنا له : لا تنفك صورة الكلام عن التناقض أيضاً وان لم يكن هناك معنى مقصود .

٢ — ﴿ تناقض الكلام أيضاً ﴾ ومن ذلك ما فى تاسع عشر متى عن قول المسيح لما قال له بعض الناس أيها المعلم الصالح انكر عليه هذا القول ١٧ وقال لماذا تدعونى صالحاً ليس أحد صالحاً إلا واحد هو الله .

ومثله فى مرقس (١٠ : ١٨) ولوقا (١٨ : ١٩) وهذا مناقض لما يحكى من قوله الإنسان الصالح (مت ١٢ : ٣٥ و لو ٦ : ٤٥) ، وقوله أنا هو الراعى الصالح أما أنا فإنى الراعى الصالح (يو ١٠ ، ١١ و ١٤) .

والمتكلف (يه ٤ ج ص ٢٨٥) تكلم على قوله لماذا تدعونى صالحاً بما ينزه القلم عن شططه فى التوحيد وصحة الكلام ، ويكفى فى المناقضة ما يحكى من قوله الإنسان الصالح .

٣ — ﴿ تناقض الكلام أيضاً ﴾ ومن ذلك ما فى ثانى عشر متى عن قول المسيح ٣٠ من ليس معى فهو على ومن لا يجمع معى فهو يفرق ، وكذا (لو ١١ ، ٢٣) وهذا ناقض لما يحكى عن قوله فيمن لم يتبع طريقته ، من ليس علينا فهو معنا (مر ٩ : ٤٠ و لو ٩ : ٥٠) .

٤ — ﴿ تناقض التعاليم ﴾ فمن ذلك ما ذكر فى متى عن قول المسيح ما حاصله انه لا حسن فى صوم تلاميذه ما دام موجوداً معهم ، ولا فائدة فى صومهم بل لا محل له وهو كنوح بنى العرس مع وجود العريس بينهم وجعل رقعة جديدة على ثوب عتيق يصير الخرق بها أردأ ، وجعل الخمر الجديدة فى زقاق عتيقة تنشق بها الزقاق وتتلف وتنصب الخمر (مت ٩ : ١٤ - ١٨ و مر ٢ : ١٨ - ٢٣ و لو ٥ : ٢٣ - ٣٨) .

فإن هذا مناقض لما حكى عن المسيح فى خطابه لتلاميذه بما حاصله ان الصوم من أركان الإيمان وان بعض الكرامات والمراتب العالية لا تنال إلا به وبالصلاة ، وان بعض الشياطين لا تخرج إلا بالصوم والصلاة ، ولذا

لم يقدر التلاميذ على إخراج ذلك الشيطان . (انظر مت ١٧ : ١٤ - ٢٢ ومر ٩ : ١٤ - ٣٠) .

٥ — ﴿ تناقض التعاليم ايضاً ﴾ ومن ذلك ما فى ثامن عشر لوقا عن تعليم المسيح لتلاميذه ١ وقال لهم ايضاً مثلا فى انه ينبغى أن يصلى كل حين ولا يمل ، وضرب المثل بقاض ظالم مع امرأة لا ينصفها من خصمها فأزعجته بالإلحاح فأنصفها لأجل إلحاحها فالله ينصف سريعاً مختاريه الصارخين اليه نهاراً وليلا (انظر لو ١٨ : ١ - ٨) .

وضرب ايضاً مثلا بمن يلج فى الطلب فيعطى لأجل لجاجته (لو ١١ : ٥ - ٩)

وأيضاً أمر بالتضرع فى كل حين (لو ٢١ : ٣٦) وهو نفسه كان ليلة هجوم اليهود عليه يصلى بأشد لجاجة (لو ٢٢ : ٤٤) وهذا كله مناقض لما فى سادس متى عن تعليم المسيح ٧ وحينما تصلون لا تكرروا الكلام باطلا كالامم فانهم يظنون انه بكثر كلامهم يستجاب ٨ فلا تتشبهوا بهم لأن أباكم يعلم ما تحتاجون اليه قبل أن تسألوه فان هذا نهى عن الدوام فى التضرع والدعاء وبيان لكونه باطلا من عوائد الامم الوهمية وانه لا فائدة فيه فان الله يعلم بالحاجة قبل أن يسأل .

٦ — ﴿ التناقض فى التعليم ايضاً ﴾ فإن التعليم والتعليل لعدم تكرار الدعاء فى الحاجة بأن الله يعلم بها قبل أن يسأل مناقض لأصل مشروعية الصلاة وخصوص الصلاة الربانية وخصوص التكرار فيها بقوله لا تدخلنا فى تجربة لكن نجنا من الشرير فان ما بعد لكن وما قبلها بمعنى واحد مضافاً الى انه لابد أن يتكرر هذا الدعاء بتكرار الصلاة الربانية فى الشهر أو السنة أو فى العمر مرات عديدة وبحسب هذا التعليل يكون تكرارها ايضاً باطلا .

٧ — ﴿ التناقض بين التعليم والعمل ﴾ وايضاً هذا التعليم والتعليل مناقض لما تذكره الأناجيل من فعل المسيح نفسه ليلة هجوم اليهود عليه فانه

كرر الدعاء فى طلبه من الله عبور كأس المنية عنه وكان هذا الدعاء هو صلاته كرره ثلاث مرات (انظر مت ٢٦ : ٣٩ - ٤٥) وانظر الى السابع عشر من يوحنا فكم تجد فيه دعاء مكرراً باللفظ أو المعنى .

٨ — ﴿ التناقض ايضاً بين التعليم والعمل ﴾ فقد ذكرت الأناجيل عن تعليم المسيح بحفظ الوصايا ومن جملتها إكرام الام (مت ١٩ : ١٩ و مر ١٠ : ١٩ و لو ١٨ : ٢٠) فانه يناقضه ما يحكى من معاملته مع امه .

فى ثانى عشر ٤٦ وفيما هو يكلم الجموع إذ امه واخوته قد وقفوا خارجا طالبين أن يكلموه ٤٧ فقال له واحد هو ذا امك واخوتك واقفين خارجا طالبين أن يكلموك ٤٨ فأجاب وقال للقائل له من هى امى ؟ ومن هم اخوتى ؟ ٤٩ ثم مد يده نحو تلاميذه وقال ها امى واخوتى ٥٠ لأن من يصنع مشيئة أبى الذى فى السموات فهو أخى واختى وامى ونحوه (مر ٣ ، ٣١ - ٣٥ و لو ٨ ، ١٩ - ٢١) أفلم يكن من إكرام الام الذى أوصى الله به أن يقوم لها ويكلمها ويطيب قلبها برؤيته وليتهم نقلوا انه اعتذر منها بدون ان يهينها بقول من هى امى ويندد بقداستها بكلام مفهومه انها ليست ممن يعمل مشيئة الله ، أفيقولون انها لم تكن من المؤمنين به العاملين بمشيئة الله ، أم يقولون ان مخالفة الاكرام المذكور فى الوصية هو أن يقوم لها ويكثر ضربها على رأسها وعينيها ، وأما ما دون هذا فليس من مخالفة الوصية .

﴿ المتكلف والمتعرب ﴾ وعلى هذا كان على المتكلف والمتعرب أن يعدا فى كتابيهما من اغلاط القرآن الكريم وصف المسيح بالبر بوالدته (سورة مريم ٣٣) ويقولان ان الانجيل يذكر انه قابل دعوتها بالإنتهار واستهان بها وندد بقداستها ، ولا يتجه عليهما فى ذلك كما يتوجه فى فاحش غلط المتكلف (يه ٢ ج ص ٣٥ و ٩٣) حيث نسب الغلط إلى قدس القرآن فى قوله تعالى فى شأن مريم (يا اخت هارون) فجعل المتكلف هذا القول من أعظم الأغلاط

يكرره بلجاجة (انظر مت ٢٦ : ٣٩ و لو ٢٢ : ٤١ - ٤٥) ولا أقل من كونه توهما منه أو ايهاماً بأن القرآن الكريم أراد بذلك هارون أخا موسى النبي ، فكأن الله لم يخلق هارون غيره ولا عمران غير أبيه أو ان الله نهى عن ان تكنى امرأة باخت هارون أو ان هذا كله اخذت به مريم اخت موسى امتيازاً من الله . وزاد المتعرب على ذلك (ذ ص ٤٩) حيث اعترض على القرآن بأن دعى مريم بابنة عمران واخت هارون . فقال غير مبال : وهى فى الانجيل بنت الياقيم .

فقبحاً للغرور وتعساً للإقتحام وأين يوجد فى الانجيل نسب مريم إلا ذكر كونها نسيبة اليصابات واليصابات من بنات هارون .

نعم لما اختلف متى ولوقا فى نسب يوسف النجار وتحير فى ذلك قدماء النصارى فر بعض المتأخرين إلى محض المكابرة بدعوى ان لوقا نسب يوسف النجار إلى والد مريم وهو (هالى) وحروفه تشابه حروف (الى) وهو يشبه ان يكون مقتطعاً من الياقيم فبخ بخ للدنيا فى سعادتها بالتقدم بمثل هذه الأوهام وقد قدمنا قريباً ما فيها .

٩ — ﴿ التناقض أيضا بين التعليم والعمل ﴾ :

ذكر الانجيل عن المسيح انه علم بمذمة الكذب وقال ان ابليس كذاب وأبو الكذاب (يو ٨ - ٤٤) .

ويناقضه ما ذكره الانجيل ايضا وقوف به قدس المسيح إذ نسب اليه ما هو كذب صريح حيث ذكر ان اخوة المسيح قالوا له اصعد إلى هذا العيد فأجابهم اصعدوا أنتم إلى هذا العيد أنا لست اصعد بعد الى هذا العيد لأن وقتى لم يكمل بعد ، ولما كان اخوته صعدوا حينئذ صعد هو إلى العيد لا ظاهراً بل كأنه فى الخفاء (يو ٧ ، ٨ - ١١) وهذه التناقضات المذكورة هي من أعظم الموانع من النبوة والرسالة .

﴿ الأمر الثامن ﴾ ان الاناجيل قرفت قدس المسيح بمنافيات العفة وما هو من أعمال الفساق المتهتكين وهو بالبداهة من موانع النبوة والرسالة وذلك كمجيء الإمرأة الخاطئة إلى المسيح وانها وقفت عند قدميه من ورائه باكية وابتدأت تبل قدميه بالدموع وكانت تمسحها بشعر رأسها وتقبل قدميه وتدهنهما بالطيب ، وان المسيح كان راضياً مستحسنا لعملها هذا حتى ضرب الأمثال للفريسى الذى انكر ذلك وفضلها عليه بأنها غسلت رجليه بالدموع ومسحتهما بشعر رأسها ولم تكف عن تقبيلهما منذ دخلت (انظر لو ٧ ، ٣٦ - ٤٧) .

وجلوس يوحنا ابن زبدى فى حضن المسيح حتى إذا استشفع به بطرس وطلب منه ان يسأل المسيح عن السر اتكأ يوحنا على صدر المسيح وسأله وقد قدمنا هذا فى الفصل الخامس عشر من المقدمة الثامنة وبينا بمقتضى الأناجيل ان يوحنا حينئذ لم يكن طفلا بل كان شاباً فى ريعان الشباب وغضارته .

﴿ الأمر التاسع ﴾ ذكرت الاناجيل ان المسيح وحاشاه شريب خمر (أى كثير الشرب لها) (لو ٧ : ٣٢ - ٣٥ و مت ١١ : ١٧ - ٢٠) وانه قال فى الخمر قول المودع المولع المتلهف (مت ٢٦ ، ٢٧ و ٢٩ و مر ١٤ : ٢٣ و ٣٥ و لو ٢٢ ، ١٧ و ١٨) وانه حضر مجلس العرس المنعقد للسكر وإذ نفذ خمرهم عمل لهم بمعجزة ستة اجران من الخمر (يو ٢ : ١ - ١١) .

وقد قدمنا فى المقدمة العاشرة ما يعلم منه ان شرب الخمر والرضاء به والإعانة عليه من موانع النبوة .

﴿ الأمر العاشر ﴾ ان هذه الاناجيل التى يدعون تواترها إلى مصدر إلهامى ويسميها المتكلف كلام الله السميع العليم قد قرفت قدس المسيح إذ حكت عنه ما يرجع الى القول بتعدد الآلهة (انظر يو ١٠ ، ٣٣ - ٣٧) وكذا تعدد الأرباب (انظر مت ٢٢ ، ٤١ - ٤٦ و مر ١٢ : ٣٥ - ٣٨ و لو ٢٠ : ٤١ - ٤٥)

وقد ذكرنا هذا الأخير فى الأمر الرابع وذكرنا عن العهد القديم ما يدل على توحيد الرب بل جاء فى مرقس عن قول المسيح وتعليمه الرب إلهنا رب واحد (مر ١٢ : ٢٩) وقدمنا حكاية تعدد الآلهة فى الفصل الخامس عشر من المقدمة الثامنة وذكرنا دلالة العهد القديم على توحيد الإله والنهى عن ذكر اسم آلهة اخرى وان لا يسمع ذلك من الفم .

وايضاً جاء فى سابع عشر يوحنا تكلم يسوع بهذا ورفع عينيه نحو السماء وقال أيها الأب قد أتت الساعة مجد ابنك ليمجدك ابنك .

ايضاً ٢ إذ أعطيته سلطاناً على كل جسد ليعطى حياة أبدية لكل من أعطيته ٣ وهذه هى الحياة الأبدية ان يعرفوك أنت الإله الحقيق وحدك ، ويسوع المسيح الذى أرسلته .

وعلى هذا فتكون الاناجيل قد قرفت قدس المسيح بأمرين (أحدهما) القول بتعدد الآلهة والأرباب وهو الشرك (وثانيهما) تناقض تعاليمه مرة بالتوحيد واخرى بالشرك وحاشا قدسه من كل ذلك .

وفى هذا المقدار كفاية ولو لا أن الإستقصاء يحمل على التحامل وإرادة سوء الفالة لزدناك .

نتيجة ما ذكرنا ان النصارى يدعون تواتر نقلهم فى أمرين (أحدهما) ان عيسى عليه السلام ادعى الرسالة العامة وظهر على يده المعجز (وثانيهما) ان الاناجيل كتب إلهامية من أنبياء ادعوا النبوة وظهر على يدهم المعجز وقد اتضح لك ان دعوى التواتر ونقله فى الأمر الثانى لا يكاد يصح بل يشهد بنفسه على كذبه ومع ذلك فلا يبقى للبصير وثوق واعتماد على دعواهم ونقلهم للتواتر وزيادة على هذا ان هذا الأمر الثانى الذى ينقلون تواتره ويدعونه بأشد إصرار ليكذب الأمر الاول فى دعوى الرسالة العامة وظهور المعجز . وكون المعجز حجة على الصدق فى دعوى الرسالة بل يصرح بظهوره على يد الكاذب فى

دعوى النبوة بل يظهر على يد الكافر كالدجال ، ومع ذلك فقد أكثر من ذكر ما هو مانع من نبوة المسيح أشد المنع .

وهل ترضى للعاقل مع هذا كله أن يخدع نفسه ويجانب عقله ويتساهل فى دينه ويركن إلى نقلهم ودعواهم التواتر فى هذا الوجه ، ولا سيما ان قرار الديانة والإعتماد على كتبها كان مبنياً عند أسلافهم على قرار المجامع ، وهذا مما يلاشى الإطمئنان بالتواتر فإن مبناه على عدم احتمال المواطاة فكيف وان المجامع هى امارة المواطاة . فعلى طالب الهدى أن يتوقى ويتحذر من أن يستهويه السراب الى مهالك التيه ، بل يلزم الجادة الموصلة الى المنهل المأنوس والمورد الهنى .

﴿ المقدمة الثانية عشرة ﴾

فى النسخ فى الشريعة الإلهية وفيها فصول

الفصل الأول فى ماهيته وحقيقة المراد منه فى الإصطلاح :

النسخ فى الإصطلاح هو رفع الله للحكم الشرعى بتشريع حكم آخر مخالف له ، وحقيقته هو ان الله اللطيف بعباده العليم بأحوالهم ومصالحهم فى جميع الأزمنة وتقلبات الامور قد يشرع حكماً باعتبار مصلحة يعلم ان لها أمداً منتهياً وحداً محدوداً إلا انه جلت حكمته لم يبين حده لعباده وإن كان مخزوناً فى علمه فإذا انقضى أمد تلك المصلحة وأمد الحكم المنبعث عنها شرع الحكم الثانى على مقتضى المصلحة المتجددة .

فقولنا النسخ رفع الحكم الأول إنما هو تسامح فى الكلام باعتبار دلالة دليله فى ظاهر الحال على بقائه فى جميع الأزمان ، وإلا فالحكم الأول مرتفع فى الواقع بنفس انتهاء مصلحته المحدود بحدها عند الله .

ولا ينبغى أن يتوهم ذو شعور بأن القائلين بإمكان النسخ فى الشرائع ووقوعه يقولون بأن الله يريد فى أول تشريع الحكم دوامه أبد الآباد ثم يعدل عن ذلك ويشرع حكماً آخر تعالى الله عن ذلك .

﴿ الفصل الثانى فى امكانه ﴾

لا يخفى ان الله القادر على جعل الشريعة وتشريع الأحكام لقادر على أن يجعل حكمين لزمانين مثلا ، فإذا انقضى زمان الحكم الاول أعلن لعباده بواسطة رسله تشريع الحكم الثانى . ولا نجد من ذلك مانعاً بل لا مانع كما ستعرف إن شاء الله .

وهاك كشف الحقيقة فانا إذا نظرنا الى حكمة الله ولطفه بعباده وعلمه باختلاف أحوالهم وتقلبات أطوارهم وغناه عنهم وعن جميع العالم :

حكمت علينا عقولنا وفهمنا وجداننا بأن أحكامه الشرعية فى العبادات والعادات والسياسات إنما هى لإقتضاء مصالح العباد فى طهارة نفوسهم وقربهم من حضرته وتهذيب أخلاقهم ، وانتظام اجتماعهم ومدنيتهم ، وسهولة انقيادهم الى الطاعة والأدب .

ومن الواضح ان الناس قد تختلف وجوه مصالحهم وتتغير بحسب الازمان لأنهم بشر متغيرون بحسب الاعصار وتقلب الأحوال فى الاخلاق والعادات والقوة والضعف ، واللين والقسوة ، وسهولة الإنقياد الى الطاعة والتمرد والإبتداء فى الإنقياد والتمرن عليه ، إلى غير ذلك من الاختلاف الذى لا يخفى على الفطن .

وبالضرورة يكون ما شرع لمناسبة أخلاق هذه الأجيال لا يناسب الأجيال المخالفة لها فى الاخلاق وما يناسب الأجيال القوية لا يناسب الضعيفة وما شرع لمناسبة الأجيال السهلة الانقياد الى الطاعة لا يناسب الأجيال

المتمردة ، وما يناسب المتمرن لا يناسب المبتدىء ، وما يناسب القاسى لا يناسب اللين .

حكى فى الأناجيل ان اليهود اعترضوا على المسيح فى منع الطلاق إلا لعلة الزنى ، وعارضوه بورود الطلاق فى شريعة موسى مطلقاً ، فقال لهم : ان موسى من أجل قساوة قلوبكم أذن لكم أن تطلقوا نساءكم ولكن من البدء لم يكن هكذا (مت ١٩ : ٧ و ٨ ونحوه مر ١٠ : ٢ - ٧) .

وانظر أيضاً ما هو البديهى من الأحكام العرفية فإن ما يجعله حكماء العقلاء من الشرائع والقوانين لاصلاح اجتماع الرعية ومدنية مملكتهم وانتظام أدبهم لا بد من أن يكون فى أول أمر التشريع وخصوص حال الانقلاب أيسر وأسهل على الرعية مما تقتضيه المصلحة عند تمرنهم على الانقياد لشريعة المملكة وذلك لحكمة نفوذ الشريعة السهلة على القبول حتى تتمرن الرعية على الانشراح بالتشريع وإجراء المشروع ، وهذه مصلحة مهمة يحفظ بحكمتها سائر المصالح .

وإذا توجهت بعقلك ووجدانك الى ما ذكرنا حكمت بالبداهة بإمكان النسخ فى الشرائع الإلهية بل تحكم بلزومه بمقتضى الحكمة واللطف فى بعض الموارد ، فإن استوضحت وقلت كل حكم شرعى يراعى فيه معدل المصلحة لكافة البشر والقدر الجامع الذى تتساوى فيه جميع أطوار الناس وأخلاقهم فى جميع الأزمان فلا يبقى محل للنسخ .

قلنا ان من الامور ما لا تختلف جهته باختلاف الأزمان والأحوال كالزنى مثلا ، وهذا لا يعتريه النسخ لحرمته ، وأما ما تختلف جهته بحسب الاعصار والأحوال كما ذكرنا فإن كنت تقول بجواز مراعاة معدل المصلحة فيه من غير لزوم فذلك لا ينافى ما ذكرناه لإمكان وقوع النسخ وان كنت تقول بلزومه سألناك أولا ما هو الملزم به ومن هو الملزم ؟ ونبهناك ثانياً الى أن

سياحة الفكر فى تقلب أحوال البشر بحسب الاعصار والأخلاق والعادات حسبما شرحنا بعضه لتكشف لكل مميز وتعرفه بأن مراعاة معدل المصلحة على ما تقول لا تنفك عن حرمان أكثر الناس من بركات اللطف بهم ومقتضيات مصالحهم ، وما هو الداعى لذلك مع امكان أن يعمهم اللطف باستيفاء بركات مصالحهم على مقتضى الحكمة من دون مانع ولا فساد .

فإن قلت إذاً فما بال اليهود والنصارى ينكرون امكان النسخ ووقوعه حتى أن بعض كتابهم ليشددون النكير على القول بالنسخ ويبالغون فى امتناعه على جلال الله .

قلت ان كان شكك من هذه الجهة فانا نشكرك على ابدائها فاعلم أنا لم نبخس اليهود والنصارى فى ابتداء الأمر حقهم من حسن الظن ولأجل ذلك تتبعنا كتبهم التى ينسبونها إلى الإلهام والوحى ونظرنا فى نحلهم التى عكفوا عليها وشريعة جامعتهم فى يهوديتهم أو نصرانيتهم فوجدنا اليهودية قد كثر فيها النسخ نقلا عما قبلها ونسخاً لما تقدمها ونسخاً لما جاء فيها ووجدنا النصرانية الرائجة قد بنى أساسها وسيج بنيانها ودار محورها على دعوى معنى النسخ الذى نقول به بل على ملاشاة الشريعة السابقة وأحكامها ، ولم نجد وجهاً صحيحاً لما تذكره عنهم إلا المنافرة مع النون والسين والخاء فى اسم النسخ ، وانا لا نضايقهم فى الإسم بل نسمى هذا الذى نقول بإمكانه ووقوعه بالاسم الذى يسمون به رفع الشرائع الموجود فى كتبهم التى ينسبونها الى الوحى الالهى ونقتصر فى مدعانا على مثل ما وقع فى الشرائع التى ينسبونها إلى الله .

وان السير فى كلمات بعض كتابهم فى هذا المقام وخصوص المتكلف (يه ٤ ج ص ١٥٥ - ١٩٤) قد كشف لنا عن منشأ الاشتباه أو مبدأ الحياد فى المغالطة والتمويه ، وهو انهم تخيلوا بوهمهم أو خيلوا بتمويههم ان النسخ الذى يدعى المسلمون وقوعه فى الشرائع هو رفع الحكم الشرعى مع ابطال غايته

الأصلية التى شرع لأجلها وهى مصلحة العباد ابطالا جزافياً من غير نظر الى تجدد مصلحة اخرى تناسب خلافه فكأنهم لم يسمعوا ولم يفطنوا من هتاف الصريح من كلمات المسلمين وكتاباتهم قولهم بأن الله الغنى الحكيم شرع الشرائع لطفاً منه بعباده ورحمة لهم برعاية مصالحهم بأنواعها حسب ما تقتضيه حكمته وعلمه بما يناسبها من الأحكام بحسب اختلاف الاحوال والأوقات ، وعلى ذلك فقد تقتضى الحكمة واللطف تبديل الحكم الأول إلى ما هو أنسب منه فى الزمان الثانى بالمصلحة والغاية المطلوبة فى التشريع ، وهذا التبديل إنما هو لأجل المحافظة على الغاية التى شرع الحكم الاول لأجلها وهذا هو النسخ عند المسلمين وان فرض ان شريعة الحكم الثانى هى جوهر شريعة الحكم الاول باعتبار الغاية المطلوبة من التشريع ، وان الاولى ترمز وتشير الى الثانية لكونها أنسب باللطف والرحمة بحسب الوقت والحال ، فإن كل الشرائع الإلهية متحدة فى غايتها المرعية ولكن أليست الاحكام المتبادلة فيها مختلفة بالنوع والحقيقة فنحن نصفهما بالناسخ والمنسوخ بلحاظ هذا الإختلاف .

مثاله بأن نتكلم على طريقة القائلين بسر الفداء فنقول ان الله قد شرع بلطفه ورحمته فى التوراة أحكاماً لمصالح العباد فى البر والتأديب والتكفير والخلاص والتكميل واستمرت على ذلك ألفاً وخمسمائة سنة تقريباً ولكن لما كانت هذه الغايات تحصل فيما بعد ذلك على أحسن وجه وأتم حصول فرضاً بسبب الإيمان بالمسيح وبركة سر الفداء وذبيحة الفادىء الكريم رفعت ذوات الأحكام الخاصة التى كانت فى شريعة موسى وخفف ثقلها الباهظ وبدلت شدتها بسهولة الراحة والإباحة ، وهذا من وادى النسخ الذى يقول به المسلمون . ولا يشك فاهم أو غبى فى ان أحكام التوراة قد بدلت فى النصرانية الرائجة فى الصورة والماهية وهم يقولون ان ذلك بوحى من الله وعليه فهو النسخ الذى يقول به المسلمون .

وهبنا قلنا ما يقوله المتكلف (يه ٤ ج ص ١٨٤) ان الشريعة الموسوية بمنزلة البذر والمسيحية بمنزلة الشجرة والثمرة ، وان المسيحية جوهر الموسوية وفذلكتها ولكننا لا نخادع عقولنا ووجداننا ونقول انها هى من حيث الأحكام ولا نكون مع هذا اضحوكة بقولنا ، وعلى كل حال فإن كتاب الله منزه عن الناسخ والمنسوخ .

فاصغ لما نتلوه عليك من الكتب التى ينسبونها الى الله والوحى واحفظ ما ذكرناه لك فى معنى النسخ الذى نقول به وحاسبهم حساباً يسيراً وجادلهم بالتى هى أحسن .

ولنذكر لك مما جاء فى كتب وحيهم مما لا محيص عن كونه بمعنى النسخ الذى نقول به ، وإن أبوا تسميته نسخاً .

ثم نذكر لك ايضاً من كتب وحيهم موارد كثيرة لا يسميها المسلمون فى الإصطلاح الغالب نسخاً ولكنها يرد عليها كلما اعترض به اليهود والنصارى على النسخ فاستمع لذلك إن شاء الله .

(١ ـ الناسخ والمنسوخ فى شريعة نوح)

بمقتضى نقل التوراة جاء فى سابع التكوين (٢ و ٨) وكذا الثامن ٢٠ ان الله ذكر لنوح قبل الطوفان البهائم الطاهرة والتى ليست بطاهرة والمراد من غير الطاهرة ما لا يجوز أكله ولا تقديمه للقرابين والمحرقات .

ثم جاء فى تاسع التكوين فى ذكر ما بعد الطوفان عن قول الله لنوح ٣ كل دابة حية تكون لكم طعاماً كالعشب الأخضر ، وهذا يدل على جواز الأكل لكل دابة حية بخلاف الشريعة السابقة .

وحاول المتكلف (يه ٤ ج ص ١٦٧) أن يتخلص من هذا فقال المراد بقوله تعالى كل دابة حية كل الحيوانات الطاهرة . واغرب فى تشبثات الإستشهاد

ولعله إذ علم ان فى تاسع التكوين المذكور (١٠ و ١٢ و ١٥ و ١٦) ما يبطل دعواه هذه ويوضح ان وصف الحياة غير وصف الطهارة هرب الى دعوى ان المراد من لفظ كل هو البعض ، ولكن مراجعة الموارد المشار اليها من تاسع التكوين تنادى بأن المراد من (كل) هو العموم على ان الدعوى بارادة معنى (بعض) من لفظ (كل) ناشئة من الوهم والإستشهاد لها بالقرآن الكريم ناشىء من الخطأ فى الفهم .

(٢ - التوراة وشريعة نوح والحيوانات)

ثم نسخت التوراة هذه الإباحة العامة فى شريعة نوح لأكل كل دابة حية كالعشب الأخضر وحرمت كثيراً من الحيوانات (انظر حادى عشر اللاويين ورابع عشر التثنية) .

(٣ - التوراة وما قبلها فى التزوج بالاخت)

فحرمت التوراة التزوج بالاخت وإن كانت من الأب وحده (لا ١٨ : ٩) مع انها ذكرت ان سارة امرأة ابراهيم كانت اخته من أبيه (تك ٢٠ : ١٢) ولا تصغ إلى تحريف الترجمة المطبوعة سنة ١٨١١ حيث حرفت وترجمت الاخت بالقريبة التى تعم بنت العم ونحوها ليتخلص من هذا الاعتراض فإن نص الأصل العبرانى وجم امنه اختى بت أبى هوا أخ لا بت امى وتهى لى لايشه أى وأيضاً اختى بنت أبى هى لكن لا بنت امى وصارت لى امرأة ولو كان الذى فى الأصل العبرانى بمعنى القريبة لقال (شارى) .

(٤ - أيضاً الجمع بين الاختين فى التزويج)

فحرمته التوراة (لا ١٨ : ١٨) مع انها ذكرت ان يعقوب تزوج براحيل على اختها ليئة (تك ٢٩ : ٢٣ و ٣٠) وبقيتا عنده مجتمعتين مدة من السنين (انظر تك ٢٩ - ٣٥) .

(٥ - التزوج بالعمة)

حرمته التوراة (لا ١٨ : ١٢ و ٢٠ : ١٩) مع انها ذكرت ان أباموسى وهو عمران بن قهات بن لاوى (خر ٦ : ١٦ - ١٩) قد أخذ عمته يوكابد بنت لاوى التى ولدت له فى مصر امرأة له (انظر خر ٢ : ١ - ١١ و ٦ : ٢٠ و عد ٢٦ : ٢٩) ينكشف لك الخطأ فى مكابرة المتكلف وخبطه (يه ٤ ج ص ٨ - ١٠) فى احتمال كون يوكابد ليست عمة عمران .

وبيان النسخ فى هذه الموارد الثلاثة هو أنه لا بد أن تكون لابراهيم ويعقوب وعمران شريعة إلهية أباحت لهم هذا التزويج المذكور وقد نسختها التوراة ، هذا هو مراد إظهار الحق ولم يقل ان التوراة نفسها حكمت بجواز تزويج هؤلاء النبيين وسبطهما وسبطهما ثم نسخته كما توهمه المتكلف .

ثم أجاب (يه ٤ ج ص ١٦٧) بأنه لم ينزل الله على آدم ولا على ابراهيم شريعة بجواز تزوج الاخت الغير الشقيقة ثم حرمها موسى وإنما هذا الزواج كان من العادات التى اصطلح عليها القدماء قبل شريعة موسى ، وقال ص ١٦٨ لم ينزل الله على القدماء شريعة ثم نسخها موسى ، بل اصطلح القدماء على عادات للجريان عليها فى هذه الدنيا . وقال ص ١٦٩ ان زواج عمران كان قبل نزول الشريعة .

أقول : من أين للمتكلف ان القدماء لم تكن لهم شريعة مطلقاً أو فى خصوص الزواج ، مع انه لا يشهد لدعواه هذه كتاب ينسب إلى الإلهام أم جاءه الوحى بذلك ؟ أم يقول ان رحمة الله ولطفه لم يسعا الذين قبل موسى ، كما وسعا بنى اسرائيل المتمردين ، ثم ان قال انه لم تكن قبل موسى للقدماء شريعة مطلقاً .

(قلنا) ان التوراة لتكذبك فى ذلك فانها تقول ان الله جعل لنوح

شريعة صنعة الفلك ومن يحمله فيه من الأناسين والحيوانات ، وشريعة الحيوانات الطاهرة والنجسة وبالضرورة يكون من الشريعة بناء المذبح واصعاد المحرقات (انظر تك ٦ و ٧ و ٨) :

وجعل لابراهيم شريعة الختان (تك ١٧ : ٩ - ١٥) .

وتقول التوراة أيضاً ان ملكى صادوق ملك شاليم كان كاهناً لله العلى ولأجل ذلك أعطاه ابراهيم عشر الغنيمة (انظر تك ١٤ : ١٨ - ٢١) فقل ما معنى الكهانة ان لم تكن شريعة ، وما وجه العشر الذى أخذه من ابراهيم أتقول انه كان عشراً ملوكياً كلا بل ان سابع العبرانيين يفصح عن كونه عشراً شرعياً كاشفاً عن عظمة ملكى صادوق الذى أعطاه ابراهيم إياه ، أفترى المتكلف ينكر هذا كله ويقول ان الله ترك القدماء هملا كالبهائم بلا شريعة ولا نعمة ، أم يقول انه لم تكن للقدماء شريعة فى خصوص الزواج ؟ فنقول له أترك الله عباده وعاداتهم فى الزواج وان تسافدوا تسافد البهائم ؟ دع عنك المشركين ولكن التوراة تقول : منذ ولد انوش بن شيث ابتدأ يدعى باسم الرب وذلك بعد خلق آدم بمائتين وثمانين سنة (انظر تك ٤ : ٢٦ و ٥ : ٣ - ٧)

فالمؤمنون من ذلك الزمان الى زمان ابراهيم وآل ابراهيم فرضنا ان الله لم يجعل لهم شريعة فى الزواج وتركهم وعاداتهم ، ولكن هل كان الله راضياً لهم بتلك العادات التى اصطلحوا عليها لأجل مناسبتها لمصلحة وقتهم أو كان ساخطاً لها ، فإن كان ساخطاً لها فلماذا لم ينههم عنها ويشرع لهم ما يناسب مصلحة وقتهم .

وقد أوحى الله الى ابراهيم وخاطبه فى امور كثيرة وكذا يعقوب ولو ان الله يخاطبهم بقدر ما تذكره التوراة عن خطاب الله لموسى فى تفصيل ثياب هارون والكهنة (خر ٢٨ : ٢ - ٤٢) أو صيدلة البرص (لا ١٣ و ١٤) لكفى فى جعل الشريعة لهم ، أم لم تكن فرصة للرحمة واللطف بخليله وآل

خليله كفرصة طور سيناء أو مصارعة يعقوب (تك ٣٢ : ٢٤ - ٢٩) إلا بقدر الختان المؤلم الذى تخلص منه النصارى . هذا وان كان الله راضياً بتلك العادات على ما ذكرنا فهى شريعة إلهية لهم .

وأيضاً فإن الله سمى سارة بأنها امرأة ابراهيم مراراً عديدة أفلا يكفى هذا فى امضاء زواجها فيكون شريعة (انظر أقلا تك ١٧ : ١٥ و ١٩) دع هذا كله ولكن نبه المتكلف بأنه جاء فى السادس والعشرين من التكوين عن قول الله « من أجل ان ابراهيم سمع لقولى وحفظ ما يحفظ لى أوامرى وفرائضى وشرائعى » ، وسله هل يقول بعد هذا لم ينزل الله على القدماء شريعة أم يقول ان المراد بهذا كله شريعة الختان الواحدة .

(يعقوب وليئة)

ثم سله ما وجه العذر والتخلص عن جمع يعقوب للأختين بقوله (يه ٤ ج ص ١٥٨) ان مسألة يعقوب هى انه خطب راحيل فمكر به أبوها وأعطاه ليئة غير انه استمر على خدمته فأعطاه راحيل .

أتراه يقول ان ليئة لم يكن نكاحها صحيحاً بل كان فاسداً بحسب عادة الوقت لأن يعقوب كان مخدوعا بها ودخل عليها بزعم انها راحيل ولم يعرف انها ليئة حتى أصبح فلا يكون تزوجه براحيل معها من الجمع بين الاختين . نعم ان قال ذلك لم نعترض عليه بأنه يلزم ان يكون اقترانه الفاسد بليئة زنى فيكون يعقوب وحاشاه زانياً مدة حياة ليئة ويكون أولاده منها روابين وشمعون ولاوى ، ويهوذا ، ويساكر ، وزبولون أولاد زنى والعياذ بالله لا يدخلون فى جماعة الله الى الجيل العاشر (تث ٢٣ : ٢) .

ولا نقول إذاً كيف دخل فى جماعة الله جيلهم الرابع والخامس وان منهما موسى كليم الله ، وهارون قدوس الله ، واللاويون حملة تابوت الله ،

وخدام مسكنه وزعماء كهنوته وحفظة شريعته .

فانا بحسب ما ألفناه من أدب المتكلف لا نأمن أن يقول لم ينزل على القدماء شريعة بتحريم الزنى ، أو يقول نعم وقع يعقوب فى خطيئة الزنى هذه المدة المديدة دلالة على ضعف الطبيعة البشرية ثم تاب من خطيئته وزيادة على ذلك ان المولى القدوس العادل سلط عليه ابنه روابين فزنى بزوجته بلهة أم أولاده دان ، ونفتالى ، (تك ٣٥ : ٢٢) انظر به ١ ج ص ١٣ و ١٨ و ٦٦ ويقول أيضاً ان أولاد الزنى الذين لا يدخلون فى جماعة الرب هم العمونيون والموابيون (انظر به ٣ ج ص ٢٦٣) .

﴿ رسول الله وإظهار الحق والمتكلف ﴾

والمتكلف من وغر صدره أو قل من حرية ضميره لما رأى إلزام اظهار الحق لهم بالنسخ فى تزوج عمران بعمته وتحريم ذلك فى شريعة موسى لم يلتفت إلى مراد اظهار الحق وهو انه ان كانت هذه الحكاية صحيحة فلا يمكن عادة لعمران الموحد لله ابن قهات بن لاوى بن يعقوب نبى الله ابن اسحاق نبى الله ابن ابراهيم خليل الله أن يتزوج على غير شريعة تلقاها من آبائه الأنبياء فى إباحة هذا التزويج وصحته .

فيلزم من ذلك وقوع النسخ فى شريعة موسى ، بل توهم المتكلف ان اظهار الحق يحاول التنديد بطهارة ولادة موسى كليم الله فصار يقابله بخرافات القصص ثم زاد فى الإفتراء بالتعرض لقدس رسول الله فى تزويجه بمطلقة غلامه زيد بن حارثة الذى لشدة رأفة رسول الله به صار الناس يدعونه زيد ابن محمد ، فقال غير مبال بالإنتقاد عليه (به ٤ ج ص ١٦٩) .

وماذا نقول : فيمن ادعى ان الله أجاز له أن يتخذ امرأة ابنه وجعل ذلك قانوناً ويا حبذا لو نسخ هذا القانون فإن ذلك كان أحق بالنسخ ، لانه

قانون وخيم ومبدأ ذميم لأنه يسوغ الاقتران بزوجة الابن ولكنه لم ينسخه فهو وصمة باقية مدى الدهور .

فنقول له الحق لا أنت ، يقول ان الله جل شأنه شاء أن يمحق باطل الجاهلية ويلاشي خرافاتهم ويقلع مفاسدها ، وحيث كانوا يرتبون آثار الابن الحقيقي على الدعي جهلا منهم وزوراً يلزم منه مفاسد لا تحصى منها معاملة الدعي لأرحام من يدعي به ونسائه معاملة المحارم الحقيقية في الخلطة والتكشف مع انه ليس هناك علقة واقعية ولا رحم ماسة تصده عن النظر اليهن بالفحشاء والاقدام على المكروه مع كثرة الفرص وعدم الاحتشام في الخلطة فهو كحرامي البيت المذكور في المثل ، وان الغالب على الأدعياء كونهم من أمكنة نائية فلا تعرف نجابتهم من سوء منبتهم ولؤم عنصرهم .

فأوحى الله إلى رسوله الصادع بأمره الذي لم يستعف من رسالته ولم يضجر من أحكامه ان يبطل هذه العادة الذميمة بتبليغه قول الله في سورة الأحزاب ٤ (وما جعل أدعيائكم أبنائكم ذلكم قولكم بأفواهكم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل) ٥ (ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله فإن لم تعلموا آبائهم فإخوانكم في الدين ومواليكم) .

وأمره ايضاً تثبيتاً لإبطال هذه العادة الوخيمة بأن يكون أول عامل بشريعة الحق ومقاوم لخرافات الجاهلية ليكون اسوة للمؤمنين ويرتفع ببركته حرج الأباطيل ، وقد قدمنا الكلام في هذا الشأن في الفصل الخامس عشر في عصمة رسول الله .

ومن عدم موفقية المتكلف في كتابه ان لهج بهذا الإفتراء وتسميته لزيد ابناً لرسول الله حتى ان الغافل ليحب أن يعرف ان هذا هو الابن البكر لرسول الله أو من سائر أولاده ، وهل كانت امه مبغوضة أو ميتة ، فإن الغافل لا يخطر في خياله ان أحداً يصر على الإفتراء بهذا المقدار من الإصرار

ولا سيما فى كتاب يطبع وينشر فى العالم لنصرة الديانة فى مقابلة امة عظيمة راسخة القدم فى العلوم الدينية ولكن .

لا تنتهى الأنفس عن غيها ما لم يكن منها لها زاجر

وبماذا يأتى وينفر المغفلين من قومه إلا بهذا التمويه فإن قدس رسول الله ليس لقائل فيه مغمز .

﴿ سؤال ﴾ هل تقدر أن تكشف ما هو المنشأ فى إصرار المتكلف على إلصاق الدعى بمن يدعى به حتى صار يضجر من هذه الشريعة التى محقت باطل الادعياء وردت الامور إلى حقائقها .

(٦ - نسخ التوراة لحكمها فى محرقة السهو)

جاء فى رابع اللاويين عن الشريعة الموضوعة فى جبل سيناء (١٣ - ٢٢) انه إذا سهى كل جماعة اسرائيل واخفى أمر عن المجمع وعملوا واحدة من مناهى الرب يقرب المجمع ثوراً ذبيحة خطيئة محرقة ، مع تفصيل فى كيفية تقديمه وحرقه من دون ذكر فى الشريعة لتقدمه أو سكيب أو ذبيحة اخرى .

وجاء فى الخامس عشر من العدد عن الشريعة الموضوعة فى برية فاران (٢٤ - ٢٦) فى حكم هذا الموضوع المتقدم بأن يقدموا مع الثور المذكور تقدمة وسكيباً وتيساً ، وهو نسخ للحكم بكفاية الثور فى الشريعة الاولى .

قال المتكلف (يه ٤ ج ص ١٩٢) ان الذبائح متنوعة فالعبارة فى سفر اللاويين عن ذبيحة الاثم ، وفى سفر العدد عن ذبيحة الاثم مع النذور كما يتضح لمن طالع العبارتين .

أقول : يتضح من مطالعة العبارتين وكلام المتكلف هذا أحد أمرين اما انه لم يطالع العبارتين وإنما تحكم فيهما على نقل إظهار الحق المجمل ، واما انه لا يبالى بما يقول وما يظهر عليه اعتماداً على أن المسلمين وغالب النصارى

لا ينظرون فى التوراة نظر مستقص فى أحكامها ، ولا أقول انه لم يفهم معنى التوراة لأنه لا يخفى حتى على الغبى انه لا دخل للنذور ولا ربط فيما بعد الثانية والعشرين من خامس عشر العدد أصلا وليس فيها ما يوهم ذلك ، وهاك نص العبارة ٢٤ فإن عمل خفية عن أعين الجماعة سهواً يعمل كل الجماعة ثوراً واحداً ابن بقر محرقة لرائحة سرور للرب مع تقدمته وسكيبة كالعادة وتيساً واحداً من المعز ذبيحة خطيئة ٢٥ فيكفر الكاهن عن كل جماعة بنى اسرائيل فيصفح عنهم لأنه كان سهواً .

﴿ ٧ - أيضاً امرأة الأخ ﴾

وقد حرمت التوراة امرأة الأخ من دون استثناء فى الشريعة الموضوعة فى جبل سيناء (لا ١٨ : ١٦ و ٢٠ : ٢١) ثم بعد أربعين سنة تقريباً نسخت هذا التحريم العام فى الشريعة الموضوعة على عبر الاردن واوجبت على أخى الزوج الميت الذى لم يخلف ولداً أن يتزوج بامرأة أخيه الميت ليقيم له نسلا فإن أبى تقدمه المرأة إلى الشيوخ وتخلع نعله وتبصق فى وجهه امام الشيوخ ويدعى اسمه بيت مخلوع النعل (تث ٢٥ : ٥ - ١١) .

ولئن حاول المتكلف أن يجعل الحكم الثانى من قبيل التخصيص للحكم الاول لا من النسخ ، فانا سنوضح بعون الله ان ما كان بيانه بعد العمل بالعام فهو من الناسخ لا من المخصص ، وقد بقى الحكم الأول على عمومه أربعين سنة تقريباً وكلها وقت العمل ، فإن بنى اسرائيل كانوا مئآت الألوف وقد كثر فيهم الموت ، وبالضرورة يتفق عندهم فى كل سنة كثير من موارد الحكم العام بأنواعها .

﴿ ٨ - التوراة وداود وعمر اللاويين ﴾

جاء فى شريعة التوراة مرة ان اللاوى الذى يوظف لخدمة المسكن

وخيمة الإجتماع يكون من ابن ثلاثين سنة إلى خمسين كما فى رابع العدد من النسخة العبرانية وتراجمها ، وجاء مرة اخرى انه يكون من ابن خمس وعشرين سنة (عد ٨ : ٢٤ و ٢٥) وحيث انا لم نتحقق من التوراة العبرانيـــة ان أى الحكمين كان متقدماً ولم يظهر لنا ان رفع الأول منهما كان بعد العمل به أو قبله فلم نجزم هاهنا بأن أحدهما ناسخ للآخر ، خصوصاً وقد خالفتها الترجمة السبعينية فانها ذكرت الخمس وعشرين سنة فى المقامين فلا اختلاف ، وعلى كل حال فلا بد من استمرار العمل على الخمس وعشرين سنة أو الثلاثين إلى أن نسخة داود النبى وجعل الموظف من اللاويين لخدمة المسكن ، وخيمة الإجتماع يكون من ابن عشرين سنة فما فوق ، ففى الثالث والعشرين من الأيام الاول ٢٤ هؤلاء بنو لاوى حسب بيوت آبائهم رؤوس الآباء حسب احصائهم فى عدد الأسماء حسب رؤوسهم عاملوا العمل لخدمة بيت الرب من ابن عشرين سنة فما فوق ٢٥ لأن داود قال قد أراح الرب إله اسرائيل شعبه فسكن فى اورشليم الى الأبد ٢٦ وليس للاويين بعد أن يحملوا المسكن وكل آنية لخدمته ٢٧ لأنه حسب كلام داود الأخير عد بنو لاى من ابن عشرين سنة فما فوق .

ولست أدرى ماذا يقول المتكلف هاهنا ؟ أيقول ان الله جل شأنه وضع الحكم الأول محدوداً فى سابق علمه بمصلحته الموقتة ، ثم لما تجددت حال اخرى ومصلحة اخرى أعلن الله لنبيه داود ما يناسبها من الحكم كما ذكر فى كلام داود ثم ليقل مع ذلك وعلى كل حال فلا ناسخ ولا منسوخ كما لهج به ، أم يقول ان هذا تصرف من داود بالشريعة بغير حق وقد أخطأ فيه كما أخطأ فى شأن اوريا وامرأته وكان هذا الخطأ منه بعد قوله فى الكلمات الإلهامية التى هى كلام الله السميع العليم حفظت طرق الرب ولم اعص إلهى لأن جميع أحكامه أمامى وفرائضه لا أحيد عنها وأكون كاملا معه واتحفظ من إثمى (٢ صم ٢٢ : ٢٢ و ٢٣ و مز ١٨ : ٢١ - ٢٣) .

وأخطأ ايضاً بنو اسرائيل ، وعزرا ، وحجى وزكريا ، الأنبياء إذ جروا على فعل داود وتركوا شريعة موسى فوظفوا للخدمة فى المسكن من اللاويين من كان ابن عشرين سنة فما فوق (عز ٣ : ٨) .

(٩ - ١١ التوراة وحزقيال والمحرقة اليومية)

جاء فى التوراة ان محرقة كل يوم خروفان حوليان احدهما للصباح ، وثانيهما لما بين العشائين . وتقدمة كل واحد من الخروفين عشر الأيفة من دقيق ملتوت بربع الهين من زيت وسكيبة ربع الهين (عد ٢٨ : ٣ - ٩) .

وجاء فى حزقيال ان محرقة كل يوم حمل حولى يعمل صباحاً صباحا وتقدمته سدس الايفة دقيق وثلث الهين لرش الدقيق (حز ٤٦ : ١٣ — ١٦) . فنسخ شريعة محرقة الليل (٢) ومقدار الدقيق (٣) ومقدار الزيت فى تقدمة الصباح .

(١٢ - ١٦ وأيضاً محرقة السبت)

فقد جاء فى التوراة انها خروفان حوليان وتقدمتها عشران من دقيق ملتوت بزيت مع سكيبة (عد ٢٨ : ٩) .

وجاء فى حزقيال ان محرقة السبت ستة حملان وكبش وتقدمتها ايفة للكبش . وهين زيت للأيفة وللحملان عطية يد الرئيس (حز ٤٦ : ٤ و ٥ : ١) فنسخ حكم الخروفين (٢) ومقدار التقدمة للكبش (٣) وما يناسب الدقيق من الزيت (٤) ورفع حكم السكيب (٥) زاد عطية الرئيس فى تقدمة الحملان .

(١٧ - ٢١ وأيضاً محرقة رأس الشهر)

فقد جاء فى التوراة انها ثوران وكبش واحد وسبعة خراف حولية وتقدمتها لكل ثور ثلاثة أعشار من دقيق ملتوت بزيت وللكبش عشران

ولكل خروف عشر وسكائبهن نصف الهين من الخمر للثور وثلث الهين للكبش وربع الهين للخروف ، ويضاف إلى ذلك تيس من المعز ذبيحة خطيئة (عد ٢٨ : ١١ - ١٦) .

وفى حزقيال ثور واحد وستة حملان وكبش . والتقدمة ايفة للثور وايفة للكبش وللايفة هين من زيت وللحملان ما تناله يد الرئيس (حز ٤٦ : ٦ و ٧) فنسخ حكم الثورين والخراف (٢) وتقدمة الثور والكبش (٣) وما يناسب الدقيق من الزيت (٤) وحكم السكيب (٥) وزاد عطية الرئيس فى تقدمة الحملان .

(٢٢ - ٢٥ وأيضاً محرقة الفصح)

وذكرت التوراة لمحرقات سبعة أيام الفصح وتقدماتها لكل يوم نحو ما ذكرت لمحرقات أول الشهر (عد ٢٨ : ١٦ - ٢٥) .

وفى حزقيال ان لكل يوم سبعة ثيران وسبعة كباش وتيساً ذبيحة خطيئة ، وتقدماتها ايفة للثور وايفة للكبش وهين من زيت للايفة (حز ٤٥ : ٢٣ و ٢٤) ، فنسخ حكم الذبائح (٢) وتقدمتها (٣) وما يناسبها من الزيت (٤) وحكم السكيب .

(٢٦ - ٢٩ وأيضاً محرقات عيد المظال)

فذكرت التوراة فيه محرقات السبعة أيام مختلفات العدد أكثرها فى اليوم الخامس عشر من الشهر السابع ثلاثة عشر ثوراً وكبشان وأربعة عشر خروفاً حولياً مع تيس ذبيحة خطيئة ، وتقدمتها لكل ثور ثلاثة أعشار من دقيق ملتوت بزيت وعشران لكل كبش وعشر لكل خروف ، وينقص العدد فى الأيام فيكون فى اليوم السابع سبعة ثيران وكبشين وأربعة عشر خروفاً ، وتقدماتها وسكائبها على نحو ما تقدم (عد ٢٩ : ١٢ - ٣٩) .

وفى حزقيال ان الرئيس يعمل فى سبعة أيام عيد المظال محرقة نحو ما يعمله فى عيد الفصح (حز ٤٥ : ٢٥) فنسخ حكم الذبائح (٢) وتقدماتها (٣) وما يناسبها من الزيت (٤) وحكم السكيب .

﴿ وأيضاً ما هو للرئيس وما عليه وعليك تعداد ما فيه من النسخ ﴾

لم يجىء فى التوراة شريعة التقدمة للرئيس على اسرائيل ولم تجعل عليه بازاء ذلك المحرقات وتقدماتها وسكيبها فى الأعياد والشهور والسبوت والمواسم بل ذكرت التوراة ان هارون يأخذ من جماعة بنى اسرائيل تيسين لذبيحة خطيئة وكبشا لمحرقة (لا ١٦ : ٥) وان القرابين وذبائح السلامة وذبائح الكفارة وذبائح الخطيئة والإثم ، وسائر التقدمات يقدمها بنو اسرائيل بأنفسهم (انظر سفر اللاويين من أوله إلى السادس منه) . وكان حق الكهنة على اسرائيل الساعد والكرش من الذبائح والباكورات (تث ١٨ : ٣ و ٤) وقرابينهم وتقدماتهم ، وذبائح خطاياهم ، وذبائح آثامهم ، والابكار ، والباكورات وحق بنى لاوى على اسرائيل هى العشور (عد ١٨ : ٨ - ٢٢) . وقد جاء فى حزقيال ضد هذه الشرائع فجعل على بنى اسرائيل تقدمة للرئيس سدس الايفة من حومر الحنطة والشعير أى سدس العشر من الحومر وبث من الزيت أى عشر الكر ، وشاة واحدة من مائتين . وجعل على الرئيس بازاء ذلك المحرقات وتقدماتها وسكيبها فى الأعياد ، والشهور والسبوت وكل مواسم بيت اسرائيل وهو يعمل ذبيحة الخطيئة والتقدمة والمحرقة وذبائح السلامة للكفارة عن بيت اسرائيل (حز ٤٥ : ١٧) .

وعلى هذا فإن كان ما ذكرناه عن حزقيال صادراً عن وحى إلهى كما نسبه إلى قول السيد الرب فلا محيص فيه عن القول بالنسخ فى هذه الشرائع المختلفة المتباينة ، أو يقال بأنه من التشويش وتلاعب الأيام الطارىء على العهد

القديم كما بنى عليه إظهار الحق كلامه .

ولكن المتكلف لا يرضى بشيء من ذلك ويقول النسخ مناف لحكمة الله وعلمه (يه ٤ ج ص ١٥٥) وكتاب الله منزه عن الناسخ والمنسوخ (يه ٤ ج ص ١٨٤) ، ويقول (يه ١ ج ص ٩١ و ١٧٧) ما حاصله انه لما كان حزقيال مع بنى اسرائيل فى سبى بابل ذكر لهم الهيكل والفرائض المقدسة ليؤكد لهم ان المولى سيعيدهم إلى وطنهم وتشويقاً لهم الى تلك الأوقات السعيدة .

وثانياً أن عبارته نبوية استعارية يشير بها إلى أمجاد المسيح فاطلق الهيكل على كنيسة المسيح . وعلى كل حال فلا يوجد أدنى تناقض بين أقواله وسفر العدد لاختلاف الموضوع فإن حزقيال لم يأت بما ينافى شريعة موسى .

أقول : قد ذكرنا لك موارد المناقضة والمنافاة بين ما يذكر عن شريعة حزقيال وشريعة موسى ، فطابق أنت لأجل الإستيضاح ما بين الخامس والأربعين والسادس والأربعين من حزقيال وما بين شريعة التوراة وخصوص الثامن والعشرين والتاسع والعشرين من العدد وقل ما ترضاه لك حرية ضميرك ومجد فهمك وشرف صدقك ومعرفتك وانظر الى انه هل يرضى لك ذلك أن تقول لا نسخ هاهنا ولا تناقض ولا منافاة بل ان عبارة حزقيال نبوية استعارية تشير إلى أمجاد ملكوت المسيح فأطلق الهيكل على كنيسة المسيح أم تقول بابتداء فهمك وأول فطرتك أين هذه المقامات وأين الهيكل وأين الكنيسة بل لا بد للكلام من معنى ، وللإشارة قانون يميزها عن الهذيان ، وان للكلمات نقاداً وللحقائق رصاداً وليس كل الناس أبناء الحياد عن الصواب ولاسيما هذه الأجيال المتنورة .

﴿ (٣٠ و ٣١ و ٠٠٠) التوراة والمسيح والطلاق والتزوج بالمطلقة ﴾

شرعت التوراة طلاق الرجل لامرأته إذا لم تجد نعمة فى عينه لأنه وجد

فيها عيب شيء وشرعت ايضاً تزوج رجل آخر بهذه المطلقة (تث ٢٤: ١ - ٤) ، ونسخ الانجيل هذا الحكم بقوله عن المسيح من طلق امرأته إلا لعلة الزنى يجعلها تزنى ومن يتزوج مطلقة فإنه يزنى (مت ٥ : ٣٢ و ١٩ : ١٩ ومر ١٠ : ١١ و ٢٢ ولو ١٦ : ١٨) .

وقد حاول المتكلف فى تبديل الانجيل لشريعة التوراة فى الطلاق والتزوج بالمطلقة ان يجعله من قسم التخصيص المصطلح لا من قسم النسخ (انظر به ٤ ج ص ١٧٠ و ١٧١) فأطال وحرف وخلط فراجعه . وهذا اما من عدم الوصول إلى الفارق المعنوى المميز بين التخصيص والنسخ ، واما من الفرار إلى التمويه والمغالطات .

فاعلم ان التخصيص فى الإصطلاح هو ان يأتى المتكلم فى خطابه بلفظ عام ولكنه لا يريد منه العموم لجميع أفراده بل يريد بعضها ، وحينئذ يلزمه فى قانون التفهيم وصحة الخطاب ان يأتى على وفق مراده من العام بالمخصص المتصل أو المنفصل ليكون بياناً للمراد قبل ان يحضر وقت العمل من المخاطب فينكشف بالمخصص ويتبين مقدار ما أراده من العام فى أول الأمر وحين الخطاب .

مثاله ان يقول المتكلم اكرم الكتاب وهو يريد من عموم الكتاب من لم تكن عادته التمويهات ومزخرفات الاباطيل ، فعليه فى قانون البيان أن يقول متصلا أو منفصلا قبل حضور وقت الاكرام المأمور به لا تكرم كتاب التمويهات والأباطيل . فالتخصيص المصطلح هو البيان لإرادة البعض من أفراد العام فى أول الخطاب .

وأما إذا تأخر ورود الخاص عن وقت العمل بالعام واستمر العام على عمومه مئآت من السنين وصح العمل بجميع أفراده اعتماداً على عموم لفظه فى هذه المدة كما فى شريعة التوراة فى الطلاق فليس ذلك من التخصيص المصطلح

بل إنما هو نسخ ورفع للحكم عن بعض أفراد العام بعد إرادة المتكلم لعمومه فإنه لو لم يرد عمومه على طبق اللفظ لوجب عليه فى الحكمة أن يبين مقدار مراده من أفراد العام قبل حضور وقت العمل ، ولا يؤخره عن ذلك ، فإنه يكون بهذا التأخير مغرياً بالجهل مقصراً فى بيان المراد عند الحاجة إلى البيان ولا شك فى قبح ذلك فى حكمة الكلام وصواب المحاورات .

فيكشف ورود الخاص قبل وقت العمل عن إرادة بعض أفراد العام حين الخطاب وهو معنى التخصيص المصطلح .

ويكشف تأخر الخاص عن وقت العمل عن ان العموم مراد من حين الخطاب إلى حين مجىء الخاص فيكون الخاص رافعاً لحكم العام المراد على عمومه وهذا من حقيقة النسخ الذى كشفنا عن معناه فى أول المقدمة ، فإن صح صح النسخ بجميع أقسامه ولو كان النسخ باطلا لكان هذا باطلا ايضاً لأن الجهة فيهما واحدة وهى رفع الحكم الثابت والشريعة السابقة .

ولا يخفى ان حكم التوراة فى الطلاق عام لكل عيب فى المرأة حتى عيب سوء الخلق والخلقة ولم يبين تخصيصه فى التوراة ولا من موسى بعيب الزنى بل عمل بنو اسرائيل بالعموم وصاروا يطلقون من لم تجد نعمة فى أعينهم لكل عيب إلى زمان المسيح ، كما يشهد بذلك الانجيل الرائج فى نقله لكلام المعترضين على المسيح فى أمر الطلاق واقرار المسيح لاعتراضهم ، وجوابه بأن موسى جوز لهم ذلك من أجل قساوة قلوبهم (مت ١٩ : ١ - ٩ و مر ١٠ : ٢ - ٦) وهذا هو النسخ ، فإن فر المتكلف من تسميته نسخاً ، واقترح الخلط فى الإصطلاح بتسميته تخصيصاً جاريناه ، وقلنا : ان محل كلامنا هذا النحو من التخصيص .

ومن الظرائف المؤنسة ان المتكلف قد نسى موضوع الكلام فى هذا المقام وهو الطلاق فعقبه كالمستنتج بقوله .

وقد أقام المسيح دليلا مقنعاً باهراً على ان المولى سبحانه وتعالى خلق لآدم حواء ولو كان تعدد الزوجات جائزاً لخلق له امرأتين ولكن المولى سبحانه وتعالى هو العليم الحكيم يضع كل شيء فى محله ويعرف ما يكون سبباً فى عمار البيوت وما يعجل بخرابها غير ان الإنسان زاغ عن شريعة الله لفساده وانحرافه وقسوته وتكبره واعجابه بنفسه .

فنقول (أولا) : ما ربط هذا الكلام بمسألة الطلاق ونسخه ، وأى تعلق له بما قبله من الكلام .

(وثانياً) ما ربطه بالإحتجاج المنسوب إلى المسيح فإنه مع ما ذكرنا فيه من الوهن مسوق لعدم التفريق بين الرجل وامرأته (انظر مت ١٩ : ٤ - ٧).

(وثالثاً) ان هذا النحو من الإحتجاج يبطل عليهم مشروعية رهبانيتهم وترك الزواج فيقال لهم لو كانت الرهبانية وترك الزواج جائزاً لما خلق الله لآدم زوجة ، ولكن الله هو العليم يعلم ما يكون سبباً فى تناسل البشر وحفظ النوع غير ان الإنسان يبتدع ما لم ينزل الله به من سلطان .

(ورابعاً) ان هذا الإحتجاج من المتكلف إنما تكون له صورة غير قبيحة إذا قلنا بوجوب تعدد الزوجات عقلا وفى كل شريعة ، وأما إذا قلنا بالجواز فلا يصلح هذا الإحتجاج حتى للمغالطة ، إذ نقول : ان الله اختار لآدم أحد الأمرين الجائزين ، بل لا بد أن يكون على أحد الأمرين الجائزين على كل حال .

(وخامساً) قد قلنا فى هذا الاحتجاج المقنع الباهر : يقتضى انه لا يجوز لبس الثياب لأن الله خلق آدم وحواء عريانين وبقيا على ذلك مدة من الزمان ، فلو كان لبس الثياب جائزاً لخلق لهما ثياباً من أول الأمر ، ولكنه لم يكن من البدء هكذا ، (فإن قلت) : ان الله قد صنع لهما بعد ذلك أقمصة من جلد .

(قلت) : وقد شرع الله لموسى شريعة الطلاق ، وبقيت هذه الشريعة باعتراف المتكلف نحو ألف وخمسمائة سنة والكل من الله وفى الكل لم يكن من البدء هكذا .

وأما قوله ولكن المولى هو العليم الحكيم يضع كل شيء فى محله إلى آخره فأمر المتكلف دائر فيه بين أمرين أما انه لا يبالى بمايقول ولا دراية له لا من العهد القديم ولا من أهل العلم بأن تعدد الزوجات كان جائزاً قبل المسيح فى الشريعة ، وعلى جوازه نصت التوراة . سامحناه فيما فعله ابراهيم ويعقوب لزعمه الفاسد انه لم تكن قبل موسى شريعة .

ولا نقول له ان جدعون النبى بدلالة تكرر كلام الله معه كما فى السادس والسابع من القضاة قد كانت له نساء كثيرات (قض ٨ : ٣٠) .

وكذا داود النبى وسليمان ، لأنا قد ألفنا من أدب المتكلف ان يقول ان هؤلاء فعلوا خلاف الشريعة وأخطأوا وتابوا فعاقبهم المولى . ولكنانقول له ان التوراة صريحة فى جواز تعدد الزوجات (انظر تث ٢١ : ١٥ - ١٨) فكيف وضع الله هذه الشريعة ؟ أتراه يريد أن يخرب بيوت شعبه وأبنائه بل ابنه البكر (خر ٤ : ٢٢ و ٢٣ و ار ٣١ : ٩) .

واما ان يكون المتكلف يعرف ذلك من التوراة والعهد القديم ولكنه كما يظهر من أواخر كلامه هاهنا قد نحسه ما ينقل من عقيدة (مانى كيز) وأصحابه حيث يقولون ان الذى اعطى موسى التوراة وكلم الأنبياء الإسرائيلية ليس باله بل شيطان من الشياطين أو الإله الثانى خالق الشر نقله إظهار الحق فى الجزء الثانى عن تاريخ (بل) وتفسير (لاردنر) ، أو انه أخذ ذلك مما عن قول (بولس) فإنه يصير ابطال الوصية السابقة من أجل ضعفها وعدم نفعها (عب ٧ : ١٨) ، فإنه لو كان الأول بلا عيب لما وجد موضع لثان (عب ٨ : ٧) .

أو من القول المنسوب للمسيح الحق ، الحق أقول لكم انى أنا باب الخراف جميع الذين جاءوا قبلى هم سراق ولصوص (يو ١٠ : ٧ و ٨) ، أو مما نقله (وارد كاتلك) عن كتاب (للوطر) من قوله نحن لا نسلم موسى ولا توراته لأنه عدو عيسى .

وقوله انه استاذ الجلادين انظر إلى الوجه الحادى عشر من الفصل الرابع من الباب الأول من إظهار الحق ، أو قول (سايل) والرسالة المنسوبة (لعبد المسيح الكندى) ان الله تساهل مع اليهود فأعطاهم أحكاماً غير صالحة وفرائض لا يحيون بها .

ثم من ذا الذى عناه بقوله غير ان الإنسان زاغ عن شريعة الله إلى آخر كلامه ، أتراه يعنى موسى النبى فى شريعة تعدد الزوجات ، أم جدعون وداود ، وسليمان الأنبياء ، أم جميع الناس من يعقوب ومن قبله ومن بعده من بنى اسرائيل أو أنبيائهم الى زمان تحريمه فى النصرانية .

واما ادعاءه خراب البيوت بتعدد الزوجات فباطل بالوجدان لما نرى عليه المسلمين منذ أربعة عشر قرنا .

بل إذا اعطيت الحكمة حقها من التدبر دلت بأوضح دلالة على ان الله الرؤوف العليم الحكيم لم يكن ليخلق النساء اكثر من الرجال بأضعاف كما يشهد به الاحصاء . ثم يشرع فى أمرهن شريعة توجب حرمان اكثرهن عن قضاء اوطر من الشهوة المقلقة التى أودعها الله فيهن ويسبب بشريعته تعطيلهن عن فائدة التناسل التى جعل فيهن قابليتها مع انها أشرف الفوائد وأحبها إلى الانسان فيبقين بمقتضى الشريعة فى كمد عيش العزوبة والترمل حتى يترتب على ذلك ما يترتب من العواقب الذميمة انظر الى حوادث البشر ولو لا محذور سوء القالة لأشرنا الى جملة منها ، ولم يكن الله ليعطل الرجال عن بركة التناسل إذا عقمت نساؤهم أو يئسن من المحيض أو مرضن مرضاً مزمناً .

﴿ (٣٢ و ... الحلف ﴾

لم تمنع التوراة من الحلف والقسم بل أمرت بعدم نقضه (عد ٣٠ : ٢) وقد منع الانجيل منه بالكلية (مت ٥ : ٣٣ - ٣٨) .

﴿ (٣٣ و ٣٤ و ...) القصاص والسياسة ﴾

وقد شرعتها التوراة ونهت عن الاشفاق فيها (خر ٢١ : ٢٣ - ٢٥ و لا ٢٤ : ١٩ و ٢٠ و تث ١٩ : ٢١) .

﴿ ٣٥ و ٣٦ و ... الدفاع والمطالبة بالأموال ﴾

وشرعت التوراة دفاع السارق ولو بقتله والمطالبة بالأموال وغراماتها والمحاكمة فيها انظر إلى الثانى والعشرين من الخروج .

ونهى الانجيل الرائج عن القصاص والسياسة والدفاع والمطالبة بالأموال ، وجعل ذلك من مقاومة الشر بالشر (مت ٥ : ٣٨ — ٤٢ ولو ٦ : ٢٩) .

﴿ ٣٧ و ... الصوم ﴾

وقد كثر فى العهد القديم ذكره والتقرب والتضرع به إلى الله « قض ٢٠ ٢٦ و مر ٣٥ : ١٣ و اش ٥٨ : ٣ - ٧ و زك ٧ : ٥ و ٦) وغير ذلك ، وكذا فى العهد الجديد « مت ٤ : ٢ » وكان تلاميذ يوحنا المعمدان يكثرون منه . وقد أبطله نقل الانجيل عن المسيح وألغاه عن تلاميذه ما دام موجوداً فيهم وضرب الأمثال لعدم مناسبته (انظر مت ٩ : ١٤ - ١٨ و مر ٢ : ١٨ - ٢٣ و لو ٥ : ٣٣ - ٣٩) .

﴿ ٣٨ و ... الانجيل والانجيل بشارة الرسل ﴾

فى الانجيل ان المسيح أوصى تلاميذه فى أول الأمر حين أرسلهم للتبشير بقوله إلى طريق امم لا تمضوا وإلى مدينة للسامريين لا تدخلوا بل

اذهبوا بالحرى الى خراف اسرائيل الضالة (مت ١٠ : ٥ و ٦) .

ويؤيد هذا الحكم وظهوره فى الدوام ما عن قول المسيح لم ارسل إلا إلى خراف بيت اسرائيل الضالة . ثم نسخ هذا الحكم ورفعه بما عن قوله للتلاميذ ايضاً فاذهبوا وتلمذوا جميع الامم وعمدوهم باسم الأب والابن والروح القدس وعلموهم ان يحفظوا جميع ما أوصيتكم به (مت ٢٨ : ١٩ و ٢٠) .

وقوله ايضاً : اذهبوا إلى العالم أجمع واكرزوا بالانجيل للخليقة كلها (مر ١٦ : ١٥) .

﴿ تنبيه ﴾ جاء فى الانجيل ان المسيح أمضى شريعة موسى على متبعيه وثبتها وأمر باتباعها بقوله للجموع وتلاميذه ، على كرسى موسى جلس الكتبة والفريسيون فكل ما قالوا لكم أن تحفظوه فاحفظوه وافعلوه (مت ٢٣ : ١ - ٣) .

ومقتضى انجيل (متى) ان هذا الكلام كان فى (اورشليم) قبل الفصح الذى جرت فيه حادثة الصليب بيومين (انظر مت ٢٣ - ٢٦ : ٢) فيكون فى أواخر أيام المسيح على الأرض وبناء عليه تكون شريعة التوراة شريعة المسيح باعتبار هذا الإمضاء والتثبيت والأمر بالاتباع لها ، فكل نسخ جاء بعد هذا من الرسل لشريعة التوراة يرجع فى الحقيقة إلى نسخ شريعة موسى والمسيح .

﴿ ٣٩ و ... التوراة والرسل والختان ﴾

وهو شريعة الله لابراهيم وذريته ومتبعيه وعلامة عهده معهم (تك ١٧ : ٩ - ١٥) .

وشريعة موسى (لا ١٢ : ٣) وقد جعله شرطاً فى جواز الأكل من الفصح (خر ١٢ : ٤٣ - ٤٩) وقد استمرت هذه الشريعة إلى أن ختن بها

المسيح (لو ٢ : ٢١) وبقيت مستمرة ما دام فى الأرض وبعد ذلك مدة فى زمان الرسل ، ثم نسخه الرسل ورفعوا وجوبه عن المؤمنين من الامم فى ضمن ما رفعوه فى المشورة بينهم- (انظر خامس عشر الأعمال) ، ثم نسخه (بولس) ورفعه رفعاً كلياً (انظر روميه ٣ : ١ و ٣٠ و ٤ : ١٠ - ١٣ و ١ كو ٧ : ١٨ - ٢٠ و غل ٦ : ١٥) .

وقد أطال المتكلف فى كلامه فى هذا المقام ولم يأت فيه إلا بتناقض أطرافه وسوء الحياد عن الجواب (انظر به ٤ ج ص ١٧٥ و ١٧٦) .

قلنا أيها الكاتب ان الختان الذى كان واجباً فى شريعة ابراهيم وشريعة موسى إلى شطر من أيام الرسل اما ان تقول فيه ان وجوبه مختص بذرية ابراهيم وان شريعة التوراة لا تعم غير بنى اسرائيل ، ونسامحك عما فى هذه الدعوى من مخالفة العهدين ، واما ان تقول بأن شريعته عامة لكل الناس وانه علامة عهد الإيمان بين الله وبين المؤمنين .

وعلى كل تقدير فقل هل هو إلى الآن واجب على نحو وجوبه الأول . وان الرسل لم يتعرضوا لرفع وجوبه بوجه من الوجوه وغاية ما بينوا انه لا يخلص بدون الايمان ، أو تقول انه الآن ومن زمان مشورة الرسل فى شأنه غير واجب بوجوب شريعته السابقة بل رفع ثقله لأنه كان رمزاً إلى المعمودية والمعمودية تشير إلى الغسل بدم المسيح ، وقد انقضى زمان الرمز وجاء زمان الخلاص المرموز اليه . أجب بأحد الأمرين ثم اعرف أين تقول فلا ناسخ ولا منسوخ .

﴿ عبد المسيح الكندى ﴾

ومن الظرائف المؤنسة انه قد ظهرت فى القرون المتأخرة رسالة نصرانية تنسب لعبد المسيح الكندى وانه كان فى زمان بنى العباس ومن جملة ما فيها

قوله ان الله جل اسمه لما كان مزمعاً أن يدخل بنى اسرائيل الذين هم ولد ابراهيم الى أرض مصر ولم يزل عالماً ان الشره سوف يحملهم على ارتكاب الفواحش التى حرمها عليهم ونجس أهلها جعل هذا سبباً لمن أراد ارتكاب الفاحشة من امرأة مصرية نظرت الى هذه العلامة التى فى جسده وهى الختان فامتنعت ولم تواته فوسمهم الله بهذه السمة لهذه العلة .

أقول وغرضه من هذا الكلام هو أن يعتذر عن تركهم للختان بمجرد المشورة فى رفعه مصانعة للأمم مع انه عهد الله الذى يحفظ فى الأجيال . وعلامة العهد بينه وبين المؤمنين ، والذى لا يختتن يقطع من شعبه لأنه نكث عهد الله (تك ١٧ : ٩ - ١٥) .

وشريعة موسى وشرط فى عمل الفصح والأكل منه كما أشرنا اليه ، ولكن هذا الرجل لو لم يعتذر لكان خيراً لأدبه مع أنبياء العهدين ولاعتذاره مثل مشهور فى الشعر فإنه حاول أن يتخلص من اللوم بكذبة ينسب فيها أنبياء العهدين الى غاية الجهل بالحقائق ، وأسرار الأحكام من (يوشع) النبى الى رسل العهد الجديد ويكون هو أعرف منهم بوجوه الأحكام وحقائق الشريعة ، وإذ عرف المجيب هذه العلة فليقل لماذا جاء فى كتب إلهامهم ان الله أمر يوشع أن يختن بنى اسرائيل من ابن أربعين سنة فما دون فحملهم هذا الأذى الشديد وعرضهم لفتك العدو بهم قبل ما يبرأون من جراحة الختان وقال بختانهم اليوم دحرجت عنكم عار مصر وهى (غرلة الشرك) هذا كله وقد مضى لهم من خروجهم من مصر أربعون سنة (انظر يش ٥ ، ٢ - ١٠) ولماذا لم يتنبه باقى أنبياء بنى اسرائيل الى هذه العلة فى الختان ليرفعوه ؟ ولماذا لم يخبرهم الروح القدس بذلك ؟ ولماذا لم يرفعه المسيح لهذه العلة ويحتج بها لرفعه كما احتج للنهى عن الطلاق مع أن صورة الإحتجاج بها أوجه من صورة حجة الطلاق الواهية كما عرفت .

وأيضاً لماذا أمر التلاميذ والجموع بحفظ ما يقوله الكتبة والعمل به لأنهم جلسوا على كرسى موسى مع انه يعلم انهم يشددون فى وجوب الختان . ولماذا لم يرفعه الرسل لأجل هذه العلة بل ابقوا شريعته بعد المسيح مدة تزيد على خمسة عشر سنة ، ولماذا لما أرادوا دفعه عن الامم مصانعة بالتخفيف عنهم لم يحتجوا لرفعه بهذه العلة بل تشبثوا لرفعه بمجرد استحسانهم للتخفيف عن الامم ورفع الثقل عنهم (انظر خامس الأعمال بتمامه) .

وأيضاً صرح العهد الجديد عن قول (بولس) ان ابراهيم أخذ علامة الختان ختماً لبر الايمان الذى كان فى العزلة (رو ٤ : ١١) ولم يعلله بولس بما ذكره هذا الرجل تمويهاً من دون تدبر .

وأيضاً لماذا لم يحتج بولس بهذه العلة مع انه لهج فى كتبه برفعه وتقلب فى وجوه الإحتجاج لذلك .

هذا وانى احاشى الحواريين من التعرض لرفع الختان وإنما هو ممن حاول ان يستجلب الامم إلى رئاسته ولو بهدم الشريعة ، وإنما نسبته لهم جدلا لمن ينسبه لهم ، ويتضح مما ذكرنا ان هذا الرجل يدعى معرفة بشىء جهله الأنبياء والمسيح ورسل العهد الجديد ، وإذا اتضح ما ذكرنا فإنى أرجو رجاء ناصح من عموم النصارى وخصوص المقلدين لأكابرهم ان لا يقبلوا قول أكابرهم حتى يفحصوا عنه ولا أقل من مطابقته مع العهدين التى هى كتب إلهام عندهم ، فإنى على يقين بأن العهدين على ما فيهما مباينان لأكثر أقوال الأكابر مبطلان حججهم ودعاويهم ، ولا يخفى على عاقل ان الله جل شأنه لا يقبل من العباد عذرهم عن ضلالهم بقولهم : أطعنا ساداتنا وكبرائنا واعتمدنا على أقوالهم فى الدين والإيمان ، كيف وقد اتضح بفضل الله مصادمة أقوال الأكابر لكتب العهدين التى هى دستور ديانتهم كما عرفته وتعرفه إن شاء الله من متفرقات هذا الكتاب .

فإن تقدم الناس فى الطبيعيات والرياضيات والصنائع ليبشرهم بالتقدم فى معرفة حقائق الدين واصول معارفه إذا نظروا وبحثوا فى جميع مقدماتها ولم يعتمدوا على قول فلان وفلان ، والمجمع الفلانى ، والمصلح الفلانى ، قال الله تعالى : (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين) .

فليعتبر ذو الرشد بأقوال المتكلف فى كتابه وانه كيف كان يراها قبل أن يطلع على هذا الكتاب الذى خدمنا به الحق وطالبيه ، أفلم يكن يراها ببادىء نظرة واضحة الصواب قوية الحجة سديدة الشواهد ، وانى أسأله بفضيلة الصدق كيف يراها بعد ما اطلع على كتابنا مع انى لم استقص ذكر ما فيها ؟ أفلم يحصل له الشك فى صوابها أقلا .

اللهم انعم على عبادك بهداك وخذ بأيديهم بتوفيقك إلى الصراط المستقيم انك أرحم الراحمين .

﴿ ٤٠ و ... الحيوانات النجسة والمحرم أكلها ﴾

لا يخفى ان التوراة قد حرمت لحوم كثير من الحيوانات وصرحت بنجاستها ونجاسة حيواناتها (انظر إلى الحادى عشر من اللاويين والرابع عشر من التثنية ، وقد سبق شىء من ذلك فى شريعة نوح بمقتضى نقل التوراة إجمالا (تك ٨ : ٢٠) .

وقد ابيحت هذه المحرمات وحكم بطهارتها فى العهد الجديد بما عن بطرس (اع ١٠ : ١١ - ١٧) واتفاق الرسل (اع ١٥ : ٢٨ و ٢٩) وعن (بولس) (رو ١٤ : ١٤ و ٢٠ و تى ١ : ١٥ و اتى ٤ : ٤) .

وقد أورد المتكلف فى مكابرته لإظهار الحق هاهنا كلاماً طويلا لم يفز فيه حتى بحسن الأدب (انظر يه ٤ ج ص ١٧١ - ١٧٣) .

وان لسان الحال من إظهار الحق ليقول له أيها الكاتب المنصف البصير

انى أقول ان الحيوانات التى نجستها التوراة وحرمت لحمها قد طهرها العهد الجديد حكاية عن رسله وأباح أكل لحمها فنسخ حكم التوراة وبدله بحكم مخالف له ، وأنت تقول ان العهد الجديد صادر عن وحى الله إلى الرسل ، وان أحكامه أحكام الله ، وكذا التوراة فلا محيص لك عن القول بالنسخ فى الاحكام الإلهية وليس من جوابى أن تقول تعصب أعمى . موسوسين . جوهر الدين سلام . فرح . محبة . خرافات . ضلال ، بل الجواب اما ان تقول بأن التنجيس وتحريم الأكل الذين فى شريعة التوراة هما حكم الله لمصلحة أولا لمصلحة ثم رفعه الله فى العهد الجديد وبدله على لسان رسله بالإباحة والطهارة لاجل طهارة المؤمنين بالمسيح وبرهم وخلاصهم ببركة سر الفداء وذبيحة الفادى الكريم وتعليقه على الخشبة أو ما تشتهى من الأسباب ، ونسمح لك بأن لا تسمى هذا نسخاً بل سمه بما تشتهى إذا كان المعنى محفوظاً ، واما أن تقول بمحضر أصحابك المنصفين لا بمحضر غيرهم من المتعصبين ان الحيوانات التى نجستها التوراة وحرمت أكل لحمها لم يبدل حكمها فى العهد الجديد بالطهارة والإباحة ولا يدل كلام الرسل ولا كلام (بولس) على شىء من ذلك بل ان حكمها المذكور فى التوراة باق على حاله لم يرفع ولم يبدل ، فإن ردوا عليك وقالوا لك إذاً فمن أين جاءت الإباحة العامة والطهارة العامة فى الديانة النصرانية الرائجة بين جميع النصارى فى أجيالهم ، فتنبه من غفلتك وأعد النظر فى كل ما قلته فى كتابك وانب إلى الحق وان اتفقوا على تصديقك فقل فيما بينهم متحمساً بملء فمك متناسياً لما قدمناه من أمثلة النسخ .

كما كتبته فى كتابك (٤ ج ص ١٥٦ و ١٥٧) ان الديانة الصحيحة منزهة عن وصمة النسخ ، وان الله العالم بالظاهر والباطن وأميال الناس وأحوالهم أنزل كتابه المقدس منزهاً عن الناسخ والمنسوخ ، ثم اضرب ما تشتهى من الأمثال والهج فى مجلسك بقولك ، وعلى كل حال فلا ناسخ ولا منسوخ .

نعم لا تقل ذلك بمحضر المتعصبين المطلعين على العهد الجديد الذين يعطون الكلام حقه فى أخذ معانيه على النهج العقلائى فى المحاورات خصوصاً الكلام المنسوب إلى الإلهام ، ولا يجعلون صريحه رموزاً جزافية على مقتضى شهواتهم فإنهم يحضرون لك من العهد الجديد نسخاً عديدة من تراجمكم ومطابعكم ويرونك ويقرأونك ما فى حادى عشر الأعمال عن وحى (بطرس) ٥ أنا كنت فى مدينة يافا اصلى فرأيت فى غيبة رؤيا اناء نازلا مثل ملاءة عظيمة مدلاة بأربعة أطراف من السماء فأتى إلى ٦ فتفرست فيه متأملا فرأيت دواب الأرض والوحوش والزحافات وطيور السماء ٧ وسمعت صوتاً قائلا لى قم يا بطرس اذبح وكل ٨ فقلت كلا يا رب لأنه لم يدخل فى فمى قط دنس أو نجس ٩ فأجابنى صوت ثانياً من السماء ما طهره الله لا تنجسه أنت ١٠ وكان هذا على ثلاث مرات . وفى خامس عشر الأعمال عن حكم الرسل وكتابتهم بعد الاجتماع والمشورة ٢٨ لأنه قد رأى الروح القدس ونحن ان لا نضع عليكم ثقلا اكثر غير هذه الأشياء الواجبة ٢٩ ان تمتنعوا عما ذبح للأصنام وعن الدم والمخنوق والزنى .

وعن (بولس) فى رابع عشر رومية ١٤ انى عالم ومتيقن فى الرب يسوع ان ليس شىء نجساً لذاته إلا من يحسب شيئاً نجساً فله هو نجس ٢٠ كل الأشياء طاهرة .

وفى رابع (تيموثاوس) الاولى ٤ لأن كل خليقة الله جيدة ولا يرفض شىء إذا اخذ مع الشكر ٥ لأنه يقدس بكلمة الله والصلاة .

وفى أول (تيطس) ١٤ لا يصغون الى خرافات يهودية ووصايا اناس مرتدين عن الحق ١٥ كل شىء طاهر للطاهرين ، واما للنجسين وغير المؤمنين فليس شىء طاهراً بل قد تنجس ذهنهم ايضاً وضميرهم ، أفتقول بعد هذا وعلى كل حال فلا ناسخ ولا منسوخ ؟

إلا ان ينقدح فى ضميرك شىء من هذا المنقول عن الرسل لأجل تعاضد ظهوره فى التنديد بالشريعة السابقة وتبكيتها على حكمها بالتحريم والتنجيس كما يعطيه قولهم ما طهره الله فلا تنجسه أنت ، ليس شىء نجساً بذاته كل الاشياء طاهرة كل خليقة الله جيدة لا يصغون إلى خرافات يهودية إلى آخره .

وفى ثانى (كولوسى) ٢٠ إذاً ان كنتم قد متم مع المسيح عن أركان العالم فلماذا كأنكم عائشون فى العالم تفرض عليكم فرائض ٢١ لا تمس لا تذق ، ولا تجس ٢٢ التى هى جميعها للفناء فى الاستعمال حسب وصايا وتعليم الناس ؟ وسيأتى إن شاء الله ما يشبه هذا .

﴿ ٤١ و ٤٢ و ... الذبائح وأحكام الكهنة ﴾

ذكرت التوراة أحكاماً كثيرة فى الذبائح والمحرقات وأحكام الكهنة هارون وبنيه فى أجيالهم (انظر الى الثامن والعشرين والتاسع والعشرين من سفر الخروج وإلى سفر اللاويين بتمامه ، وقد رفعت هذه الأحكام كلها وبدلت بمقتضى المكتوب فى العهد الجديد عن الرسل انظر أقلا من السابع الى نهاية العاشر من رسالة العبرانيين .

ولقد شذ الكلام هاهنا بالمتكلف (انظر به ٤ ج ص ١٧٧ - ١٨١) وكان الذى عليه ان يجيب بإحدى كلمتين ، اما ان يقول ان الأحكام المشار اليها لم ترفع بل هى باقية فى شريعة الحق على ما كانت عليه الى الآن ، واما ان يقول انها رفعت من زمان الرسل كما يقول العهد الجديد لأجل حصول الغاية التى كانت تلك الأحكام ترمز وتشير اليها ، ودعه يقول بعد هذا فلا ناسخ ولا منسوخ فى كتب الله .

﴿ ٤٣ و ... السبت والأحد والسابع والأول ﴾

لا يخفى ان يوم الأحد هو اليوم الأول من الاسبوع كما يشهد به اسمه وانظر (مت ٢٨ : ١ و مر ١٦ : ٢ و ٩ ولو ٢٤ : ١ ويو ٢٠ : ١ و ١٩) . ويوم السبت هو اليوم السابع من الاسبوع وهو الذى استمر من لم يرتد الى الوثنية من بنى اسرائيل على تعظيمه وتقديسه والاستراحة فيه حسب الوصية من عهد موسى الى الوقت الحاضر ، وكذا المؤمنون بالمسيح وخواصه إلى حادثة الصليب (انظر لو ٢٣ : ٥٦) ولم يذكر ان المسيح أبطله ، وإنما عارضه اليهود إذ شفى فيه المرضى فجعلوا ذلك منه نقضاً للسبت ، وقد أخطأوا ولم يتدبروا ان مثل هذا لا يعد من الأعمال المحرمة فى السبت ولا يكون نقضاً له ، ولذا احتج عليهم المسيح بذلك (انظر مت ١٢ : ٣ و ١١ و ١٢ ولو ١٣ : ١٥ و ١٦) .

نعم نقض النصارى حكمه المؤكد فى مواضع كثيرة من التوراة وصرح بنسخ حكمه ورفعه ما عن (بولس) فى ثانى (كولوسى) ١٦ فلا يحكم عليكم أحد فى أكل ولا شرب أو من جهة عيد أو هلال أو سبت .

وفى رابع غلاطية فى صرف أنظار الغلاطيين عن الناموس بعد ان ذكر فى الثالث ما ذكر قال ٩ وأما الآن إذ عرفتم الله بل بالحرى عرفتم من الله فكيف ترجعون ايضاً إلى الاركان الضعيفة الفقيرة التى تريدون أن تستعبدوا لها من جديد ١٠ أتحفظون أياماً وشهوراً وأوقاتاً وسنين ١١ أخاف عليكم أن أكون قد تعبت فيكم عبثاً .

وقد أطال المتكلف هاهنا (انظر به ٤ ج ص ١٧٣ - ١٧٥) وحاصل ما عنده ان الله يطلب من الانسان سبع وقته ، وان معنى السبت الراحة وهو ينطبق على أول الاسبوع كما ينطبق على سابعه وقد تخصص يوم السبت بيوم

قيامة المسيح وهو يوم الأحد ومعنى الوصية السابقة فى التوراة هو أن نحفظ سبع وقتنا فلم يقل (يعنى الله جل اسمه) اذكر اليوم السابع لتقدسه ، وكذا لم يقل الكتاب ان الرب بارك اليوم السابع بل قال ان الرب بارك يوم السبت وقدسه (انظر ص ١٧٤ س ٣ و ٤) .

أقول (أولا) بعد الإغماض عما هو معلوم نسأل المتكلف ان السبت الذى فى شريعة التوراة هل كان معيناً باليوم السابع أو مخيراً فيه بين أسباع الاسبوع وأيامه أو مخيراً فيه بين اليوم الأول والسابع ، فإن كان معيناً باليوم السابع كان تبديله بيوم آخر وهو الأول نسخاً ان كان التبديل عن وحى وإلا كان ضلالا ، وإن كان مخيراً فيه بين أسباع الاسبوع كان ايضاً تعيينه بيوم الأحد نسخاً لحكم التخيير أو ضلالا ، وكذا ان كان مخيراً فيه بين الأول والسابع .

(وثانياً) ان النظر فى التوراة الرائجة يكشف عن ان المتكلف لم ينظر اليها أو لم يفهم ما فيها أو انه قد أقدم على التمويه إقتحاماً وغروراً من دون نظر الى العواقب .

فإن نص التوراة فى ثانى التكوين ١ فأكملت السموات والارض وكل جندها ٢ وفرغ الله فى اليوم السابع من عمله الذى عمل فاستراح فى اليوم السابع من جميع عمله الذى عمل ٣ وبارك الله اليوم السابع وقدسه لأنه فيه استراح من جميع عمله الذى عمل الله خالقاً .

انظر الأصل العبرانى والتراجم وفكر فى نفسك واطلب من الله هداك ونجاة نفسك التى هى أعز الأنفس عليك ، ولا تقل إذاً كيف يقول المتكلف (لم يقل الكتاب ان الرب بارك اليوم السابع) ولا تقل كيف يكون هذا وقد طبع كتاب المتكلف بمعرفة المرسلين الامريكان ، ولا تقل (شنشنة أعرفها من اخزم) فإن هؤلاء لهم وظائف يخدمونها ، وقد درت أرزاق الجمعيات

وتوفرت الأموال ، وأمنوا وبال العواقب ، وزيادة على هذا قد باعوا هذا الكتاب بالذهب فعليك بنفسك .

وفى العشرين من الخروج ٨ اذكر يوم السبت لتقدسه ٩ ستة أيام تعمل وتصنع جميع عملك ١٠ .

وأما اليوم السابع ففيه سبت عطلة للرب إلهك لا تصنع عملا ما أنت وابنك وابنتك وعبدك وامتك وبهيمتك ونزيلك الذى داخل أبوابك ١١ لان فى ستة أيام صنع الرب السماء والارض والبحر وكل ما فيها واستراح فى اليوم السابع لذلك بارك الرب يوم السبت وقدسه ، ونحوه فى الحادى والثلاثين من الخروج ايضاً (١٢ - ١٨) .

ولا يخفى على الفاهم والغبى إذا نظر الى مجموع ما ذكرناه هاهنا عن ثانى التكوين والعشرين من الخروج ان يوم السبت الذى أوصت التوراة بتقديسه والإستراحة فيه إنما هو اليوم السابع الذى ذكرت التوراة نفسها فى شأنه فى ثانى التكوين ان الله بارك اليوم السابع وقدسه لأنه استراح فيه من عمله . ثم ذكرت فى العشرين من الخروج لأن فى ستة أيام صنع الرب السماء والأرض والبحر وكل ما فيها واستراح فى اليوم السابع ، لذلك بارك الرب يوم السبت (أى يوم الراحة) وهو السابع كما يفهمه من هذا الكلام كل أحد .

﴿ ٤٤ و ... الناموس والعهد الجديد ﴾

لا كلام للنصارى فى أن الله أنزل على موسى شريعة مدونة فى كتاب اسمه التوراة واتفقوا على ان ذلك الكتاب هو أسفار التوراة الخمسة الموجودة بأيدى الناس بلا زيادة ولا نقصان ، وفيها ان الله يكلم موسى بالشريعة وجهاً

لوجه كما يكلم الرجل صاحبه (خر ٣٣ : ١١) وفماً الى فم وعياناً لا بالألغاز (عد ١٢ : ٨) وفيها عن قول الله فتحفظون فرائضى وأحكامى التى إذا فعلها الإنسان يحيى بها (لا ١٨ : ٥).

وعن قول موسى الإلهامى وأى شعب هو عظيم له فرائض وأحكام عادلة مثل كل هذه الشريعة التى أنا واضع امامكم اليوم (تث ٤ : ٨).

وفى المزمور التاسع عشر ٧ ناموس الرب كامل.

وفى المزمور المائة والتاسع عشر ٩٣ إلى الدهر لا أنسى وصاياك لأنك بها أحييتنى ١٤٢ وشريعتك حق و ١٥١ قريب أنت يا رب وكل وصاياك حق ١٢٨ وفى كل شىء مستقيمة.

وفى العشرين من حزقيال ١١ وأعطيتهم فرائضى وعرفتهم أحكامى التى ان عملها الإنسان يحيى بها.

وانظر الى عدد ١٣ و ٢١ وفى تاسع نحميا ١٣ وأعطيتهم أحكاماً مستقيمة وشرائع صادقة فرائض ووصايا صالحة، وفى ثانى ملاخى ٤ فتعلمون انى أرسلت اليكم هذه الوصية لكون عهدى مع (لاوى) قال رب الجنود ٥ كان عهدى معه للسلام والحياة وأعطيته اياهما للتقوى فاتقانى ومن اسمى ارتاع هو شريعة الحق كانت فى فيه.

وفى خامس (متى) عن قول المسيح ١٧ لا تظنوا انى جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء ما جئت لأنقض بل لأكمل - ١٩، فمن نقض إحدى هذه الوصايا الصغرى وعلم الناس، هكذا يدعى أصغر فى ملكوت السموات.

وفى الثالث والعشرين ايضاً ١ حينئذ خاطب الجموع وتلاميذه ٢ قائلا على كرسى موسى جلس الكتبة والفريسيون ٣ فكل ما قالوا لكم ان تحفظوه فاحفظوه وافعلوه.

وقد سمعت عن الرسل أقوالهم فى نسخ أحكام التوراة نسخاً يقارب ملاشاتها ، وقد جاءت المجاهرة بملاشاتها فيما عن (بولس) فى عاشر العبرانيين ٩ ينزع الأول ليثبت الثانى .

وفى ثالث (غلاطية) ١٣ المسيح افتدانا من لعنة الناموس إذ صار لعنة لأجلنا ٢٣ ولكن قبل ما جاء الإيمان كنا محروسين تحت الناموس مغلقاً علينا الى الايمان العتيد ان يعلن ٢٤ إذ قد كان الناموس مؤدبنا الى المسيح لكى نتبرر بالإيمان ٢٥ ولكن بعد ما جاء الإيمان لسنا بعد تحت مؤدب ، وهذا كلام ليس فيه خدشة بشرف التوراة بل غاية ما فيه انه ادعى وجهاً لملاشاة أحكامها والاطلاق المريح من القيود الباهظة للأميال والشهوات ، ولكن قد تقدم قريباً عن رابع (غلاطية) ٨ - ١١ ما يشير إلى التوراة ويبين انها أركان ضعيفة فقيرة .

وتقدم قبله عن ثانى (كولوسى) ٢١ و ٢٢ ما مضمونه ان الحكم بنجاسة بعض الأشياء وحرمة أكلها إنما هو من وصايا الناس وتعليمهم ومن الفرائض التى جميعها للفناء .

وتقدم قبل هذا ايضاً عن أول (تيطس) ١٤ ما مضمونه ان الحكم بنجاسة بعض الاشياء هو من الخرافات اليهودية ووصايا المرتدين عن الحق .

وفى سابع العبرانيين ١٨ فإنه يصير ابطال الوصية السابقة من أجل ضعفها وعدم نفعها ١٩ إذ الناموس لم يكمل شيئاً .

وفى ثامن العبرانيين ايضاً ٧ فإنه لو كان الاول بلا عيب لما طلب موضع لثان ١٣ فإذا قال جديداً فقد عتق الأول ، وأما ما عتق وشاخ فهو قريب من الإضمحلال ، وفى هذا المقدار كفاية وإن كان فى الرسائل المنسوبة إلى (بولس) فى العهد الجديد أضعاف ذلك ، على انه مناقض لما عن قول (بولس) نفسه فى ثالث (تيموثاوس) الثانية ١٦ كل الكتاب موحى به من الله ونافع

للتعليم والتوبيخ للتقويم والتأديب الذى فى البر ١٧ ليكون إنسان الله كاملا متأهباً لكل عمل صالح .

(تنبيه) ان ما ذكرناه عن (بولس) فى (رومية) و (غلاطية) إنما كان خطاباً لليهود المؤمنين بالمسيح لينصرفوا عن العمل بالناموس ، هذا وقد فر المتكلف هاهنا كعادته الى سر الفداء (انظر به ٤ ج ص ١٨٣ و ١٨٤) وكأنه لا يدرى انه لا ينفعه الفرار إذ لا بد من أن يقال له ان أحكام الناموس هل كانت باقية على (بولس) واتباعه أم ارتفعت ولو لأجل سر الفداء ولا بد أن يقول بالثانى وهو النسخ فإن ما عن (بولس) يصرح بأن المسيح نقض العداوة مبطلا بجسده ناموس الوصايا فى فرائض (اف ٢ : ٥) لأنه ان تغير الكهنوت فبالضرورة يصير تغير للناموس (عب ٧ : ١٢) .

﴿ ٤٥ و ٤٦ و ٤٧ و ... الرسل وبولس وما ذبح للأوثان والمخنوق والدم ﴾

قد تقدم عن خامس عشر الأعمال عن الرسل انهم بعد ما رفعوا قيود التوراة وثقلها ونسخوها بمشورتهم أبقوا منها أربعة أشياء اوجبوا الإمتناع عنها وهى ما ذبح للأوثان ، والدم والمخنوق والزنى (اع ١٥ : ٢٨ و ٢٩) وقد رفع ما عن (بولس) وجوب الامتناع عن ثلاثة منها بعموم قوله كل شىء طاهر للطاهرين ، وكل خليقة الله جيدة ولا يرفض شىء منها إذا اخذ مع الشكر وغير ذلك مما تقدم ولكنه اضطرب كلامه فى خصوص ما ذبح للأوثان ، فتارة رجح الإمتناع عنه من أجل ضمير الأخ الضعيف (١ كو ٨ : ١ - ١٣) .

وتارة منع منه بقوله (إنما يذبحونه للشيطان فلست اريد أن تكونوا أنتم شركاء الشياطين لا تقدرون ان تشتركوا فى مائدة الرب ، ومائدة شياطين

أم نغير الرب ألعلنا أقوى منه (كو ١٠ : ٢٠ - ٢٣) ثم قال بعد ذلك لماذا يحكم فى حريتى من ضمير آخر فإن كنت أنا أتناول بشكر فلماذا يفترى على لأجل ما اشكر عليه (١ كو ١٠ : ٢٩ و ٣٠).

(تنبيه) اعلم ان الإصطلاح الأغلب أو الغالب هو ان النسخ رفع الله للحكم الشرعى بعد وقت العمل به وقد ذكرنا فى الجدل أمثلة ما وقع منه فى العهدين وهى وان عددناها سبعة وأربعين مثالا على سبيل الاجمال لكنها تنحل إلى الوف من الأمثلة وبقيت هاهنا أمثلة من العهدين منها ما لا تدل الوافعة المذكورة على ان رفع الحكم فيها كان قبل وقت العمل.

وصاحب (إظهار الحق) جعل هذين القسمين من النسخ ولا مخالفة بينه وبين الاصطلاح الأغلب إلا فى أمر اصطلاحى يرجع الى مجرد التسمية. وعلى كل حال فما سنذكره من الأمثلة المقدمة فى توهم المنع والمكابرة بدعوى الجهة المانعة بل هى أولى بالامتناع بحسب مزاعم المتكلف لأن رفع الحكم فيها لم يمض له زمان كثير من حين تشريعه، ومنه ما لا يبلغ الساعة والساعتين والمتكلف يتضجر ويشدد النكير على رفع الحكم قبل ان تمضى لتشريعه مدة طويلة (انظر به ٤ ج ص ١٨٤ س ١٠ - ١٤)، بل ان سوق كلامه المشار اليه وما قبله يعطى انه يجوز رفع الحكم بل ملاشاة الشريعة السابقة بعد الف وخمسمائة سنة، ولا يجوز بعد شهر أو يوم، فهذه الأمثلة حجة عليه وعلى المتعرب فى كلامه (ذ) (ص ٤٦ س ١٤ - ص ٤٧ س ٢) ولكنهم لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية، وهاك ما نذكره من الأمثلة.

﴿ ١ - نوح والحيوانات ﴾

جاء فى سادس التكوين عن قول الله لنوح ١٨ ولكن اقيم عهدى معك فتدخل الفلك أنت وبنوك وامرأتك ونساء بنيك معك ١٩ ومن كل حى كل

ذى جسد اثنين من كل تدخل الفلك لاستبقائها معك تكون ذكراً وانثى ٢٠ من الطيور كاجناسها ، ومن البهائم كأجناسها ، ومن كل دبابات الارض كأجناسها اثنين من كل تدخل اليك لاستبقائها .

وفى سابع التكوين ايضاً ١ وقال الرب لنوح ادخل أنت وجميع بيتك إلى الفلك لانى اياك رأيت باراً فى هذا الجيل ٢ من جميع البهائم الطاهرة معك سبعة سبعة ذكراً وانثى ومن البهائم التى ليست بطاهرة اثنين ذكراً وانثى ٣ ومن طيور السماء ايضاً سبعة سبعة ذكراً وانثى لاستبقاء نسل على وجه كل الارض ، فقد تبدل فى شريعة الله لنوح حكم البهائم الطاهرة وطيور السماء ورفع حكمها الاول وهو إدخال اثنين منها وبدل بحكمها الثانى وهو إدخال سبعة سبعة .

وفى سابع التكوين ايضاً ١٣ فى ذلك اليوم الذى عينه دخل (نوح) و(سام) و (حام) و (يافث) بنو نوح وثلاث نساء بنيه معهم الى الفلك ١٤ هم وكل الوحوش كأجناسها ، وكل البهائم كأجناسها ، وكل الدبابات التى تدب على الارض كأجناسها ، وكل الطيور كأجناسها ، كل عصفور كل ذى جناح ١٥ ودخلت الى نوح اثنين اثنين من كل جسد فيه روح حياة ١٦ والداخلات دخلت ذكراً وانثى من كل ذى جسد كما أمره الله . وهذا الخبر يوافق الحكم الاول ويخالف الحكم الثانى فهل هو كاشف عن حكم ثالث رافع للثانى أو كاشف عن ان الاول هو الحكم الثانى والثانى هو المنسوخ أو ...

وقد حاول المتكلف ان يفر من هذا الاختلاف الى غير النسخ فقال (يه ١ ج ص ١٨٦ و ٤ ج ص ١٩٢) ان الأمر الاول كان على وجه الاجمال بأن قال له خذ لك زوجين من كل البهائم والطيور ولم يبين إذا كانت طاهرة أو غير طاهرة ثم أوضح بعد ذلك بسطرين بأن يأخذ من الطاهرة سبعة لاستبقائها ولتقديم الذبائح منها فهو تفصيل بعد إجمال وتقييد بعد اطلاق

ولك ان تجعله من الجمع ثم التقسيم وهو جمع متعدد تحت حكم ثم تقسيمه أو الجمع مع التفريق والتقسيم .

أقول : لا يخفى ان التفصيل بعد الاجمال أو التقسيم بعد الجمع أو الجمع مع التفريق والتقسيم إنما هو أن يأتى الكلام مجملا مبهماً فى بعض مضامينه من حيث المقدار أو النوع أو الكيفية ونحو ذلك فيأتى الكلام الثانى مبيناً ومفصلا لإبهام الأول من دون مضادة لمضمونه كما يقول القائل ارسل العسكر مع ابهام الكيفية ثم يفصلها ويقسمهم بقوله ارسل امراءهم ركباناً وسائرهم مشاة ، أو يقول ادخل الى الفلك من كل الحيوانات فيبهم المقدار ثم يفصله ويبينه بقوله ثانياً .

ادخل من الطاهر والطيور بأجناسها من كل سبعة ومن غيرهما من كل اثنين ، وأما إذا قال من كل جنس اثنين فقد بين العدد ولم يبهمه ، فاذا قال بعد ذلك ادخل من الطاهر والطير سبعة سبعة ومن غيرهما اثنين اثنين فلا يكون ذلك من الإجمال والتفصيل أو الجمع والتقسيم ، كما لا يخفى على من يفهم معانى هذه الألفاظ ، وذلك لأجل المضادة فى الكلام الثانى مع الأول من حيث العدد وتوضيح المقام هو ان وجوه التوفيق المدعاة بين الكلامين هاهنا هى ثلاثة :

(الأول) التفصيل والتقييد بعد الاجمال والاطلاق وقل التقسيم بعد الجمع أو الجمع مع التقسيم والتفريق ، ولكن هذا النحو هاهنا موقوف على كون الكلام الأول مجملا مبهماً مطلقاً من حيث العدد وذلك بأن نجعل قوله اثنين منسلخاً عن معنى العدد بل هو بمعنى ذكر وانثى وإن كانت الفاً فيأتى قوله سبعة واثنين بياناً وتقسيما لما ابهم من عدد الطيور والبهائم الطاهرة وغيرها وقل حينئذ انه تفصيل بعد الإجمال إلى آخره ، ولكن هذا الوجه باطل لأمور اما (أولا) فلأنه لم يسمع فى كلام العقلاء استعمال لفظ اثنين منسلخاً عن

معنى العدد فهل سمعت عاقلا يقول اكلت من الطيور اثنين وهو لا يريد العدد بل يريد ذكراً وانثى وإن كانت عشرة ، وأما (ثانياً) فلأنه قد صرح وبين ان الاثنين ذكراً وانثى وكانت ذكراً وانثى ، وأما (ثالثاً) فلأن كل فاهم لما يسمع ويقرأ ليفهم ان المتكرر خمس مرات من قوله ذكراً وانثى إنما هو بيان لإجمال المعدود بالعدد المبين فى الكلامين على حد سواء .

(الوجه الثانى) العموم والخصوص بأن يكون قوله فى الأمر الأول من كل ذى جسد اثنين ، وكذا قوله اثنين من كل تدخل اليك عاماً للطير والطاهر وغيره فخصصه الكلام الثانى ببيان ان الطاهرة والطير يدخل منها سبعة وهذا خطأ منشأه الخبط والخلط بين التخصيص والنسخ فإن التخصيص إنما هو إخراج بعض أفراد العام عن الحكم قبل وقت العمل به ، واما رفع الحكم عن جميعها فهو النسخ ولا يمكن البناء هاهنا على التخصيص فى حكم الطيور لأنه حكم فى الأمر الأول بأن يدخل من الطيور بأجناسها اثنين من كل جنس وحكم فى الأمر الثانى على الطيور بأجناسها بأن يدخل منها سبعة سبعة فلا يكون حكم الطيور فى الأمر الثانى تخصيصاً لحكمها فى الأمر الأول أو بالعكس وذلك لأجل تساوى الموضوعين فى الكلام ، فليس أحدهما أعم والثانى أخص كما هو شرط العموم والخصوص وما هو إلا النسخ رضى المتكلف أو أبى.

(الوجه الثالث) النسخ ولا أقل من لزومه فى حكم الطيور ، وهو كاف فى المطلوب .

ثم نقول مداعبة للمتكلف (افق) فإن الأمر الأول والأمر الثانى فى الداخل الى الفلك كانا فى زمان نوح قبل الطوفان فكان عليك ان تبين الزمان الفاصل بين مجملهما ومفصلهما كما تزعم هل كان يوماً أو سنة أو عشراً ، ولم يكن صدور الأمرين بكتابة التوراة ليكون ورود التفصيل بعد الإجمال بسطرين.

ولقد أطلنا الكلام حرصاً على إيضاح الحقائق والتنبيه على مواقع

الخبط لا على المثال فإن فيما ذكرنا كفاية .

﴿ ٢ إمتحان الله لابراهيم ﴾

فى الثانى و العشرين من التكوين ١ وحدث بعد هذه الامور ان الله امتحن ابراهيم فقال له : يا ابراهيم فقال ها أنا ذا ٢ فقال خذ ابنك وحيدك الذى تحبه اسحاق واذهب الى أرض المرايا واصعده هناك محرقة على أحد الجبال الذى أقول لك ، ومعنى المحرقة ان يذبحه ويحرقه قربانا لله كما يدل عليه باقى الكلام إلى ان قال ٩ فلما أتيا الموضع الذى قال له الله بنى هناك ابراهيم المذبح ورتب الحطب وربط اسحاق ابنه ووضعه على المذبح فوق الحطب ١٠ ثم مد ابراهيم يده وأخذ السكين ليذبح ابنه ١١ فناداه ملاك الرب من السماء وقال ابراهيم ابراهيم فقال ها أنا ذا ١٢ فقال لا تمد يدك الى الغلام ولا تفعل به شيئاً فرفع ما تقدم من الأمر بالذبح والاحراق بإصعاد اسحاق محرقة . وقد صرح إظهار الحق بأن هذا المثال من النسخ قبل العمل الكاشف عن كون الأمر الأول امتحانياً .

ومن الظرائف ان المتكلف توهم ان مراد إظهار الحق كون النسخ هاهنا فى ذات نقل التوراة لقصة ابراهيم هذه فأخذ ينكر عليه بعد فضول من الكلام (يه ٤ ج ص ١٨٥ و ١٨٦) ويعترض عليه بقوله فى أوائل بحث النسخ بأن النسخ لا يطرأ على القصص .

أقول : وان لسان الحال من إظهار الحق ليقول للمتكلف يا أيها الرجل الذى لم يسمح لنفسه ببقاء صفة جميلة لها انى أقول كما قلت فى أول مبحث النسخ ان النسخ لا يطرأ على القصص ، وكل من يميز الكلام يعرف أن مرادى هو ان القصة من حيث انها قصة وحكاية لا تكون ناسخة ولا منسوخة ، لأن النسخ إنما هو فى الأحكام الإلهية ، وانى لم أقل ان ذات قصة التوراة ناسخة

أو منسوخة بل قلت ما لا يخفى حتى على الأغبيـــاء .

ان قصة التوراة نقلت ان الله أمر ابراهيم بذبح ابنه محرقة ثم رفع هذا الحكم وبدله ونسخه قبل العمل ، فقل أيجوز رفع الحكم الأول وتبديله لكونه محدوداً بمصلحة الامتحان لكى نقول لك إذاً فكل حكم محدود بمصلحته فإذا انتهى حده يبدله الله ويجعل مكانه ما تقتضيه المصلحة الاخرى وهذا هو النسخ أم تقول انه لا يجوز رفع الحكم الأول وان كان محدوداً بمصلحة الامتحان والتوراة كاذبة أو غالطة فى نقلها لذلك ، فإنه لو كان الأول بلا عيب لما طلب موضع لثان (عب ٨ : ٧) .

واعلم ان خبيث القول وبذى اللسان لينقصان من فضيلة الصواب وحسن الفطنة ، فكيف بهما إذا تعقبا شطط الباطل وخبط الجهل ، وكم وكم أوصى العهد الجديد بالسلام والوداعة ، والطهارة ، احشفاً وسوء كيله ، كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون .

﴿ ٣ عمر اللاوى الموظف للمسكن ﴾

ذكرت التوراة العبرانية فى رابع العدد (٣ - ٤٧) فى سبعة موارد حكم الله بأن اللاوى الموظف لخدمة المسكن يكون من ابن ثلاثين سنة الى خمسين وذكرت ايضاً فى ثامن العدد (٢٤ و ٢٥) حكم الله بأن الموظف المذكور يكون من ابن خمس وعشرين سنة الى خمسين ، فأحد الحكمين تبدل الى الآخـــر لا محالة ، فإن كان بعد العمـل بالأول فهو النسخ بالاصطلاح الغالب . وإن كان قبل العمل فهو نسخ ايضاً باصطلاح إظهـار الحق وجماعة . وعلى كل حال فإن الجهات التى يتشبثون بها لامتناع النسخ جارية فى هـــذا سواء سميناه نسخاً أو لم نسمه .

قال المتكلف (يه ٤ ج ص ١٩١ و ١٩٢) كان اللاويون فى عصر موسى

يخدمون من سن (٢٥) فى الخدم الخفيفة اما وقت مهمات نقل خيمة الإجتماع الثقيلة فى أثناء ارتحالهم فكان يلزم الحال الى رجال أقوى فاختلاف العبارات لاختلاف الاعتبارات ، ومما يؤيد ذلك انه بعد أن بنى الهيكل خف العمل وقبل فى خدمة الرب من كان عمره نحو ٢٠ سنة فقط ، فربنا وضع كل شىء فى محله فعين الأعمال الشاقة للأشداء الذين فى عنفوان شبابهم ، والأعمال الخفيفة لغيرهم فلا ناسخ ولا منسوخ .

قلنا : ان من يلتزم بأن كتابة التوراة مرتبة على ترتيب نزولها فلا بد له من أن يقول ان حكم الله المتقدم هو كون الموظف لخدمة المسكن من كان ابن ثلاثين سنة الى خمسين وقد عدهم موسى على هذا المنوال فكان المعدودون ثمانية آلاف وخمسمائة وثمانين (عد ٤ : ٤٦ - ٤٩) .

وفى سابع العدد (١ - ١٠) ان موسى أعطى القرابين التى قدمت بعد إقامة المسكن للاويين الموظفين للخدمة حسب أمر الله ، وانهم تطهروا وكفر عنهم هارون وأتوا إلى خدمتهم كما أمر الرب (عد ٨ : ٢١ و ٢٢) وبعد ذلك كله ذكرت التوراة ان الله كلم موسى قائلا : هذا ما للاويين من ابن خمس وعشرين سنة فصاعداً يأتون ليتجندوا أجناداً فى خدمة خيمة الإجتماع . ومن ابن خمسين يرجعون من جند الخدمة ولا يخدمون بعد يؤازرون اخوتهم فى خيمة الأجتماع لحرس حراسة ، لكن خدمة لا يخدمون (عد ٨ : ٢٣ - ٢٦) .

فإن كان المتكلف يلتزم بأن ترتيب كتابه على ترتيب حوادثه فعليه أن يقول ان الحكم المذكور اخيراً هو المتأخر فى التشريع وله ان يقول ان الحكمة فى ذلك هو انه لما قرب ارتحال بنى اسرائيل وكانت خيمة الاجتماع الى عمل كثير فى الارتحال والنزول رفع الله الشريعة الاولى واضاف الى المعدودين من كان ابن خمس وعشرين سنة الى ثلاثين ليساعدوهم فى الخدمة كما شرع ان يساعدهم فى

الحراسة ابناء الخمسين فما فوق : هذا وان كان لا يلتزم المتكلف بان كتابة التوراة على ترتيب حوادثها فلا تقبل دعواه ان شريعة الخمس وعشرين سنة هي المتقدمة إلا بدليل يدل على ذلك .

ثم نقول ان اراد المتكلف بما ذكرنا من كلامه هو التخلص من تبديل احد الحكمين بالآخر بل يدعى انه لم تكن إلا شريعة واحدة ، وهو كون الموظفين للخدمة من ابن خمس وعشرين سنة الى الخمسين ولكن يختص ابناء الثلاثين فما فوق بالخدمة الشاقة .

قلنا : لا يكاد يفهم ذلك من التوراة إلا بطريقة الرمز الجزافية التي يهرب اليها المتكلف . مع ان الدعوى المعهودة هي ان العهد القديم رمز للعهد الجديد . لا ان التوراة ترمز الى احكامها ، مع ان التوراة تجبهه بالرد لتصريحها في الأول بأن جميع اللاويين الذين عدهم موسى وهارون وكل الداخلين ليعملوا عمل الخدمة كانوا من ابن ثلاثين سنة الى خمسين عد ٤ : ٤٦ — ٤٩ : وان التزم المتكلف بتبديل احد الحكمين المذكورين بالآخر وفر الى قوله اختلاف العبارات لاختلاف الاعتبارات فانا لا نضايقه في التسمية بل نقول في النسخ ان المصالح قد تتغير وربما يضع كل شيء في محله واختلاف العبارات لاختلاف الاعتبارات .

﴿ومن ورطات المتكلف﴾ قوله ولما بنى الهيكل خف العمل وقبل في خدمة الرب من كان عمره نحو ٢٠ سنة فقط : فينبغي ان يوقظ ويقال له ان توظيف ابن العشرين سنة قد جعلت شريعته في ايام (داود) اخر ١ اى ٢٣ : ٢٤ - ٢٨ وكان ذلك قبل بناء الهيكل بما يزيد على احدى عشرة سنة . فإن الهيكل شرع في بنائه (سليمان) في السنة الرابعة لملكه وكمل بناءه في السنة الحادية عشرة (انظر ١ مل ٦ : ١ و ٣٧ و ٣٨) ، ولم يجيء في العهد القديم ذكر لشريعة توظيف ابن العشرين سنة بعد ما ذكرنا لا في أيام

(سليمان) ولا ما بعده إلا فى أيام (عزرا) بعد سبى بابل (عز ٣ : ٨) .

فإن سألت وقلت ان للمتكلف طريقاً فى التخلص عن هذا المثال للنسخ وذلك بأن يقول : ان كل ما جاء فى النسخة العبرانية فى رابع العدد بتحديد عمر اللاوى الموظف بثلاثين سنة إلى خمسين قد جاء بدله فى الترجمة السبعينية تحديده من الخمس وعشرين سنة إلى خمسين وان الترجمة السبعينية ذكر انها كانت فى غاية الإعتبار كما أشرنا اليه صحيفة ٥ ونوه بها المتكلف (يه ٤ ج ص ٩٠ - ٩٢) فبناء عليها لا مخالفة بين رابع العدد وثامنه فى هذا الحكم ، فلماذا لم يسلك المتكلف هذا الطريق فى الفرار عن إلزام اظهار الحق .

قلنا : لو أن المتكلف يلتفت الى هذا التخلص لما تشبث به لأنه يبين عليه ما يكابر فى ستره ، وهل كيف يسمح بأن ينبه على مثل هذا الإختلاف الباهظ بين العبرانية والسبعينية مع انه يقول تارة ان الأصل العبرانى هو المعول عليه (يه ٤ ج ص ١٦) .

ويحامى عن دعوى تواتره فى كثير من كتابه وتارة ينوه بالترجمة السبعينية ويجعلها هى المعتمد لليهود والمسيح والرسل ويجعل تواريخها شاهدة لتواتر التوراة (يه ٤ ج ص ٩٠ - ٩٢) .

فإن قلت وأيضاً يصادمه ما فى الثالث والعشرين من الأيام الاول ١ و ٢ فإن فيه ان (داود) لما شاخ وملك ابنه (سليمان) عد اللاويين للمناظرة على بيت الله من ابن ثلاثين سنة (قلت) لا يتوقف المتكلف لأجل ذلك ولو تعلق له غرض بتقديم السبعينية هاهنا لقال غير مبال ان (داود) أخطأ وخالف الشريعة فعاقبه المولى ، بل لا بد له أن يقول ذلك فإنه قال فيما تقدم من كلامه ان توظيف ابن الثلاثين فى زمان موسى كان لقرب ارتحال بنى اسرائيل وحاجة نقل الخيمة إلى رجال أقوياء فربنا وضع كل شىء فى محله ، وان عد (داود) من ابن الثلاثين سنة كان فى زمان الإستراحة وعدم الحاجة الى نقل المسكن

فهو فى غير محله ، وربنا وضـــع كل شىء فى محله .

﴿ ٤ حزقيال وتكليفه ﴾

فى العهد القديم ان الله جل شأنه أمر نبيه (حزقيال) بأن يأكل كعكاً من خبز الشعير يخبزه أمام عيون بنى اسرائيل عـــلى الخرء الذى يخرج من الانسان لأنه هكذا يأكل بنو اسرائيل خبزهم النجس بين الامـم ، فاستغاث (حزقيال) الى الله فرفع عنه هذا الحكم وبدله بغيره وقال له انظر قد جعلت لك خثى البقر بدل خرء الانسان (حز ٤ : ١٢ - ١٦) .

أجاب المتكاف (يه ٤ ج ص ١٩١) بعد أن ذكر نبوة (حزقيال) بضيق بنى اسرائيل (حز ٤ : ١٧) فقـــال فالنبى استغاث الله فأجاب صلواته وحقق طلبته ، وعلى كل حال فلا ناسخ ولا منسوخ ، ولو لا ضيق المقام لزدنا الكلام وعلى المطالع أن يمعن النظر فى هذه الآيات فيجد بطلان دعوى المعترض.

أقول : فيا أيها المطالع سألتك بفضيلة الكمال وزينة الأدب أن تطالع كل الرابع من (حزقيال) وإن شئت فكل كتاب (حزقيال) لتقول أين تجد من ذلك بطلان ما يقوله اظهار الحق ، فهـل فى كلام (حزقيال) أو فى كلام المتكاف برهان على ان حكم الله لم يتبدل فى شأن (حزقيال) أو هل إذا تبدل الحكم بسبب الدعاء لا يكون تبدلا .

وليت شعرى ان المتـكاف قد استحسن الجواب فى هذه المقامات بقوله وعلى كل حال فلا ناسخ ولا منسوخ ، فلماذا يتكاف الجواب بغيره .

﴿ تكملة ﴾ قال المتكاف يه ٤ ج ص ١٥٦ ولعمرى ان الناسخ والمنسوخ اذا وجدا فى قانون او دستور أو فى كتاب كان اعظم وصمة يوصف بها هذا القانون او الدستور او الكتاب . ولذا كانت الديانة الصحيحة الحقيقية وكتبها المنزلة منزهة عن هذه الوصمة - ١٥٧ - فماذا تقول فى ملك الملوك ورب الارباب

العليم الحكيم هل يعقل او يتصور ان يأتى بقانون قابل للنسخ والنقص والتغيير والتبديل كل ساعة او ان لا جرم ان هذا بمنزلة قولنا عن المولى الحكيم العليم أنه جاهل عديم التروى وعديم التفكر والتبصر : — تعالى الله عما يقول الجاهلون علوا كبيرا : — ٥٨ افأن اعمال الله منذ الأزل منزهة عن التناقض والتشويش .

أقول : ليت شعرى ماذا يصنع من يقول هذا الكلام وماذا يقول فيما ذكرناه عن العهدين من تبديل احكام الله ونسخها فيما ذكرناه من الامثلة التى ترجع الى اوف من موارد النسخ . وماذا يقول فى خصوص امر الله (ابراهيم) بذبح ولده محرقة . وتكليف (حزقيال) بأن يخبز ما كوله على خرء الانسان وكيف قد تبدل هذان الحكمان ولم يمض عليهما اربعون سنة ولا الف وخمسمائة سنة ، بل انما مضى عليهما ايام او ساعات ثم تبدلا . وكذا شريعة (نوح) فى ادخال الحيوانات معه الى الفلك .

واستمع ايضاً لما نتلوه عليك من العهدين حيث تضمنا ان الله جل شانه بدل ماوعد واخبر بأنه قضاه وقدره الى الابد ، وبدل الحكم الشرعى اللازم لهذا المقدر الموعود به .

﴿ فينحاس وكهنوت نسله الأبدى ﴾

فقد ذكرت التوراة فى الخامس والعشرين من العدد ١٠ فكلم الرب (موسى) قائلا ١١ (فيناس) ابن (العازرا) ابن (هارون) الكاهن قد رد غضبى عن بنى اسرائيل بكونه غار غيرتى فى وسطهم حتى لم افن بنى اسرائيل بغيرتى ١٢ لذلك قل ها أنا ذا أعطيه ميثاقى السلام ١٣ فيكون له ولنسله من بعده ميثاق كهنوت أبدى .

وجاء فى سابع العبرانيين عن (بولس) ١١ فلو كان بالكهنوت اللاوى كمال إذا الشعب أخذ الناموس عليه . ماذا كانت الحاجة بعد إلى أن يقوم كاهن

آخر على رتبة ملكى (صادوق) ولا يقال على رتبة (هارون) ١٢ لأنه ان تغير الكهنوت فبالضرورة يصير تغير للناموس ايضاً .

وانظر إلى بقية الإصحاح ، فليقل المتكلف كيف تغير الكهنوت الذى هو أبدى بوعد الله وقضائه وعطائه وحكمه الشرعى لنسل (فينحاس) وانا لنسأل المتكلف ان الله عندما وعد واعطى الميثاق بهذا الكهنوت الأبدى لنسل (فينحاس) هل كان عالماً بأن هذا الكهنوت ليس فيه كمال وان الحاجة تمس إلى أن يقوم كاهن آخر من غير اللاويين وانه تعالى شأنه مزمع على ان يغير الكهنوت وينقله من بنى (فينحاس) بل (واللاويين) الى كاهن آخر ، فإن أجاب وقال نعم ان الله كان عالماً بذلك كله .

(قلنا) إذاً كيف جوزتم على الله ان يعطى عهداً وميثاقاً بالكهنوت الأبدى لنسل (فينحاس) مع علمه بأن هاهنا الكهنوت ليس فيه كمال ، ومع علمه بأنه ينقض هذا الميثاق ويقع الخلاف فى الوعد لأجل مسيس الحاجة إلى تغيير الكهنوت وقيام كاهن آخر ليس من نسل (فينحاس) .

فإن قال المتكلف يجوز نقض الميثاق وخلف الوعد الأبدى بعد الف وخمسمائة سنة لأن ما عتق وشاخ فهو قريب من الإضمحلال (عب ٨ : ١٣) قلنا لأن رضيتم لأنفسكم بهذا القول فإن فى العهد القديم ايضاً ما يدل على انه وقع الخلاف للوعد الأبدى والتبديل للحكم بعد يوم أو ساعة أو أقل .

﴿ ٢ - عالى وكهنوت بيته ﴾

فى ثانى صموئيل الأول ان رجل الله قال لعالى الكاهن عن قول الله ٣٠ لذلك يقول الرب إله اسرائيل انى قلت ان بيتك وبيت أبيك يسيرون أمامى إلى الأبد ، فوعد الله وأخبر بأنه قضى وقدر ان بيت (عالى) وبيت أبيه يسيرون أمامه جل شأنه فى وظيفة الكهنوت الى الأبد ، ولكن قال رجل الله

ايضاً على الأثر ، والآن يقول الرب حاشا لى فإنى اكرم الذين يكرمونني والذين يحتقرونني يصغرون ٣١ ، هو ذا تأتى أيام أقطع فيها ذراعك وذراع بيت أبيك إلى آخر مايشرح فيه ابتلاءهم وحرمانهم من وظيفة الكهنوت.

ومن الظرائف ان المتكلف أطال الكلام (يه ٤ ج ص ١٧٦) فى شأن زوال الكهنوت عن بيت (عالى) ، واعتذر تبعاً لكتابه بفسق أولاد (عالى) وقال فى قبال إظهار الحق هل مقصود المعترض أن تبقى الإمامة فى بيت (عالى) بعد اقتراف ابنيه الفسق .

قلنا : هل يخفى على أحد ان حقيقة اعتراض اظهار الحق هو انه كيف قبلتم من كتبكم صراحتها بأن الله أخبر بأنه قضى وقدر أمراً أبدياً وهو مقرون بحكم شرعى بل أحكام عديدة ترجع الى وظائف الكهنوت ، ثم ينقض الله هذا القضاء المبرم ويرفع أحكامه ، أفتقول : ان الله حين قضى ذلك الأمر المؤبد المقرون بالأحكام الشرعية المؤبدة بتأبيده لم يكن عالماً بأن ابنى (عالى) سيفسقون وإلا لما قضى قضاء أبدياً ثم نقضه تعالى الله عن ذلك .

﴿ ٣ - مملكة شاول ﴾

وفى ثالث عشر صموئيل الأول ١٣ فقال (صموئيل) (لشاول) : انحمقت لم تحفظ وصية الرب إلهك التى أمرك بها ، لأنه الآن ثبت الله مملكتك على اسرائيل الى الأبد ١٤ ، والآن مملكتك لا تقوم انتخب الله له رجلا حسب قلبه .

﴿ ٤ - موت حزقيا وشفاؤه ﴾

وفى الثامن والثلاثين من (اشعيا) (١ - ٩ و ٢ مل ٢٠ : ١ - ١٢) ان (حزقيا) ملك يهوذا مرض للموت فجاء اليه (اشعيا) النبى وقال له : هكذا يقول الرب أوص بيتك لأنك تموت ولا تعيش فصلى (حزقيا) واستغاث إلى الله وبكى فلم يخرج (اشعيا) النبى إلى المدينة الوسطى حتى كان كلام

الرب اليه قائلا : قل لحزقيا هكذا يقول الرب قد سمعت صلاتك ها أنا ذا اضيف الى أيامك خمس عشـــرة سنة ، وأعطاه علامة برجوع الظل إلى الوراء عشر درجات .

وليت شعرى ماذا يقولون هاهنا ؟ أيقولون : ان قول الله وأخباره بأن (حزقيا) يموت ولا يعيش كان عن مشيئة وإرادة لموته ، ثم عدل عن ذلك بواسطة الصلاة ؟

أم يقولون : بأن الله لما أراد موت (حزقيا) لم يكن عالماً بأنه يصلى ويستغيث به ؟ أم يقولون بأن الله يخبر بأنه يفعل شيئاً فى المستقبل وهو لا يريد أن يفعله ولا يفعله ؟ أم يقولون : بأن النبى كذب بذلك على الله كما أعطت التوراة عن كلام الله علامة على كذب النبى فى مثل ذلك (تث ١٨ : ٢١ و ٢٢) .

فإن قلت : ألستم معاشر المسلمين تقولون باستجابة الدعاء وفى قرآنكم فى سورة المؤمن قول الله ٦٢ : (ادعونى أستجب لكم) ، وفى سورة الرعد ٣٩ (يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب) .

قلنا : لا نجوز مثل هذا وإن يقول الله افعل هذا الشىء الخاص ثم لا يفعله ، ولو لأجل الصلاة والدعاء وغير ذلك .

وأما الآيات الشريفة فسنبين لك إن شاء الله عند التكلم فى معـــارف القرآن انها أجنبية عن مثل هذا التناقض والتشويش ونسبة النقائص إلى جلال الله وقدسه تعالى شأنه .

ويتضح لك ان قوله تعالى : (وعنده ام الكتاب) رافع لحجاب اوهم عن حقائق العرفان وفذلكات المعقول .

وليعلم ان إظهار الحق لم يقل ان الصلاة واستجابة الدعاء من الناسخ والمنسوخ كما توهمه المتكلف ، بل لا يخفى ان مراده هو ان (اشعيا) أخبر

(حزقيا) بأن الله أوجب عليه الوصية الى أهـــل بيته معجلة لأنه يموت ولا يعيش ، ولا بد أن يرتفع هذا الحكم الذى كان معجلا لأجل ضيق الوقت بسبب الزيادة فى عمر (حزقيا) خمس عشرة سنة .

فلماذا لا يقول المتكلف فى هذه الأمثلة الأربعة ان ملك الملوك ورب الأرباب لا يعقل ويتصور أن يقضى قضاء أبدياً أو يقدر أمراً الى الأبد أو يخبر بوقوع شيء ويقرن كل ذلك بحكم شرعى ويكون كل هـذا قابلا للنقض والخلف والتبديل بعد مدة أو ساعة أو يوم ، أفليست أعمال الله هاهنا منزهة منذ الأزل عن التناقض والتشويش ، ومعلومة عند الرب منذ الأزل جميع أعماله (اع ١٥ : ١٨) أفهاهنا ينبغى أن يقال ما قاله المتكلف ، أم فى النسخ الذى تنادى فى بيان حقيقته ألسنة المسلمين وأقلامهم ، وتبين بصراحتها لكل ذى فهم وكل مستقيم بأنه على نحو معقول لا تلزم فيه هذه المحاذير ، ويوضحون بأنواع الإيضاح ان مبناهم فيه وحقيقته هو ان الله يعلم منذ الأزل بما يناسب من الأحكام لمصالح العباد المختلفة بحسب الأزمان والأحوال فجعل فى مخزون علمه لكل مصلحة ما يناسبها فى اللطف والحكمة من الأحكام المحدودة بحدها ثم أظهر الله أحكامه لعباده بواسطة أنبيائه غير محدودة بحدودها المعلومة عنده لحكمة اقتضت ذلك ، فإذا انقضى حدها المخزون فى علمه أشعر عباده ايضاً بالحكم المناسب للمصلحة المتجددة على ما كان مكنوناً فى علمه جلت آلاؤه ولا يجوزون النسخ فيما لو قال الله ان هذا الحكم دائم أبداً ، وكذا لو قال : ان هذا الحكم ثابت فى حق العباد الى سنة مثلا فإنهم لا يجوزون نسخه قبل السنة لحصول التناقض والتشويش بين الأجل وابطاله بالنسخ قبل انتهائه .

أترى المتكلف لا يعلم بهذا كله من مذهب المسلمين ؟ أو انه يعلم ولكنه ماذا يصنع فى أمر انعقدت عليه المجامع ، وكلف نفسه مؤنة تمويهه اغماضاً عن العاقبة .

ثم انه قد ضجر من كثرة تعداد الأمثلة فى اظهار الحق لما فى العهدين من النسخ فشذ به الضجر الى تعداد الاضداد المتقابلة (انظر به ٤ ج ص ١٩٢ و ١٩٣) وكأنه قد طالع فى ذلك الوقت كتاب المحاسن والاضداد (للجاحظ) فعلق ذلك فى مخيلته ، وحق له أن يضجر فإنه الف من المنقول عن الرسل و (بولس) نسخهم للشريعة جملة واحدة فيما عن قولهم ما طهره الله فلا تنجسه أنت ، لانضع عليكم ثقلا اكثر من هذه الأشياء الإمتناع عما ذبح للأوثان والدم والمخنوق والزنى كل شىء طاهر للطاهرين كل خليقة الله جيدة إذا اخذت مع الشكر فإنه يصير ابطال الوصية السابقة من أجل ضعفها وعدم نفعها .

ومن هنا قال القسيس (سايل) ق . ص ٢٢٦ وكذا كاتب الرسالة المنسوبة لعبد المسيح ان الله تساهل مع اليهود فأعطاهم فرائض غير صالحة وأحكاماً لا يحيون بها .

فيا من لم يسلب التعصب رشده أفهذه الأقوال فى شأن الشريعة توافق حكمة الله ولطفه وعلمه ، ويكون النسخ على ما أوضحه المسلمون من حقيقته منافياً لحكمة الله وعلمه كما يزعمه المتكلف (به ٤ ج ص ١٥٥) .

ثم انظر فهل ترى هذه الأقوال تعطى ما يقوله المتكلف (به ٤ ج ص ١٥٨) ان الديانة اليهودية هى ذات الديانة المسيحية ، والمسيحية هى ذات اليهودية فإن أعمال الله منذ الأزل منزهة عن التناقض والتشويش .

او انها كما عن (بولس) لو كان الأول بلا عيب لما طلب موضع لثان .

وكما عن (يعقوب) الرسول ارى ان لا يثقل على الأمم لأن (موسى) منذ أجيال قديمة له فى كل مدينة من يكرزبه اذ يقرأ فى المجامع فى كل سبت (اع ١٥ : ١٩ و ٢١) فهل ترى لهذا الكلام مرمى الا انه بحث على ترويج امر المسيح بالتخفيف الموافق لأميال الامم وأهوائهم . وان (موسى) له من يروجه وقد استوفى حظه من الترويج .

﴿ انكار المتكلف ما فى العهد الجديد ﴾

ومع هذا كله ينكر المتكلف ما قاله اظهار الحق من أن المنقول عن الحواريين انهم نسخوا أحكام التوراة العملية غير الأربعة ، وعن (بولس) انه نسخ ثلاثة منها ايضاً ويقول (يه ٤ ج ص ١٩٣) ان هذا افك مبين فأتوا ببرهانكم ان كنتم من الصادقين .

فبولس كان من أعظم المناضلين عن العفة والتقوى وهو الذى قال : (انا فريسى) يعنى انه عريق فى الديانة الإسرائيلية وعلى كل حال فأيد أقوال الرسل لأنه لم يأت أحدهم منهم شيئاً إلا بوحى الروح القدس .

ويقول أيضاً (يه ١ ج ص ٢٧٣) ان الرسول يعنى (بولس) لم يقل ان الشريعة الموسوية ضعيفة معيبة غير نافعة حاشاه من ذلك .

أقول : إذاً فمن هو الذى قال فى سابع العبرانيين ١٨ فإنه يصير ابطال اوصية السابقة من أجل ضعفها وعدم نفعها ١٩ إذ الناموس لم يكمل شيئاً ، وفى الثامن ٧ فإنه لو كان الأول بلا عيب لما طلب موضع لثان ، وغير ذلك مما تقدم .

ويقال : ان بعض الحيوانات الوحشية إذا رأى الناس وخاف منهم وأراد أن يتستر عن عيونهم أدخل رأسه فى الرمل وأبقى سائر بدنه بارزاً وذلك لأجل توهمه بأنه إذا كان لا يرى الناس لدفن عينيه ، فالناس ايضاً لا يرونه وان كان بارزاً لهم ، وهل تراه إذ قال له الناس : رأيناك ، يقول : ان هذا إفك مبين فأتوا ببرهانكم إن كنتم من الصادقين .

دع هذا وهب ان ما عن (بولس) يناضل عن العفة والتقوى ، وهب انه أيد أقوال الرسل لأنه لم يأت أحد معهم إلا بوحي من الروح القدس .

ولكن قل هل أبقت كلماتهم التى طرقت سمعك فى هذه المقدمة أثراً لأحكام التوراة العملية ، أم لاشتها جملة ولا نكلفك ان تقول ان ذلك كان بنحو العيب لها وبيان عدم النفع فيها وطلباً للتخفيف موافقة لأهواء الامم واستمالة لقلوبهم لأن (موسى) قد استوفى حقه من الترويج .

فإن قلت : إذا كان معنى النسخ بالنحو الذى كشفت عنه من مراعاة المصالح بمناسباتها من الأحكام المخزونة فى علم الله ، وكان تبديل الشرائع المنسوبة إلى العهدين بهذا الشيوع البالغ إلى حد الملاشاة ، إذاً فما هو الوجه فى إصرار المتكلف وأمثاله على انكار وقوع النسخ فى أحكام الله بهذا الإنكار.

قلت : إن شئت ان تتعجب فتعجب ، وان شئت قلت انهم قد استحسنوا والفوا راحة نحلتهم واطلاقهم من قيود الشرائع بسر الفداء فحصنوا دوامها بدعوى امتناع النسخ فى الاحكام الإلهية مقاومة لما يدهمهم من النبوات بشريعة الحق المصلحة لأسباب الكمال ونظام المدنية وسعادة الدارين .

وخلاصة الكلام معهم مع ما تراه من التفاوت والإختلاف الباهظ بين الديانة اليهودية حسب العهد القديم وبين الديانة النصرانية حسب العهد الجديد هو ان قولهم ان الديانة اليهودية هى ذات الديانة المسيحية أى النصرانية الرائجة وبالعكس ان أرادوا منه انهما متحدتان فى الاحكام العملية فهو باطل بالوجدان إذ لا يخفى على أحد انه ليس فى النصرانية الرائجة شىء من أحكام التوراة العملية ، وان أرادوا انهما متحدتان من حيث الإيصال الى المعارف الحقة وشرائع التكميل وحفظ المدنية والسعادة ، وان اختلفتا فى الأحكام العملية رعاية لمصلحة الحال والوقت ، بل هذا الاختلاف ناشىء من اتحادهما فى رعاية الغاية المطلوبة .

قلنا بعد غض النظر عن المباحثات فى مضامين هذا الكلام ، إنا معاشر المسلمين جميعاً لنقول تبعاً لرسول الله وكتاب الله ان الاسلام متحد

مع الشريعة الموسوية الحقيقية ، والمسيحية الحقيقية ، وكل شريعة حق من حيث الغاية المطلوبة ، وان اختلف معهما فى بعض الأحكام العملية رعاية للغاية الصالحة .

ولو قلنا : بأن اليهودية والنصرانية الرائجتين هما الحقيقيتان وان كتبهما لرائجة هى الكتب الأصلية لقلنا : ان الاسلام أكمل منهما فى أسباب الوصول إلى الغاية والترقى فى كمالاتها كما يشهد بذلك خلو التوراة الرائجة من معارف القيامة والثواب الدائم النعيم والعذاب الأليم اللذين هما أولى بالرغبة والرهبة ولم يقع الترغيب للطاعة فى التوراة إلا بطفيف من زخارف الدنيا الفانية التى طالما تنعم بها المشركون بأضعاف ما حصل عليه الموحدون . ولم يقع الترهيب فيها ، والتخويف من وبال المعصية ، والتمرد على الله إلا بالفقر ، والآلام المنقضية والموت المحتوم على العباد مما يشترك به الناس برهم وفاجرهم . .

وكما يشهد بذلك ايضاً خلو الانجيل عن مناسبات المصالح من الاحكام بل قد ألغى لوازم الاصلاح وضروريات المدنية من قوانين السياسة وأحكام الدفاع حتى اضطر جميع متبعيه الى مخالفته بتشريعها فى ممالكهم حسب ما استحسنه عقلاؤهم وان لم يكن مستنداً الى الوحى الالهى ، وأيضاً ان المسيح قضى ثلاث سنين من نبوته واليهود فى أشد المضايقة له وبالضرورة لا يمكنه فى ذلك نشر ما عنده من التعاليم المخالفة للأهواء .

وغاية ما يذكر فى الانجيل انه كان يعلم بمكارم الاخلاق والذم لرياء المترئسين فى الدين ومخالفتهم للشريعة ، وهذا مما تنشرح له قلوب العامة ويقبلون اليه ، ومع ذلك كان يفر بتعليمه هذا من مكان الى مكان ، وناهيك ما يقوله الانجيل من انه لم يستطع أن يجاهر بأن (قيصر) الوثنى فى ذلك الوقت لا يستحق أخذ الجزية من بنى اسرائيل الموحدين ، بل كان يورى ويتحرف

فيه حينما سأله اليهود ونصبوا له بذلك شبكة ليعرقلوه بالجواب (انظر مت ٢٢ : ١٥ — ٢٢ ومر ١٢ : ١٣ — ١٨ ولو ٢٠ : ٢٠ — ٢٦) بل كان بنفسه يعطى الجزية لقيصر مت ١٧ : ٢٤ — ٢٧

﴿ اللعنة على من لا يقيم الناموس ﴾

فأن قلت ان لليهود حجة شرعية على امتناع النسخ للشرعية الموسوية وذلك لقول التوراة ملعون من لا يقيم كلمات هذا الناموس ليعمل بها تث ٢٧ : ٢٦ :

قلنا من شروط صحة الاحتجاج بذلك ان تكون التوراة متواترة متصلة السند غير محرفة وهذا واضح البطلان كما يعرف من متفرقات كتابنا وخصوص المقدمة السادسة فقد ذكرنا فيها شهادة كتاب (ارميا) فى موضعين منه بتحريف اليهود للتوراة وكلام الله ، وشهادة كتاب (اشعيا) بتحريف اليهود ، وكذا المقدمة الخامسة فقد اوضحنا فيها انقطاع سند التوراة وستأتى ان شاء الله زيادة الايضاح لذلك فى المقدمة الثالثة عشر ، وكذا المقدمة العاشرة فقد اوضحنا فيها بطلان دعوى اليهود تواتر التوراة الى (موسى) عليه السلام . هذا كله مضافاً الى مافى متفرقات كتابنا من بيان الموانع الداخلية فى التوراة الرائجة من صحة سندها الى اوحى .

ومن شروط صحة الاحتجاج بما تذكره ايضادلالته على انه لاتجىء بعد ذلك شريعة الهية بواسطة نبي حق تجب طاعته وسماع قوله وليس فيما تذكره شيء من الدلالة على ذلك اما (اولا) فلأن المحتمل كون اللعنة المذكورة على من لا يقيم الكلمات المذكورة فى السابع والعشرين من التثنية . وتلك الكلمات واحكامها ثابتة فى دين الاسلام على اكمل وجه واما (ثانياً) فلو فرضنا ان اللعنة على مخالفة كل احكام الناموس فانما هى على المتمردين على احكام الناموس ممن يجب عليهم العمل به لا على الذين يخالفونه لأجل اتباعهم لشريعة حق

الهية يجب اتباعها لمناسبة احكامها لمصالح الزمان المتأخر . كيف وان التوراة تخبر بان بنى اسرائيل خافوا من هيئة خطاب الله لموسى بالشريعة وطلبوا غير هذه الهيئة فاستحسن الله كلامهم واخبرهم بمجيء نبى مثل (موسى) يجعل الله كلامه فى فمه فيكلم الناس بكل مايوصيه الله به ويجب اتباعه والذى لا يسمع له يطالبه الله . انظر تث ١٨ : ١٥ — ٢٠ وهل هذا إلا نبى ياتى بشريعة تجب طاعتها .

﴿ الأبد فى التوراة والعهد القديم ﴾

فان قلت ولهم حجة شرعية اخرى على المسلمين وهى ان كثيرا من شريعتهم قد نصت التوراة على انه ابدى والى الابد وذلك كالكهنوت الهارونى وكثير من شرايعه ومتعلقاته ، وكذا الاعياد والسبت . فيمتنع ماجاء به الاسلام من نسخ هذه الامور .

قلنا وان الاحتجاج بهذا متوقف على صحة السند للتوراة الرئجة ، وقد ذكرنا انه لا سبيل الى ذلك ، ومتوقف ايضاً على دلالة ماتذكره فى الاصل العبرانى على التابيدمدى الليالى والايام وليس كذلك كما يشهد به التتبع فى العهد القديم العبرانى . فان كل ما قيل فى تعريبه . فريضة ابدية ، فانه فى الاصل العبرانى (حقت عولم) وما قيل فى تعريبه (كهنوت ابدية) فانه فى الاصل (كهونة لحقت عولم) وماقيل فيه . فريضة دهرية . فانه فى الاصل (حقت عولم . وحق عولم . ولحق عولم) وما قيل فيه (عهد ابدى . وميثاق ابدى) فانه فى الاصل (بريت عولم) وما قيل فيه الى الابد فانه فى الاصل (لعولم وعد عولم) هذا وقد قالت التوراة فى بعض العبيد انه يخدم سيده الى الابد ، وفى الاصل العبرانى (لعولم خر ٢١ : ٦) وان صموئيل قالت امه بحسب نذرها له فى خدمة بيت الرب انه يقيم هناك الى الأبد ، وفى الأصل (ويشب شم عد عولم ١ صم ١ : ٢٢) مع ان نذر هاله

هو ان تعطيه للرب كل ايام حياته ١ صم ١ : ١١ .

وفى المزامير حد عن الشر وافعل الخير واسكن الى الأبد (ع لعولم من ٣٧ : ٢٧)

وفى المزمور المائة والتاسع عشر ٤٤ فاحفظ شريعتك دائما الى الدهر والى الابد (ع لعولم وعد) ٩٣ الى الدهر لا انسى وصاياك (ع لعولم)

وهذا قليل من كثير تعرف به ان لفظ (عولم) فى العبرانية غير مختص بالتأبيد الى آخر الزمان ولا يدل على ذلك بل غاية مانسلم من دلالته على دوام الشيء مدة استعداده المجعول له . فالعبد يخدم مدة عمره مالم يتلف السيد عينه او سنه ، و (صموئيل) يسكن امام الرب مدة عمره . وفاعل الخير يسكن مدة عمره والشريعة يحفظها ، والوصايا لا ينساها مدة عمره ، والاحكام المذكورة فى الاعتراض تدوم مادامت الشريعة الموسوية قائمة لم تنسخ بشريعة النبي المماثل لموسى كما اخبرت به التوراة تث ١٨ : ١٥ — ٢٠ .

على ان لنا ان نقول ان لفظ (عولم) فى التوراة جاء منكراً غير مقرون بعلامة التعريف وهى الهاء فى العبرانية ، فلا يدل الا على زمان من الازمنة ، واما التعريف فى العربية فانما هو من الترجمين .

﴿ استئناف للكلام مع المتكلف ﴾

قال (يه ٤ ج ص ١٥٩ الاعتقاد بالنسخ هو ان يأتى الانسان بطريقة أو مبدأ ثم ينسخه ويدعى انه من عندالله وهو مناف للعقل السليم والذوق المستقيم والديانة الصحيحة منزهة عنه وبريئة منه ، نعم لاننكر ان تجسد الكلمة الازلية هو فوق عقولنا ولكنه موافق للعقل ، والقرآن ناطق بان المسيح كلمة الله وروح منه اخذ جسداً من مريم بدون واسطة بشرية بل حبل به بالروح القدس ، وهذا الأعتقاد موافق للعقل والنقل بل اظهر تنزه صفات الله عن النقص والعيب وانه لايبرىء المذنب إلا إذا استوفى حقه وعدله ،

أما الإعتقاد بالنسخ فإنه يحط بصفات حكمته وعلمه وإرادته ومشيئته وشتان بين العقيدتين .

أقول : قد بينا لك معنى النسخ وكشفنا لك عن حقيقته بما يتضح به لك توهم المتكلف أو مغالطته فى تعريفه له ، وكشفنا لك عن كونها أنسب بحكمة الله ولطفه فى مراعاة مصالح العباد المختلفة بحسب الأحوال والأوقات على وجه عرفت ان الناسخ والمنسوخ سابقان فى علم الله ، صادران عن مشيئته وإرادته منبعثان عن حكمته ولطفه وعلمه منذ الأزل بمناسبات الأحوال والأوقات ، فجعل جل شأنه كلا من الناسخ والمنسوخ بازاء مصلحته وحده بحدها فى مكنون علمه ، فأظهرهما لعباده بواسطة أنبيائه على مقتضى حكمته البالغة ورحمته الواسعة فلا تضجر سمعك بتكرار بيانه ، وإن كانت مضامينه تسبيحاً لله ببيان حكمته ولطفه وعلمه ومراحمه بعباده بما يرتاح به العقل السليم ويستعذبه الذوق المستقيم ، وقد قدمنا لك فى الأمثلة المتعددة عن العهدين صراحتها على مذاق المتكلف بأن (نوحاً) و (موسى) و (داود) و (حزقيال) و (المسيح) والرسل و (بولس) كل واحد من هؤلاء قد جاء بحكم تشريعاً أو إمضاء ، ثم نسخه ويدعى انه من عند الله .

وهلم واعجب من اقتحام المتكلف وتهوره فكأنه أحرز الموفقية فى أقواله فى النسخ ، فاقتحم بقوله : (نعم لا ننكر ان تجسد كلمة الله الأزلية هو فوق عقولنا ولكنه موافق للعقل) ، فسله وقل له : إذا كان ذلك فوق عقولكم فكيف تحكم بموافقته للعقل ، وإذ حكمت بأنه موافق للعقل فكيف يكون فوق عقولكم .

أو تدرى ما هو تجسد الكلمة عند المتكلف هو ان الإله اقنوم الأبن ، ثالث الثالوث الذى هو واحد حقيقة ، وثلاثة حقيقة ، قد تجسد فى الأرض وتوشح الطبيعة البشرية فأخذ جسداً من مريم وبقى اقنوم الأب واقنوم الروح

القدس فى السماء ، وبعد ثلاثين سنة انفتحت السماء ونزل اقنوم الروح القدس على شكل حمامة جسمية وحل على اقنوم الأبن المتجسد ، وبقى الأب فى السماء وصار اقنوم الابن المتجسد واقنوم الروح القدس الحال عليه فى الارض يحرب من ابليس أربعين يوماً إلى أن ذهب به ابليس إلى جبل عال وأراه جميع ممالك المسكونة فى لحظة وأطمعه بأن يعطيها له على أن يسجد الإله المتجسد لإبليس ، ثم جاء به ابليس من البرية إلى (اورشليم) وأوقفه على جناح الهيكل ممتحناً له ، ثم بقى بعد ذلك ثلاث سنين يقاسى الإضطهاد من الناس حتى إذا دنا وقت الصليب حزن وبكى وتضرع إلى أقنوم الأب فى ان تعبر عنه كأس المنية ، ولكن الأب لم يشأ ذلك ، وإذ آلمه الإضطهاد قال للأب إلهى إلهى لماذا تركتنى ؟ وإذ دنا منه الموت صرخ بصوت عظيم وقال يا أبتاه فى يديك استودع روحى ، وأسلم الروح ودفنوه ، وفى اليوم الثانى أقامه الله من الأموات وارتفع إلى السماء وجلس عن يمين الله ، هذا كله جرى على الكلمة المتجسدة والإله الذى توشح الطبيعة البشرية ليرفع قدرها .

اسمع هذا ولا تقل كيف وكيف فإن هذا بزعم المتكلف مما يهتز له العقل السليم طرباً ، ويتطعم به الذوق السليم استلذاذاً ، غفرانك اللهم سبحانك وتعاليت ، ولينس هذا مقام التعرض لما فى ذلك فدعه الى مجىء محله إن شاء الله وإن كان ما فيه لا يخفى على من عرف جلال الله وأقر له بالقدرة والوحدانية.

وأما قول المتكلف : بأن القرآن ناطق بأن المسيح كلمة الله وروح منه ، فاستمع لموقع ذلك من سياق القرآن الكريم ، وانظر الى أنه هل يسعف المتكلف بشىء من الموافقة ، أم انه يجبهه بالمقاومة ويجاهر بإبطال مزاعمه ودحض أضاليله .

قال الله جل اسمه فى سورة النساء ١٦٩ (يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله

وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيراً لكم إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد له ما فى السموات وما فى الارض وكفى بالله وكيلا) ١٧٠ ، لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله . ومعنى كون المسيح كلمة الله هو كونه أثراً لقوله تعالى (كن) على خلاف العادة فى تناسل البشر ، ولا نحسب ان معنى ذلك يوافق ما فى كتب إلهام المتكلف فإن فيها ما نصه : وكان الكلمة الله (يو ١ : ١) والمتكلف يقول : (يه ٢ ج ص ٣٨ س ٤) ان الكلمة الأزلية هى الله كما استشهد به المتكلف (ص ٢٩٠) وأين والآية الشريفة تكافح ذلك وتعلن بالتوحيد ، وبطلان التثليث ، وتنزه الله عن نسبة اولد اليه تعالى شأنه ، وتصرح بأن المسيح عبد الله ، ولن يستنكف من ذلك .

وعلى مثل هذا جاء قوله تعالى (وروح منه) فإن المراد انه روح مخلوقة لله أودعت فى (مريم) لا بواسطة نطفة وتوالد عادى ، بل هى من ناحية قدرة الله الباهرة ، وليس كما يحاول المتكلف جرياً على كتابه القائل : الله روح (يو ٤ : ٢٤) .

وأما الرب فهو الروح (٢ كو ٣ : ١٧) بل هى على نحو قول الله تعالى فى شأن (آدم) (ونفخت فيه من روحى) الحجر (٢٩ و ص ٧٢) وعلى نحو قول التوراة عن قول الله تعالى : (لا يدين روحى فى الإنسان الى الأبد) (تك ٦ : ٣) .

ثم ان المتكلف بعد اعترافه أولا بأن تجسد الكلمة الأزلية فوق العقول أقدم على مصادمة العقل والنقل فحكم بأنه موافق لهما ، ولم يكتف بذلك بل قال : ان تجسد الكلمة (وهو بالنحو الذى شرحناه لك) أظهر تنزه صفات الله عن النقص والعيب ، وكانه لو لم تنفصل الكلمة اقنوم الابن عن الأب ، ويتجسد على الارض ويجرى عليه ما ذكرنا من كتب إلهامهم من تصرف

ابليس به ، واطاعه بممالك المسكونة ليسجد له وتوارد الإضطهادات عليه ، بل كان الله واحداً قهاراً عزيزاً غير مثلث ولا متجزء ولا مضطهد لكانت صفاته غير منزهة عن النقص والعيب ، سبحانك اللهم وتعاليت .

وأما قول المتكلف : ان الله لا يبرء المذنب إلا إذا استوفى حقه ، وعدله ، فليت الكامل والناقص والفاهم والغبي يسألونه كيف أظهر تجسد الكلمة ان الله لا يبرىء المذنب إلا إذا استوفى حقه وعدله ، فهل يقول : ان العقل والأنبياء والعهد القديم قد قصروا فى بيان هذه الحقيقة أو قصروا عنه .

﴿ المتكلف و سر الفداء ﴾

أم يريد المتكلف ما يلهج به من سر الفداء ، وان الله استوفى حقه من الخاطئين وعدله باضطهاد الفادى الكريم وذبيحته فإنه قال (يه ٢ ج ص ٢٩١) وعقاب الخطيئة هو الموت فى جهنم إلى الأبد لأن المولى سبحانه وتعالى قدوس طاهر وعدله يستلزم عقاب الخطيئة بهذه الكيفية ، فالمسيح احتمل فى جسده ما كنا نستوجبه من العقاب ووفى ما كان علينا من الدين (و ٤ ج ص ٢٤٧) ان الكلمة الأزلية أو ابن الله بموته ، وفى للعدل الإلهى حقه . (و ص ٢٧٩) ان الله سبحانه وتعالى حكم فى كتابه العزيز بأن كل نفس تخطىء موتاً تموت فى جهنم النار إلى الأبد لأن عدله يستلزم هذا القصاص لقداسته التى لا تحد ولمقته الخطيئة مقتاً شديداً فلا يمكن أن يغض الطرف عن قصاص الخاطىء لقداسته وكراهته الخطيئة (و ص ٢٨٠) ان الله سبحانه وتعالى أظهر رحمته ومحبته بتجسد الكلمة الأزلية فلبس هذا الجسد وكان يلزم أن يكون الفادى طاهراً قدوساً منزهاً عن النقص حتى يفى للعدل الإلهى حقه ويخلص الخطاة ، فالمسيح (يسوع) قام بهذا الأمر وقدم نفسه فداء عنا ، فالعدل الإلهى كان

يستوجب عقابنا وموتنا (أى فى جهنم النار الى الأبد) فمات الفادى الكريم عوضاً عنا ، ووفى للعدل الإلهى حقه .

فدقق فى حفظ هذه المضامين على ذهنك وقل للمتكلف لماذا لا يمكن لله ان يغض الطرف عن قصاص الخاطىء .

﴿ مغفرة الله ورحمته وجوده ﴾

ومن ذا الذى يمنعه عن المغفرة للخاطىء بجوده ورحمته الواسعة كما يعاقب بعدله وقداسته ، أفلم يكن له نصيب من جود الفادى الكريم ورحمته أفلم يقل العهد القديم ان الله إله رحيم ورؤوف غافر الإثم والمعصية والخطيئة (خر ٣٤ : ٦ و ٧) ونحوه (عد ١٤ : ١٨) وغفور وكثير الرحمة لكل الداعين اليه (مز ٨٦ : ٥) والذى يغفر جميع ذنوبك (مز ١٠٣ : ٣) ومن هو إله مثلك غافر الإثم وصافح عن الذنب (مى ٧ : ١٨) وللرب إلهنا المراحم والمغفرة (دا ٩ : ٩) وإله غفران (نح ٩ : ١٧) وعن قوله تعالى : (أنا هو الماحى ذنوبك لنفسى وخطاياك لا اذكرها (اش ٤٣ : ٢٥) قد محوت كغيم ذنوبك وكسحاب خطاياك (اش ٤٤ : ٢٢) .

وفى المزمور الخامس والعشرين ٧ اذكرنى أنت من أجل جودك يارب وفى الحادى والثلاثين ١٩ ما أعظم جودك الذى ذخرته لخائفيك ، وفى تاسع زكريا ١٧ ما أجوده ، أفلم يمكن لله جل جلاله أن يتصف بهذه الصفات إلا أن تتجسد الكلمة على الأرض ويجرى عليها ما جرى من الاضطهاد ثم أجمع فى ذهنك ما تقدم من كلمات المتكلف مع قوله (يه ٢ ج ص ٣٨ س ٤) ان الكلمة الأزلية هو الله .

وقوله (٤ ج ص ٢٨٥) المسيح هو الله ، وقوله (٣ ج ص ١٧١) المسيحيون يعتقدون بأن الذات العلية والكلمة الأزلية والروح القدس هم الله

الواحد الأحد ، وخذ حاصل هذه الأقوال فى ذهنك ثم ليقرر لك المتكلف أو بعض محبيه بقية كلامه فى سر الفداء ولا تدعه يطوى الكلام على غره ، بل دقق فى السؤال منه وجادله بكلامه ، فإذا قال : ان الله أظهر رحمته ومحبته بتجسد الكلمة ، فقل له : ان عليك أن لا تعمى بل تقول حسب كلامك ، وأول (يوحنا) ان الله أظهر رحمته ومحبته بتجسده .

وإذا قال : فالمسيح احتمل فى جسده ما كنا نستوجبه من العقاب فقل له : انك قلت ان الكلمة الأزلية هى الله ، والمسيح هو الله ، فعليك أن تقول واستغفر الله ، فالله احتمل فى جسده ما كنا نستوجبه من العقاب (وهو الموت فى جهنم النار إلى الأبد) تعالى الله عن ذلك ، فينتج من كلامك ان الله لا يمكن أن يغض الطرف عن قصاص الخاطىء لعدله وقداسته فلا يمكن أن يغفر ويمحو حسب رحمته ومحبته ، فلم يجد حيلة لمخادعة عدله وقداسته إلا أن يتجسد ويحتمل فى جسده ما يستوجبه الخاطىء من العقاب ، أترى لو جعل الإيمان والتقديس فى ناحية ، وجعلت خرافات الكفر فى ناحية ، ففى أى الناحيتين يكون هذا الكلام ، فإن قال لك المتكلف : ان الفادى الذى احتمل فى جسده ما كنا نستوجبه من العقاب هو غير الله : فقل له (أولا) : هذا مناقض لقولك ومعتقدك بأن الفادى هو المسيح الذى هو الكلمة الأزلية التى هو الله ، ثم قل له هل من عدل الله القدوس العادل أن يعاقب غير الخاطىء وكيف أمكن ان يغض الطرف عن قصاص الخاطىء ، أو ليس قد قال كتابكم أن النفس التى تخطى هى تموت (حز ١٨ : ٤ و ٢٠) وكل واحد يموت بذنبه كل إنسان يأكل الحصرم تضرس أسنانه (ار ٣١ : ٣٠) .

فهل ترى أحداً من ملوك الارض يقبل من أحد الأبرياء أن يحتمل بالرغبة ما على المقصر من الصلب والإعدام ، ولو ان الملك قبل ذلك وأجرى على البرىء قصاص المقصر وترك المقصر آمناً فى تمرده لعده العقلاء ملكاً

قاسياً وحشياً لا يبغض الخطيئة على الخصوص إذا كان البرىء يطلب من الملك أن تعبر عنه كأس القصاص ويبكى ويحزن ويكتئب ويقول : إلهى إلهى لماذا تركتنى ؟ فإن قال : ان الفادى الكريم لم يحتمل قصاص الخاطىء حسبما يقتضيه العدل الإلهى وهو الموت فى جهنم النار الى الأبد ، وإنما احتمل ألم الصلب والإضطهاد والموت فى أقل من ثلاثة أيام ثم أقامه الله من الاموات مكرماً ممجداً ورفعه الى السماء فجلس عن يمين الله فقل له (أولا) : إذا كان الفادى الكريم هو الكلمة الأزلية التى هى الله ، والمسيح الذى هو الله فمن هو الذى أقامه الله ؟ ومن هو الذى جلس عن يمين الله ؟

و (ثانياً) إذا كان عدل الله وقداسته ومقته للخطيئة يستلزم عقاب الخاطىء بالموت فى جهنم النار الى الأبد ، فلماذا تنازل عدل الله الى كون القصاص يوماً وبعض يومين ؟ فهل كان العقاب الذى هو لازم العدل مالا احوجت ضرورة الوقت الى تعجيل استيفائه بالتنزيل الفاحش ، أم كان هذا التنازل واستيفاؤه من البرىء محاباة للأثمة الخاطئين ، كيف وكتابكم يقول ان الله ليس عنده محاباة (انظر ٢ أى ١٩ : ٧ و رو ٢ ، ١١ و ابط ١ : ١٧)بل النفس التى تخطى هى تموت ، هذا كله مع ان الابن ان كان قد اعطى وعداً للأب بهذا الفداء الذى عرفت موقعه من العدل والقداسة ومقت الخطيئة ، فبمقتضى كتابكم انه قد استعفى واستفال من هذه المعاملة مع الأب لما قرب وقت الإستيفاء ولم يردها ، وقال : وهو حزين جداً يا أبتاه ان أمكن فلتعبر عنى هذه الكأس (مت ٢٦ : ٣٨ و ٣٩) وكان يصلى لكى تعبر عنه الساعة إن أمكن ، وقال : يا أبا الأب كل شىء مستطاع لك فأجزعنى هذا الكأس (مر ١٤ : ٣٥ و ٣٦) وجثا على ركبتيه وصلى قائلا يا أبتاه ان شئت ان تجيز عنى هذه الكأس ، وظهر له ملاك من السماء يقويه وإذ كان فى جهاد كان يصلى بأشد لجاجة وصار عرقه كقطرات دم نازلة على الارض (لو ٢٢ : ٤١ - ٤٣)

ولكن لما رأى الحال قد اقتضى التصميم على هذا القصاص والاستيفاء تنازل عن إرادته التى لا تقيده ، ثم قل للمتكلف عوداً على بدء وكرر عليه فى السؤال وان ضجر من هو الكلمة ، ومن هو الاله العادل ، ومن هو الأب ومن هو الابن ؟ ومن هو الاله الذى تقمص الطبيعة البشرية ؟ ومن هو الله ؟ ومن هو الفادى ؟ ومن هو المسيح ؟ ألست تقول هم الله الواحد الأحد ، والمسيح هو الله . فعليك بقانون البيان والايضاح فى الكلام خصوصاً فى المعارف اللاهوتية أن تقول واستغفر الله ان الله العادل القدوس الذى يمقت الخطيئة ويستلزم عدله عقاب الخطيئة بالموت فى جهنم النار إلى الأبد هو الذى احتمل ما تقولونه وفدى الخاطئين لأنه أراد أن يظهر رحمته ومحبته ولا يمكنه أن يغض الطرف عن قصاص الخاطىء لقداسته ، فوقعت المخادعة للعدل والقداسة بالتجسد والتنازل بالفداء والقصاص ، فإن قال لك أن الفادى غير الله فكرر عليه السؤال بما قلناه فى قولنا (أولا ، وثانياً) فإن قال لك كما قال سابقاً ان تجسد الكلمة الأزلية فوق عقولنا ، فقل له : هبك رضيت بأن تعبد الله بما هو فوق عقولكم ولكن لماذا تتكلم فى النسخ بذلك الكلام الفاحش مع ان اظهار الحق فضلا عن غيره من المسلمين قد كشف لك عن حقيقته واوضح لك معقولها وانها مقتضى لطف الله بعباده وحكمته وعلمه بالمصالح ومقتضياتها واصلاح عباده على طبقها وقد اوقفك على مواقعه فى العهدين . ولماذا لم تكتف بتكرار قولك . وعلى كل حال فلا ناسخ ولا منسوخ .

﴿ الأسلام والمتكلف ﴾

ثم ان المتكلف بعد ان أودع كتابه مثل هذه الطامات التى تشوه وجه المعقول والمنقول وتخالسهما بالجحود لحقيقة العدل والتوحيد والحكمة والجبروت وكثير من صفات الجلال صار يستنتج الغلط من الغلط .

فقال بعد كلامه الأخير (يه ٤ ج ص ٢٨٠) فلا شىء من الدينونة على

الذين فى المسيح يعنى ينسب الينا بر المسيح بالإيمان ، فالمسيح حفظ الشريعة فبالايمان به ينسب الينا حفظها ، والمسيح مات فبالايمان به ينسب الينا موته فكما انه بآدم الأول دخلت الخطيئة فبآدم الثانى دخل البر فيكون الله عادلا فى تبريرنا لأنه عدله استوفى حقه فصار عدله ورحمته متساويين فلا تفاوت بينهما وهذا بخلاف المسلمين الذين يرتكنون على رحمة الله فى الخلاص ويغضون الطرف عن عدله وعن كونه منتقماً جباراً فأنت ترى ان طريقة خلاصهم واهية واهنة فاسدة بعيدة عن العقل السليم ، أما وهنها فلأنها غير مؤسسة إلا على أوهام باطلة كارتكانهم على رحمة الله فقط ، وغضهم الطرف عن عدله وقداسته ومقته للخطيئة (ص ١٨١) .

ومما يدل على فساد الطريقة الإسلامية أيضاً انها تستلزم ان رحمة الله أعظم من عدله ، والعقل السليم لا يقبلها .

أقول : فأين صار العدل الإلهى إذا كان لا شىء من الدينونة على الذين فى المسيح ، وبأى عدل وحكمة ينسب اليهم بره ، كيف وكتابهم يقول : ان الله يغفر الاثم والخطيئة ، ولكن لا يبرىء ابراء (خر ٣٤ : ٧ و عد ١٤ : ١٨ و نا ١ : ٣) .

وما معنى ان حفظ المسيح للشريعة ينسب اليهم وبأى عدل يكون ذلك وبأية حكمة ؟ فهل كان جعل الشريعة لأجل حاجة الله إلى العمل بها حتى يقال ان عمل بعض الناس يسد حاجة الله ويغنى عن عمل غيره ، وبناء على هذا الغلط أيضاً لا يصح أن يكون عمل واحد ينسب الى غيره ، أو ليس يعلم كل ذى عقل ان تشريع الشريعة إنما هو لطف من الله بعباده جميعاً ليتكملوا ويتقدسوا بالعمل بها ويصلح به اجتماعهم وينالوا سعادة الدارين ، ولو لاذلك لكان من أفحش الظلم إلزام كل أحد بالعمل بها .

وأفحش منه توقف الاقالة منها على الفداء كما عن قول (بولس) المسيح

افتدانا من لعنة الناموس إذ صار لعنة لأجلنا ، وحاصله ان الله جل شأنه برر المجرم بحمل عقابه ولعنته على البرىء البار (كذى العر يكوى غيره وهو راتع) أفهذا عدل الله عند المتكلف ؟ وكيف استوفى عدله حقه وممن استوفاه وعلى أى نحو جزاف استوفاه ، أيستوفى عقاب مليونات لا تحصى من الخلق وهو موتهم فى جهنم النار إلى الأبد بموت بار يوما وبعض يومين ، ويكون هذا من العدل واستيفاء الحق .

فهل سمعت عن الملوك المتمدنة انه وقع فى شرائعهم الاصلاحية أو قصاصاتهم العرفية مثل ذلك ؟ وهل سمعت انه وقع عند التجار حينما يلتجأون إلى التنزيل مثل ذلك ؟ وكيف يكون المستوفى بهذا النحو عادلا منتقماً جباراً فلو ان ملكاً أرضياً عصته رعيته ، ولاشوا شريعته ، وسفكوا الدماء وهتكوا الحريم ، ونهبوا الأموال ، وتعدوا الحدود فأراد أن يعطى عدله حقه ، فقدم ابنه البرى ليفدى رعيته المقصرين المتمردين من عقابهم العظيم بضربة لابنه فاستعفاه الابن وبكى وتوسل اليه فى أن تعبر عنه كأس الفداء فلم يسمع له بل ضربه ضربة واحدة وإن كانت مؤلمة بدلا عما تستوجبه الرعية بجرائمها من الاعدام والحبس والتبعيد ، وجعلهم بعد ذلك وهم على عاداتهم اوخيمة مبررين قد آمنوا وبال العقاب واطمأنوا بدستور الفداء ، أفتقول ان هذا الملك عادل قدوس يمقت الخطيئة ، وقد استوفى عدله حقه فهو منتقم جبار أم تقول وعلى قول المتكلف ان الأب والابن واحد رجع المثال الى أن الملك ضرب نفسه ليستوفى عدله حقه ويفدى رعيته حسبما ذكرنا

ومع هذا كله والمتكلف يقول (يه ١ ج ص ٢٧٤) ان عند المسلمين عهد الاعمال ، ومن سوء الحظ لا يوجد عندهم عهد النعمة عهد الخلاص .

فنقول : الحمد لله على عظيم نعمته ولطفه إذ شرع لنا شريعة الحق ، وعرفنا صالح الأعمال ووسائل القرب منه والفوز برضاه ، وسدد جامعتنا

لحفظ الشريعة ، ووفقنا للقول الثابت فى توحيده وتقديسه ، وهدانا الى معرفة عدله وقدرته وقدسه لنخشاه ، ومواقع رحمته وغفرانه لننيب اليه بالرجاء ، وعصمنا من مخادعات النفس الأمارة ، ومغالطات الهوى ومخالسات الشيطان فلا زالت نعم الله وألطافه علينا ظاهرة وباطنة ، ومن عظيم توفيقنا وحسن حظنا ان الشيطان الرجيم قد نكص عن عرفان جامعتنا خاسئاً . فلم يمزج توحيدنا بالشرك ، ولم يغالطنا بالتمرد على الشريعة الالهية وملاشاتها ولم يدس فى معرفتنا بجلال الله وقدسه لوازم النقص والعجز ، وأغاليط الوثنية ، وخرافات البوذية .

ولا أوم المتكلف إذ لم يعرف طريقة خلاص المسلمين ، فلا يخف على طالبي الهدى ان المسلمين يقولون اقتداء بقرآنهم كتاب الله ، واهتداء بأنوار شريعتهم ، وتمسكاً بعروة العقل الوثقى ان الله جل شأنه عادل قدوس عزيز ذو انتقام وغفور رحيم غنى حميد ، فإن انتقم من ذات الخاطىء المجرم وعاقبه بجرمه فهو عادل لأجل استحقاق المجرم للعقاب : وان غفر له وسامحه فذلك من رحمته وفضله وغناه من عقابه ، فمعاملة المجرم بالعدل وحده إنما هى العقاب فالعدل هو المخوف الذى ترتعد منه فرائص المجرمين ، وإنما يرجى الخلاص بالرحمة من الله الغنى ، وهذا من أوضح البديهيات .

وما كنت أحسب ذا شعور يقول : ان المجرم ينبغى أن يرجو خلاصه من عدل الله ، وإذا رجاه من رحمته يكون قد جعل رحمته أعظم من عدله فتتفاوت صفاته جل شأنه .

ولماذا لا يقول المتكلف إذا رجونا الخلاص من عدل الله يكون عدله أعظم من رحمته فتتفاوت صفاته ؟ ولماذا لم يفهم المتكلف ان ما ذكره من تنازل عدل الله وجريه على خلاف مقتضاه لما أظهر الله رحمته ومحبته بتجسد الكلمة هو الذى يستلزم أن تكون رحمة الله أعظم من عدله ، ليس

هذا فقط ، بل يرجع الى أن محبته ورحمته قد غالطت عدله ، وخادعته وقهرته حتى جرى على خلاف مقتضاه، وتنازل إلى مقتضاها تعالى الله عن ذلك وتقدس.

﴿ معارف القرآن والمتكلف ﴾

ولكن المتكلف يقول (يه ٢ ج ص ٢٩٩) ان القرآن اتخذ من الكتاب المقدس بعض صفات الله وكمالاته إلا انه لا يعرفها حق المعرفة كما هي مدونة فى مصدرها الأصلي فلا يعرف عدل الله الذى اقتضى تجسد الكلمة الأزلية واحتمال الصلب للتكفير عن خطايا كل من يؤمن به فإن القرآن يتوهم ان رحمة الله أوسع من عدله كأنه يوجد تفاوت بين صفاته جل شأنه .

قلنا : ان كنت قد نزهت ذهنك عن وصمة العصبية والتقليد ، كما هو الأمل الوطيد بالمعاصرين المتنورين ، فقد أوضحنا لك لزوم الشطط فى بناء الخلاص على العدل خصوصاً إذا كان بنحو تجسد الكلمة والفداء باحتمال القصاص على النحو الذى يكرره المتكلف مما يتهافت من جميع أطرافه على نسبة النقص لذات الله جل شأنه بل والجحود لحقيقة آلهيته .

ولو أن القرآن اتخذ صفات الله من كتابهم لكان ربما اعتمد فى احتجاجاته على قول الكتاب بتعدد الآلهة (انظر يو ١٠ : ٣١ - ٣٧) وبتعدد الأرباب (انظر مت ٢٢ : ٤١ - ٤٦ و مر ١٢ : ٣٥ - ٣٨ ولو ٢٠ : ٤١ - ٤٥) أو ما ترى القرآن قد بنى أساس دعوته وقانونها على ابطال هذه الخرافات وارغامها ولقال فيما قال ان الله حزن وتأسف فى قلبه (تك ٦ : ٦ و ٧ ومز ٧٨ : ٤٠ و اش ٦٣ : ١٠ و اف ٤ : ٣٠) ولقال : ان جماعة رأوا الله وتحت رجليه شبه صنعة من العقيق الأزرق الشفاف (خر ٢٤ : ١٠ و ١١) .

ولما قال (١) « لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف

---

(١) الانعام : ١٠٣ .

الخبير » ، ولقال : ان الله صارع بعض الناس إلى الصباح فلم يقدر عليه وطلب منه أن يطلقه (تك ٣٢ : ٢٤ - ٣١) .

ولما قال (١) « ليس كمثله شيء » (٢) وهو القاهر فوق عباده ، ولقال يا رب لماذا أسأت إلى هذا الشعب ؟ لماذا أرسلتني (خر ٥ : ٢٢) لماذا أسأت الى عبدك (عد ١١ : ١١) ولقال : يا أيها السيد الرب حقاً انك خداعا خادعت هذا الشعب واورشليم قائلا : يكون سلام وقد بلغ السيف النفس (ار ٤ : ١٠) .

ولم يقل (٣) : « إن الله لا يخلف الميعاد (٤) ومن أوفى بعهده من الله » ، ولقال الله محبة (١ يو ٤ : ٨ و ١٦) ، ولقال لأبشر لا بحكمة كلام ان الله استحسن أن يخلص المؤمنين بجهالة الكرازة (١ كو : ١٧ و ٢١) وفى الترجمة المطبوعة سنة ١٨١١ م بخلقة الكرازة ، ولم يقل (٥) « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة » ولقال ان جهالة الله ، أو تحامق الله أحكم من حكمة الناس ، ولم ينوه فى كثير من مضامينه بحكمة الله ولم يقل (٦) (يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد اوتى خيراً كثيراً) ولكنه ما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى .

وأما قول المتكلف : (ان القرآن لا يعرف عدل الله الذى اقتضى تجسد الكلمة إلى آخره) . فقد بينا لك أين يكون هذا من عدل الله وتنزيهه وتوحيده ، وأين القرآن ومايزعمونه من تجسد الكلمة ، وكيف والقرآن هو المقاوم لذلك والمنادى بتوحيد الله وتقديسه وبطلان التثليث والثالوث .

---

(١) الشورى : ٩ .
(٢) الانعام : ١٨ .
(٣) آل عمران : ٧ .
(٤) التوبة : ١١٢ .
(٥) النحل : ١٢٦ .
(٦) البقرة : ٢٧٢ .

﴿ المتكلف والبرهمية والبوذية ﴾

وإن اراد المتكلف من يعرف ذلك فعليه بمصدره الاصلى واساس تعليمه وهى عقائد البراهمة والبوذيين وكتبهم كما ذكره (بطرس) البستانى فى دائرة المعارف فقد ذكر فى الجزء الخامس منها ص ٣٧٥ ان (برهم) هو المعبود الاول عند الهنود وكثيرا ما يجعلون (برهم) اسما للاقانيم الثلاثة المؤلف منها ثالوث الهنود وهى (برهما) و (وشنو) و (سيوا) ويسمى برهم (فتش) اى الكلمة . واما برهما فهو نفس برهم معبود الهنود بعد ان شرع فى اعماله . وهو الاقنوم الاول من الثالوث الهندى اى ان برهم ينبثق من نفسه فى ثلاثة اقانيم كل مرة فى اقنوم . فالاقنوم الاول الذى يظهر به اول مرة هو (برهما) والثانى (وشنو) والثالث (سيوا) : ثم ذكر ماعندهم من التجسد . وفى ص ٣٧٦ ذكر ان القاب (سيوا) عندهم هى . السيد . والرب . والخالق . والمنتقم وفى ص ٦٥٩ ذكر عن البوذية اموراً يعتقدونها فى تجسد (بوذه) واحواله منها ١ عزمه فى السماء الرابعة على التخليص واختياره ان يولد من (مايا) حال كونها عذراء ٢ تجربة (المارا) له وهو معبود الحب والخطيئة والموت وتغلبه على سحره واهواله ٣ عند ظهوره لاجراء عمله تقاطر اليه رجال ونساء من جميع الاصناف واكثر الحكام يتبعوه هم ورعاياهم ٤ عمل آيات كثيرة واختار فى آخر امره من النساء وكيلات له ٥ كان (اتندا) تلميذه المحبوب ٦ يعتقد البعض انه تجسد تاسع لو شنوء وانه اصلح البرهمية بادخاله فيها قانون ايمان بسيطاً . وابداله عاداتها وشرايعها القاسية بشرايع ادبية ذات لين ورفق : فالبوذية ديانة بسيطة ادبية عقلية مضادة للفلسفة والاحتفالات وحرفة الكهنة . سهلة المراس تدعو جميع الناس اليها . مسهلة للجميع طريق الخلاص . ولها عدة مجامع فى امر الدين وانظر ايضا الى سرسنة (سليمان) (ص ٥٥ و ٥٦) .

﴿ الفداء عند المسلمين ﴾

فإن قلت : أليس عند المسلمين معنى معقول للفداء ، وهلا يمكن لبعض الأولياء ان يكون فادياً ، قلت : أما على ما يقوله المتكلف فمعاذ الله ، نعم كل من أعلن بدعوة الحق ، وجاهر بمقاومة الباطل ، وأبدى صفحته للإضطهاد فى سبيل الله ، لا تأخذه فى الهدى إلى الحق لومة لائم ، فهو فاد لمن يهتدى بنور هداه ، وان من الفادين من أقدم فى الجهاد فى سبيل الله على تحمل أنواع الإضطهاد وبذل النفس والأعزة للقتل لأجل علمه بأنه ان لم يعل كلمة الحق بالظفر فإنه يعليها بتحمله الإضطهاد ، وان اضطهاده وقتله وسوء المعاملة له مما يعلى كلمة الدين ويوضح نهج الحق وينبه الناس على ضلالة قاتليه ومضطهديه ، ولكن لا يمكن لنا أن نسمى المسيح فادياً بهذا المعنى لأجل تصريح كتاب الله بأنه ما قتل ولا صلب بل هو فاد بالمعنى الأول .

﴿ الفصل الثالث فى وقوع النسخ ﴾

اعلم ان كلما ذكرناه من العهدين من أمثلة وقوع النسخ فإنما يتيسر لنا الإحتجاج به على سبيل الجدل والإلزام لمتبعهما وذلك لعدم علمنا بكون الناسخ والمنسوخ فيهما من الأحكام الإلهية ، وبعبارة اخرى لما كنا نعلم بانقطاع سندهما ووقوع التحريف فيهما لم يسغ لنا أن نقول على ما فيهما هذا حكم إلهى ناسخ ، وهذا حكم إلهى منسوخ .

نعم برهاننا على وقوعه ما فى القرآن الكريم فى سورة آل عمران فى الحكاية عن قول المسيح فى دعوته ﴿ ولأحل لكم بعض الذى حرم عليكم ﴾ وكذا ما نعلمه إجمالا فى انحاء العبادات السابقة حيث قيدها الاسلام بكونها عربية ، وكذا ما نعلمه من وقوع الناسخ والمنسوخ فى الشريعة الاسلامية بما دل عليه القرآن الكريم كما سنشير اليه إن شاء الله ، وقد أكثر الناس

فى ذلك وخلطوا ، فلنستأنف الكلام فى تتبع بعض كلمات المتكلف ليتضح لك حالها وحاله فيها .

﴿ المتكلف والنسخ ﴾

وقد افتتح كلامه فى بحث النسخ بقوله (يه ٤ ج ص ١٥٥) مما اختصت به الديانة الاسلامية مما يشين ويعيب مسألة الناسخ والمنسوخ ، فمن تحرى فى القرآن وتفاسيره رأى ان الناسخ والمنسوخ فاش فيه بحيث يكاد أن لا تخلو سورة منه ، فكان ذلك موجباً لتشويش الذهن واضطراب الفكر ، فإذا طالع الانسان بقصد الفائدة تاه فى هندس الظلمات ، ووقع فى الالتباسات والايهامات ، وصعب عليه التمييز بين الأحكام التى يجب أن يعول عليها وبين الأحكام التى لا يجوز الاعتماد عليها .

أقول : أما دعواه اختصاص الديانة الاسلامية بالنسخ ، فقد ظهر لك ظهور الشمس فى رابعة النهار من الأمثلة المتقدمة ، كونها دعوى باطلة لا يسترها التمويه .

وان العهد القديم قد ذكر وقوع التناسخ فى شريعة (نوح) كما فى المثال الأول ، وجاء فى شريعته النسخ لما قبلها ، كما فى المثال الثانى إلى المثال الخامس والتناسخ فيها كما فى المثال السادس إلى المثال التاسع والعشرين ، وان شريعة الانجيل قد جاء فيها النسخ لما قبلها كما فى المثال الثلاثين الى المثال السابع والثلاثين والتناسخ فيها أيضاً كما فى المثال الثامن والثلاثين .

وان شريعة العهد الجديد قد جاء فيها النسخ لما قبلها كما فى المثال التاسع والثلاثين إلى المثال الرابع والأربعين ، والتناسخ فيها أيضاً كما فى المثال الخامس والأربعين إلى السابع والأربعين ، وانظر الى ما ذكرنا فى التنبيه ، والمتكلف يقول : وعلى كل حال فلا ناسخ ولا منسوخ ، على ان المتكلف قد اتبع فى

هذه الدعوى قول السيوطى فى الاتقان اتباعاً من دون تدبر ، ولم يدر انه لا يلزم السيوطى مثل ما يلزمه .

قال فى الاتقان فى المسألة الثانية من النوع السابع والأربعين فى النسخ ما لفظه (النسخ مما خص الله به هذه الامة لحكم منها التيسير) ، ولا تحسب ان السيوطى يدعى انه لم يقع النسخ فى الشرائع مطلقاً حتى نسخ البعض من أحكام الشريعة السابقة بالشريعة اللاحقة ، كيف وان القرآن الكريم صريح بأن المسيح يحل لبنى اسرائيل بعض الذى حرم عليهم كما تقدم ، بل غاية دعوى السيوطى ان نسخ الشريعة الواحدة لبعض أحكامها مما خص الله به هذه الامة فى شريعتها ، وغاية ما يعترض به على السيوطى فى هذه الدعوى هو انها دعوى لأمر غائب لا يكتفى فيها بالظنون ، بل تحتاج الى حجة قاطعة صادرة عن علام الغيوب .

نعم لا يلزمه ما يلزم المتكلف من وقوع التناسخ فى الشرائع السابقة بمقتضى العهدين كما ذكرناه ، وذلك لجواز أن يقول السيوطى لا حجة علىّ بالعهدين لعدم صحة سندهما الى الالهام ، ولكن أين يفر المتكلف عن لزوم ما فى العهدين ، كما ذكرنا أمثلته .

وأما قول المتكلف : فمن تحرى القرآن وتفاسيره رأى أن الناسخ والمنسوخ فاش فيه .

فلو أراد فيه الأمانة والتحقيق وترك التمويه والتلبيس لكان عليه ان يبين ما فى القرآن من الناسخ والمنسوخ بالبيان الكافى المنطبق على معنى النسخ فى الجامعة الاسلامية ، ثم يقول ما عنده .

وأما التشبث بأقوال المفسرين فتشبث سخيف ، لأن الحقائق غير مربوطة بأقوالهم ، وان كثيراً من أقوالهم هاهنا ناشىء عن آراء ضعيفة وأوهام مردودة ، فقد ذكرنا من تفسير الخازن عن قول العلماء انهم قرنوا

المفسرين (باعتبار الكثير منهم) وساووهم بالمؤرخين حيث وصفوهم جميعاً بأنهم مولعون بكل غريب ملفقون من الصحف كل صحيح وسقيم .

ولنقتصر فيما يهمنا فى المقام على ما أشار اليه فى الاتقان ، وان كان قليلا من كثير ، فقد نقل عن ابن (الحصار) قوله ولا يعتمد فى النسخ قول عوام المفسرين ، بل ولا إجتهاد المجتهدين .

﴿ العلماء والمفسرون ﴾

اعلم ان من الناس من كانوا ذوى فهم ثاقب وفكر صائب وقريحة متوقدة فإذا توجهوا الى العلوم انهمكوا فيها انهماك المنهوم ، فلا يزالون يجدون فى اتقان مقدماتها وأحكام مبانيها باذلين جهدهم فى الغوص على دررها ورفع حجب الجهل وأغاليطه عن وجوه حقائقها ، يزنون المنقول بالمعقول ويردون الفروع إلى الاصول . فالذين فازوا بهذه الفضيلة هم المستحقون لاسم العلماء ، ومن الناس قوم مالوا الى العلم وقعدت بهم الهمم وقصور الاستعداد عن طلب الغاية العليا ، فارتضوا من الفضيلة أن ينسبوا الى فن من الفنون ، واكتفوا من الملكات بكثرة الحفظ فاقتنعوا بالمنقول والأخذ من الأفواه وسواد الكتابات ، ولم يكن همهم فى ذلك إلا تكثير بضاعتهم ، ووفور محفوظاتهم ، وغرابة منقولاتهم من غير التفات الى التحقيق ، ولا وصول الى الحقائق ، ولا انتقاد لما يسمعون ، ولا تدبر لما يقولون ويكتبون وروج بضاعتهم سهولة أخذ الهمج الرعاع عنهم ، وموافقة خبطهم لأهواء المدلسين . ومن هؤلاء كثير من المفسرين والمحدثين الذين وقف العلماء لهم بالمرصاد ، ونبهوا على خبطهم وخطأهم ، كما ذكرناه عن تفسير الخازن .

﴿ المفسرون والنسخ ﴾

وقد ذكر فى الاتقان مما أورده المكثرون فى النسخ أقساماً وأمثلة لا يخفى انها ليست من النسخ الذى هو محل الكلام فى شيء ، بل ان جعلها منه

إنما هو من فلتات الأوهام ، وسوء التخليط ، وعدم التدبر . . فمن ذلك جعلهم من أقسام النسخ كلما جاء فى الشريعة المقدسة مبطلا لضلالات الجاهلية وعوائدهم الذميمة ، وكأنهم لم يسمعوا من العلماء ان النسخ إنما هو رفع الله لحكمه السابق بإعلان حكمه اللاحق حسب اقتضاء المصلحة والإصلاح ، فإن رضى المتكلف أن يعد ما ذكروه من قسم النسخ لزمه على رأيه أن تكون أحكام التوراة كلها ناسخة ، ولكنه مع ذلك لا يبالى أن يقول : وعلى كل حال فلا ناسخ ولا منسوخ .

ومن ذلك جعلهم جميع الآيات المادحة على الإنفاق والنادبة اليه منسوخة بآية الزكوة ، وهذا وهم فاحش ، فإن حسن الإنفاق والندب اليه من محكمات الشريعة ومستحسنات العقل ، لما فيه من كرم الأخلاق واستحكام التقوى وحسن الإجتماع . ودوام العواطف ، وحفظ النوع ، وليت شعرى من أين توهموا ان آية الزكوة ناسخة لآيات الانفاق ، فهل ترى فى قوله تعالى : (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها) ، وهل تشم منه رائحة المنافاة لآيات الانفاق .

ومن ذلك جعلهم من باب الناسخ والمنسوخ مثل قوله تعالى : (والعصر ان الإنسان لفى خسر إلا الذين آمنوا . .) ، وقوله تعالى : (والشعراء يتبعهم الغاوون إلا الذين آمنوا) ، فتوهموا ان الإستثناء ناسخ لما قبله . وهل هذا إلا من الخلط والخبط بين الإستثناء والتخصيص المتصل بالكلام ، وبين النسخ المصطلح ، ولئن رضى المتكلف بعد هذا من النسخ الذى يندد به على قدس القرآن ، فماذا يقول إذن فيما يوجد منه كثيراً فى العهدين ، أيقول مع ذلك وعلى كل حال فلا ناسخ ولا منسوخ .

ومن ذلك جعلهم من المنسوخ قوله تعالى فى سورة التين ٨٠ : (أليس الله بأحكم الحاكمين) .

وكذا قوله تعالى فى سورة البقرة ٧٧ : (وقولوا للناس حسنا) فقالوا ان الآيتين منسوختان بآية السيف وهو توهم ظاهر ، فإن الآية الاولى لاينبغى لأحد أن يتوهم فيها النسخ لأنّ مضمونها اخبار بأحسن الأساليب عن ان الله أحكم الحاكمين ، وهو كذلك جل شأنه فى الأزل والأبد . . فإن قيل انها منسوخة باعتبار لازم معناها وهو الأمر بالتفويض والتسليم ، قلنا أين لفظها وسوقها من هذا المعنى ؟ أفليس قبلها قوله تعالى (فما يكذبك بعد بالدين) وان السوق ليشهد بأن نظرها متوجه الى المكذب بالدين ، وأين هذا من الأمر بالتسليم والتفويض ، ولو سلمنا ذلك لقلنا ان آية السيف والجهاد الواجب من حكم الله الذى يجب التفويض والتسليم له .

وأما الآية الثانية فهى حكاية عما عهده لبنى اسرائيل وأمرهم به ، فأين وأين هى من آية السيف ، بل لو كانت خطاباً لهذه الامة لكانت من المحكمات التى لا تقبل النسخ ، فإنها آمرة بتهذيب الاخلاق وحسن الخطاب الذى هو من مصلحات النظام ، وصون اللسان عن منقصة الفحش والبذاء ، ولأجل ما ذكرنا غلط ابن الحصار من جعلها منسوخة بآية السيف .

ومن ذلك ما يحكم ان (هبة الله بن سلامة الضرير) أخطأ فى قوله تعالى فى سورة الدهر (ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً) وقال : ان حسن الاطعام فيها وجوازه منسوخة بالنسبة لأسرى المشركين فقالت له ابنته أخطأت فقد أجمع المسلمون على ان الأسير يطعم ولا يموت جوعاً ، فأذعن بالخطأ وكان هو الناقل لهذه الحكاية .

ومن ذلك اضطرابهم فى الخطأ فى قوله تعالى فى سورة الاعراف ١٩٨ (خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين) ، فقال (ابن العربى) ان أول الآية وآخرها منسوخ بآية السيف ، بناء على ان المراد بالعفو مايرادف الصفح ، وقال بعض : ان أولها منسوخ بآية الزكوة ، بناء على ان المراد

بالعفو هو الفضل من الأموال ، وكلا القولين خطأ لأنه ان حملنا العفو على معنى الفضل من الأموال لم تكن آية الزكوة مضادة له ولا ناسخة ، فإن الزكوة من العفو والفضل من الأموال ، بل يكون كل من الآيتين شارحاً للاخرى ، فكأنه قيل خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها ، وهى من العفو والفضل من الأموال ، هذا وإن حملنا العفو على معنى الصفح فإن معناه المسامحة وترك الإنتقام عما مضى من الإساءة ، وهو من مكارم الأخلاق التى يصلح بها الإجتماع وتتألف القلوب وتقوم بها الحجة ، ويتبصر بها الغافل ورياضة نفسانية ، وسياسة اقتصادية تتقدم بها شريعة الحق إلى الإنتشار ولا مضادة للعفو كما أوضحناه ، ولا منافاة له مع آية السيف ، فانظر الى آية السيف وهو قوله تعالى فى سورة برائة ٥ : (فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فإن تابوا وأقاموا الصلوة وآتوا الزكوة فخلوا سبيلهم إن الله غفور رحيم) وانظر الى ما قبل الآية وما بعدها من أول السورة الى الثانية عشر فهل تجد فى اللفظ أو المعنى أو السوق نهياً عن فضيلة العفو عما سبق من الإساءة ، أو ان الله جل اسمه يقول : (فإن تابوا وأقاموا الصلوة وآتوا الزكوة فخلوا سبيلهم إن الله غفور رحيم ١١ فإن تابوا وأقاموا الصلوة وآتوا الزكوة فاخوانكم فى الدين) وانك لتجد من صراحة الآيات ان قتل المشركين لم يكن لأجل الإنتقام منهم ولا للمؤاخذة لهم على اساءتهم السابقة ، بل إنما هو لأن المشركين رجس نجس ومعثرة فى سبيل التوحيد وانتشار شريعة الحق والعدل ونظام المدنية ، وزيادة على ضلالهم قد توغلوا بالعداوة للتوحيد والموحدين وانهضهم ضلالهم وجبروتهم لإيذاء المؤمنين وحربهم مبلغ جهدهم ، ولم تنفع فيهم الحجج الواضحة والمواعظ الناصحة ، ولأجل ذلك قال الله جل شأنه امهلوهم مدة الأشهر الحرم تأكيداً للحجة ومهلة للنظر واستمالة إلى الهدى والتوبة ، ثم ضايقوهم

بعد هذا بالقتل والحصار تطهيراً للأرض من رجسهم وحياطة للتوحيد وشريعة الحق من كيدهم ، أو ينيبوا إلى الإسلام فيتطهروا بقداسته ويستنيروا بهداه ، وحينئذ فخلوا سبيلهم ، وليس لكم أن تؤاخذوهم بإساءتهم معكم أيام شركهم فإن الله غفور رحيم .

فلا بد لكم حينما يسلمون أن تعفوا وتصفحوا عما سبق منهم فإنهم حينئذ اخوانكم فى الدين .

فالآيات الكريمة مؤكدة لحكم العفو والصفح ، وصريحة فى أن قتلهم ومحاصرتهم قبل إسلامهم إنما هما لتنفيذ شريعة الحق ، الداعية إلى مكرمة العفو والصفح .

فأين الآية الشريفة من معارضة الأمر بالعفو ونسخه ، وقس على ذلك كلما جاء فى القرآن الكريم من الأمر بالعفو والصفح عن المشركين ؛ فإذا أمعنت النظر فى فلسفة هذه الحقيقة ، وأوصلك التدبر الى معرفة ما فيها من الحكم الباهرة فى تربية البشر دعوتهم الى شريعة الحق والعدل وتأديبهم بها ، فإنك تعرف اشتباه (ابن العربى) فى دعواه ان آية السيف المذكورة نسخت مائة وأربعة وعشرين آية .

وتعرف أيضاً خطأ المتكلف والمتعرب فى اتباعهما له على ذلك (يه ٤ ج ص ١٦١ و ذ ص ٤٤ و ٤٥) .

وتعرف أيضاً مبلغ تعصب المتعرب وضلاله ، وانى لأظن ظناً قوياً انهما لم يطلعا على الآيات التى أشار اليها (ابن العربى) ، وإنما اتبعا مجمل كلامه لموافقته لأهوائهما ، وسنتعرض إن شاء الله لشرح مضامين هذه الآيات عند التعرض لما فى القرآن الكريم من التعليم بمكارم الأخلاق والحكمة البالغة فى إظهار دين الحق فترتاح إلى نفحات الهدى واليقين وتعرف نسبه الآيات المشار اليها من آية السيف المذكورة .

ومن الإشتباه والخلط ما ينقل من دعوى (ابن العربى) ان آخر آية السيف قد نسخ أولها ، وها قد تلوناها عليك ، وذكرنا لك صراحتها وسوقها ، وقد عرفت فى أوائل المقدمة معنى النسخ ، فهل تجد لهذه الدعوى وجهاً مقبولا .

ومن العجب ان الإتقان قد نقل قبل هذا عن (ابن العربى) نفسه قوله بأن ما يخصص باستثناء أو غاية ليس من المنسوخ ، وذلك كقوله تعالى : (ان الانسان لفى خسر إلا الذين آمنوا فاعفوا واصفحوا حتى يأتى أمر الله) فكيف إذن يقول : ان أول آية السيف منسوخ بآخرها وهو قوله تعالى : (فإن تابوا وأقاموا الصلوة وآتوا الزكوة فخلوا سبيلهم) .

ومن الاشتباه ما عن (ابن العربى) أيضاً فى قول الله تعالى فى سورة المائدة ١٠٤ (يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم) حيث قال : (أى اهتديتم بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر) فجعل هذا ناسخاً لقوله تعالى : (عليكم أنفسكم) زاعماً ان معناه لا تتعرضوا لغيركم بالامر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وهذا توهم فإنه لا دلالة فى الآية على ذلك أصلا ، بل معناها نحو ما قاله الكشاف عليكم أنفسكم وما كلفتم من إصلاحها والسلوك بها فى نهج الهدى وذلك باتباع دين الحق والشريعة المقدسة والتأدب بآدابها ، ومنها الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فإن من تركهما مع القدرة عليهما فليس بمهتد ، بل ان تركهما حينئذ من الضلال المقابل للهدى ، ومع ذلك فليت شعرى من أين لابن العربى تقييد الاهتداء وتفسيره بخصوص الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فإن أخذه من روايات الآحاد فإن ما رواه الكشاف فى هذا المقام عن (ابن مسعود و (أبى ثعلبة) عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لصريح بخلاف ما يدعيه ابن العربى من النسخ .

ومن هذا النحو اعتماد بعض على رواية من الآحاد فقال ان قوله تعالى :

(واتقوا الله حق تقاته) منسوخ بقوله تعالى : (واتقوا الله ما استطعتم) ، وقد نقل فى الإتقان القول بأن الآية الاولى من المحكم الذى لم ينسخ ، وذهب المحققون كالكشاف وغيره الى ان الآيتين بمعنى واحد فلا معارضة بينهما حتى تمكن دعوى النسخ .

فإن معنى قوله تعالى : (اتقوا الله ما استطعتم) اتقوا الله جهد قدرتكم ومبلغ استطاعتكم ، وهذا هو تقوى الله حق تقاته ، إذ لا يصح الأمر بتقوى الله فوق القدرة والاستطاعة ، ولا معنى لذلك ، وهذا كاف فى رد الرواية لمخالفتها لحكم العقل ، وبهذا تعرف وهن كلام المتكلف (يه ٤ ج ص ١٦٢) ولو انه يسمع كلاماً (لهيان ابن بيان) لحمله على عاتق حقائق الاسلام وجامعته وقال : ما شاء هواه هذا وان جملة مما اختار فى الاتقان كونه من الناسخ والمنسوخ لهو أيضاً محل منع ، وسنتعرض إن شاء الله لتحقيق ذلك بالبيان اواضح عند التعرض لبيان شرائع القرآن الكريم .

وبما ذكرنا هاهنا تعرف ان ما سرده المتكلف (يه ٤ ج ص ١٦٦) من تعداد السور التى ادعى فيها وجود الناسخ أو المنسوخ ، أو كليهما إنما هو دعوى لا حقيقة لها ، وإنما اتبع بها نقل الاتقان عن بعضهم فى المسألة الخامسة .

واعلم انا لا نتحاشى من وجود الناسخ والمنسوخ فى القرآن الكريم بل قد دللناك فى أوائل المقدمة على ان النسخ قد تقتضيه الحكمة الالهية ومراعاة المصلحة ، ولكنا قصدنا هاهنا تحقيق الحق ، ودفع أغاليط الأوهام عن شرائع القرآن الكريم وآدابه ، وقمع تهويلات المتكلف وتمويهاته واكثاره الكاذب ، وبما ذكرنا تعرف خطأ المتكلف فى قوله المتقدم (فكان ذلك موجباً لتشويش الذهن واضطراب الفكر) .

﴿ شروط الفتيا ﴾

أفلا يعلم ان كل من يعد نفسه مفتياً فى شريعة من الشرائع ، ويدعى رياسة العلم بها ليس له أن يستريح من حيث يتعب الكرام ، بل لا بد له أن يجتهد فى الاطلاع على كتابها الذى هو أساسها ، ليعرف منه العام والخاص ، والمطلق والمقيد ، والمجمل والمبين ، والناسخ والمنسوخ . ليستنتج من ذلك الأحكام الفعلية ، ويميز موضوعاتها لئلا يكون فى فتياه كحاطب ليل وخابط عشواء .

أفلا ترى انه لا يصح لربانى اليهود أن يتصدر للفتوى بمقتضى دينه يفتى بتقديس كل بكر فاتح رحم للرب اعتماداً على (خر ١٣ : ٢ و ٢٢ : ٢٩ و ٣٠ و تث ١٥ : ١٩) من دون أن يفحص ليطلع على الحكم بالفداء (خر ١٣ : ١٣ و ١٥ و ٣٤ : ٢٠ و لا ٢٧ : ٢٧ و عد ٣ : ١٢ و ٣٩ - ٤٨ و ٨ : ١٦ - ١٨ و ١٨ : ١٥ - ١٨) .

فيعرف من هذا كله العام والخاص ، والمجمل والمبين ، والمطلق والمقيد والناسخ والمنسوخ .

ويتدبر حكم الفداء لبكر الحمار من (خر ١٣ : ١٣ و ٣٤ : ٢٠ و لا ٢٧ : ٢٧ و عد ٣ : ٤١ و ٤٥) .

ولا يصح له أن يفتى فى العبد العبرانى على مقتضى (لا ٢٥ : ٣٩ - ٤٢) من دون أن يتحقق بيان الحكم من (خر ٢١ : ٢ - ٧ و تث ١٥ : ١٢ - ١٨) ، ولا يصح له أن يفتى بحرمة أرملة الأخ على مقتضى (لا ١٨ : ١٢ و ٢٠ : ٢١) من دون أن يطلع بالفحص على (تث ٢٥ : ٥ - ١٠) .

ولا يصح له أن يفتى بحد عمر اللاوى لخدمة مسكن الرب على مقتضى (لا ٤) حتى يطلع بالفحص على (لا ٨ : ٤٤ و ٤٥) .

ويفحص عن سند التوراة العبرانية والسبعينية ، ويتدبر فى فتواه بالاطلاع على (١ أى ٢٣ : ٣ و ٢٤ و ٢٧ و عز ٣ : ٨) فيتعرف من ذلك الصحيح والغلط والمحرف والناسخ والمنسوخ .

ولا يصح له أن يفتى فى ذبائح الأيام والسبوت والأعياد والمواسم ومقاديرها ، وممن تكون وعلى من تجب حتى يطلع بالفحص على (حز ٤٥ : ١٣ - ٤٦ : ١٦) ليعرف الناسخ والمنسوخ والصحيح والغلط ، وهذا المقدار كاف فى الانموذج .

وكذا لا يصح لقس النصارى أن يعتمد فى فتواه بأحكام التوراة على إمضاء المسيح لها ، وأمره بحفظ أقوال الكتبة والعمل بها لأنهم على كرسى (موسى) جلسوا (مت ٢٣ : ٢ و ٣) من دون أن يستقصى العهد الجديد بالفحص ليطلع ما يحكى عن المسيح من تحريم الطلاق والتزوج بالمطلقة (مت ١٩ : ٩) وما يحكى عن (بطرس) من تحليله لأكل جميع الحيوانات المحرمة فى التوراة (اع ١٠ : ١١ : ١٧) .

وما يحكى عن التلاميذ من رفعهم وجوب الختان وقيود التوراة إلا أربعة : الإمتناع عما ذبح للأوثان ، والدم ، والمخنوق ، والزنى (اع ١٥ : ٢٣ - ٣٠) ، ولا يصح له أيضاً على أساسهم أن يفتى بوجوب الامتناع عن هذه الأربعة ما لم يوصله الفحص إلى الإباحة العامة المنقولة عن أقوال (بولس) (رو ١٤ : ١٤ و أتى ٤ : ٤ و تى ١ : ١٥) وحتى يستنتج نتيجة من الأقوال المشوشة المضطربة المنقولة عن (بولس) فى أكل ما ذبح للأوثان (١ كو ٨ : ١ - ١٣ و ١٠ : ١٩ - ٢٢ و ٢٩ و ٣٠) .

ولا يفتى بكفاية الايمان فى النجاة أو بلزوم الأعمال حتى يوفق بما عنده بين الأقوال المنسوبة إلى (بولس) (عب ٩ و ١٠ و ١١) وبين ما يضادها من الأقوال المنسوبة الى (يعقوب) (يع ٢ و ٣) .

وعلى مثل هذا ينبغ على عليه السلام رجلا تصدر للفتيا مع جهله بالناسخ والمنسوخ ، كما استشهد به المتكلف (يه ٤ ج ص ١٥٦) ولو لم يكن فى الشريعة إلا ناسخ واحد لكفى جهله فى لزوم التورع عن الفتيا ، ولم يكن جهل ذلك الرجل بالناسخ والمنسوخ من أجل كثرتهما بل لأجل كونه عاطلا من زينة العلم مؤثراً راحة الجهل وإن كان صاحباً لأبى موسى .

فإن قلت : ان لى سوء الآن (أحدهما) هو انه لو لم يوجب النسخ تشويشاً فما هذا النزاع القائم فى أمر الناسخ والمنسوخ فى القرآن بين المكثر والمقلل ، (وثانيهما) هو انه لماذا لا يوجد فى النصرانية مثل هذا التشويش وهذا النزاع ، قلنا فى السؤال الأول : ان التشويش لم يجىء من ذات النسخ ولم يوجب تشويشاً فى الشريعة ، فإن الناسخ والمنسوخ معلومان معروفان عند الأئمة والمجتهدين فى تحقيق الأحكام الشرعية العارفين بموارد الشريعة ومصادرها ، والمعول عليهم بين الملة فى معرفة أحكامها ، بحيث لا تشتبه عليهم مواردهما ، ولا تلتبس عليهم مصادرهما .

وأما النزاع الذى تراه فإنما أوجبه خبط الاشتباه بين من سماهم الاتقان بعوام المفسرين ، وذكر الخازن عن العلماء انهم قرنوهم بالمؤرخين المولعين بكل غريب كما تقدم .

وماذا على الحقائق إذا تشعب فيها أوهام غير المحققين ، وهل من حقيقة لم تتشعب فيها الأوهام ولم تكثر فى سبيل عرفانها معاثر الجهل ، وسيمر عليك شىء من ذلك إن شاء الله فى أوائل المقدمة الثالثة عشرة .

ثم نقول فى السؤال الثانى : ان النصارى قد جاءهم نسخ الشريعة عن (بولس) جملة واحدة بعنوان الملاشاة للشريعة جملة واحدة ، وبعد هذه الاستراحة التامة من الشريعة وأحكامها ومعرفتها ، فلا حاجة إلى امعان النظر فى كلمات المسيح والرسل للإطلاع على ما فيها من موارد النسخ الجزئى ، ولا

داعى لهم إلى مرور الأفكار عليهم ليثور منها غبار الأوهام ، ومع ذلك أفلا تنظر إلى النزاع العظيم والمثابرة التى قامت بين البروتستنت والكاثوليك حتى جرت إلى سفك الدماء وشديد الاضطهاد وشنايع الأفعال والأقوال ، فإن المنشأ فى ذلك مكافحة الأوهام من أجل مكافحة رسالة (يعقوب) المشددة فى حفظ الأعمال وعدم كفاية الايمان ، مع رسالة (بولس) الى العبرانيين المصرة على التعليم بترك حفظ الناموس وبكفاية الاتكال على الايمان وسر الفداء.

حتى قال (لوطر) مصلح البروتستنت على ما نقله المتكلم (يه ٣ ج ص ١٠٩) ان معلمى الخطيئة يعنى (الكاثوليك) يضايقوننا بموسى فلا نريد أن نسمع موسى ولا نراه لأنه اعطى لليهود ولم يعط لنا نحن الامم والمسيحيون فعندنا انجيلنا فهم يريدون أن يهددونا بواسطة موسى وهيهات .

وقال أيضاً (ميلانختون) قد نسخت الوصايا العشر ، فقال المتكلف فى الاعتذار عن كلام (لوطر) وجرئته على (موسى) ان سببه هو أن الكاثوليك تطرفوا فى حفظ الأعمال الصالحة ، وتوهموا ان الله يقبلنا بسببها ، وان خلاصنا متوقف عليها ، فتطرف (لوطر) كذلك فى رفضها .

وما أشبه قول المتكلف هذا بالأقوال المنسوبة إلى مردة بنى اسرائيل فيما عن قول الله جل اسمه فى ثالث (ملاخى) ١٣ أقوالكم اشتدت على وقلتم ماذا قلنا عليك ١٤ عبادة الله باطلة ، وما المنفعة من أننا حفظنا شعائره .

﴿ منسوخ التلاوة ﴾

وأما ما ذكره المتكلف (يه ٤ ج ص ١٦٤ و ١٦٥) من منسوخ التلاوة فعقبه (ص ١٦٥ و ١٦٦) بوساوس هواه ، وكذا المتعرب (ذ ص ٤٨ و ٤٩) فإنما اتبعا فيه بعض المفسرين اتباعاً لم يقد اليه إلا الهوى وفرط الغواية مع ان السيوطى نقل عن (القاضى أبى بكر) فى الانتصار عن قوم انكار هذا

النحو من النسخ ، لأن الأخبار فيه أخبار آحاد ولا يجوز القطع على انزال قرآن ونسخه باخبار آحاد لا حجة فيها إنتهى .

وأين أخبار الآحاد من إثبات القرآن المبنى على القطع فى الجامعة الاسلامية ، بل انك لا ترى فى القرون العديدة جماعة أو واحداً من المسلمين يعتمدون فى أمر القرآن على غير اليقين ، أو يحتفلون فى شأنه باخبار الآحاد احتفالا دينياً أساسياً ، نعم ربما يذكر بعض المحدثين شيئاً من ذلك ذكراً تاريخياً ، وقد ذكر فى الاتقان فى شأن منسوخ التلاوة روايات عشرة منها عن راو واحد وهو (أبو عبيدة) وكلها تدل على أن ما نسبته الى القرآن ليس من منسوخ التلاوة وإنما هو مما أضاعته الامة .

وان خصوص روايات (عائشة) و (حميدة) و (مسلمة بن مخلد) من جملة هذه العشرة لصريحة فى ذلك ، ورواية عائشة التى ذكرها فى منسوخ الحكم والتلاوة صريحة أيضاً فى ذلك .

وقد اضطرب من جملة الروايات العشر روايتا (زر بن حبيش) و (خالة أبى امامة) فى لفظ آية الرجم كما اضطرب فى لفظها وشان عمر معها ما أخرجه (الحاكم) و (النسائى) و (ابن الضريس) وما ذكره الاتقان عن البرهان على ان هذه الروايات مردودة أيضاً بوجهين (الأول) : هو ان ما زعمت كونه من القرآن لا نجد له نسبة مع القرآن إلا كنسبة الفحمة البالية مع رصيع تاج الملك .

(الثانى) هو ان نقلها لضياع كثير من القرآن من الامة ليكذبه قول الله جل إسمه فى سورة الحجر ٦ - ١٠ : (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) فيجب تكذيبها بحكم القرآن الكريم .

وليس فى روايات الاتقان ما هو صريح بنسخ التلاوة إلا ما أخرجه (الطبرانى) عن (ابن عمر) ، وأين هذه الرواية من القبول فى الجامعة

الاسلامية ولا سيما فى شأن القرآن الكريم .

فإن قلت : أليس يشهد لما تنكره قوله تعالى فى سورة البقرة ١٠٠ : (ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها) فإن صراحة هذه الآية تدل على ان الحفظ الموعود به فى الآية المتقدمة إنما هو بالنسبة الى غير الانساء قلت الآية تضمنت الانساء قبل انقطاع الوحى ، وتكفلت بالاتيان بخير من المنسوخ والمنسى أو مثله فهى تدل على ان الله لا ينسخ ولا ينسى عند انقطاع الوحى ، بل إنما ينسخ أو ينسى آية حيث يوحى بعدها خيراً منها أو مثلها فهذه الآية كآية الحفظ مكذبة لزعم الزاعمين ان ما تضمنته هذه الروايات من القسم الذى أنساه الله بعد انقطاع الوحى ونسخ بذلك تلاوته ، وعلى هذه الرواية أين يكون الاتيان بخير منها أو مثلها ؟ وأين يكون حفظ الذكر مع ان هذه الروايات وأمثالها قد أفرطت فى الإكثار حتى جعلت مقدار الذاهب من القرآن أكثر من الموجود ، فتتبع كتب المحدثين الذين لا هم لهم فى تحقيق الحقائق ، وإنما همهم حفظ أساطير الأثر والتاريخ ، فيكتبون كل ما يسمعون أو يجدون ، ويوكلون أمر التحقيق إلى أهله ، ويحملون الفقه إلى من هو أفقه منهم .

وان آية الحفظ للذكر لتدل على ان الانسان لا يقع بالنسبة إلى القرآن الكريم الموعود بحفظه ، فتدل على ان المقصود بالنسخ والانساء فى آيتهما هو ما اوحى من الآيات فى الشرائع السابقة ، فنسخ بعضها وعفت بعضها عواصف الأيام حتى جعلته نسياً منسياً ، كما يشهد لذلك سوق الآية مع التى قبلها وهو قوله تعالى : (ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم والله يختص برحمته من يشاء والله ذو فضل عظيم ، ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها) فإن قلت : المراد بالآية هنا هو ما كان من القرآن ، قلت : من أين لك أن تخالف سياق القران وتتحكم

عليه بغير علم ؟ أفتقول : ان ما فى الكتب الإلهية السابقة لا يسمى فى القران آية ؟ مع ان الله جل اسمه قد سمى فى القرآن ما جاء فى الكتب الإلهية السابقة بالآية والآيات ومدح من يتلوها فقال تعالى بعد ذم أهل الكتاب فى سورة آل عمران ١٠٩ : (ليسوا سنواء من أهل الكتاب امة قائمة يتلون ايات الله آناء الليل وهم يسجدون) .

وقال تعالى فى سورة مريم بعد ذكر النبيين السابقين ٥٩ : (إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجداً وبكيا ٦٠ فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلوة . . .) ، وقال تعالى فى سورة الزمر ٧١ : (ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم . . .) ، فاتضح لك ان القول بمنسوخ التلاوة اخذاً من الروايات المشار اليها مما لاحظ له بشىء من التحقيق والصواب لوجوه عديدة . .

وأما قوله تعالى فى خطاب رسوله فى سورة الأعلى ٦ : (سنقرئك فلا تنسى ٧ إلا ما شاء الله . . .) ، فلا يمكن حمله على حقيقة الاستثناء ووقوع مشيئة الله لنسيان القرآن إلى حد الخروج عن الانتفاع به ، وذلك لأنه مناف لوعد الله فى الآية المتقدمة بحفظ الذكر ، ومستلزم لبطلان الوعد والامتنان بقوله تعالى : (سنقرئك فلا تنسى . .) بل انه ليكون مثل قولك سأعطيك ولا آخذ منك إلا ما أشاء أن آخذه منك ، بل ومناف لما اتفق عليه الملتيون من عصمة الرسول فى التبليغ ، ولازمه أن لا يذهب منه بالنسيان بعض ما يوحى اليه ، فيكون نظر الاستثناء إلى عروض النسيان زماناً يسيراً لا ينافى الوعد بحفظ الذكر ، ولا يضاد الامتنان بعدم النسيان ولا ينافى العصمة فى التبليغ ، هذا إن جوزنا على الرسول هذا المقدار من النسيان كما ذهب اليه بعض المحدثين .

وأما إذا منعناه أيضاً كما هو مذهب المحققين فتكون فائدة الاستثناء هو

تسديد الأذهان بدوام اشعارها وتمرينها على الاذعان بعموم قدرة الله وتسلط مشيئته ، مع ايضاح وجه الامتنان فى الوعد بعدم النسيان ، وذلك ببيان ان عدم النسيان ليس لأمر ذاتى فى الرسول فيثور من ذلك ضلال الغلو وإنما هو منحة من الله وبيده مشيئة النسيان وإن لم يكن يشاؤه لأجل إجراء حكمة الرسالة ، وبهذا تعرف فساد تشبث المتعرب (ذ ص ٣٨) .

﴿ المقدمة الثالثة عشرة ﴾

فى دفع الأعتراضات على قدس القرآن الكريم ، وفيها فصول

الفصل الاول

فى الاعتراضات عليه من حيث العربية

وقد وسوس بها الضلال لأهواء شرذمة غرها الجهل ، وأغرتها العصبية فشطت عن القصد ، وعكفت على الشطط ، فكشفت عن مغطئها وفضحها نضحها ، ليعتبر المتبصر ، ويبصر المتدبر ، كيف منى الحق ، وابتليت الحقائق واستفحل الجهل ، وقل الحياء وجمح الغرور ، فكم من بادرة يجب التستر بها حتى فى المستراح ، قد سامها الجهل فى سوق الأدب سوم العلق الثمين ، فسود بها وجوه الصحف ، وشوه بها صورة العلم .

فهل كان يلوح للخيال ويترائى للوهم ، ان واحداً من الناس تستفزه العصبية ، ويمنيه الضلال ، ويغريه الجهل بأن يتعرض بطبيعته الجعلية ، وقريحته الهمجية إلى الاعتراض على القرآن الكريم بالعربية ، وقد علم الشرقى والغربى ، والعربى والعجمى ، والفاهم والغبى بأنه لؤلؤ بحرها ، وقلادة نحرها وعقدها الفريد ، وبكرها الوحيد ، قد اقعت لباهره البلغاء ، وسجدت لهيبته

الفصحاء ، وخضعت لسلطانه الخطباء ، ففقأ عين الحاسد ، وارغم أنف الشانىء ، ولم يبق للعرب معلقة إلا حطها ، ولا شاردة إلا عقرها ، حيث استقل من العربية بصدر النادى ، ومحتبى الدست ، ومرف اللوآء ، وذروة المنبر ، وصار موردها المستعذب ومنهلها المورود ، وروضها المرتاد وامامها المقدم ، وقاضيها المحكم ، فراج به سوقها ، وأزهر به روضها ، وأشرق به وجهها ، الى أن أسفر صبح الاسلام على الامم ، واتحدت فى هداه العرب والعجم ، وتداخلت اللغات ، وأهجنت الألسن ، فارفض نظام العربيـــة ، واشكلت مناهجها ، والتبست مقاصدها ، وكتمت أسرارها ، وتعاصى عرفانها وانفت دررها من سوم الفحام ، ونفرت أوانسها من غرائب الطبائع ، وعزفت من هجائن القرائح ، وإذ علم المسلمون وغيرهم بالعلم اليقين ان القرآن الكريم الذى هو أساس الدين ، ومنار الهدى ، ومناط الحجة ، وانموذج الاعجاز ، قد استولى من العربية على أفلاذ كبدها ، وفرائد لئالئها ، ومفاتح كنوزها ، فلا يوصل اليه إلا من سبيلها ، ولا تقرع بابه إلا بيدها ، فلأجل ذلك نهض للتدرب فيها ، وللإلتقاط من سقط مائدتها ، والمص من وشلها فئة من الأجانب عنها ، والمتطفلين فى معرفتها ، فلم يدركوا من كلام العرب شيئاً إلا بطفيف النقل ، ولم يقرعوا منه أبواب أسرارها إلا بالتظنى ، فأسسوا من بسيطها قواعد يتوكأون عليها فى ترعرعهم فيها ، وقد فاتهم منها يتائم درر لم تنتظمها قواعدهم ، ووقف دونها جدهم ، فلا يحظى ببعضهـــا إلا الغائص المتعمق ، والقانص المترصد ، إذا أسعد جدهما حسن الفطنة ، وصفاء القريحة وتوقد الذكاء ، ومجانبة التقليد .

ثم ان الناس إذ ذاك على اختلافهم فى البضاعة والاضاعـــة توجهوا بقواعدهم المذكورة إلى اكتشاف أسرار القرآن الكريم ، وفهم نكاته فى مقاصده التى جرى فيها على النحو الأرفع من مراقى البلاغة وفذلكات الغربية

فاختلف فى ذلك وردهم وصدرهم ، وقاموا وقعدوا ، وترددوا بين صواب وخطأ ، وسداد ووهن ، ووجدوا فى القرآن الكريم موارد قد ذيدت عنها قواعدهم ، أو قصرت عنها منقولاتهم ، أو عشت عنها افهامهم ، فتفاوضوا فيها تفاوض الحيران ، ولا جرم فما كل زاد مبلغ ، ولا كل ظهر موصل ولا كل عدة تجدى ، ولا كل من سار وصل ، ولا كل من استنجع ورد ، ولا كل من طلب أدرك ، ولا كل من سمع وعى .

والمتعرب قد نكصت به العصبية فى قهقرة جعل وصار يطالب جلالة القرآن الكريم بالقواعد التى لأجل فهمه لفقها المولدون بعد اللتيا واللتى من وشل كلام العرب البسيط ، ونزر شعرهم الساذج ، وبعد تعثر الافهام واضطراب الأوهام ، وشذوذ الأفكار ، وتلجج القرائح ، وطويل معترك فى الخطأ والتخطئة ، وتردد مقالات فى التقريض والتغليط فقال (ذ ص٧٢) ثم ان للفصاحة فى العربية قواعد وأصولا وضعوها هم أنفسهم وعدوا فى جملتها سلامة الكلام من ضعف التأليف ، ومن الغرابة والتنافر ومخالفة القياس ، وسترى ان فى القرآن ما يخالف قواعدهم ، ونحن لا نذكر لك منه إلا ما كانت المخالفة فيه بينة لا تحتمل التأول على علم منا ان المفسرين قد تمحلوا لكل من غلطاته تأولا : وعزب عنهم ان مجرد احتياجه الى ذلك هو حجة عليه ، ولو سلمنا بما حاولوه من الحذف والتقدير لستر غلطه تارة وكشف معناه اخرى لم يبق ، ثم من داع لوضع ما وضعوه من القواعد ولأصبح كل لحن وتأويله بل عده من أنواع البديع ممكناً (١) على طريقتهم ، هذا كلامه .

ولا تستعجل التسجيل على مفردات شططه ، ومكورات لغطه ، فإن مباحثنا الآتية إن شاء الله لزعيمة بذلك توقفك على هفواته ، وتأخذ بيدك فى

---

(١) هكذا فى الأصل فحكيناه على ما به .

مداحض زلله ، فلنقصر التعرض هاهنا على تمويهه بمولدات القواعد السطحية ومستطرفات الاصول التابعة ، وقاصر القياس المجعول ، واعتراضه بالحذف والتهدير ، وانا نسألك يا من يعاف المباهتة ، ويأنف من لغط الهذيان ، هل مهد هذه القواعد قحطان ؟ أم هل عنونها عدنان ؟ أو شعراء البادية أو خطباء الحاضرة ؟ وهل تفاوضوا فيها فى سوق عكاظ ، أو توامروا عليها فى دار الندوة ؟ أو عقدوا عليها حلف الفضول ؟ وهل انعقدت عليها للعرب المجامع ؟ أم اوجبت الآباء أن يجرى القرآن على البساطة السطحية ؟ أو حجرت عليه أن يتجاوز فى فذلكاته ، وبديع الإشارة فى مقاصده عن مبلغ نظر الأخفش ونضيج قريحة المبرد ؟

أفلا يعلم كل من له أدنى إلمام بتاريخ هذه القواعد والأصول ، وسبب وضعها ومأخذ قياسها انها حادثة التشكيل ، متعبدة باللغة العربية ، تابعة لها منقادة لنفوذ مأثورها ، خاضعة لسلطان القرآن الكريم الذى تسالمت العرب العرباء على تقدمه وامامته فى لغتهم حتى خضعوا وهم العتاة لاعجازه ، واعترفوا وهم الخصوم اللد بعلو مقامه .

وانا لنسألك بذمة الحقائق وحرمة الصواب أن تحضر المتعرب بين شهود يحتشمهم فى شططه . ويتستر عنهم من تزويره ، ولا يطمع بمخادعتهم وسله متى جاء القرآن الكريم ؟ ومن الذى جاء به ؟ وما يكون من العرب ؟ وما حال القرآن مع العرب ؟ وما حالهم معه ؟ ومتى وضعت فنون العربية ولفقت اصولها ، وخمنت أقيستها ، ومن الذى وضعها ؟ وكيف وضعها وعمن أخذها ؟ ولماذا وضعها ؟ وهل كان أبا العرب ؟ أو واضع لغتهم أو قدوتهم فيها ، أو المسيطر على غرائزهم وقرائحهم فيها .

وسله أيضاً من هم الذين يقول فيهم (هم ، وهم أنفسهم) أو ليسوا هم الذين يتكافحون فى فهم العربية بالتخطئة والتغليط ، ويقومون فى تفهمها

ويقعون تستهويهم الغفلة ويخذلهم الفهم (١) ولا غرو فإن الغفلة من عوائد الإنسان ، والعلم كله فى العالم كله ، وكم وكم اكدى السعى ، وضلت الأفهام وزلت الأقدام ، ولا سيما إذا تزيب الحصرم ، وتمشيخ الصبى ، ولاسيما إذا احكم الجهل والغفلة والتقليد فى الذهن مقدمة تحول بين الفكر وبين الحقيقة وتسد عنه باب الصواب .

فلك العبرة بجماعة من النصارى يعدون أنفسهم ويعدهم أصحابهم من أهل العلم والوصول ، فانهم قد وقعوا فى مخالفة اعتقادهم وجماعتهم وجامعتهم من

---

(١) فلو ان واحداً من أبلغ خطباء الإنكليز وأحذقهم فى صناعة الإنشاء كتب فى أوائل القرن الثامن عشر كتاباً فى شريعة المملكة وآدابها ، وتعلق غرضه بأن يكتبه على أبلغ أساليب الإنكليزية فى مراعاته لمزايا محاوراتها وفذلكاتها فى مقاصدها ، فاحتفلت به المملكة وسلم باستحسانه العدو والصديق من أهل اللسان ، وأذعنت عرفاؤهم باحتوائه على خصائص اللسان الإنكليزى فى محاوراته ، وبدائع فذلكاته ، ولطائف إشاراته ، وجعلوه انموذج خطابتهم وامام انشائهم .

ثم قام بعد مائة سنة أو أكثر جماعة من هنود الشرق فحاولوا أن يفهموا شريعة المملكة وطقوسها وآدابها من ذلك الكتاب ، فاستعانوا على ذلك بأن استنبطوا بتخمينهم من أشتات ما وصل اليهم من بسيط اللغة الإنكليزية وسطحيها قواعد وأصولا يتفهمون بها ذلك الكتاب ، فهل ترى مع هذا ان واحداً يعرف قدره ، ويحافظ على شرفه ، يعترض على ذلك الكتاب فى مزاياه فى لغته وفذلكاتها فى مقاصده ، وينتقد عليه بما أخطأه البسيط السطحى من تلك القواعد التى لفقها اولئك الأجانب ، كلا ، ولكن داء الحمق داء عضال ، ولا صاد بعد خلع العذار .

حيث لا يشعرون ، وارتبكوا فى الشطط على كتابهم وذهبت بهم اوساوس أنى شاءت ، ولنقتصر من شواهد ذلك على موارد :

(الأول والثانى) قال البستانى فى الجزء الخامس من دائرة المعارف (ص ٥٣٦) وبعض مفسرى الكتاب المقدس المدققين ذهب الى أن قصة (بلعام) المدرجة فى سفر العدد (ص ٢٢ - ٢٤) دخيلة .

وذهب آخرون إلى ان كلام الأتان عبارة عن رؤيا ظن بلعام انه رأى فيها ملاكاً وتوهم انه سمع الأتان ، فأنكر بعضهم الملاك وكلام الأتانة وجعل ذلك من الظن واوهم ، وخالف صراحة العهدين أقبح مخالفة وذلك لمقدمات فاسدة استحوذت على أفكارهم ، إذ سولت لهم امتناع كلام الأتانة وعاقليتها لمثل هذه الامور وإن اقتضت القدرة الالهية ذلك ، وما هذا إلا من عدوى مجاورة الملحدين .

ولكن هذا الانكار تفضحه صراحة التوراة بوقوف ملاك الرب فى الطريق ليقاوم بلعام ، ورؤية الأتان له ، ثم وقوفه فى الخندق ، ثم اجتيازه ووقوفه فى مكان ضيق ، ورؤية الأتان له ، فى هذه الحالات قبل أن يراه بلعام وان الله فتح فم الأتانة وترادت الكلام مع بلعام مرتين .

وكشف الله عن عينى بلعام فأبصر الملاك واقفاً وسيفه مسلول ، وتراجع فى الكلام مع بلعام مرتين ، ووقفا على قرار ، وموعد تعليم (انظر عد ٢٢ : ٢٢ - ٣٦) .

ولأجل ذلك أقدم بعض المفسرين المدققين على أن ينكروا كون قصة بلعام من التوراة فحكموا بأن ثلاث فصول من سفر العدد هى مدسوسة ودخيلة فى التوراة ، كل ذلك ستراً على اعتقادهم الفاسد ومكافحة صراحة التوراة له ، ولا ينفعهم ذلك حتى ينكروا صراحة العهد الجديد بتكلم الأتانة

ونطقها بصوت إنسان (٢ بط ٢ : ١٦) وإشارته إلى قصة بلعام المذكورة فى التوراة (٢ بط ٢ : ١٥ و يه ١١).

وهل تراهم بعد هذا أبقوا حجية لسند العهدين ، والبستانى مع ذلك يصفهم بالمفسرين المدققين.

(الثالث) نقل إظهار الحق فى حقيقة الإعتقاد بالأرواح النجسة (مردة الجن) شيئاً من كلام (بيلى) وهو من علماء البروتستنت ، وحاصله ان تسلط الأرواح النجسة وحديثها فى العهد الجديد ، وإيراد كثير منه فى معجزات المسيح إنما كان رأياً غلطاً ، ولكنه لكونه رأياً عاماً فى ذلك الزمان وقع فيه مؤلفوا الأناجيل ، وإصلاح رأى الناس فى ذلك ليس جزءاً من الرسالة ، والمتكلف وإن خالف إظهار الحق فى ترجمة كلام (بيلى) إلا أنه أوضح فيه (يه ٣ ج ص ١١٧) ان بيلى شاك فى هذه الحقيقة ، وان الفصل فيها فوق طاقته وان جماعة من النصارى ينكرونها ، ولهم على انكارها أدلة ، وانك إذا نظرت إلى حديث الأرواح النجسة فى الأناجيل تجده يقارب ما ذكرته من تعاليم المسيح أو يزيد.

ومع ذلك جاء قوم من متبعى الإنجيل فجعلوه غلطاً لا أصل له ، وما ذاك إلا لوسوسة عرضت لهم ، وما منشؤها ومبدؤها إلا العدوى بداء الطبيعة والإلحاد والتعصب على القرآن الكريم بإنكار الجن ، فجرهم هذا الضلال إلى أن يقولوا ما يرجع حاصله الى أن مؤلفى الأناجيل قد لفقوا للمسيح أكاذيب معجزات مأخوذة من أغاليط الآراء العامة ليداهنوا بذلك أصحاب تلك الآراء فيروجوا بين العامة أمر التثليث الذى يعترفون بأنه وراء عقولهم ، ويشدد الأساقفة فى المنع عن التفكر فى تعقله ، ويوجبون على الناس أن يطووه على غرة ، ويقبلوه على البساطة ، والحاصل ان هؤلاء المنكرين من النصارى لحقيقة الأرواح النجسة ، والشاكين فيها لم يعدوا أن جعلوا أناجيلهم

أخس من كتاب (كليلة ودمنة) .

(الرابع) : حكى اظهار الحق ان (لوطر) امام فرقة البروتستنت يقول فى حق رسالة يعقوب : انها كلا ، يعنى لا اعتداد بها . ونقلا عن وارد كاتلك ان (بومرن) من علماء البروتستنت وتلميذ لوطر يقول : ان يعقوب يتم رسالته فى الواهيات .

وان (وائى تس) الواعظ فى نرم برك قال : انا تركنا قصداً مشاهدات يوحنا ورسالة يعقوب ، ثم ندد برسالة يعقوب .

وان (مكدى برجن سنتيورس) قال : ان رسالة يعقوب تنفرد عن مسائل الحواريين فى موضع يقول : ان النجاة ليست موقوفة على الإيمان فقط ، بل هى موقوفة على الأعمال أيضاً ، وفى موضع يقول : ان التوراة قانون الحرية ، إنتهى كلامهم .

والمنشأ لأقوالهم هذه هو ما علق بأوهامهم ، وأحكمته فيها أهواؤهم من التعليم المنسوب لبولس بكفاية الإيمان فى النجاة ، كما جاهرت وأكدت به رسالة العبرانيين ، فنقموا على رسالة يعقوب اعتبارها الأعمال فى النجاة ايضاً ، وحق لأهوائهم ذلك ، فإن الأعمال الصالحة قيود باهظة للهوى المردى والنفس الأمارة ، وهب انها لازمة لحقيقة الإيمان ومظهر صدقه ومفتاح بابه ورابطة دوامه ، وثمرات غرسه ، ولكن الهوى المطاع لما اضطرته العادة الى إسم الإيمان يقول : آمن بالثابوث فقط ، وما عليك من هرج الأعمال الصالحة ومرجها .

ولما استشعروا من الكلمات المنسوبة لبولس ان معنى الحرية هو الاباق عن الشريعة والتمرد على أحكامها بزعم الفداء بذبيحة الفادى الكريم . وتعليقه على الخشبة أنكر الأخير فى الذكر على رسالة يعقوب قولها : ان التوراة قانون الحرية ، ولم يتدبر صوابها فى ذلك ، لأن حقيقة الحرية هو التخلص

من عبودية الهوى والشيطان ، وإنما يكون ذلك بالتمسك بأدب الشريعة والتقدس باتباع نواميسها الإلهية .

(الخامس) قد ذكرنا فى مبحث الختان من النسخ عن رسالة الكندى زعمه ان شريعة الختان لابراهيم والمؤمنين إنما كان سببها علم الله بتغربهم إلى مصر وميلهم الى الزنى فوسمهم بهذه العلامة المشوهة لتنفر منهم الزوانى المصريات فيكون ذلك عصمة لهم من الزنى .

وليس المنشأ فى هذا الشطط إلا أن هذا الرجل اشرب فى قلبه وهواه رفع النصارى لشريعة الختان مصانعة لأهواء الامم الذين لا يختتنون ، ولم يبال بأن كلامه هذا يرجع الى تغليط موسى ، ويوشع ، والأنبياء الإسرائيليين ، والمسيح فى ابقائهم لشريعته ، بل وكذا رسل العهد الجديد ، الى زمان الإجتماع للمشورة فى أمره ، ورفعه مصانعة الامم ، وقد مر هذا كله فراجعه .

(السادس) زعم سايل (ق ص ٢٢٦) وكذا الكندى ان الله تساهل مع اليهود فأعطاهم وصايا غير صالحة وأحكاماً لا يحيون بها .

وما المنشأ لهذا الشطط إلا موافقة اطلاق النصرانية الرائجة وراحتها لأهوائهما فسول لهما ذلك عيب الشريعة والخضوع لنواميسها ، فاجترآ على الذم لشريعة موسى عليه السلام اقتفاء للكلمات المنسوبة الى بولس ، وتوهما من كلام فى حزقيال (٢٠ : ٢٥) .

مع ان ظاهر سوقه ينادى بأن المراد منه ان اليهود لما تمردوا على شريعة الحق وتمادت ارتداداتهم عنها ابتلاهم الله بالذل بين الامم فخضعوا لشرائعهم الباطلة ، ومما يوضح غلطهما فى هذا الكلام هو أن العهد القديم وخصوص كتاب حزقيال قد كثر فيه بيان منة الله على الامة اليهودية إذ أعطاهم شريعة حق عادلة وفرائض صالحة وأحكاماً ان عمل بها الإنسان يحيا بها ، وقد ذكرنا

ذلك فى المثال الرابع والاربعين من النسخ .

(السابع) زعم سايل (ق ص ٢٥٧) وليس وحده فى قصاص الجراح والأطراف المذكورة فى التوراة ، ان المقصود منه قودما أو عقاب يفى بالجناية لا مقابلة المثل بالمثل فعلا ، وان اسلوب قول التوراة فى ذلك قد جرى مجرى الأمثال ، ولا يعنى به سوى ان القاضى يقتص من الجانى بحسب أهمية الجناية إنتهى .

وما المنشأ فى توهمه هذا وتقوله على التوراة بما تكافحه صراحتها ، إلا انهم رأوا ان الإنجيل الرائج قد ألغى أحكام السياسة والقصاص المذكورة فى التوراة ، وجعلها من مقاومة الشر (مت ٥ : ٣٨ - ٤١) ثم رأوا ان إهمال السياسة الى هذا الحد مما يقصم ظهر النظام ويشوه وجه المدنية والعمران فجعلوا من أنفسهم فى هذا المقام شريعة المصادرات والتعزيرات بحسب ماتتقلب فيه آراؤهم وكأنهم تخيلوا أو خيلوا ان ذلك لا يمس التوراة والانجيل بمخالفة فى العمل ومراغمة لصراحتهما بالتأويل .

فأين (سايل) وأشباهه عن صراحة التوراة فى قولها ، وان حصلت أذية تعطى نفساً بنفس وعيناً بعين وسناً بسن ويداً بيد ورجلا برجل وكياً بكى وجرحاً بجرح ورضاً برض (خر ٢١ : ٢٣ - ٢٦) .

وإذا أحدث إنسان فى قريبه عيباً فكما فعل كذلك يفعل به كسر بكسر وعين بعين وسن بسن ، كما أحدث عيباً فى الإنسان كذلك يحدث فيه (لا ٢٤ : ١٩ و ٢٠) لا تشفق عينك نفس بنفس عين بعين ، سن بسن ، يد بيد ، رجل برجل .

وهلم الخطب فى المتعرب فمع انه لا يستطيع أن يجر ذيل تمويهه اواهى على مثل هذه التأويلات المرغمة للصراحة ، والتى تكشف بمخائلها وشمائلها عن عدوى داء الالحاد ، ونفوذ القول بالطبيعة العمياء ، ومع انه قد شوه

وجه بغيرته جذام هذا الداء صار يندد ويتهكم على مفسرى المسلمين فى وصولهم الى مقاصد القرآن الكريم فى بارع اسلوبه الجارى على محاسن اللغة العربية وبدائع فذلكاتها فى البلاغة من حيث الحذف لما تهدى اليه نورانية المقام ، وتحكم بحذفه براعة الكلام ، وسيحلو لذوقك إذ يجلو لك البيان إن شاء الله عنه صدأ الشبهات والمغالطات .

﴿ عدم الفهم لما يلزم تفهمه ﴾

ولك العبرة ايضاً فى عدم التدبر للمسموع والتساهل فى التثبت فى فهمه كما ينبغى ، ولندرج لك من ذلك ما وقع فيه خواص النصارى ونذكره فى موردين (الأول) ذكر انجيلهم والتاريخ انه قد شاع بين التلاميذ ونصارى عصرهم ان يوحنا ابن زبدى الانجيلى لا يموت ، وذلك لعدم تثبتهم فى فهم ما حكى لهم عن المسيح (انظر يو ٢١ : ٢٠ - ٢٤) .

ولعل المنشأ فى ذلك هو ان الضلال قد أشاع فى تلك الأيام ما قرف به انجيل يوحنا (١٣ : ٢٣ - ٢٦) قدس المسيح بأنه كان يحب يوحنا بحيث يجلسه فى حضنه ويبوح له بأسراره ويتوسل التلاميذ اليه به ، وإذا خاطب المسيح يتكىء على صدره ، فتوهموا بهذه الوسوسة ان المسيح منحه الحيوة الدائمة كما كان مشغوفاً به .

(الثانى) ذكر الانجيل كثيراً ان التلاميذ لم يفهموا كلام المسيح معهم وذهبت بهم الأوهام مذاهبها ، مع انهم اتباعه الملازمون له ، ومقتضى القاعدة أن يكونوا يعرفون محاوراته وكناياته واشاراته وقرائن أحواله ومقارنات مشافهاته ، وإن لم يفهموها فمن عسى أن يفهمها من أهل عصرهم وغيرهم (انظر مت ١٦ : ٥ - ١٠ و مر ٨ : ١٣ - ١٩ و يو ٢ : ١٨ - ٢٣ و ٤ ٢٢ - ٢٤ و ١١ : ١١ - ١٤ و ١٢ : ١٦ و ١٦ : ١٧ و ١٨) .

ولك العبرة أيضاً باشتباه كثير من لغوى المسلمين ومفسريهم فى امور لغوية التبست عليهم موارد استعمالها ، أو اختلجت فيها الخيالات ، ولنذكر لك من ذلك ثلاثة موارد :

(الأول) خلط جماعة منهم فى معنى (اللمس ، والمس) ففى القاموس فسر المس باللمس ، ثم فسر اللمس بالمس باليد .

وفى المصباح مسسته افضيت اليه بيدى من دون حائل هكذا قيدوه وقال لمسه افضى اليه بيده هكذا فسروه .

وفيه ايضاً عن المهذب عن ابن الأعرابى المس مسك الشىء بيدك وقد قال : اللمس يكون مس الشىء .

وعن ابن دريد اللمس باليد ، وقال : لمست مسست وكل ماس لامس ثم استغرب فى المصباح على هذا تفرقة الفقهاء بين المس واللمس فى المعنى ، ومال الى قول الفقهاء لكونهم أدق نظراً وأوصل فهماً .

ولا يخفى وضوح الفرق بين معنى المس واللمس قديماً وحديثاً بحكم التبادر وشهادة موارد الإستعمال ، ولا أظنه يخفى على العارف فإن المس هو مطلق الإصابة بالبدن ، واللمس هو مطلق الاصابة بما به الاحساس من البدن بقصد احساس الملموس ، نعم قد يكون الغالب فى موارد استعماله هو اللمس باليد لكونها أقوى الجوارح احساساً فى الغالب ، وهذا كله مما تحكم به بديهة المحاورات على نحو يقطع معه بعدم النقل .

(الثانى) اشتباه بعض المفسرين فى تفسير قوله تعالى فى سورة النجم : (فكان قاب قوسين أو أدنى) ، وان جماعة من محققى المفسرين كصاحب الكشاف وأمثاله فسروا القاب فيه بالقدر ، وقالوا : ان المعنى قدر قوسين واتفق اللغويون على تفسير القاب بالقدر كالقيب والقاد والقيد ، وقال ابن ربيعة المخزومى فى شأن ناقته .

قصرت لها من جانب الحوض منشأ جديداً كقاب الشبر أو هو أصغر

وقال آخر :

ولكن تنحى جنبة بعد ما دنا فكان كقاب القوس أو هو أنفس

نعم زاد بعض اللغويين فى معنى ألقاب ، وذكر انه يقال لما بين مقبض القوس وسيته فلكل قوس على هذا المعنى قابان فأوقع ذلك جماعة من المفسرين بالاشتباه فحملوا عليه قوله تعالى قاب قوسين ، والتجأوا فى تكلفهم هذا إلى دعوى القلب وقالوا : ان المراد قابى قوس فأقلقوا اللفظ وتقلبوا فى المعنى ، وشذوا عن النهج من دون حاجة تلجئهم ولا دليل يساعدهم ، ولو تحروا رشدا لتركوا اللفظ على رسله ، والمعنى على مرماه ، ولو ان لهم قلوباً لما استهواهم الاشتباه إلى دعوى القلب ، مع ان المعنى المستقيم قد ذكره اللغويون فى غرة ذكرهم لمعنى القاب .

ولكن المتعرب اغتنم اشتباه هذه الشرذمة فرصة فى الاعتراض على القرآن الكريم وأوهم فى كلامه انه قول المفسرين بل المسلمين جميعاً كما اوهم فى كلامه انه لا معنى للقاب إلا ما يلزم منه أن يكون للقوس قابان ، وقال فى الآية الكريمة : اوجه قابى قوس ، (انظر ذ ٧٣) ، شاهت الوجوه التى ما بلها الحيا .

(الثالث) اشتباه جماعة من المفسرين فى تفسير قوله تعالى فى سورة الكهف ٧٨ (وكان ورائهم ملك يأخذ كل سفينة غصباً) ، فقالوا : ان وراء فيها بمعنى (امام ، وقدام) واستشهدوا لذلك بقوله تعالى فى سورة المؤمنون ١٠٢ (ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون) ، وقوله تعالى فى سورة البروج ٢٠ : (والله من ورائهم محيط) .. والمتعرب اغتنم هذا الاشتباه فرصة الاعتراض على القرآن ، فأعاب استعمال لفظة وراء بمعنى امام وقدام ، وأنكر كون ذلك من معانيها (ذ ص ٧٣) ، فأقول : وقد جاء على مثل

هذا الاستعمال قول لبيد بن ربيعة :

أليس ورائى ان تراخت منيتى لزوم العصا تحنى عليها الأصابع

وقول عبيد :

أليس ورائى ان تراخت منيتى أدب مع الولدان أزحف كالنسر

وقول المرقش :

ليس على طول الحياة ندم ومن وراء المرء ما لا يعلم

وهذه الأبيات وأمثالها لو طويناها على غرها لكانت على كل حال شاهدة بكثرة استعمال العرب للفظة (وراء) فى المعنى الذى نحاه القرآن الكريم ، فان وجه الاستعمال فيها وفى القرآن الكريم واحد ، لأن ما جعل اوراء ظرفاً له فى الشعر لم يقع فى الزمان الماضى ليكون وراء بالمعنى المعروف ، وإنما هو مترقب فى المستقبل فهو امام وقدام .

والتحقيق الذى توحى به كل فطرة سليمة ، ويشاهده كل فهم مستقيم هو ان (وراء) فى الآيات والشعر مستعملة فى معناها المعروف كناية ، عن كون مظروفها طالباً مستولياً كاستيلاء الطالب ، وقدرته على أخذ المطلوب إذا كان من ورائه قال تأبط شراً .

ووراء الثار منى ابن اخت مصمع عقدته لا تحل

ولا يسلم للآيات الكريمة والشعر المتقدم هذا البيان البارع لهذا الغرض العالى أو عبر بلفظة (امام) ولتنازل الكلام الى البساطة .

وقد جاء كثير من كلام العرب ما قد أخذ بمجامع البلاغة والبراعة ، وأوحى اسلوبه الخاص وصورته البهية بأسرار بديعة ومقاصد عالية ونكات شريفة لا يحيط بها الكلام البسيط إلا بتطويل ممل ، ولكن أصحاب صناعة النحو اضطروا فى تطبيقه على صناعتهم التابعة للسان العرب لا المتبوعة ، والتجأوا اعتلالا الى التقدير ، وتوصلا الى الالمام بفهمه باسم التوسع مع انا

نجد انه لو أظهرنا ما يقدرونه فيه لفات الغرض وانحل نظام الكلام .

فقد قال امرؤ القيس :

اليوم خمر وغداً أمر .

وقال النابغة الجعدى :

كأن عذيرهم (١) بجنوب سلى نعام قاق فى بـــلد قفار

وقال الحطيئة :

وشر المنايا ميت وسط أهـله كهلك الفتى قد أسلم الحى حاضره

وقالت الخنساء :

ترتع ما رتعت حتى إذا ادكرت فإنمـا هى اقبـال وإدبـار

وقال متمم بن نويرة :

لعمرى وما دهرى بتأبين (٢) هالك ولا جزع مما أصاب فأوجعا

وان من اعطى حظا من فهم محاورات العرب ليجد ان إظهار ما يقدره النحويون فى مثل هذه المواضع مما يهدم على الشاعر غرضه ويمحو نكتته ، فمن هذا النحو ما يخرج الكلام به من صورة الفرض الذى لا يهم فى الغرض إلى صورة اوقوع المقصود ، فيخرج الكلام بحسن بيانه من نحو الدعوى إلى ناحية العيان ، ومن المصادرة الى صورة البرهان ، وعـــلى ذلك جاء قول الحارث بن حلزة اليشكرى .

والعيش خير فى ظلا ل النوك ممن عاش كدا

ألا ترى انه لو أظهر ما يقدره أهل الصناعة وقال : خير من عيش من عاش كداً لم يتحمل كلامه إلا بيان التفاضل بين العيشين ، وهذا من اواضحات التى لا يهمه بيانها ولا يتعلق بها غرضه ، وإنما غرضه بيان ابتلائه بالعيش

---

(١) العذير الصوت ، وسلى اسم موضع .

(٢) التأبين مدح الميت .

الصعب المتعب على نحو يفضل فيه على عيشه عيش الحمق المقرون غالباً من تعس الوقت بالرفاهية والسعة .

فإذا عرفت هذا عرفت البراعة وعلو الشأن فى قوله تعالى فى سورة البقرة ١٧٢ (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب واقام الصلوة وآتى الزكوة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس اولئك الذين صدقوا واولئك هم المتقون) .

وفهمت ان الغرض من الآية الكريمة ليس هو بيان الفروض والأمثال وإنما الغرض فيها المقابلة بين الأفعال الواقعة من الغواة والمهتدين وايضاح المفاضلة فيما بينها وفيما بين فاعليها ، والتنويه بمحاسن أفعال المهتدين والتمجيد لهم بها ، والتبكيت للغواة وأفعالهم ، فتعرض القرآن لعوائدهم القشرية التى ألصقوها بنسب العبادة وموهوها باسم البر ، وليس فيها إلا الحركات البدنية التى لا تتعب من دون علاقة لها مع القلب ولا ارتباط لها بالإخلاص والاقبال ولم يتزينوا معها بزينة رغبة الإيمان ولا رهبة العرفان .

وحاصل ما يستنير به الفهم من معنى الآية الكريمة هو انه ليس البر ملاعبكم المعتادة وإن تولوا وجوهكم الى مشرق الشمس أو مغربها صورة بلا روح وخيالا بلا معنى وعوائد بلا مستند ، فلا تبجحوا ولا تتبرروا بها فلستم بفعلها من البر فى شىء ، ولكن انظروا واعتبروا بأولياء الله وخاصة عباده الأبرار الذين آمنوا بالله فانقادت نفوسهم وجوارحهم الى تقواه ، واقبلت فى حبه على طلب رضاه ، وارخصوا لذلك كل عزيز واستسهلوا فى سبيله كل صعب ، وآمنوا باليوم الآخر وما فيه من عظيم الثواب ، فاقبلوا على العمل لأجله راغبين ، وما فيه من أليم العقاب ، فتحذروا عما فيه بأشد الرهبة

وآمنوا بالملائكة وأنزلوهم منازلهم ، وبالكتاب المنزل من الله فاتبعوا هداه وبالنبيين فاذعنوا بأنهم رسل الله الهداة البررة المعصومون ففازوا بهداهم والإقتداء بهم ولم يستبدلوا عن اتباع شريعتهم بالغلو فيهم ، ولم يفرطوا بوصمهم بالنقائص التى لا ترتضى لسائر البشر ، بل عرفوا جليل قدرهم وانشرحت صدورهم لما بلغوه عن الله ، ولم يعيبوه ولم ينتقصوه ، ولم يحملهم التمرد على الفرار الى اختراع عبادة لا تبهظ الاهواء ولا تعارض الشح ولا تقرب من الله ولا تؤازر جامعة الحق بل طردوا أهواءهم والشح خاسئة مدحورة فآتوا المال راغبين متطوعين لأجل حبهم لله وواسوا به ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وخلصوا به العبيد العانين من أوزار الرق ومذلة العبودية ، وأقبلوا على الله فأقاموا الصلوة بحدودها الشرعية ووظائفها العرفانية وآدابها الأخلاقية ، وآتوا الزكوة فى محالها طائعين راغبين لاقامة أمر الدين ومهمات الملة ولم تتلاعب أهواؤهم بعهودهم بل هم الموفون إذا عاهدوا ولم يكونوا من الذين جعلوا الدين ونصره ـ لعقاً على ألسنتهم فإذا محصوا بالبلاء قل الديانون ـ بل كانوا الصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس ، وهناك تبلى السرائر وتختبر الرجال ، ويعرف الصادق من الماذق ، فاولئك الذين صدقوا واولئك هم المتقون .

هذى المكارم لا قعبان من لبن شيبا بماء فعادا بعد ابوالا

ولو انا ذكرنا فى الآية الشريفة ما يزعم أهل الصناعة التابعة تقديره لخرج الكلام الى محض التفاضل الفرضى بين الفعل الحسن وغيره وهو أمر ساقط الفائدة لأنه من ايضاح الواضحات ، فيضيع الغرض الحميد والمعنى السامى وهو الاطراء بالهداة والمفاخرة بكمالاتهم والاحتجاج بهم ، كما يدل عليه حسن الختام بقوله جلت عظمته : (اولئك الذين صدقوا واولئك هم المتقون) ولك العبرة بأن جماعة من أهل الصناعة قد قالوا : ان التقدير فى الآية الكريمة

(ولكن البر من آمن بالله . الآية) وهو اشتباه واضح ، فإن المقام ليس مسوقاً لبيان ان البر بر هؤلاء على اجماله ومن حيث هو بر ، بل هو مسوق لبيان ان الذى يستحق ان يسمى براً إنما هو ما نوهت به الآية الكريمة من صفات هؤلاء الصفوة الذين كانوا بفضيلتها هم الذين صدقوا والمتقين حقاً ، ومرجع الأمر بعد ما توحى به براعة الاسلوب الى ان البر إنما هو أوصاف هؤلاء المنوه بها .

وبما ذكرنا بعضه من الفوائد والشواهد تعرف شطط المتعرب إذ سمع من أهل الصناعة شيئاً ذكروه لاطراد قواعدهم التى لفقوها لأجل الوصول الى عربية القرآن الكريم ومقاصده ، فصار يعترض به على القرآن الكريم (انظر ذ ص ٧٣) .

ومن براعة العرب نصبهم الاسم على المدح ، وذلك لينبهوا الذهن الى ما يريدون امتيازه عند السامع ليلتفت الى مزيته وخصوصيته بنفسه لتكون احالة الإلتفات اليها على معرفته بها من نفسه ، أو كد فى المدح والتنويه من البيان الصريح ، فيتنبه الذهن بتغيير سياق الأعراب بحركة واحدة الى ما لا يتنبه له بدونه ولا يكفى فى التنبيه عليه كثير من الكلام ، وهذا باب واسع نص عليه النحويون ، وأوردوا فيه الشواهد ، ومن ذلك قول الخرنق بنت عفان من بنى قيس .

لا يبعدن قومى الذين هم ... سم العداة وآفة الجزر
النازلين بكل معترك ... والطيبون معاقد الأزر

وعلى ذلك جاء فى الآية الكريمة نصب (الصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس) ، وذلك لأجل التنبيه على امتياز المتحلين بهذه الصفة التى عليها ابتنى الثبات على الدين ، والإخلاص فى العبادة ، والدوام على الطاعة والاقدام فى نصرة الحق ، والاقبال على الله ، والبعد عن التمرد ، والسلامة

من الضلال ، والعصمة من الارتداد ، فاولئك هم أعلام الهدى ، وحماة الدين ، ودعاة الحق ، فلله صبرهم ما أحلى ثمره ، وما أحسن فى التوحيد أثره ، وما أبهى فى الاسلام عاقبته .

وهذا السنا اوضاح من ذلك السنا وهذا الشذا الفياح من ذلك الوادى

وقال المتعرب (ص ٧٣) ولا أدرى لماذا استحق الصابرون هذا المدح ، ولم يستحقه الموفون بعهدهم ، مع انهم مقدمون فى النسق على اولئك ومع ان السورة نفسها متقدمة فى النزول على سورة براءة التى سن فيها نبذ العهد ، وعلى سورة التحريم التى احل فيها الحنث بالايمان .

أقول : قد نبهناك على علو مقام الصابرين المذكورين فى الآية ، ولا يخفى عليك عظيم أثرهم فى الدعوة والدين .

وقد روى فى المجازات النبوية قوله صلى الله عليه وآله وسلم : (العلم خليل المؤمن ، والحلم وزيره ، والعقل دليله ، والعمل قيمه ، واللين اخوه والرفق والده ، والصبر أمير جنوده) أى هو الذى يدبر أمرها ويثبتها عند محاربة الهوى والشيطان .

وروى فى ربيع الأبرار عن مستودع علم الرسول على عليه السلام انه قال : (الحياء زينة ، والتقى كرم ، وخير المركب الصبر) وقال عليه السلام (الصبر مطية لا تكبو بصاحبها) .

ولكن أتدرى لماذا يجحد المتعرب فضيلة الصابرين ؟ لأنهم هم الذين قاموا بنصرة التوحيد ، ولم يثنهم عن عزمهم تضايق الشدائد ، وأهوال الملاحم ، ومحك الامتحان ، حتى أشرقوا الشرك بالريق ، وارغموا أنف الضلال . . . وأيضاً لا يسمح المتعرب بأن تتوجه الأذهان الى فضيلة الصبر والصابرين ، وذلك ليستر ما ذكره انجيلهم فى شأن التلاميذ الذين هم بزعمه

عطية الله للمسيح (١) وخيرة العالم (٢) ونوره (٣) وملح الارض (٤)، فقد ذكر فى شأن الأحد عشر منهم عن قول المسيح بأنهم كلهم يتفرقون عنه فى ساعة الامتحان كل واحد الى خاصته ويتركونه وحده، ويشكون أو يعثرون فيه (حينما يتقدهم الاختبار)، وطلب منهم المواساة بسهر ليلة فلم يتركهم اوهن والخور ليسمحوا، ولما هجم اليهود تركه الجميع وهربوا (مر ١٤ : ٢٧ - ٥١) وراجع صحيفة ٣٠.

ولعل المتعرب مع ذلك يقول : ليست الفضيلة بالصبر عند الشدائد على امتثال اواجب ونصرة الدين والثبات على الإيمان، بل الفضيلة كل الفضيلة أن يجتمعوا ويرتأوا لاستجلاب الناس للإيمان بالثاوث ولو بطمس رسوم الشريعة ومصانعة المشركين بعوائدهم والتقرب بالثاوث الى شركهم ومداهنة أهل الشريعة بالرياء (انظر صحيفة ٣١ و ٣٢).

وأما اعتراض المتعرب على تمييز الصابرين المذكورين فى الآية على الموفين بعهدهم، فليس لأنه يجهله لكن ليتوصل به فى المغالطة الى ضلالة التعريض بالقرآن والرسول صلى الله عليه وآله وسلم، فإن كل أحد يعلم ان اوفاء بالعهد، وإن كان خلقاً حسناً إلا انه يتصف به المؤمن والمشرك والشجاع والجبان.

ولكن الصبر المذكور فى الآية لا يتصف به إلا خاصة الأبرار وعيون الرجال، وأما تعريضه بنبذ العهد فى سورة براءة، فإن كل من له أدنى إلمام بتاريخ الاسلام لا يجهل انه قد وقعت الموادعة فى عام الحديبية بين رسول الله وبين قريش وأحلافهم، وتصالحوا على ترك الحرب مدة بشروط وروابط منها عدم التعرض للإسلام والمسلمين، ومن دخل فى عهد رسول الله،

(١) يو ١٧ : ٢٤. (٢) يو ١٥ : ١٩.
(٣) مت ٥ : ١٤. (٤) مت ٥ : ١٣.

ودخلت (خزاعة) فى عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ودخلت (بكر) فى عهد قريش ، ثم غدرت بكر وظاهرتهم قريش ، فنقضوا الصلح والموادعة وعدوا على خزاعة فقتلوهم ، فقدم مستغيث خزاعة على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال فيما قال :

لاهم انى ناشد محمداً حلف أبينا وأبيك الأتلدا
ان قريشاً أخلفوك الموعدا ونقضوا ذمامك المؤكدا
هم بيتونا بالحطيم هجدا وقتلونا ركعاً وسجداً

وقد ترجم المتعرب هذه الوقائع من نقل (سايل) لها (ق ص ١٠٣ و ١٠٧) فكان هذا النكث من المشركين موجباً لانحلال عقدة الموادعة مع الناكثين عرفاً وشرعاً ، فإن كل متعاقدين على شروط وروابط قد تبانيا فى عقدهما على ان نكث أحدهما حال للعقد ومحلل للآخر من ذمته ، ولو لا ذلك لما كان معنى لجعل الشروط والروابط فى المعاهدات ، وإن كنت فى شك من ذلك فانظر الى طريقة الملوك والسوقة فى معاهداتهم ، وانظر الى ما يذكره العهد القديم فى معاهدات الله مع بنى اسرائيل (خر ٣ : ١٧ و ٩ : ٥ و ٦) ومع داود فى مملكته (٢ صم ٧ : ١٦ و خر ٨٩ : ٢٨ - ٣٧) .

وانظر الى نبذ هذه العهود (عد ١٤ : ٢١ - ٢٤ و مز ٩٩ : ٣٨ — ٤٥ و ار ٧ : ٢٣ - ٣٠ و ١١ : ٢ - ٩ و ١٤ : ٢١) ، فإن هذا كله إنما يصح على ما ذكرناه .

ولا نطالب المتعرب بما ذكره العهد القديم عن ميثاق الله (لفينحاس) (عد ٢٥ : ١٢ و ١٣) ، نعم لنا عليه المطالبة بما يذكره العهد الجديد عن عهد (بطرس) الذى أيسر مدحه فى الانجيل ان المسيح فوض اليه بناء الكنيسة وأعطاه مفاتيح ملكوت السموات ، وأناط الحل والربط فيها بحله وربطه على الأرض (مت ١٦ : ١٨ و ١٩) وجعل اليه رعاية الامة (يو ٢١ : ١٥ - ١٨)

فإنه قد كان عاهد المسيح نبيه ، وبزعم المتعرب ـ واستغفر الله ـ (إلهه) معاهدة بأكثر تشديد على أن لا ينكره ولو اضطر الى الموت (مت ٢٦ : ٣٥ و مر ١٤ : ٣١) ، وانه مستعد لأن يمضى معه حتى الى السجن والى الموت (لو ٢٢ ٣٣) ولم تمض من هذا العهد سويعات حتى جعل عهده المشدد تحت قدميه . وكثر منه الحلف بأنه لا يعرف المسيح وصار يحلف ويلعن (مت ٢٦ : ٧٠ ـ ٧٥) ولمن تظن يلعن ، وان المتحلى بأقل قليل من الصبر الذى نوهت به الآية لا يستهويه الشيطان فى مثل هذا الخور ، وانى لأحاشى بطرس من هذه الوصمة ولكن المتعرب لا يحاشيه .

ثم اعلم ان سورة برائة هى التى تعلم بالوفاء بالعهد والدوام عليه مع غير الفجرة الغادرين الناقضين للعهد ، فقد قال الله جل اسمه فيها بعد أن برء من اولئك الناقضين للعهد ٤ (إلا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئاً ولم يظاهروا عليكم فأتموا اليهم عهدهم الى مدتهم ان الله يحب المتقين) الموفين بعهودهم مع من لم يغدر بنقضها .

فإن قلت : أفما كان من المعروف أن يتم العهد للناقضين وإن غدروا وفجروا ، قلت هذا سوال من لم يعرف من المعروف إلا اسمه ، واحاشيك من ذلك إذ لا يخفى عليك انه لو لا ان اقامة الحجة ومصلحة دين الحق وسياسة ترقيه اقتضت الموادعة معهم مدة من الزمان لما حسن الابقاء على الشرك وعوائد الضلال ، ومكالبات الجور والعدوان .

أفيقول موحد بأنه يحسن الإبقاء على الشرك والمشركين الفجرة وضلالهم بعد جرئتهم على الغدر ونكث العهد الذى فتحوا به باب التكالب على مقاومة التوحيد والموحدين ، ورامو به تجرئة العرب على نقضهم لعهد رسول الله والنهوض لنصرة شركهم وضلالاتهم ، كلا بل ان الاغضاء عن هؤلاء إنما هو من الوهن والفشل ، والتقاعد عن نصرة الحق ، والقيام بواجب الدين ،

القويم ولو لا ان شوكة الحق تفقأ أعينهم لكثر الهرج والمرج فى مضايقة التوحيد والموحدين .

وأما تحلة الإيمان الواردة بقوله تعالى فى سورة التحريم ٢ (قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم والله مولاكم وهو العليم الحكيم) .

فإن تعريض المتعرب بها فى كلامه السابق وتسميتها حنثاً ، لمن قبيح التعصب ، كيف لا ؟ وان تحلة اليمين لها معنيان (أحدهما) الإستثناء بقول الحالف (إن شاء الله) .

وتسمية هذا الإستثناء بالتحلة تؤخذ تارة من الحل ، كقولهم : حلا أبيت اللعن ، وقول عمر بن معديكرب : حلا يا أمير المؤمنين فيما تقول ، وقول أبى بكر : حلا ام فلان ، وذلك باعتبار ان هذا التعليق على مشيئة الله يحل عقدة اليمين الجازمة لو كانت على رسلها ، وتؤخذ تارة من التحليل كقول امرىء القيس فى معلقته :

ويوماً على ظهر الكثيب تعذرت ... علىّ وآلت حلفة لم تحلل

وذلك باعتبار ان تعليقها على المشيئة سبب للتحلل من تحريمها البتى .

(وثانيهما) هو بر اليمين والوفاء بها ، قال : قبيصة ابن النصرانى الجرمى من طى :

لم أر خيلا مثلها يوم أدركت ... بنى شمجى خلف اللهيم على ظهر
ابر بإيمان وأجرأ مقدماً ... وأنقض منا للذى كان من وتر
عشية قطعنا قرائن بيننا ... بأسيافنا والشاهدون بنو بدر
فأصبحت قد حلت يمينى وادركت ... بنو ثعل تبلى وراجعنى شعرى

فيتحلل الحالف وتحل اليمين بالوفاء بها ولو بفعل شىء مما حلف على فعله لتكون اليمين به مبرورة فيتحلل به الحالف منها ويبرأ من ذمتها ، كما إذا حلف على ضرب ولده مثلا فإنه يبر يمينه بضربة واحدة ويتحلل منها ويتخلص

بذلك من إثم الحنث بالترك الكلى . . . وقد ضربت العرب بذلك مثلا فى القلة قال كعب بن زهير يصف الناقة :

تخدى على يسرات وهى لاهية ذوابل وقعهن الأرض تحليل

وقال ذو الرمة (قليلا كتحليل الألى) ومنه ما تكرر فى الحديث من قوله صلى الله عليه وآله وسلم : (لا تمسه النار إلا تحلة القسم) ، ويحتمل أن يكون منه قول امرىء القيس المتقدم على وجه بعيد فى السياق . . فالمولى العليم الحكيم شرع بلطفه لعباده أن يستثنوا فى ايمانهم بمشيئة الله لئلا يورطهم الشيطان فى اثم الحنث إذا عقدوها على البت ، أو انه جل شأنه بين لهم فى الشريعة انهم يتحللون من ايمانهم ويبرونها إذا فعلوا شيئاً مما حلفوا على فعله ، كما يقتضيه اللفظ ، ولعل المتعرب سمع من بعض المفسرين تفسيرهم لتحلة الإيمان بالكفارة ، وهو اشتباه بيّن ، فإن الكفارة إنما هى عقوبة على الحنث واليمين على حالها لم تحللها الكفارة أصلا . . نعم غاية ما يقال فى الكفارة انها عقوبة معجلة تدرء شيئاً من عقوبة الآخرة ، ولا أثر لها فى تحليل الحرام لا لغة ولا شرعاً ، فانظر فى حال كفارات الإحرام والصيام .

﴿ تتمة ﴾ قال الله تعالى قبل هذه الآية فى السورة المذكورة ١ (يا أيها النبى لم تحرم ما أحل الله لك تبتغى مرضات أزواجك والله غفور رحيم ٢ قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم) الآية .

وقد اضطربت الرواية فى سبب نزول الآية الاولى ، فروى ان النبى خلا بأمته مارية فى يوم عائشة فعلمت بذلك حفصة فقال لها : اكتمى ، وقد حرمت مارية على نفسى .

وروى انه صلى الله عليه وآله وسلم خلا بمارية فى يوم حفصة واسترضاها بتحريم مارية على نفسه .

وروى انه شرب العسل فى بيت زينب فقال بعض نسائه شيئاً فحرمه على

نفسه ، وروى انه شربه فى بيت حفصة ، وروى فى بيت ام سلمة ، وحاصل الأمر ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم عزم على الإمتناع عن شيء استصلاحا لعائلته ، فإن التحريم هو المنع ، ولكن شاء الله أن يخفف عن رسوله ثقل هذا القيد ، ويتولى إصلاح عائلته بتأديب الوحى فأنكر عليه أن يلقى على نفسه الشريفة ثقل القيود والإمتناع عن الحلال .

والمتعرب من خبطه وتعصبه جعل (ذ ص ٦٢) الآية الثانية من تتمة مضمون الآية الاولى ومرتبطة بحكم واقعتها ، وان المعنى فيها تحليل الحنث بيمين تضمنها بزعمه التحريم ، ولم يشعر ان تغيير الاسلوب فى الآيتين يقطع علاقة الإرتباط بينهما .

فإن الآية الاولى خطاب للنبى ، والثانية خطاب للامة ، مضافاً الى أن غالب الروايات الواردة فى واقعة التحريم ليس فيها ذكر لليمين ، ولو كان فى الواقعة يمين لما أمكن تعلق الآية الثانية به وكونها تبيح مخالفته ، لأنه ان قلنا ان التحلة المشروعة هو التعليق على مشيئة الله ، فإنما ذلك شريعة وتعليم بالنسبة الى الإيمان المستقبلة ولا ربط لها بيمين قد مضى .

وان قلنا : ان التحلة هو التحلل من اليمين بفعل شيء من المحلوف على فعله فلا يمكن ارتباطها بواقعة التحريم ، لأنها لو كان فيها يمين لكان على النفى لا على الفعل (أفلا يتدبرون القرآن) ، وهذا بعض الوفاء لما وعدناك به (ص ١٤٣) .

﴿ عود الى النصب على المدح والتعظيم ﴾ وقد جاء أيضاً فى قوله تعالى فى سورة النساء ١٦٠ (لكن الراسخون فى العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك والمقيمين الصلوة والمؤتون الزكوة والمؤمنون بالله واليوم الآخر اولئك سنؤتيهم أجراً عظيما) .

فنصب (المقيمين) على المدح للغرض الذي أشرنا اليه فى نصب (الصابرين)

فإن المراد من المقيمين الصلوة غير الذين يصلونها بسوق الوجوب ، وحث الوعيد ، وتوصلا الى الدعاء الزخارف الدنيوية ، فإنها حينئذ إذا عوفيت من وباء الرياء وتشويه العجب لم تعد أن تكون جسماً بلا روح وشجرة بلا ثمر بل انهم هم الذين يرتاحون اليها ويعدون وقتها أسعد أوقاتهم وأفضل أعمارهم فيغتنمون فيه الانس بمناجاة مولاهم وفضيلة المثول فى حضرته فيقيمونها بالاقبال والعرفان والانس والهيبة والرغبة والرهبة والنشاط والخشوع على حدود شريعتها وآداب سنتها وشروط اخلاصها ووظائف التعبد بها ، فهذا هو إقامة الصلوة واولئك قادة المؤمنين وسادة الموحدين ، وان تشرف من هو دونهم ببعض مراتب الإيمان بالله واليوم الآخر .

فالقرآن الكريم نبه الذهن بأيسر تغيير فى الأسلوب إلى حقيقة إقامة الصلوة وامتياز مقيميها عن سائر المصلين والمؤمنين .

وبهذا تعرف شطط المتعرب فى إنكاره لامتياز هؤلاء على سائر المؤمنين (ذ ص ٧٤) .

وأما ضلال المتعرب فى تعريضه بقوله (ذ ص ٧٤) وقصارى مايقدرون عليه (يعنى من يزعم انهم مؤمنون بالله واليوم الآخر) هو انهم إذا رأوا واحداً منهم يغدر ويخون وينهب ويقتل الأسرى حتى يثخن فى الأرض ساغ لهم أن يرتابوا فى صحة إيمانه بالله واليوم الآخر .

فإنه يكفى فى ازهاقه ما ذكرناه من صحيفة ١٢٢ إلى ١٦٠ فراجعه .

ولكن القلم الغيران للحق أبى إلا أن يقف للمتعرب موقف الاستفصال وقول الفصل ، فقال للمتعرب : ان الايمان الذى عندنا والايمان الذى عندك قد تباينا الى حيث لا ملتقى .

فإن الايمان عندنا بمقتضى هدى العقل ونور الكتاب وإرشاد الشريعة هو الايمان بأن إله الحق هو الله الواحد الأحد القادر القاهر العزيز الجبار

القدوس الحى الذى لا يموت لم يلد ولم يولد ولم يتخذ صاحبة ولا ولداً ، جل وتعالى عن المثل والمكان ، لا يتجزأ ولا يتعدد ولا يتجسد ، قد اصطفى بعلمه وحكمته ولطفه من عباده رسلا أطهاراً بررة معصومين من الذنوب مبرئين من العيوب دائبين على طاعة الله صادعين بأمره ، ليس لقائل فيهم مغمز ، ومن عدادهم المسيح عبد الله المقرب ورسوله المنتجب ، خلقه بقدرته وأودعه فى رحم امه الطاهرة العذراء من غير نطفة فحل ، ثم ابتعثه رسولا هادياً مهدياً وانزل عليه الانجيل نوراً وهدى ، وان الحواريين أنصار المسيح الى الله وأما الايمان بحسب عقيدتك واقتضاء كتابك ومجامعك هو الايمان بأن الله روح ، ومحبة ، واحد هو ثلاثة ، وثلاثة هم واحد ، الأب والابن ، والروح القدس ، فتجسد الابن فى الأرض ، وبعد مدة نزل عليه الروح القدس بشكل حمامة جسمية ، ثم قاده الروح الى البرية وبقى فيها أربعين يوماً وابليس يحاول اغواءه ويتصرف به وينقله من مكان الى مكان ويطمعه بممالك المسكونة ليسجد له ، وبقى الأب فى السماء ، وبقى الابن أى الإله المتجسد على الأرض يعانى الاضطهاد ، الى أن دنا اوقت فحزن وبكى وألح فى السؤال من الأب أن يجيز عنه كأس المنية ، فلم يشأ الأب بل أسلمه للهوان والصلب فمات ودفن فى الأرض ، وبعد ثلاثة أيام أقامه الله من الموت وجلس عن يمين الأب ، ولما كان هذا الإله على الأرض كان من رأفته قد ميز من تلاميذه بفرط الحب غلاماً يافعاً يجلسه فى حضنه ، ويفضى اليه بسره ويتركه يتغنج عليه ويتكىء على صدره ، وان الزانية يكون ايمانها الكامل إذا ثنت عطفها عليه وهو ابن نيف وثلاثين سنة ، وجعلت تقبل قدميه ، وتبلها بالدموع وتمسحها بشعر رأسها ، وان رسل هذا الإله المتجسد الذين هم خيرة العالم ونوره وملح الأرض منهم من يجلس فى حضن إلهه المتجسد ويتغنج عليه ، ومنهم من يغتاظ عليه ، ومنهم من ينكره وينقض عهده .

وكلهم قد شكوا فيه ، وتركوه فى الشدة وهربوا عنه ، ثم أنتجت مشورتهم ان يلاشوا الشريعة بالكلية ، ويطلقوا الأهواء من قيدها ببشارة الفداء ، وكانت الأنبياء قبل ذلك منهم من يكذب ، ومنهم من يستلب البركة بالمخادعة والتزوير ، ومنهم من يستعفى من الرسالة بخشن الكلام وينسب إلى الله الاساءة ويستهزء بوعده ويفرط بشفتيه ، ومنهم من يصنع وثناً وينادى لعبادته ، ومنهم من يزنى بالمحصنة ويسعى فى قتل زوجها ويغضى عن المناكير فى بيته ، ومنهم من يذهب وراء آلهة اخرى ويبنى لها المرتفعات مع انه الابن المختار ، ومنهم من يدعو الله جل شأنه خداعاً (انظر صحيفة ٦٧ - ١١٠) .

فيا أيها المتعرب إن كنت تعنى بالمؤمنين بالله واليوم الآخر من كان على مثل ايماننا ، فانهم لينادون كما يعتقدون وهو الحق اليقين بأنه ماهدى الى حقيقة التوحيد وحق الايمان وحقائق العرفان ، ولا أوضح محجة الحق واقام حجته وأعلى كلمته إلا رسول الله الصادع بأمر الله . . .

وإن كنت تعنى بالمؤمنين من كان على مثل ايمانك فمن الغلط والشطط أن يشكوا فى ايمان رسول الله بل لا يسعهم إلا القطع بأن رسول الله مستمسك بوثقى عروة الكفر بمثل ما تقول به أنت فى ايمانك .

ومن لغة العرب رفع المعطوف على المنصوب (١) ومنه رفع المعطوف فى الصورة على اسم (ان) ، قال بشر بن أبى خازم الأسدى يخاطب بنى طى :

إذا جزت نواصى آل بدر فأدوها وأسرى فى اوثاق
وإلا فاعلموا أنا وأنتم بغاة ما بقينا فى شقاق

وقال الحارث بن ضابىء البرجمى :

ومن يك امسى بالمدينة رحله فأنى وقيار بها لغريب

---

(١) انظر شواهده فى كتاب سيبويه ص ٨٨ وغيره من كتب النحو .

وقال آخر :

خليلي هل طب فأني وأنتما وان لم تبوحا بالهوى دنفان

وقال عنترة يرثي مالكاً :

وكان إذا ما كان يوم كريهة فقد علموا اني وهو فتيان

وقال الله تعالى في سورة المائدة ٧٣ : (ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) فرفع لفظ (الصابئون) تمييزاً لهم من النسق وتنبيهاً على ان الصابئين وإن كانوا أبعد من اليهود والنصارى عن صورة التوحيد إلا انهم مثل اليهود والنصارى في ان من آمن منهم وعمل صالحاً فهو آمن ، ولا حاجة الى هذه الفذلكة في الآية التاسعة والخمسين من سورة البقرة ، وذلك لأجل ان التنازل في الترتيب فيها كاف في الاشارة الى هذه النكتة ، فالآيتان معاً دالتان عليها ولكن كل واحدة بنحو من الأسلوب . وأما الآية السابعة عشرة من سورة الحج فلا محل لهذه النكتة فيها .

﴿ ولنستطرد الكلام في الحذف ﴾ ولا يخفى عليك انه قد شاع في كلام العرب في الشعر والنثر اكتفاء بدلالة المقام ، وتوصلا في بعض الموارد إلى غرض ونكتة لا تحصل بدونه ، فيخرج الكلام به كالذهب المصفى والجوهر المجلو ، وقد جروا في الحذف على أنحاء :

(أحدها) انهم التزموا بالحذف فيما إذا كانت دلالة المقام لازمة ، وجعله النحويون من الحذف الواجب في العربية ، فمن ذلك خبر المبتدأ قبل جواب (لو) نحو (لولا البعد لزرتك) وقبل جواب القسم الصريح نحو (لعمرى لأفعلن) ولا يحتاج هذا الى ذكر الشواهد ، وكذا في نحو (اخطب مايكون الأمير قائماً) و(ضربي زيداً قائماً) و(كل رجل وضيعته) ومن هذا النحو مايلتزم النحويون بتقديره في الظرف والجار والمجرور المستقرين . (وثانيها) انهم اطرد عندهم

الحذف فى موارد جعل لها النحويون ضابطاً منها حذف الضمير المنصوب أو المجرور العائد على الموصول ، ومنها حذف الجر قبل (ان) المصدرية .

(وثالثها) ما لا ينحصر بعنوان عام إلا بدلالة المقام وهو كثير لا يحصى فلنذكر من ذلك شيئاً من شعر مشاهير الشعراء فى العرب ممن طرقوا باب البلاغة وشهد لهم بالتقدم .

قال امرؤ القيس فى معلقته :

فيا لك من ليل كأن نجومه بأمراس كتان الى صم جندل

أى كأن نجومه شدت ، وقال طرفة بن العبد فى معلقته يصف ذنب ناقته :

فطوراً به خلف الزميل وتارة على حشف كالشن ذاو مجدد

أى فطوراً تضرب به . . وقال أيضاً :

ألا ايهذا اللائمى اشهد اوغى وان احضر اللذات هل أنت مخلدى

أى على ان اشهد . . وقال أيضاً :

وان يلتق الحى الجميع تلاقنى الى ذروة البيت الكريم المصمد

وقال يزيد بن الحكم الكلابى :

مسسنا من الآباء شيئاً فكلنا الى حسب فى قومه غير واضع

أى انتمى ، وننتمى الى . . . ، وقال اوس بن حجر :

حتى إذا الكلاب قال لها كاليوم مطلوباً ولا طلبا

أى ليس كاليوم . . وقال النمر بن تولب :

وقولى إذا ما اطلقوا عن بعيرهم تلاقونه حتى يؤوب المنخل

أى لا تلاقونه . . وقال امرؤ القيس :

فقلت يمين الله ابرح قاعداً وان قطعوا رأسى لديك وأوصالى

أى لا ابرح . . وقال آخر :

تنفك تسمع ما حييـ ت بهالك حتى تكونه

أى لا تنفك ... وبهذا ونحوه تعرف شطط المتعرب (ذ ص ٨٢)فى اعتراضه على قوله تعالى (تالله تفتؤ تذكر يوسف) .

وقد أفحش المتعرب فى الغلط إذ قال فى اعتراضه والوجه لا تفتؤ لأن فتىء وما جرى مجراها لا يستعمل إلا منفية ، فقل له : أتقول ان (تفتؤ) فى الآية مستعملة فى الإثبات .

ومن الحذف فى كلامهم وشعرهم ما يعرفك المقام والأسلوب انه كان لأجل نكتة لطيفة وغرض سام لا ينال بذكر المحذوف ، والقرآن الكريم قد تأنق فى هذه البراعة ما شاء اعجازه ، فانتقى يتائمها ، واستولى على غايتها . قال امرؤ القيس :

ملوك من بنى حجر بن عمرو يساقون العشية يقتلونا
فلو فى يوم معركة اصيبوا ولكن فى ديار بنى مرينا .

وقال أيضاً :

فلو انها نفس تموت سوية ولكنها نفس تساقط أنفسا

فإن التقدير فى جواب (لو) فى البيتين (لهان الخطب ، أو سهل ، وما يجرى مجرى ذلك) ولكنه لم يسمح فى هذا المقام ان يصرح بذكر الهوان ونحوه فأبدع فى الاسلوب وطوى ذكر ما لا يجب ذكره ، فأوحاه الى الفهم بطرف خفى وبيان شجى .

وقال عبد مناف الهذلى فى آخر قصيدته :

حتى إذا أسلكوهم فى قتائدة شلا كما تطرد الجمالة الشردا

فطوى ذكر الحال بعد ذلك ولم يأت بجواب (اذا) ليوكل الأمر إلى رجم الظنون ، وقال الله تعالى فى سورة يوسف ١٥ (فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه فى غيابة الجب وأوحينا اليه لتنبئنهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون) فطوى القرآن الكريم من حال يوسف واخوته فى تلك الساعة ذكر ما يتوزع

السامع بين الشجى المبرح والغيظ المهيج ، فلم يتعرض لما يلزم فى تلك الحال من تذلل يوسف بين يدى اخوته وتوسله بهم ، واستعطافه لهم ، ولواذه بواحد واحد منهم ، ومناشدته لهم بالله والرحم بطرف خاشع وعين عبرى وقلب مروع يسترحم لشبابه ، ويستبقيهم على مهجته بلين الخطاب وشجى البيان . ومن قسوة اخوته وغلظتهم وما جرى لهم معه فى تلك الحال من الكلام القاسى والأحوال الفظة . .

فما ظنك بالغلام اليافع ربيب الترف والدلال إذا شاهد تلك الحال المدهشة كيف يفعل ؟ وكيف يتوسل بمن يمت اليه بالاخوة ويرجو فيه الرقة ويستثير منه العواطف ؟ أفلا يقرح قلبك شرح حاله ، أم لا يورى غيظك ما يجرى معه إذ ذاك من نكاية القسوة وبوادر الغلظة .

فالقرآن الكريم راعى فى هذا المقام كل جانب تنبغى مراعاته ، فطوى الكلام بأحسن طى وأشار إلى الحال بأجمل اجمال وألطف تنبيه ، فكأنما أوقفك عليه بفكرك ومثله لوجدانك ، ولكنه قبل أن يقرع الفكر بالشجى قلبك عجل لك البشارة على النسق بأن الله جل شأنه قد سلى يوسف بالوحى وبشره بالنجاة والرفعة التى ينبىء فيها اخوته بأمرهم هذا وهم لا يشعرون فالقرآن الكريم لأنه كلام الله لم يدمج القصة كما أدمجتها التوراة الرائجة (تك ٣٧ : ٢٣ و ٢٤) .

وجل عن ان يغرق فى حكايات الحالات المستبشعة السمجة ، كما زعمت الاناجيل الرائجة ان اليهود وبيلاطس وعسكره فعلوه مع المسيح وحاشا ، انظر أقلا (مت ٢٦ : ٦٧ و ٢٧ : ٢٦ - ٣٢) .

وقال الحارث بن حلزة اليشكرى فى معلقته :

لا تخلنا لعلى غراتك انا قبل ما قد وشى بنا الأعداء

فلم يذكر خبر (انا) ليترقى الذهن فى محتملاته إلى أشد الحماسة ،

وعـــدم المبالاة بالملك .

وقال عبيد بن الأبرص يخاطب امرء القيس :

نحن الأولى فاجمع جمو عك ثم وجههم الينا

ولم يذكر صلة (الاولى) ليترقى الذهن فى محتملاتها أيضاً إلى أشد الحماسة والتهويل . .

وقال الله تعالى فى سورة الحج ٢٥ : (ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذى جعلناه للناس سواء العاكف فيه والبادى) فلم يذكر خبر (ان) تهويلا بما يستحقه هؤلاء الكفرة المردة من عظيم النكال والعذاب ، أو بما يستحقونه من القذع والذم على كفرهم وعتوهم فيبلغ الذهن فى ذلك ما لا يبلغه البيان اللفظى ، وان المقام لجدير بذلك ، ومقتضى الحال لا يليق بغيره .

ولعلك لا يخفى عليك جهل المتعرب فى اعتراضه (ذ ص ٧٧) على الآية بعطف (يصدون) المضارع على (كفروا) الماضى ، فانه لا ينبغى أن يخفى على غير المتعرب ان الغرض هو التسجيل والتشنيع عليهم بتماديهم على الغى والصد عن سبيل الله والمسجد الحرام ، ولا تحصل هذه الفائدة إلا بالفعل المضارع الدال على الثبوت ، ولم يكن الغرض هو التشنيع عليهم بما فعلوه من الصد فى الماضى فقط .

﴿ تتمة ﴾ وتتمة الآية المتقدمة قوله تعالى فى ذكر المسجد الحرام : (ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم) .

فقال المتعرب (ذ ص ٧٧ و ٧٨) فهذا أيضاً كلام ناقص لأنه جاء فيه بفعل متعد وهو (يرد) ولم يأت بمفعوله ، ثم قال : نذقه من عذاب أليم ، وكان المقام يقتضى العذاب الأليم أو عذاباً أليماً .

قلت : لا يخفى على كل من يميز بعد الطفولية كيف يتكلم ، سواء كان

يتكلم باللغة العربية أم بغيرها من لغات الدنيا ، ولا يلتبس عليه ان الفعل المتعدى تارة يقصد بالإتيان به بيان وقوعه على المفعول فقط ، ولأجل ذلك يعرض المتكلم عن بيان الفاعل ويبنى الفعل فى اللغة العربية للمفعول ، وتارة يقصد به محض وقوعه من الفاعل فلا يذكر المفعول ولا يقدر فى الصناعة ولذا قالوا : ان المفعول فضله ، أى يصح الإستغناء عنه فى الكلام ومرمى الإسناد فالآية الكريمة لم يتعلق فيها الغرض بالمفعول ، بل إنما تعلق الغرض فيها بمحض صدور الفعل القبيح من الفاعل المتمرد على الجهة الخاصة والباعث الخاص ، فإن قبح الإرادة بالإلحادو الظلم فى المسجد الحرام لا ارتباط له بتعلق الإرادة بالإلحاد والظلم بمفعول خاص ، بل هو مسجد حرام سواء العاكف فيه والبادى ، فهو كقول الملك من يضرب بشقاوة بظلم نعذبه ، فليس فى الآية الكريمة شىء من الحذف .

ومما ذكرناه تعرف غلط المتعرب فى اعتراضه (ذ ص ٩٠) على قوله تعالى فى سورة البقرة ٢٨ : (ونقدس لك) وذلك لأن المقام غنى عن بيان ان المقدس هو الله ، وإنما المهم فى التقديس بيان كونه لله خالصاً مخلصاً فى قصد القربة الذى هو روح العبادة . .

وأما قوله تعالى : (نذقه من عذاب أليم) فلأن الظالم بالحاد وإنكار للمعاد والعقاب يكفى فى وعيده بيان خيبته فى اغتراره واطمئنانه وتهديده بأنه لا مناص له عن سوء المنقلب الذى أنكره بإلحاده .

والنكتة التى اقتضت التعبير بقوله تعالى (نذقه) لا بد معها من التعبير بقوله تعالى (من عذاب) فإن الذوق إنما هو لبعض الشىء ، هذا مضافاً إلى انه لم يقل نذقه بعض ما يستحقه ، بل بعض العذاب المعد عند الله للأشرار ، فإن كل معذب شخصاً كان أو صنفاً إنما يعذب ببعض العذاب ، ويعذب غيره ببعض آخر ، أعاذنا الله من ذلك ببركة الإيمان والإخلاص فى توحيده

وتقديسه ، وبهذا تعرف إن شاء الله أن المتعرب يعيب المسك برياه .

وقال لبيد بن ربيعة العامرى :

قالت غداة انتجينا عند جارتها أنت الذى كنت لولا الشيب والكبر

فحذف خبر (كنت) لنكتة آثرها وقال آخر :

إذا قيل سيروا ان ليلى لعلها جرى دون ليلى مائل القرن اعضب

فحذف خبر (لعل لنكتة آثرها أيضاً ، وقال مساور بن هند بن قيس :

زعمتم ان اخوتكم قريش لهم ألف وليس لكم ألوف

اولئك ارمنوا خوفاً وجوعاً وقد جاعت بنو أسد وخافوا

فاكتفى عن ذكر تكذيبهم بالحجة عليه .

ومما ذكرناه تعرف الحسن والبراعة فى قوله تعالى فى سورة القصص ٤٦ (وما كنت بجانب الطور إذ نادينا ولكن رحمة من ربك لتنذر قوماً ما أتاهم من نذير من قبلك) فإنه طوى ذكر المستدرك بقوله تعالى (ولكن) لأجل تلألؤ المقام به واشراقه على ارجائه ، وتركه ليستعذبه الفهم من المورد نهلا وعلا ، ويقتبسه من مشكوة البرهان ، ويكون هو الزعيم باستنتاجه والمستأنس ببرهانه ، لا كما يلقى عليه باللفظ ثقلا على وساوسه .

وعلى نحو هذا جاء قوله تعالى فى سورة البقرة ٦٧ : (وإذ قتلتم نفساً فادارأتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون ٦٨ فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون) فقد ألقى حيوة المقتول إلى الفهم بسبب ضربه ببعض البقرة السابق ذكرها ، ولقنه بها من سوق المورد وحجه بأحسن مما يلقيها اليه بفضول اللفظ ، كما لا يخفى إلا على تعصب المتعرب فانظر الى شططه (ذ ص ٩١ و ٩٢) .

كما تعرف البراعة وعلو الشأن فى قوله تعالى فى سورة البقرة ١٦ مثلهم كمثل الذى استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات

لا يبصرون : فإنه بعد ان فتح عين الفهم بضرب المثل ودله على مغزاه أوقفه على ربوة التنبه ، وموعد الإنتظار ، وكفاه بعد المسافة ، ومعثرة التطويل وملل التكرار ، وناوله تتمة المثل ونتيجة التمثيل بيد واحدة من مكان قريب قد راعى فى اسلوبه أولوية الكافرين بصفة المثل ، وان يروع الذهن بهول حقيقتها قبل أن يألف بفرض مثالها ، ولو أجرى الكلام على السذاجة المبتذلة لتباعدت أطرافه وتشتت معانيه وانحل نظامها ، واضمحلت خواص مقاصده ، ولم ينجح فى طوله الممل بطائل ، واستوضح ذلك من تفكيكه وتطويله حسب ما يقترحه البسطاء ، واتل لمن ينكر نورانية اعجازه بهذا الأسلوب الخاص (مثلهم كمثل الذى استوقد ناراً فلما أضائت ما حوله . . الآية والتى بعدها) .

ومما ذكرنا تعرف انه لا حاجة إلى أن نجعل (الذى) بمعنى (الذين) فإن هذا التقدير زيادة على وهنه يذهب برونق السياق وفرائد الفوائد .

والمتعرب (ذ ص ٧٧ - ٧٩) يعد هذه الآيات من الكلام المبتور الذى يتحير فيه السامع زاعماً فى تمويهه ان هذه الأساليب مخلة بالبلاغة لعدم الدلالة فيها على المحذوف .

وقد ذكرنا لك ما يحتمله الإختصار من شعر العرب الذى يوقفك على أسرار البلاغة وتفنن البلغاء فى كلامهم حسب مقتضى الحال ، على انك لو قسته بالآيات المذكورة لوجدته كالمصباح مع الشمس والصبابة مع النهر . أم يريد المتعرب أن يكون القرآن الكريم فى التطويل المضجر والتكرار الفارغ ، كالتوراة الرائجة فى صنعة المسكن وثياب هارون ، (فانظر خر ٢٥ - ٣١) (وانظر أيضاً خر ٣٥ - ٤٠) .

أو يريد أن تكون أمثال القرآن الكريم كأمثال الانجيل الرائج التى شوه التطويل صورتها ، وشردت بها الفضول الفارغة عن مطابقة الممثل حتى

كانت النتائج بعدها أجنبية ، مضافاً الى انها قد اشتملت على فقرات ان كانت داخلة فى غرض المثل لزم منها الكفر ونسبة الظلم الى الله جل شأنه ، والمعاملة مع عباده بالمحاباة والمجازفة ، وان لم تكن داخلة فى ضرب المثل كانت لغواً ومعثرة فانظر الى (مت ٢٠ : ١ - ١٧ و ٢١ : ٢٨ - ٤٥ و ٢٢ : ١ - ٤ و ٢٥ : ١ - ٣١) . يا عجباً ان التعاليم المنسوبة فى الانجيل للمسيح لا تبلغ أن تملأ جريدة اسبوعية أو يومية ومع ذلك كان ما فى الانجيل الرائج ككتابة صحافى ضايقته وظيفة الوقت فصار يملأ أعمدة الجريدة بسفاسف التطويل . . أهذه تعاليم المسيح كلمة الله ؟ حاشا وكلا .

وان أراد المتعرب أن يعرف الكلام المبتور الذى لم يقف الفهم فيه على محصل ما ، ولم يستشم منه رائحة الفائدة .

فلينظر إلى ما تذكره التوراة الرائجة فى شأن العلامة لابراهيم على انه يرث أرض الكنعانيين ، كما ذكرناه صحيفة ٧٦ ، ولينظر الى قول العهد القديم ان نسيتك يا اورشليم تنس يمينى . . ليلصق لسانى بحنكى ان لم اذكرك (مز ١٣٧ ، ٥ و ٦) .

وقوله : من منكم من كل شعبه الرب إلهه معه ويصعد ٢ أى ٣٦ ، ٢٣ وقوله : ويكون إذا سمعتم صوت الرب إلهكم (زك ٦ ، ١٥) .

وقد جاء فى لغة العرب حروف كثيرة تفيد فى الكلام فوائد لا تحصل بدونها ، وهى مثل (من) و (الباء) الجارتين فى مثل قولك (ما فيها من احد وما زيد بقائم) و (ان) فى مثل قولك (ما ان فعلت) و (كان) فى مثل قول المتعجب (ما كان أحسنها) و (ما) بعد (إذا ، وأى) ، و (لا) قبل القسم والشواهد لذلك لا تكاد تحصى فى شعر العرب فضلا عن نثرهم . . ولكن لما رأى أهل الصناعة ان الكلام يمكن أن يتألف بدونها إذا لم تقصد فيه فائدتها جعلوا تلك الكلمات زائدة ، ولما لم يصلوا إلى حقيقة فوائدها بعنوان من

عناوينهم أدمجوا أمرها وقالوا : انها للتأكيد .

وبعض المفسرين جعل بعض الحروف فى القرآن الكريم من هذا النحو فصار المتعرب يعترض عليه (ذ ص ٧٩) ويقول : انه زائد فهو إذاً لغو ، ولو انها كانت كما زعم هؤلاء البعض لقبح من المتعرب ان يشط بزعمه انها لغو فمن ذلك قوله تعالى فى سورة القيامة ١ (لا اقسم بيوم القيامة ٢ ولا اقسم بالنفس اللوامة ٣ (أيحسب الإنسان ان لن نجمع عظامه) وليس كما حسب المتعرب وتوهم ، فإن الحقائق النيرة لا يحجبها غبار القيل والقال ، فإن (لا) فى الآية وأمثالها للنفى وجىء بها لأعظام القسم والمحلوف به ، كما يرشد الى ذلك ويدل عليه قوله تعالى فى سورة الواقعة ٧٤ (فلا اقسم بمواقع النجوم ٧٥ وانه لقسم لو تعلمون عظيم) .

ويرشد الى ذلك أيضاً شائع الإستعمال العرفى ، فإن المخبر المؤكد لخبره قد يجمع بين التعريض بالقسم واعظامه بإنشاء واحد ، فيقول : لا احلف برأس أبيك قد كان الأمر كذا ، وهو اسلوب لطيف وغرض حميد ، وان صاحب الكشاف قد تنبه فى تفسير سورة القيمة لهذا الوجه الواضح فجزم به فى التفسير واحتج لتقريبه بقوله تعالى : (فلا اقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم) ، وان كان عند تفسيره لسورة الواقعة قد اتبع فى هذه الآية قول بعض المفسرين فقال : ان (لا) صلة ، أى زائدة .

(فإن قال قائل) إذا كان ذلك جامعاً بحسن أسلوبه بين التعريض بالقسم واعظامه ، فأين الخبر الذى عرض بالقسم لأجل تأكيده ، قلنا : (أفلا يسمع النداء بيوم القيامة) ، وقوله تعالى (أيحسب الإنسان ان لن نجمع عظامه بلى قادرين على أن نسوى بنانه بل يريد الإنسان ليفجر أمامه يسئل أيان يوم القيمة) ، أم يريد أن لا يجرى القرآن على خصائص اللغة العربية ومحاسنها .

وقال الله تعالى فى سورة الحديد بعد ذكر الذين اتبعوا المسيح ٢٨ :

(يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نوراً تمشون به ويغفر لكم والله غفور رحيم ٢٩ لئلا يعلم أهل الكتاب الا يقدرون على شيء من فضل الله وان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم) .

فذهب جماعة الى ان (لا) فى قوله تعالى : (لئلا) زائدة ، وتشبث المتعرب (ذ ص ٨٠) بكلامهم ليعترض على القرآن الكريم بزيادتها ، ولكن الصواب قد اخذ بيد جماعة ففهموا من الآيات ان (لا) غير زائدة وان الضمير فى (يقدرون) يعود على المؤمنين المخاطبين فى الآية المتقدمة على نحو الالتفات من الخطاب الى الغيبة ، ويكون قوله تعالى : (وان الفضل) معطوفا على المجرور بلام التعليل فى (لئلا) ، أى يتفضل على المؤمنين حق الايمان بالهدى والثروة والشوكة لكيلا يعلم أهل الكتاب ان لا يقدر المؤمنون على شيء من ذلك ، ولأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء .

والسبب المقتضى للإلتفات هو ان التعليل المذكور فى الآية الثانية غير داخل فى الوعد بالجزء المذكور فى الآية السابقة وإنما هو حكمة فى الجزاء ووجهه ، فراعى القرآن بيان ذلك بتغيير الاسلوب بالالتفات لئلا يوهم النسق انه غاية داخلة فى الجزاء والامتنان .

ولكن المتعرب لأنه يتعذر عليه الالتفات الى الحق صار يعترض على ما جاء من الالتفات فى القرآن الكريم (انظر ذ ص ٨٠) مع ان الالتفات يعد من محاسن اللغة العربية ، ولم يجيء فى القرآن إلا لنكتة شريفة ، وان عشى عنها من عشى :

قال عمر بن كلثوم فى معلقته :

بأى مشيئة عمرو بن هند تطيع بنا الوشاة فتزدرينا
تهددنا وأوعدنا رويداً متى كنا لامك مقتوينا

فالتفت من الخطاب الى الغيبة ، ومن الغيبة الى الخطاب ، وقال امرؤ القيس فى معلقته :

إلى مثلها يرنو الحليم صبابة إذا ماسبكرت بين درع ومحول
تسلت عماياة الرجال عن الصبا وليس فؤادى عن هواك بمنسلى

وقال عنتر فى معلقته :

حلت بأرض الزائرين فأصبحت عسر على طلابك ابنة محرم

ثم التفت الى الغيبة فى البيت الذى بعده ، ثم الى الخطاب فيما بعده ثم الى الغيبة ، ثم الى الخطاب ، ثم الى الغيبة وقد تنقل بالإلتفات فى ستة أبيات على النسق ، وقال قيس بن جروة الطائى :

أيوعدنى والرمل بينى وبينه تبين رويداً ما امامة من هند

وقد جاء الإلتفات أيضاً فى التوزاة الرائجة العبرانية (انظر لا ٢ ، ٨).

﴿ تتمة ﴾ واعترض المتعرب أيضاً (ذ ص ٨٠) على قوله تعالى فى الآية المتقدمة : (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله) .

فقال : انهم ان كانوا حقيقة قد آمنوا كما دعاهم فقد اتقوا الله وآمنوا برسوله وإلا فما هم بمؤمنين .

قلنا : مما لا يخفى ولا يستر ان عموم النصارى على سعة شريعتهم الفعلية واطلاقها وقلة تكاليفها غير معصومين عن مخالفة التقوى ، ولا نذكر شيئاً مما يشهد به العيان والتاريخ القطعى ، بل نقول : ان ملوكهم وحكامهم قد بذلوا غاية جهدهم فى كسر سورة الظلم وطغيان الفساد ، وقرروا بينهم فى ذلك مؤكدات الروابط والمعاهدات ، وانك لترى مع ذلك ما يحدث فى العالم من النكال ببعض المقصرين الذين عرف أمرهم ولم يحابهم اوقت .

وترى ما يحدث من مخالفة التعاليم النبوية والآداب العقلية والنواميس الروحية التى قد اتفق هتافها ونجواها فى الحث على الوداعة والصفاء والسلام ،

وترى من المخالفة المذكورة ما يكاد أن يأتى على رمق المدنية والإنصاف ، ويدفنهما فى رمس العواطف البالى .

ولو تركنا القلم وجريه لقال : ضع يدك على من شئت مستشهداً بشواهده مدلياً بحججه .

أفترى المتكلف يقول : فى أهل نحلته انهم ما هم بمؤمنين أو يغالط وجدانك ويقول : كلهم فائقون فى العصمة والتقوى على أنبياء العهدين الذين نسبنا اليهم عظائم الذنوب وقبائح الأحوال ، كما ذكرناه لاقتضاء المقام وعز علينا ذكره صحيفة ٤٨ - ١١٦ .

ولعلك تسأل ان المتعرب لماذا لم يعرف ان للايمان معارج ومراقى ، أولها : التحلى بفضيلة الاقرار بالإله الصانع ، والتطهر من رجاسة الشرك ، فلا يخالس به التوحيد أو يسر حسواً بارتعاء ، ثم يترقى فى معارجه بالعمل الصالح ، والتقوى ، والصبر ، والتوكل والعرفان ، والتسليم ، والتهيؤ لطاعة الرسول فيما يبلغه عن الله .

فنقول : دع عنك المتعرب إذ وصلت بسؤالك الى ان الله جل شأنه أمر المؤمنين فى الآية بالترقى فى معارج الإيمان ببركة التقوى والإيمان بالرسول ليقوم بذلك نظام الشريعة والمدنية وتنال به سعادة الدنيا والآخرة .

فأما قوله تعالى فى سورة الأعراف ١٦٠ (وقطعناهم اثنتى عشرة أسباطاً امماً) ، فإن المعدود فيه محذوف يهدى اليه المقام ، أى اثنتى عشرة قبيلة حال كونهم أسباطاً وامماً) .

والمتعرب توهم ان السبط فى اللغة العربية بمعنى القبيلة كما توهمه مترجموا التوراة الى العربية ، ولم يدر أن السبط هو الشخص اواحد ، وأما القبيلة فهى أسباط متعددون لا سبط واحد .

وأما قوله تعالى فى سورة المنافقين ٩ (يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم

أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فاولئك هم الخاسرون ١٠ وانفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتى أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتنى الى أجل قريب فاصدق وأكن من الصالحين ، فجزم (اكن) لأجل التنبيه على ان الكون من الصالحين اولى بان يكون جزاء للطلب (بلولا) وغاية للتأخير . ليتدارك به الخسران الحاصل بسبب اللهو بفتنة الأموال والأولاد عن تقوى الله . ونسيانه بفعل المعاصى : ولو لم يجزمه بل تركه على النسق لضاعت هذه المزية الشريفة والتنبيه البارع . بل وكذا لو قدمه فى النسق : ومن هذا النحو قول خارجة بن الحجاج الأيادى .

فابلونى بليتكم (١) لعلى اصالحكم واستدرج نويا

فجزم (استدرج) لينبه على انه اولى بكونه جزاء للطلب .

ولما قوله تعالى فى سورة آل عمران ٥٢ ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون : فقال جل شأنه فى مقام الأحتجاج بالتمثيل (فيكون) بالفعل المضارع الدال على الثبوت . وذلك لبيان الملازمة الدائمة بين قوله تعالى (كن) وبين ان الشىء يكون بهذا الأمر لامحالة . وبهذه القدرة التامة والملازمة الدائمة خلق عيسى من غير فحل اذ قال له (كن) ولا تقوم الحجة بهذا التمثيل ولا يحصل المراد منه فى الأحتجاج الا ببيان الملازمة بخلاف مانوقيل . كن فكان . لأن هذا الأسلوب لايفيد الا ان آدم كان . سواء كان ذلك باتفاق او بملازمة خاصة بذلك الكون او عامة . وهو امر معلوم لافائدة فى بيانه ولاحجة فيه على خلق عيسى من غير فحل . فلا يكون التفريع لو قيل . كن فكان . الا لغوا فى كلام متهافت : وبما ذكرناه تعرف غلط المتعرب ذص ٧٥ وانه يعيب المسك برياه — ؛ — كما غلط ايضاً فى اعتراضه ذص ٩١

(١) البلية: ناقة كانت الجاهلية تعقلها عند قبر الميت حتى تموت عطشا وجوعا . يزعمون ان الميت يركبها: يقول اصنعوا الى البلية لعلى اصالحكم واقرب بركوبها نواى .

على قوله تعالى فى سورة البقرة ٥٤ فتاب عليكم انه هو التواب الرحيم :

حيث قال ثم ان قوله فتاب عليكم . ظاهره انه جواب لجملة سقطت فيما سقط ولو قال فيتوب عليكم فتاب لكان الكلام أصح .

قلت تعساً لغرور العصبية . افلا يعلم الناظر فى خطاب الله لبنى اسرائيل فى سورة البقرة ٣٨ — ٨٨ انه انما كان خطاباً لبنى اسرائيل المعاصرين لرسول الله (ص) لا المعاصرين لموسى . فاستوضح ذلك من الآية ٣٨ — ٤٤ ومن انه لا يصح خطاب الاموات الذين صاروا رميما بمثل هذا الخطاب . بل قد خاطب الله الموجودين وامتن عليهم ووعظهم باحوال آبائهم وشؤونهم . فاسندها اليهم كما هو المتعارف فى خطاب القبائل والفرق ، وبذلك تعرف ان التوبة ماضية بالنسبة للخطاب وعصر المخاطبين : (فان قال قائل) كيف يخاطب الموجودون باحوال الماضين : (قلنا) هذا نهج متعارف فى خطاب القبائل والفرق . فان ابى الاذعان بذلك من المحاورات فلينظر الى العهدين . فان التوراة الرائجة صريحة بان بنى اسرائيل الذين خرجوا من مصر وحضروا طور سيناء لم يبق منهم الى السنة الأربعين لخروجهم من مصر احد حى بل ماتوا كلهم فى القفر قبل ان يقتلوا (مديان) ويغنموهم . ولم يبق من ذلك الجيل الا موسى . ويوشع . وكالب . انظر افلا عد ٢٦ : ٦٤ و ٦٥ وقد جاء فى التوراة ايضا ان موسى فى اواخر السنة الأربعين بعد سبى مديان خاطب بنى اسرائيل الموجودين بشؤون آبائهم وقال لهم (وكلمتكم فى ذلك اليوم) اى فى حوريب (فاجبتمونى وقلتم) تث ١ : ٩ و ١٤ (فكلمكم الرب من وسط النار وانتم سامعون صوت كلام — واخبركم بعهده — لم تروا صورة ما يوم كلمكم فى حوريب) (تث ٤ : ١٢ — ١٦) وانظر ايضا (تث ٥ : ٢٣ — ٢٨) ، كما جاء نحو ذلك عن خطاب المسيح لمعاصريه من الكتبة والفريسيين (مت ٢٣ : ٣٥) .

(تتمة) واعترض المتعرب فى هذا المقام على امتنان الله على بنى اسرائيل بشأن امره لهم بذبح البقرة مع تمردهم فى مراجعة السؤال عن المسارعة الى الامتثال بمقتضى اطلاق اللفظ (البقرة ٦٣ — ٦٧) وعلى امتنانه جلت آلاؤه على النسق بشأن احياء المقتول بضربه ببعضها (٦٧ و ٦٨) فقال ذ ص ٩١ انه كلام فى غاية المعاياه ولا يقدر احد ان يفهم معناه .

وكان يقترح أن تكون آيات الامتنان الأول حشواً فى آيتى الامتنان الثانى توهماً منه أو ايهاماً بأن القرآن الكريم فى صدد أن يذكر قصة البقرة حكاية تاريخية لقوم بسطاء كحاية بنتى لوط (تك ١٩ ، ٣١ - ٣٨) أو صناعة المسكن وثياب هارون (خر ٢٥ - ٤٠) أو كحايات الأناجيل الرائجة (مت ٤ ، ١ - ١١ ولو ٧ ، ٣٦ - ٥٠ و يو ٢ ، ١ - ١١ و ١٣ ، ٢١ - ٣١) ولم يفهم ان القرآن الكريم إنما هو فى مقام الامتنان على بنى اسرائيل بتعداد نعم الله عليهم وألطافه بهم على ما هم عليه من الغلظة .

فذكر أولا منته عليهم فى شأن أمره لهم بذبح البقرة ومجاراته بلطفه لهم على جهلهم وتمردهم فى تكرير السؤال .

وذكر ثانياً منته عليهم بفصل القضاء المعجز بإحياء الميت وإخماد الفتنة وفضيحة العادى ، ولقد أبهر القرآن الكريم باعجازه هاهنا ولا بدع ، فقدم الامتنان الأول توطئة لبيان الامتنان الثانى على وجهه وخصوصيات حاله ، حيث انه بعد ان ملأ السمع والقلب بحال الامتنان الأول قال فى الامتنان الثانى (فقلنا اضربوه ببعضها) أى تلك البقرة التى تقدم ذكرها ، فنظم البيان نظم العقد ، وأوحى الى الفهم بواسطة الضمير فى قوله (ببعضها) جميع خصوصيات القصة من دون أن ينحل نظام البيان وتتباعد أطراف الكلام وتبعد مسافته على الفهم ، بل جلاء القصة مع المحافظة على عناوين الامتنان أحسن جلوة ونوع الامتنان أحسن تنويع ، وما ظنك لو اقحم الامتنان الأول فى أثناء

الامتنان الثانى ، أفلا يتشتت شمل البيان ، وتندمج بينات الامتنان ، ويعود الكلام بيداء ماحلة تأتى على الفهم بطول المسافة بعد أن كان روضة زاهرة يرتاح اليها ويتمتع بشذاها . .

ولئن استهزأ المتعرب بالقرآن الكريم والراسخين فى العلم فانا لا نستهزء بالمغمورين بالتعصب ، المفضوحين بالجهل والضلال ، (الله يستهزء بهم ويمدهم فى طغيانهم يعمهون) .

وأما قوله تعالى فى سورة الصافات ١٣٠ : (سلام على آل يس) بعد قوله تعالى ١٢٣ : (وان الياس لمن المرسلين) فذلك لأن هذا الرسول لاسمه العبرانى فى اللغة العربية تعريبان (الياس ، والياسين) كما ان اسمه فى العبرانية جاء فى العهد القديم على وضعين : أحدهما (الياه) باشباع فتحه الياء وإسكان الهاء بعدها (انظر ٢ مل ١ ، ٣ و ٤ و ٨ و ١٢) ، وثانيهما (الياهو) بضم الهاء وتشديد الواو (انظر ٢ مل ١ ، ١٠ و ١٥ و ١٧) .

وأما قوله تعالى فى سورة التين ٢ (وطور سنين) فلأن لهذا المسمى فى العربية اسمين (سيناء ، وسينين) ، كما انه يسمى فى العبرانية فى العهد القديم مرة (سينى) بفتح النون بالفتحة الخالصة ، وإسكان الياء بعدها (انظر خر ١٩ ، ٢ و ١٨ و مز ٦٨ ، ٩) ونص فى حاشية هذا المزمور على ذلك فضلا عن رسم الاعراب ويسمى مرة اخرى (سيناى) بفتح النون بالفتحة المشالة الى الالف (انظر خر ١٩ ، ١ و لا ٢٧ ، ٣٤) هذا كله مع قطع النظر عن رموز النغمة المصطلحة عند اليهود فى قرائة العهد القديم ، وبهذا تعرف بعضاً من مبلغ عصبية المتعرب وجهله فى كلامه (ذ ص ٧٦) وكانه إذ ألصق نفسه بالعرب حسب انه صار الحكم المحكم فى العربية ، ولكنه من أين يتوع عن مثل هذه الإقتحامات ، وفى كتاب إلهامه ، لأن هاجر جبل سيناء فى العربية (غل ٤ ، ٢٥) ، فيا لهفاه على العربية .

وأما قوله تعالى فى سورة الحج ٢٠ (هذان خصمان اختصموا فى ربهم) فثنى فيه فى الأولين باعتبار ان الخصومة على طرفين وبين فريقين ، وهما الذين كفروا والذين آمنوا ، وجمع فى الأخيرين باعتبار كثرة المتخاصمين من الفريقين ، فلو جمع فى الأولين لما دل الكلام على ان الخصومة على طرفين وبين فريقين ، ولو ثنى فى الآخرين لما دل على كثرة المتخاصمين ، فلو غير الاسلوب الموجود فى الآية لخرج الكلام الى ضد حقيقته .

وأما قوله تعالى فى سورة الحجرات ٩ : (وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما) فقد جمع فى قوله (اقتتلوا) باعتبار ان القتال يقع بين آحاد الطائفتين الكثيرين ، وثنى فى قوله (بينهما) ، فلبيان ان الواجب هو الصلح بين الطائفتين ، ولا يحصل امتثال الواجب أصلا إذا اصلحوا بين بعض أفراد الطائفتين وإن كانوا جمعاً كثيراً ، وأيضاً فإن قرار الصلح وروابطه لا يقع غالباً بين جميع المقتتلين ، وإنما يقع بين عنوان الطائفتين ورابطتى رئاستيهما ، فلو غير الأسلوب الموجود فى الآية أيضاً لخرج الكلام إلى غير المراد منه .

وأما قوله تعالى فى سورة الأنبياء ٣ : (وأسروا النجوى الذين ظلموا) فإن الغرض فيه إسناد الفعل إلى اللاعبين اللاهية قلوبهم ، كما سبق فاسند إلى ضميرهم شرحاً لذميم حالهم وتسجيلا عليهم بقبيح تماديهم فى الغى ، ثم جاء بقوله : (الذين ظلموا) بدلا من الضمير ، أو منصوباً على الإختصاص والذم اعلاماً بظلمهم فى اسرارهم النجوى بجحد الرسالة بالذكر وتسميته سحراً ، واحتجاجهم الفاسد بكون الرسول بشراً ، ولو اسند الفعل رأساً إلى الذين ظلموا لانحل ارتباط الكلام ولم يدل على المراد منه كما ذكرنا .

وبما ذكرناه تعرف شطط المتعرب فى كلامه (ذ ص ٧٦ و ٧٧) وأما اعتراضه على القرآن الكريم (ذ ص ٧٧) بخرافة جمع القلة والكثرة ، فهل عدا فيه

ان اتبع به الأصمعى وأمثاله على غير هدى ولا كتاب منير ، ولو ان القرآن الكريم كان كلام واحد من سائر العرب لقبح الإعتراض عليه بعثرات أوهام الأصمعى وأمثاله ، بل كان هو الحاكم عليهم والمقيم لأودهم ، أو لم يصد المتعرب عن غلطه صاد ، ولا أقل مما عربه من كلام سايل حيث قال فى شأن القرآن العظيم (ق ص ١١٩ س ٤) ومما لا خلاف فيه أيضاً انه (أى القرآن) الحجة التى يرجع اليها فى العربية .

وقد توغل المتعرب فى شطط التعصب فصار يدعى ان القرآن الكريم يستعمل الألفاظ العربية فى غير ما وضعت له (أى خطأ واشتباهاً) وعد من ذلك (ذ ص ٨١) قول القرآن عن دين ابراهيم انه حنيف ، وزعم ان العرب تسمى عابد الوثن حنيفاً ، وان الحنيف عندهم الملتوى الضال والخب الخداع .

والذى ورط المتعرب هاهنا بهذا الإفتراء هو ما ذكر فى أوائل الرسالة المنسوبة لعبد المسيح فنسى ما نص عليه قبل (ذ ص ٢٥) من ان العرب سئمت الوثنية ، وقد أدرك منها محمداً (رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم) رجال كثيرون يدعون بالحنفاء ، وإنما دعوا بذلك لحنفهم أى ميلهم عن الوثنية ، فكانوا يحرضون قومهم على اطراح عبادة الأصنام ويدعونهم الى التدين بدين لا شرك فيه .

فاسئل المتعرب لماذا تناقض كلامه ؟ فهل هو على المثل الفارسى (دروغ كو حافظه ندارد) أى الكذاب لا حافظة له .

أم يقول : دع هذا فإن لكل مقام مقال ؟ أو لم يتعظ بما فضح الله به صاحب الرسالة المذكورة فى هذا الإفتراء حيث أظهر عليه كذبه ومخالفته لصراحة العهدين مع انه نصرانى يزعم انهما كتب إلهية .

أو لم يعتبر به إذ قال فى أول رسالته : فقد علمنا الآن ان ابراهيم كان منذ ولد إلى ان أتت عليه تسعون سنة حنيفاً عابد صنم - يعبد الصنم المعروف

بالعزى مع آبائه وأهل بيته وهو بحران .

مع ان التوراة لم تذكر ان ابراهيم عبد صنماً لا يوماً ولا تسعين سنة بل تذكر انه حينما خرج من (حاران) عن أمر الله وبركته له فى خطابه كان ابن خمس وسبعين سنة (تك ١٢ ، ١ - ٤) .

ويقول العهد الجديد : ان الله ظهر لابراهيم وهو فى ما بين النهرين قبل ما سكن (حاران) وأمره بالخروج فخرج حينئذ بأمر الله ووحيه من أرض الكلدانيين وسكن فى حاران (١ع ٧ ، ١ - ٥) ، وعلى هذا فلا بد أن يكون عمره الشريف حينما ظهر الله وأوحى اليه بالهجرة أقل من خمس وسبعين سنة بمقدار سكناه فى حاران وزيادة ، وبالإيمان لما دعى أطاع أن يخرج (عب ١١ ، ٨) .

ويكفى من صراحة ما ذكرناه عن العهد الجديد انه يلزم منه أن يكون ابراهيم مؤمناً بالله نبياً موحى اليه قبل ما يأتى الى حاران ، وانك لتعلم من هذا ان مثل صاحب الرسالة فى جرئته على خليل الله ومخالفته لكتب دينه ليروج أضاليله وأباطيله (كمثل كلب الأكراد يعض الضيف وصاحب المنزل) .

وكيف كان فالحنيف فى العربية هو من كان على حقيقة التوحيد وعبادة الحق . قال الجارود بن بشر من عبد القيس ، وكان نصرانياً فاسلم طوعاً :

فأبلغ رسول الله منى رسالة بأنى حنيف حيث كنت من الأرض

وقال حسان بن ثابت يخاطب أبا سفيان :

هجوت محمداً براً حنيفاً أمين الله شيمته الوفاء

وأما استشهاد المتعرب (ذ ص ٨١ س ١٤) بحكاية قول (بسطام) النصرانى لأخيه (ان كررت يا بجاد فانا حنيف) ، فلا شهادة فيه وإن صحت الحكاية ، فإن مراد بسطام تهديد أخيه بترك النصرانية وتثليثها ، والقول بتوحيد الحنفاء ، فانهم كانوا يقاومون التثليث والسجود للأيقونات والصور

كما يقاومون الوثنية الصريحة .

وقال الله تعالى : (هل أتي على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً ٢ إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيراً) .

فاعترض عليه المتعرب (ذ ص ٨٢) حيث قال بعض المفسرين ان(هل) بمعنى (قد) فقال : انا لا نجد لها هذا المعنى فى شيء من كلام العرب ، وقال قبل ذلك ان المتبادر الى الذهن من هذا انه سؤال منكر .

فنقول أولا : ان حقيقة الإستفهام هو طلب الفهم ، وإنما يعرف كونه استفهام تقرير أو إنكار إذا دل الحال أو المقال على ذلك ، فمن أفحش الغلط قول المتعرب : ان المتبادر الى الذهن كونه فى الآية سؤال منكر (أى استفهام انكار) مع اعترافه بأن القرآن لم يرد منه إلا الاثبات ، ومع العلم بأن حال رسول الله ومقاله ومقال القرآن فى هذا المقام وغيره يناضل ويحامى أشد المحاماة عن هذه الحقيقة التى هى العمدة والأصل من أساسيات دعوته وتعليمه بوجود الصانع الواحد العليم ، (وثانياً) قد جاء مثل سوق الآية الكريمة فى قول زهير فى معلقته :

ألا ابلغ الاحلاف عنى رسالة وذبيان هل أقسمتم كل مقسم

وقول الحرث بن حلزة اليشكرى فى معلقته مفتخراً ومحتجاً :

هل علمتم أيام يتهب النا س غواراً لكل حى عواء

وقول زيد الخيل :

سائل فوارس يربوع بشدتنا أهل رأونا بسفح القف ذى الأكم

ومن اواضح ان الشعراء المذكورين لا يريدون حقيقة الاستفهام ، لأنهم عالمون بما بعد (هل) ، ولا ينكرونه لأنه يوافق غرضهم ، بل لا يريدون منه إلا الاثبات والاحتجاج به . .

فإن كانت (هل) فى الشعر بمعنى (قد) فالشعر شاهد لذلك وإن كانت

للتقرير والتسجيل عليهم بالاحتجاج ، فإن (هل) فى الآية الكريمة كذلك وهو الأصح الذى ذهب اليه المحققون من المفسرين .

ثم اعترض المتعرب (ذ ص ٨٢) على قوله تعالى فى سورة البقرة ٢٢٩ (تلك حدود الله فلا تعتدوها) .

فقال : ان المقام يأباه وانه يلزم أن يعدى (تعتدوا) بعلى لا بنفسه .

فنقول : ان من له أدنى تمييز يعرف من اللغة وموارد الاستعمال ان الاعتداء والتعدى إنما هما بمعنى واحد وكلاهما بمعنى التجاوز ، فقولك اعتدى عليه وتعدى عليه بمعنى واحد ، والمراد منهما اعتدى الحد ، وتعدى الحد عليه ، نعم يختص التعدى المذموم بلفظ الاعتداء ، فالاعتداء هو تعدى الحد حيث لا ينبغى .

ثم اعترض أيضاً (ذ ص ٨٢ و ٨٣) على قوله تعالى فى سورة القصص ٧٦ : (وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة اولى القوة) .

فقال الوجه لتنوء بها العصبة أى تنهض على تثاقل ، فالعصبة هى التى تنوء بالمفاتح لا المفاتح بالعصبة .

فأقول : جاء فى النوع السادس والثلاثين من إتقان السيوطى ان سائلا سأل عن قوله تعالى : (لتنوء بالعصبة) ، فأجاب المجيب بقوله : أما سمعت قول امرىء القيس :

تمشى فتثقلها عجيزتها مشى الضعيف ينوء بالوسق

والظاهر ان سؤال السائل كان عن مجىء ذات اللفظة فى العربية لا عن معناها الخاص فى الآية الكريمة فاكتفى المجيب بذكر ما يدل على وجودها وان كان مخالفاً لمعناها فى الآية .

واحتمل ان المتعرب رأى ذلك فى الاتقان ، فتوهم ان السؤال كان عن مجىء (تنوء) على المعنى الذى فى الآية فاستشعر من مخالفة الجواب ان المجيب لم

يجد شاهداً على ما فى الآية ، واحتمل أيضاً ان المتعرب جرى على عادته فى اقدامه على الإعتراضات الباطلة تمويهاً بتعصبه وترويجاً لباطله .

ومهما يكن من ذلك فلا يخفى ان اللغويين اتفقوا على قولهم : (ناء بالحمل نهض به على تثاقل ، وناء الحمل به أثقله وأجهده) .

وان العرب تسند بعض الألفاظ إلى أمور متقابلة .

قال امرؤ القيس فى معلقته :

كميت يزل السرج عن حال متنه كما زلت الصفواء بالمتنزل

فاسند الزلل فى صدر البيت إلى السرج المتحول ، واسنده فى العجز إلى الصفواء المتحول عنها المطر ، ومن ذلك (ناء ينوء) فانها تسند تارة إلى المثقل المجهود كقوله : (ينوء بالوسق) ، وتارة الى الثقيل المجهد كما فى الآية الكريمة . وقول عمر بن كلثوم فى معلقته :

ومتنى لدنة سمقت وطالت روادفها تنوء بما ولينا

فاسند (تنوء) الى الروادف الثقيلة التى تجهد ما وليته بثقلها ، وأشد اللغويون فى ذلك أيضاً :

الا عصا ارزن طارت برايتها تنوء ضربتها بالكف والعضد

وأما المفاتح فى الآية الكريمة فهو جمع (مفتح) وهو ذات الكنز لا المفتاح الذى هو آلة الغلق .

واعترض المتعرب أيضاً على قوله جل شأنه فى سورة الكهف ٧٦ : (حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقض فأقامه قال لو شئت لاتخذت عليه أجراً) .

فقال (ذ ص ٨٥) والوجه استطعاهم .

وذلك لتوهمه ان قوله تعالى : (استطعما أهلها) جواب (لإذا) ولم يفهم انه وصف للقرية وجواب (إذا) إنما هو قوله تعالى فى آخر الآية (قال

لو شئت) وحينئذ لو قيل (استطعاهم) لخلت جملة الصفة من ضمير الموصوف وأيضاً ان الاتيان فى الآية لجميع أهل القرية باعتبار الدخول الى قريتهم ، والإستطعام لم يكن لجميعهم ، وإنما كان لمن هو لائق للضيافة ، ولو قيل استطعاهم لأوهم الكلام ، ان الإستطعام كان لجميع أهل القرية ، فلأجل ذلك كرر ذكر الأهل لئلا يمتنع انصرافه إلى المتعارف بخلاف الضمير العائد إلى ما يراد منه العموم .

واعترض أيضاً (ذ ص ٨٥) على العدول عن الاضمار إلى تكرار الظاهر فى قوله تعالى فى سورة البقرة ٣١ : (قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم . .) .

فماذا تقول فى اعتراضه هذا هو محض تمويه وتعصب ؟ أم انه لا يفهم من المحاورات فوائد تكرار الظاهر فيها لكى يفهم ان تكرار الظاهر هاهنا لأجل التسجيل بالصراحة فيما هو العنوان للحجة والقصة ، فلم يطوه بغمغمة الإضمار ، وان الفوائد التى أشرنا اليها لمعتنى بها فى البلاغة ، فقد قال عنتر فى معلقته :

يا دار عبلة بالجواء تكلمى وعمى صباحاً دار عبلة واسلمى

وقال سوادة بن عدى :

لا أرى الموت يسبق الموت شىء نغص الموت ذا الغنى والفقيرا

وذكرنا لك قول امرىء القيس :

فلو انها نفس تموت سوية ولكنها نفس تساقط أنفسا

وقول الآخر :

إذا قيل سيروا ان ليلى لعلها جرى دون ليلى مائل القرن اعضب

ومن هذا الوجه مجىء التكرار فى قوله تعالى : (بإذنى) فى قوله تعالى فى سورة المائدة ١١٠ : (وإذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل وإذ

تخلق من الطين كهيئة الطير بإذنى فتنفخ فيها فتكون طيراً بإذنى وتبرء الأكمه والأبرص بإذنى وإذ تخرج الموتى بإذنى) ، والمتعرب ضجر من تكرار هذه الكلمة لأمر لا يحير بيانه .

ولا يخفى عليك ان القرآن الكريم لما كان متجرداً لتثبيت حقيقة التوحيد منابذاً لما يجاهرها أو يخالسها بالشرك فلا جرم ان كانت له العناية التامة فى تكرار البيان أو تأكيده بأن أفعال المسيح العجيبة لم تكن بقدرته كما شتت به المزاعم ، وإنما هى بإذن الواحد القادر القاهر وبقدرته ، وان الحال ليوجب أن يتكرر قوله تعالى (بإذنى) فى هذه الموارد وأمثالها وإن بلغ تعدادها ألفاً وإن غاظ المتعرب تكرارها المرغم لأهوائه فى ثاوثه .

ومن الظرائف ان المتعرب موه تألمه من مباهضتها لهواه ، وأبدى ان إنكاره لها ، لأن أولها مثل (إذ) ولعله ابغض (إذ) لأنها مثل أول (بإذنى) وإلا فماذا يبهظه من تكرار (إذ) إذا اقتضى الحال به تسجيل الإمتنان بعظائم النعم وعوائد مزيدها فى ظروفها تسجيلا لازماً فى البيان فى مقام الإمتنان والتذكير لا يحصل لو خلى السوق ونسق العطف بدون التسجيل بالظرف فاعرف ذلك من مراجعة الآية التى قبل هذه .

ومما يستظرف نقله ان المتعرب قد أخذته الرقة على (حين) فتألم من القرآن إذ لم تذكر فيه إلا سبعة عشرة مرة ، واحمشه الحسد (لإذ) حيث ذكرت فى القرآن مائتين وأربعاً وثلاثين مرة فحقد ذلك عليه .

وماذا على المتكلم البليغ إذا استعمل الألفاظ التى هى ادخل بمقاصده مما يقاربها فى المعنى .

فقد قال الحارث بن حلزة اليشكرى فى معلقته :

ماجزعنا تحت العجاجة إذ و ... لوا شلالا وإذ تلظى الصلاء

واقدناه رب غسان بالمنـ ... ـذر كرها إذ لا تكال الدماء

وقالت الخنساء :

كأن لم يكونوا حمى يتقى إذ الناس إذ ذاك من عزّ بز

وقال الأخطل :

كانت منازل الأف عهدتهم إذ نحن إذ ذاك دون الناس اخوانا

ولعل الزمان سيرينا من مخبئآته من يعترض على القرآن الكريم بأن إلفاته أكثر من تاآته وظاآته .

ولماذا يتضجر المتعرب من التكرار فإن التكرار رفيقه فى أناجيله فقد تكررت (لما) تسع مرات فى الإصحاح الثانى وربع الأول من متى ، وجاء فى أول يوحنا فى البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله هذا كان فى البدء عند الله كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان فيه كانت الحياة والحياة كانت نور الناس والنور يضيء فى الظلمة والظلمة لم تدركه ، لم يكن هو النور بل ليشهد للنور كان النور الحقيقى الذى يبرر كل الناس آتياً إلى العالم كان فى العالم وكون العالم به ولم يعرفه العالم .

وكم وكم ترى فى انجيل يوحنا مثل هذا التكرار وأكثر . . وان قيل ان الانجيل لم يكن مبنياً على البلاغة ، والقرآن المبنى على البلاغة قد جاء فيه التكرار الكثير . .

قلنا أولا : حاصل هذا الكلام ان التكرار الفارغ لا يضر فى الانجيل لأنه غير مبنى على البلاغة .

وثانياً : انه لم يتكرر فى القرآن الكريم إلا ما كان مقتضى الحال موجباً لتكراره ، فكيف ترى التكرار الذى اعترض عليه المتعرب (ذص ٨٥) وذلك فى قوله تعالى فى سورة المائدة ٩٤ (ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا) .

فإن نفي الجناح فى المطعوم وعدم لحوق الوبال منه إنما يتم بالنسبة إلى هؤلاء الثابتين الدائبين على الإيمان والعمل الصالح والتقوى والإحسان ، فكم من مؤمن عمل صالحاً ثم جره الشره والإنهماك فى الطعام الى سوء الظن بالله وعدم التوكل عليه ، ومنته نفسه الأمارة وحرصه أن يستزيد رزقه بتدبيره ، وكم من مؤمن عمل صالحاً ثم جره الشره الى مخالفة التقوى والورع بالإغماض والتساهل فى مطالب رزقه ، وكم من مؤمن عمل صالحاً واتقى مدة ثم جره الشره والإعتياد على ملاذ المطعم الى الاقدام على كسب الحرام ، وكم من مؤمن عمل صالحاً واتقى قد أدى به الشره والإنهماك بلذة المطعم إلى العجز والتثاقل عن العبادة والعمل الصالح واكتساب الفضائل الروحانية ، فإن تكلف شيئاً من ذلك جاء به صورة مشوهة وجسماً بلا روح .

وكم من هؤلاء من جره الشره إلى الإسراف المحرم والإكثار المضر ببدنه فضلا عن دينه ، وكم وكم جرهم الشره الى الشح وذمائم الأخلاق والتعطل من زينة الاحسان ، ولكن أغلب الناس يقولون : لسنا من هؤلاء والحمد لله فلا يسلم الطاعم من الجناح والوبال إلا إذا تأدب بأدب الآية الكريمة (وقليل ما هم) ، ولا يحسن نفي الجناح إلا مع هذا التأكيد فى الثبات والدوام على الايمان والعمل الصالح والتقوى والاحسان .

فإن القرآن الكريم لم يجر تعاليمه على الفداء والمغالطة بكفاية اسم الايمان (فان قيل) ان القرآن قد كرر فى سورة القمر قوله تعالى : (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) أربع مرات .

وكذا قوله : (فكيف كان عذابى ونذر) ، وكرر فى سورة الرحمان قوله تعالى : (فبأى آلاء ربكما تكذبان) إحدى وثلاثين مرة ، وكرر فى سورة المرسلات قوله تعالى : (ويل يومئذ للمكذبين) عشر مرات فما الوجه فى هذا التكرار فى السورة الواحدة ؟ (قلت) ان للتكرار فى الخطابة مناهج

البلاغة لمقاماً يتنافس فيه البلغاء ، وغاية يتسابقون اليها فيكررون ما يعنيهم أمره ويهمهم تثبيته فى القلوب ، ويحلونه بالتكرار ليفتحوا به المسامع ويملأوا به القلوب تنويهاً بشأنه ، وحياطة للغرض المهم فيه ، فيتفاوتون فى الاحسان به كما يتفاوت فى الجودة والمناسبة واقتضاء الحال . قال الحرث بن عباد فى قصيدة لما قتل مهلهل ابنه بجيراً :

قربا مربط النعامة منى لقحت حرب وائل عن حيال

فكرر صدر البيت فى أربعة وأربعين بيتاً ، إلى قوله :

قربا مربط النعامة منى لبجير فداه عمى وخالى

وقال مهلهل فى قصيدة :

على ان ليس عدلا من كليب إذا خاف المغار من المغير

فكرر صدر البيت سبعة عشرة مرة ، الى قوله :

على ان ليس عدلا من كليب إذا هتف المثوب بالعشير

وكرر قوله (قربا مربط المشهر منى) فى صدور أبيات كثيرة ، وكرر عمر بن كلثوم فى معلقته قوله (بأى مشيئة عمر بن هند) فى صدرى بيتين وكررت ليلى الأخيلية فى رثاء ، توبة قولها فى قصيدة (فنعم الفتى ياتوب كنت إذا التقت) فى صدور ستة أبيات ، وقولها منها (لعمرى لأنت المرء أبكى لفقده) فى صدور أربعة أبيات ، وقولها منها (فلا يبعدنك الله ياتوب) فى صدور أربعة أبيات .

وهكذا حسان بن ثابت فى شعره قبل الاسلام جواباً لقيس بن الخطيم فكرر قوله فى قصيدة (ويثرب تعلم) فى صدور أربعة أبيات . وما هو من هذا النحو كثير ، وغير مختص باللغة العربية ، بل يوجد فى خطابة كثير من اللغات وكلامها الذى يتسامى الى البراعة ومراعاة مقتضى الحال .

حتى ان المزامير الرائجة لما كان اسلوبها طامحا الى البلاغة جاء فيها كثير

من ذلك ، فقد جاء فى المزمور التسعين (وعمل أيدينا ثبت علينا وعمل أيدينا ثبته) ، وتكرر فى المزمور السابع والخمسين قوله (ثابت قلبى) مرتين وفى أول الرابع والتسعين (يا الهَ النقمات) مرتين ، وفى المائة والخامس عشر (اتكلوا على الرب) ثلاث مرات ، وفى المائة والثامن عشر (احمدوا الرب لأنه صالح الى الأبد رحمته) مرتين (ان الى الأبد رحمته) ثلاث مرات ، وفى المائة والرابع والعشرين (لو لا الرب الذى كان لنا) مرتين ، وفى المائة والسادس والثلاثين (لأن الى الأبد رحمته) ستا وعشرين مرة ، على ان هذا المزمور لا يبلغ النصف من سورة الرحمان .

وأيضا قد تكرر فى العشرين من القضاة (بين رجليها انطرح سقط) مرتين ، وفى الأربعين من أشعيا (يبس الشعب ذبل الزهر) مرتين ، وفى العشرين من حزقيال (التى ان عملها إنسان يحيا بها) ثلاث مرات ، وأيضا تكرر فى سابع متى عن قول المسيح (من ثمارهم تعرفونهم) مرتين ، كما فى الثالث عشر منه أيضا عن خطاب واحد للمسيح مع تلاميذه قوله (هناك يكون البكاء وصرير الاسنان) ، وفى هذا المقدار من العهدين كفاية وإن كان فيه أكثر من ذلك .

وانك إذا نظرت الى مكررات القرآن فى مواردها وجدتها مما لا مساغ لغرض البليغ فى تركها ، كيف لا وهى فى مقام الامتنان بتيسير القرآن الذكر والحث على الادكار للإتعاظ بما جرى على الكفرة المتمردين من عظيم النكال .

وفى مقام التهديد والتهويل بذلك البطش الشديد حيث تمت عليهم الحجة بالنذر ، وفى مقام التنويه بآلاء الله وبيان انه لا مجال فى التكذيب بها ، وفى مقام التهديد والوعيد بالويل فى يوم القيامة للمكذبين بالمعاد والجزاء ، وانك لترى ان هذه المقامات هى الرأس والعمدة فى الاصلاح ،

والتكميل ، ونظام المدنية ، والهدى الى الايمان والسعادة ، فراجع مواردها فإنها توردك بتوفيق الله من زلالها العذب نهلا وعلا .

وأما تكرار القرآن لقوله تعالى فى سورة الشعراء : (وما أسئلكم عليه من أجر) خمس مرات فذلك لأجل انه حكاية لكلام خمسة من الأنبياء فى خمسة مواقع وهم نوح ، وهود ، وصالح ، ولوط ، وشعيب حيث احتج كل واحد منهم على قومه بأنه لا يريد فى إنذاره لهم إلا النصح والهدى ولا يرجو فيه طمعا ولا يسئلهم عليه أجراً .

وأما ما تكرر فى مجموع القرآن ، فما عسى أن يكون إذا اقتضاه الحال أو لم يتكرر فى (متى) عن قول المسيح (هناك يكون البكاء وصرير الاسنان) ست مرات مع ان الكلمات المنسوبة فيه الى المسيح لا تقارب واحدة من كبار سور القرآن ، هذا فضلا عن التكرار فى كتب العهدين .

وبما ذكرناه تعرف شطط المتعرب (ذ ص ٧٦ و ٧٤) وتحامله بضلاله على القرآن الكريم .

قال الله تعالى فى سورة البقرة ١٦٥ (وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آبائنا أو لو كان آبائهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون ١٦٦ ومثل الذين كفروا كمثل الذى ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء صم بكم عمى فهم لا يعقلون) .

والمراد منه ان الذين كفروا تجرى ألسنتهم فى كفرهم بما لا يعقلون غلطه ولا يتدبرون شططه ، فكأنهم ليس لهم أسماع يسمعون بها ضلال أقوالهم وقبيح فلتاتهم ، فإنها قد بلغت من الغلط والضلال حداً لا ينبغى أن لا يعقله إلا من لم يسمعها .

أفيقول من لم يوقر الغى اذنيه لا اتبع ما أنزل الله بل اتبع ما الفيت عليه آبائى أفلا يسمع مايقوله من الغلط والضلال فمثل الذين كفروا في ضلال أقوالهم هذه

كمثل الأصم الذى ينعق بما لا يسمعه ولا يميز من مداليل كلماته إلا الصوت والدعاء والنداء ، فكلامهم الغلط الفاسد إنما هو بالنسبة إلى غباوتهم عما فيه كنعيق من لا يسمع .

والمتعرب سمع من بعض المفسرين انهم يقدرون فى الآية ، مثل واعظ الذين كفروا ، ويجعلون سوق الآية لتشبيه وعظ الواعظين بالنعيق ، والذين كفروا بالأنعام التى ينعق بها ، فقال المتعرب (ذ ص ٩٣) هذا التمثيل لا معنى له ، وكان اوجه أن يقول ، ومثل الذى يعظ الكفار أو يدعوهم كمثل الذى ينعق بما لا يسمع .

ولا ألوم المتعرب إذ لم يعقل المراد من الآية ، ولم يدر ما يلزم فى تقديره من الفساد ، أفلا يتدبر انه حاشا لله وبلاغة القرآن أن يصف وعظ اواعظ الهادى وإرشاده الشافى بالنعيق المهمل ، ويعيب إرشاده بعيب غيره بل حاشا كل من يعرف مواقع الكلام من ذلك ، هب ذلك ولكن المثل الشريف حينئذ يخطىء مرماه ويلغو معناه ، فإن الناعق بالأنعام طالما ينجح بنعيقه بها ويندر أن لا تجيبه باقبالها وانزجارها وان كان نعيقه مهملا ، وأين ذلك من خيبة واعظ الكفار الذين حرنوا على اتباع ما ألفوا عليه آباءهم.

وأما اعتراض المتعرب على قوله تعالى فى سورة البقرة ٢٧٦ (ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا) .

حيث قال (ذ ص ٩٣) ، وكان اوجه أن يقول : إنما الربا مثل البيع .

فيكفى فى رده ان القرآن كلام الله الصادق قد حكى ما قاله آكلوا الربا على وجهه ، لا كالأناجيل التى تتقلب فى نقلها الواقعة الواحدة حسبما تقتضيه الغفلة وغيرها ، كما ذكرنا بعضه (صحيفة ٢٢٢ - ٢٢٧) ، ولا كالعهدين للذين يختلف منهما الحاكى والمحكى اختلافاً فاحشاً ، كما سنذكر بعضه إنشاء الله في أوائل الجزء الثاني .

ولا علينا أن نقول : ان اعتراضهم إنما هو النقض على الشريعة بحل البيع لتوهمهم ان العلة فى تحريم الربا موجودة فيه فهو مثل الربا ، فلماذا احل مع تحريم الربا ، وهذا النحو من الإعتراض يستلزم هذا التعبير .

وأما اعتراض المتعرب على عربية القرآن باستعماله بعض الألفاظ التى يدعى انها عجمية فى الأصل : كالسندس ، والإستبرق ، والأباريق ، والنمارق والقسطاس ، والفردوس .

فنقول : ان من المعروف فى جميع اللغات انها قد تتداخل وتنقل اللفظة من لغة إلى لغة اخرى فتكون بهذا الأخذ فى اللغة الثانية كسائر موضوعاتها الخاصة ، وقد كثر ذلك فى الأسماء فى كل لغة ، فالذى ينقل من لغة الى اللغة العربية يسمى معرباً ، أى صار عربياً بعد أن كان غير عربى ، وذلك كغالب أسماء الأنبياء ، فلا يلزم بعد ذلك فى فصيح العربية اجتنابها ، بل ان الألفاظ المعترض بها لا مناص فى الفصاحة والبلاغة وحسن البيان عن استعمالها لأنك تعلم ان مثل السندس ، والإستبرق ، والنمارق ، والقسطاس الذى هو ميزان خاص مبنى على الدقة ، كل هذه لم تكن من صناعة العرب ولا متداولة عندهم ليضعوا لها الأسماء من لغتهم ابتداء ، بل لم يكن يستعملها إلا ملوك الحاضرة ومترفوهم ، فاكتفوا فى تسميتها فى لغتهم بتعريب أسمائها ، فلا يمكن البيان عن حقائق مسمياتها إلا بأسمائها ، ولو عدل عن أسمائها المذكورة إلى نحو آخر من التعبير لما تيسر بيان المسميات على ما ينبغى ولو بطول الكلام الفارغ ، فاعتبر بما إذا جاء فى بليغ الكلام الانكليزى (سلدين) أى صلاح الدين و (جبرلتار) أى جبل طارق ، و (ارابيك) أى عربى ، فهل ترى مميزاً يعترض على انكليزية ذلك الكلام بوجود هذه الألفاظ المأخوذة من العربية أو يقول ، كان يلزم فى بيان معانيها ومسمياتها ان تستعمل الألفاظ الانكليزية الأصل ، وان أدى ذلك الى التطويل والهذر ، كلا .

وأما دعوى المتعرب ان الملة ، والسكينة ، والمثانى ، والمائدة مأخوذة من اللغة العبرانية فهى دعوى ناشئة من فلتات الجهل وبوادر العصبية .

وأما اعتراضه على القرآن الكريم (ذ ص ٨٥) بأنه يوجد فيه كثير مما تنافرت حروفه نحو فسبحه ، ومن يسمعها ، ومن يكرههن ، وإذ سمعتموه ، وإذ زاغت .

فقد تلقن دعوى التنافر فيه من أعاجم يعسر عليهم النطق بالحاء والعين والذال ، وما أشبهها ، بل تراهم يتلكأون فى النطق بالكلمات العربية ، وإن كانت حروفها متداولة بينهم .

وقد تكلفوا الكلام باللغة العربية ، وترددوا فى النطق بحروفها بين افراط وتفريط ، فاما أن يقلبوا الحاء هاء ، والذال زاء ، والعين ألفاً ، واما أن ينطقوا بالحاء على وجه يكاد أن يجرح الحلقوم ، وبالعين على وجه يكاد أن يخنق ، ووضع لهم أرباب الصناعة وهم منهم حدوداً للحروف لا تنفك أن تخرجهم من التفريط الى الافراط وهو تفريط أيضاً ، فان كان هذا هو الميزان فى التنافر ، فكل اللغة العربية متنافرة الحروف بالنسبة الى غير العرب ، بل كل لغة متنافرة بالنسبة الى غير أهلها .

الفصل الثانى

﴿ فى أوهام الإعتراضات على القرآن الكريم ﴾

من حيث وضع الأرض

قال الله جل شأنه فى سورة يوسف فى قصة الجدب والخصب ٤٩ (ثم يأتى من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون) .

فقال المتعرب (ذ ص ٥١) ويترتب عليه ان خصب مصر مسبب عن

المطر ، وهذا خلاف الواقع ، فالمطر قلما يقع فى ذلك القطر ولا دخل له فى خصبه بل ذلك مسبب عن فيض النيل ، وهذا لا يجهله أحد من أهل البلاد النازحة عن مصر فضلا عن العرب المتآخمين لها .

قلت : أترى هذا النصرانى المتصدى للأمور الدينية والمباحث العلمية كيف أدى به العناد والتمرد على الله ورسوله الى أن فضح نفسه بالجهل بصراحة التوراة التى هى كتاب ديانته وبمبادىء الجغرافية التى لا يجهلها أطفال المكاتب الابتدائية فى هذه القرون .

أما التوراة فانها تقول بصراحتها ان القحط قد عم مصر وأرض كنعان وكل وجه الارض (انظر تك ٤١ ، ٥٤ - ٥٧ و ٤٢ ، ١ و ٢ و ٤٣ ، ١ و ٢ و ٨ و ٤٥ ، ٤ - ٨) ، وانظر أيضاً (مز ١٠٥ ، ١٦ و ١٧ و اع ٧ ، ١١) هذا وان اوجدان شاهد بان الخصب فى أرض كنعان لا يكون إلا بالغيث من المعصرات ، وان الجغرافية الشائعة فى المكاتب الابتدائية قد فهمت الاطفال ان خصب مصر وزيادة نيلها إنما هما من نزول الغيث من المعصرات ، وقد حددت ابتداء زيادة النيل بابتداء المطر فى حوضه ، وانتهائها بانتهائه ، وعينت موقع حوض النيل الذى يمده بماء المطر اواقع فيه ، وعينت مساحة الحوض أيضاً .

وان المتعرب قد حقق بآخر كلامه هذا كون القرآن الكريم من الله علام الغيوب ، فانه لو كان من الناس لأسند خصب مصر الى فيض النيل جرياً على ما هو المعروف فى تلك القرون التى لم تكتشف فيها مواقع البلاد ، وطبيعيات الأرض وحياض الأنهار .

وما ظنك بجرئة المتعرب لو جاء فى القرآن الكريم مثل ما جاء فى توراته بأنه كان نهر يخرج من عدن ليسقى الجنة وهناك ينقسم فيصير أربعة رؤوس ، واسم النهر الثانى جيحون وهو المحيط بجميع أرض كوش ، واسم النهر

الثالث حد أقل (أى دجلة) وهو الجارى شرقى اشور ، والنهر الرابع الفرات (تك ٢ ، ١٠ - ١٥) .

أفتراه لا يقول ان جيحون وأرض كوش فى افريقيا ، ومبدء الفرات من ارمينية ، ومبدء الدجلة من كردستان ومنتهاهما خليج فارس ، فأين هذا وأين عدن ، وأين هذا من العلم بتوقيع البلدان ؟

ومن نحو هذا الفصل اعتراض المتكلف والمتعرب على القرآن الكريم إذ سمى صانع العجل لبنى اسرائيل (بالسامرى) وقد أوضحنا لك حقيقة الحال ومقدار جهلهما فى (صفحتى ٩٨ و ٩٩) فراجع .

وقال الله تعالى فى أول سورة الاسراء : (سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله) .

فاعترض المتعرب على ذلك (ذ ص ٥١) بأن المسجد الأقصى الذى هو الهيكل السليمانى كان قد خرب وانمحت آثاره منذ خمسمائة وخمسين سنة .

قلنا : لا يخفى ان المسجد لا يخرج عن فضيلة المسجدية وشرفها وعنوانها وان صار خربة وانمحت آثاره منذ آلاف من السنين ، وعلى ذلك عمل اليهود والنصارى فانهم يعظمون بيت المقدس بناء على مسجديته السابقة على خرابه . . وأما اعتراضه باعتبار الرواية فساقط لما قدمناه فى المقدمة السابعة (ص ٣٩ - ٤١) .

وقال الله تعالى فى سورة النحل ١٥ : (والقى فى الأرض رواسى ان تميد بكم) ، ونحوه فى سورة الأنبياء ٣٢ ، وسورة لقمان ٩ .

فنقل المتكلف (يه ٢ ج ص ٨٤) أقوال بعض المفسرين الظاهرة فى دعواهم : ان الجبال بثقلها تمنع الأرض عن أن تتحرك كرتها على الإستدارة ونحوها ، فصار بمقتضى هذه الأقوال يغاط بضلاله القرآن الكريم مدعياً ان الأرض متحركة .

أفتراه لم يشعر بأن ما نقله إنما هو قول بعض المفسرين الذين لا نصيب لهم بشىء من التحقيق ، ولم يفوزوا إلا بكثرة الحفظ ، ولم يكن همهم إلا رسم التفسير من المسموعات بدون تحقيق ، ويكفى فى بطلان هذا التفسير ان التضاريس فى الكرة والدولاب أدعى لحركتهما على الإستدارة بواسطة ما يصادم التضاريس من القوى ، ثم إذا كانت الكرة على عظم حجمها قابلة للحركة الى فوق أو الى اليمين ونحو ذلك .

فهل ترى التضاريس الجزئية التى هى من طبيعتها تمنعها عن الحركة ...

ومما يوضح فساد هذا التفسير وانه تقول على القرآن بدون علم، هو ان الميدان لغة وعرفاً ليس من نحو تحرك الكرة على الإستدارة أو الإستقامة ، وإنما هو حركات متضادة الى جهات مختلفة على التتابع بواسطة القاسر العنيف، كالزلزال والرجيف.

وهب ان القرآن الكريم كلام واحد من الناس ، فهل يحسن ولا يقبح لك ان تعترض عليه بتفسير غيره ، أو إنما يحسن لك أن تأخذ تفسيره من ذات المتكلم أو من الحقائق المنطبقة عليه .

ولكن المتكلف رأى ان الهيئة الجديدة رائجة حتى ان غالب المعاصرين يعدونها زعيمة ببيان الحقائق على ما هى عليه ، ويعدون مخالفتها من الغلط ، فصار يحاول أن يموه على الناس ان فلسفة القرآن الكريم مخالفة لها . . ولما كان القرآن الكريم يصادمه ، والحقائق البينة تجبهه التجأ الى التمويه بقول بعض المفسرين .

وهاك دلالة القرآن ، وبيان الحقائق لكى تعلم ان فلسفة القرآن لا يمكن أن تصدر من مثل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بغير الوحى الالهى فاعلم ان الميدان ليس هو الحركة مطلقاً ، وإنما هو التزلزل والتزعزع بالحركات المتفاوتة الى جهات مختلفة على التتابع بواسطة القاسر فهو غير الحركة الطبيعية التى تثبتها الهيئة الجديدة للأرض . .

ولكن لما اقتضت الحكمة الالهية ايداع الحرارة المتحركة وأبخرة البحار فى جوف الأرض لكى تتولد بسببها المعادن والفلزات ، وتتصعد بها مجارى العيون لعمارة المسكونة ، جعل لها منافذ مرتفعة عن السطح المعمور وفتح فيها بحكمته أفواه البراكين ، ومنافذ الينابيع ، وتعاهد بالمطر ودوام الثلج عليها فتح مسامها ، كل ذلك لكى تتوجه اليها بسبب ارتفاعها وانفتاح منافذها تلك القوى النارية السيارة فى جوف الأرض لتنفذ من خلالها بدون أن تصدم بعاديتها شيئاً من المعمور ، ولو لا ذلك لاستدام الزلزال فى السهل المعمور واستمر الميدان وسلب القرار بسبب ميل القوى النارية الى الخروج من الارض بحدتها العنيفة فيعم الضرر فى المعمور وساكنيه بشيوع الزلزال ، فالجبال من أجل هذه الحكمة البالغة هى المانع من شيوع الزلزال فى الأرض والحافظة لها من ان تكون مائدة .

ألا ترى القوى النارية مع هذه المنافذ لها فى الجبال كيف تزلزل سطح المعمور وتميده إذا اقتضت الحكمة خروجها منه ، بل قد يستتبع خروجها منه الخسف والإنفجار النارى والمائى .

ولعل الحكمة فى ذلك ارهاب الخلق به لئلا يأمنوا بطش الله فيطغوا ويبغوا ، واشعارهم بالنعمة عليهم بخلق الجبال وحكمتها البديعة فى كونها حافظة للمعمور من هذا البلاء العظيم ، كما صرح بذلك القرآن الكريم فأظهر الله حكمته ورحمته وامتن على الناس بحفظهم من ميدان الأرض المزعج المخرب فضلا عن الخسف والإنفجار . .

بل قد تساعد الفلسفة والإعتبار على أن نقول : ان الجبال بطبعها موجبة لميل القوى النارية اليها والخروج منها ، وإن كانت صخرية ليس فيها براكين ولا ينابيع .

وقد امتن الله أيضاً على عباده بجعل الجبال راسية فى مواطنها لاجراء

حكمتها ، ودوام النعمة بوجودها ، فلا تزعزعها القوى النارية كما تزعزع سطح الأرض ، ولو لا القوة التى أودعها الله فيها لاقتضى نفوذ القوى النارية منها على الدوام أن يحللها ويزعزعها ويلاشيها ، جلت حكمة الله وعظمت آلاؤه ، وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها .

وقال الله تعالى فى سورة الحجر ١٩ وسورة ق ٧ (والأرض مددناها) وفى سورة نوح ١٨ (والله جعل لكم الأرض بساطاً . .) والمراد من ذلك انه جل اسمه وعظمت نعمته جعل الأرض ذات أرجاء واسعة ممتدة وسهول منبسطة رحيبة ، فلم يضق رحبها ، ولم تستوعر كلها على ساكنيها بتضاريس الحزون وأسنمة الجبال ، وان مد الأرض وبسطها بهذا المعنى لا ينافى كرويتها التى لا تدرك إلا بدقة الرصد وكافة البرهان . .

وقد جاء فى العهد القديم الباسط الأرض على المياه (مز ١٣٦ ، ٦) باسط الارض (اش ٤٢ ، ٥ و ٤٤ ، ٢٤) هل أدركت عرض الارض اخبرنى ان عرفته كله (أى ٣٨ ، ١٨) ، وبعد هذا رأيت أربعة ملائكة واقفين على أربع زوايا الارض (رؤ ٧ ، ١ و ٢٠ ، ٨) ، وهذا يقتضى كون الأرض مسطحة مربعة ذات زوايا أربع .

وأظن ان هذا الكلام هو الذى دعا جماعة كثيرين من قدماء المسيحيين الى تكفير من يقول بكروية الارض .

ومع هذا كله يقدم المتكلف (يه ٢ ج ص ٨٤) بقبيح جرئته على القرآن الكريم فيما ذكرنا ، ويعترض عليه بأن مضمونه مناف لكروية الأرض ، وقد عرفت انه ليس فيه شىء من المنافاة ، وان ما فى العهدين أولى بالمنافاة ، وليت شعرى ان الذى لا يفهم الكلام ولا يدرى بما فى كتب دينه لماذا يقتحم مهالك البحث فيقع فى فضيحة الجهل فضلا عن ضلال الكفر ولماذا لم يكتف بالأكل من أرزاق الجمعيات كسائر المبشرين . .

فإن حاول التقرب الى الجمعيات بالتمويه والتلبيس ، فانها لا تجبره على ذلك ، وإنما تتوقع منه ما يرفع ذكرها ، لا ما ينبه الغافلين على جهل المبشرين بكتب دينهم وعدم تماسكهم فى أمرهم إلا بالتزوير والتمويه .

* * *

وقد عنّ لنا أن نختم الجزء الأول تعجيلا لإنجاز مطبوعه حامدين لله على آلائه ، شاكرين له على ان هدانا بلطفه للحق ، ووفقنا بفضله لنصرته متوسلين اليه بحرمة أنبيائه وأصفيائه عليهم الصلوة والسلام أن يوفق عباده للأخذ بحظهم فى رشدهم ، والنظر فى أمرهم ، ويجمعهم على كلمة الحق ، وجامعة الصواب انه ولى التوفيق وهو أرحم الراحمين .

وان ضرورة التنبيه على شطط الأضاليل ، وغفلات الجهل وفلتات التعصب ، وقبائح الجرأة قد ألجأت القلم الغيران للحق الى ما نملك منعه عنه ابتداء ، ولنا عنه فى بيان الهدى أحسن مندوحة نتجافى فيها عن التعرض للنحل ولكن القلم جرى ولسان حاله يقول : ان الاغضاء عن العادى على الحق خور ووهن ، وتخلية سبيل المضلين خذلان للدين القيم ، ومعاونة على الضلال والإثم والعدوان ، وعقوق للأخوان من البشر ، وقعود عن نصرتهم على عادية الشبهات ووساوس الغواية ، وذلك مما يأباه الدين والعواطف ويحظره العقل والشرع ، وما فى احقاق الحق من غضاضة وان غيظ المضل على أهلها جنت براقش ، والحديث شجون .

سقونى وقالوا لا تغن ولو سقوا جبال شرورى ما سقونى لغنت

﴿ وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت واليه انيب ﴾

وسيأتى إن شاء الله تمام المقدمة الثالثة عشر فى أوائل الجزء الثانى فى ضمن فصول ﴿ والله المستعان ، وهو حسبى ﴾

فهرست الجزء الاول

صفحة	﴿ مواضيع الكتاب ﴾
٣ - ٢٨	مقدمة الطبعة الثانية : بقلم العلامة الفكيكى - بغداد - الاعظمية
١٠	خطبة الكتاب ، الداعى لكتابته .
٢	ذكر بعض المتعرضين للإسلام وكتبهم .
٤	المقدمة الاولى : أسماء كتب اليهود والنصارى والترجمة السبعينية.
٥	الرموز المصطلح عليها ، نسخها الموجودة عند الكاتب .
١٠	المقدمة الثانية : فى دلالة العهدين على اختلاف الأوقات فى وحى كتبها ، تهور سايل والمتعرب .
١٢	المقدمة الثانية : مخالفة ترتيبها لوحيها .
١٤	المقدمة الرابعة : فى الحالات المستغربة لأنبياء العهدين عندالوحى.
١٩	تذييل فيمايذكره العهدالقديم من الحالات الظريفة لأنبيائه فى التبليغ.
٢٠	المقدمة الخامسة : فى سيرة بنى اسرائيل والملة النصرانية ، سيرة بنى اسرائيل وتقلبهم فى الشرك ، سبط يهوذا ، يوشيا ، وحلقيا ودعواه لوجدان التوراة بعد عدمها .
٢٧	مكابرة المتكلف وبيان فسادها ، عزرا والتوراة .
٣٠	سيرة بنى اسرائيل وأصحاب المسيح وتلاميذه والمعلمين فى النصرانية واختلافهم واضطرابهم .
٣٥	المقدمة السادسة : لا حجة بكتب العهدين ، شهادة بعضها على بعض بالتحريف صريحاً .
٣٨	التبديل فى التراجم والمطابع .
٤٠	المقدمة السابعة : فى شروط البرهان والجدل ، واخبار الآحاد.

صفحة ﴿ مواضيع الكتاب ﴾

٤٤ المقدمة الثامنة : فى رسالة الرسول وفيها بابان .

٤٤ الباب الأول وفيه فصول : رسالة النبى ، الغاية المطلوبة منها ، عصمته فى العقل والنقل .

٤٨ الفصل الرابع فى الاعتراضات على العصمة وأجوبتها الخ .

٤٨ فى ذكر الإعتراضات على هذا المقام وأجوبتها فى تحقيق الحق ، وكشف الإلتباس .

٤٩ العهدان يكذبان أنبياءهما فى التبليغ .

٥٩ الباب الثانى ، وفيه فصول : فى نسبة المعاصى إلى الأنبياء ، وما قيل ويقال فى ذلك .

٥٩ فى ذكر آدم وما يقال فى شأنه .

٦٣ الفصل الثانى : فى ذكر نوح وما قيل فى شأنه .

٦٦ الخمر والعهدين ، الخمر والمسيح .

٧١ رواية النبيذ ورسول الله (ص) ، حقيقة النبيذ .

٧٥ الفصل الثالث : فى شأن ابراهيم وما قيل فيه .

٧٧ ابراهيم والقرآن .

٧٨ ابراهيم والقرآن والتوراة .

٧١ الفصل الرابع فى ذكر إسحاق وما جاء فى شأنه ، ووليم اسمث .

٨٢ موسى والكذب على فرعون .

٨٥ الفصل الخامس : فى نبوة يعقوب وما قيل فى شأنه .

٨٦ يعقوب ومخادعته لأبيه .

٨٧ الفصل السادس : فى نبوة يوسف وما جاء فى شأنه .

٨٨ الفصل السابع : فى رسالة موسى وما قيل فى شأنه .

صفحة ﴿ مواضيع الكتاب ﴾

٩٣ موسى والقرآن .

٩٤ موسى والخضر .

٩٥ قول موسى للسحرة

٩٦ موسى والتوراة .

٩٨ الفصل الثامن : فى رسالة هارون وما ذكر فى شأنه .

١٠٠ العناية بثبات هارون .

١٠٢ القرآن والسامرى وكشف حقيقته .

١٠٤ الفصل التاسع : فى رسالة أيوب وما ذكر فى شأنه .

١٠٥ الفصل العاشر : فى نبوة داود وما ذكر فى شأنه .

١٠٦ داود والقرآن ، داود والتوراة .

١١١ الفصل الحادى عشر : فى نبوة سليمان وما ذكر فى شأنه .

١١٢ سليمان والقرآن ، سليمان والعهد القديم .

١١٥ الفصل الثانى عشر : فى نبوة اليسع وما ذكر فى شأنه .

١١٦ « الثالث عشر : فى نبوة ارميا وما ذكر شأنه .

١١٧ الفصل الرابع عشر : فى نبوة حزقيال وما ذكر فى شأنه .

« « الخامس عشر : فى رسالة المسيح وما قيل فى شأنه .

١٢٣ المتكلف والسؤال عليه فى الفداء .

١٢٦ نتيجة المقدمة .

١٢٨ عصمة رسول الله (ص) محمد خاتم النبيين وما يتعلق بها .

١٢٩ الآيات الشريفة تفسيرها بموهونات الروايات . وأوهام المتكلف جدله بما فى العهدين . فلسفة القرآن فى القذف ، تجربة المسيح وحاشاه من الشيطان ، العهد الجديد والتلاميذ والشيطان .

صفحة ﴿ مواضيع الكتاب ﴾

١٧٣ المقدمة التاسعة : فى بيان ما تثبت به الرسالة وتقوم به لله على الناس
١٧٣ المقدمة التاسعة : الحجة وبيان ما يلزم فيها وما لا يلزم .
١٨٥ المقدمة العاشرة: فى ذكر موانع للنبوة والرسالة الشاهدة على كذب ادعائها
١٨٧ المقدمة الحادية عشرة : فى وجوب النظر فى دعوى الرسالة .
١٨٨ فصل فيما يتعلق بكيفية النظر .
١٩٠ فصل فى انموذج حسبما شرحنا من قوانينه تمريناً للذهن .
٢١٠ الإحتجاج للمنع من الطلاق .
٢٢٢ زربابل وابيهود وريسا .
٢٢٣ ابيهود واضطراب المتكلف .
» ريسا واضطراب المتكلف .
٢٢٤ زربابل ونيرى .
٢٢٧ نتيجة باهضة للمتكلف .
٢٣١ يوحنا ومعرفته برسالة المسيح .
٢٣٤ الاعميان والأعمى .
٢٣٧ المجنون والمجنونان .
٢٣٩ عدم تواتر كتبهم .
٢٤١ تناقض التعاليم .
٢٤٣ التناقض أيضاً بين التعليم والعمل .
٢٤٧ المقدمة الثانية عشرة : فى النسخ فى الشريعة الإلهية وفيها فصول :
» » الفصل الأول فى ماهيته وحقيقه المراد منه فى الإصطلاح .
٢٤٨ الفصل الثانى فى إمكانه .
٢٥٢ الناسخ والمنسوخ فى شريعة نوح .
٢٥٣ التوراة وشريعة نوح والحيوانات .

صفحة ﴿ مواضيع الكتاب ﴾

« التوراة وما قبلها فى التزوج بالاخت .
« أيضاً الجمع بين الاختين فى التزويج .
٢٥٤ التزوج بالعمة .
٢٥٦ يعقوب وليئة .
٢٥٧ رسول الله وإظهار الحق والمتكلف .
٢٥٩ نسخ التوراة لحكمها فى محرقة السهو .
٢٦٠ أيضاً امرأة الأخ .
« التوراة وداود وعمر اللاويين .
٢٦٢ التوراة وحزقيال والمحرقة اليومية .
« أيضاً محرقة السبت .
« وأيضاً محرقة رأس الشهر .
٢٦٣ وأيضاً محرقة الفصح .
« وأيضاً محرقات عيد المظال .
٢٦٤ وأيضاً ما هو للرئيس وما عليه وعليك تعداد ما فيه من النسخ .
٢٦٥ التوراة والمسيح والطلاق والتزوج بالمطلقة .
٢٦٩ تعدد الزوجات .
٢٧١ نسخ الإنجيل لحكم التوراة .
٢٧٢ و . . التوراة والرسل والختان .
٢٧٣ عيد المسيح الكندى .
٢٧٦ و . . الحيوانات النجسة والمحرم أكلها .
٢٧٩ « الذبائح وأحكام الكهنة .
٢٨٠ « السبت والأحد والسابع والأول .
٢٨٢ « الناموس والعهد الجديد .

صفحة ﴿ مواضيع الكتاب ﴾

٢٨٥ « الرسل وبولس وما ذبح للأوثان والمخنوق والدم .
٢٨٦ نوح والحيوانات .
٢٩٠ امتحان الله لإبراهيم .
٢٩١ عمر اللاوى الموظف للسكن .
٢٩٥ حزقيال وتكليفه .
٢٩٦ فينحاس وكهنوت نسله الأبدى .
٢٩٧ عالى وكهنوت بيته .
٢٩٨ مملكة شاول .
« موت حزقيا وشفاؤه .
٣٠٢ إنكار المتكلف ما فى العهد الجديد .
٣٠٥ اللعنة على من لا يقيم الناموس .
٣٠٦ الأبد فى التوراة والعهد القديم .
٣٠٧ إستئناف للكلام مع المتكلف .
٣١١ المتكلف وسر الفداء .
٣١٢ مغفرة الله ورحمته وجوده .
٣١٥ الإسلام والمتكلف .
٣١٩ معارف القرآن والمتكلف .
٣٢١ المتكلف والبرهمية والبوذية .
٣٢٢ الفداء عند المسلمين .
« الفصل الثالث فى وقوع النسخ .
٣٢٣ المتكلف والنسخ .
٣٢٥ العلماء والمفسرون .
« المفسرون والنسخ .

صفحة ﴿ مواضيع الكتاب ﴾

٣٣٢ شروط الفتيا . ٣٣٥ منسوخ التلاوة .
٣٣٩ المقدمة الثالثة العشرة : فى دفع الإعتراضات على قدس القرآن الكريم ، وفيها فصول :
٣٣٩ الفصل الأول فى الإعتراضات عليه من حيث العربية :
٣٤٩ عدم الفهم لما يلزم تفهمه . ٣٥١ إشتباهات اللغويين .
٣٥٣ براعة الاسلوب واعتلال النحويين .
٣٥٥ آية (ولكن البر من آمن بالله) . ٣٥٧ فضل الصبر والصابرين .
٣٥٨ البرائة من عهد الناكثين الناقضين . ٣٦٠ القرآن يعلم بالوفاء .
٣٦١ معنى تحلة اليمين فى العربية . ٣٦٤ آية (يا أيها النبى لم تحرم) .
٣٦٥ نصب المقيمين الصلاة على المدح . ٣٦٨ الحذف فى اللغة العربية .
٣٦٩ آية (تفتؤ تذكر) الحذف فى اللغة العربية .
٣٧٠ آية (فلما ذهبوا به . . وأوحينا اليه) .
٣٧١ آية (ان الذين كفروا يصدون) .
٣٧٥ الكلام المبتور فى العهد القديم .
٣٧٦ آية (لا اقسم - آية لئلا يعلم) . ٣٨٥ الحنيف والحنفاء .
٣٨٦ فضيحة الشطط على ابراهيم خليل الله .
٣٨٧ آية (هل أتى على الإنسان) .
٣٨٩ آية (تنوء بالعصبة - آية استطعما أهلها) .
٣٩٠ آية (انبئهم بأسمائهم) . ٣٩٦ آية (كمثل الذى ينعق) .
٤٠٠ خصب مصر والمتعرب .
٤٠١ آية (والقى فى الأرض رواسى أن تميد بكم) .
٤٠٣ آية (والارض مددناها بساطا) . ٤٠٦ خاتمة الجزء الأول .

COLUMBIA UNIVERSITY LIBRARIES
0036758329

DEMCO

JUN 2 8 1982